كتاب

محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار

في الأدبيات والنوادر والأخبار

للشيخ الأكبر العارف بالله العلامة محي الدين بن عربي
المتوفي سنة ٦٣٨ هجرية

المجلد الثاني

دار اليقظة العربية
للتأليف والترجمة والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن باب الحياء :

ما قرأته في كتاب المنقطعين الى الله تعالى ، قال بعضهم : رأيت شيخاً يأتي الى باب المسجد ، فيصلي عنده ، ولا يدخل فيه ، فقلت له : يا شيخ ، مالك لا تدخل المسجد ؟ قال : يا اخي ، خلوت يوماً في بعض المساجد ، فاعجبتني خلوتي ، فإذا بمنادٍ ينادي : يا شيخ ، أما تحتشم ؟ وقد عصيته ، تدخل بيته ، فما قدرت بعد على دخول مسجد حشمة وحياء .

ومن باب الصبر :

وقع كسرى بن هرمز الى بعض المسجونين : من صبر على النازلة كان كمن لم تنزل به ، ومن طوّل له في الحبل كان فيه عطبه ، ومن أكل بغير مقدار تلفت نفسه .

موعظة في هذا الباب :

دخل ابن الزيات على الافشين وهو محبوس فقال :

اصبر لها صبر اقوامٍ نفوسُهم ... لا تستريح بلا غِلٍّ ولا قَوَدِ

قـــال الافشينُ : من صحب الزمان لم ينج من خيره او شره ، ووجد الكراهية ، والهوان . ثم قال :

لم ينج من خيرها او شرها احدٌ   فاذكر إساءتها ان كنت من احدِ
خاضت بك السنة الحمقاء غمرتها   فتلك أمواجها ترميك بالزبدِ

حُكي ان يوسف عليه السلام شكى الى الله تعالى طول السجن، فأوحى الله اليه : انت حبست نفسك حين قلت : « ربِّ السجنُ أحب إليّ مما يدعونني اليه » ، فلو قلت : العافية أحب إليّ ، لعوفيت . ثم أخرجه الله تعـالى كما ذكره في كتابه العزيز : فلمـا خرج من السجن ، واصطفاه العزيز ، أمر أن يكتب على باب السجن : هذه منازل البلوى ، وقبور الأحيـــاء ، وشماتة الأعداء ، ومحزنة الأصدقاء .

من كلام علي بن ابي طالب رضي الله عنه :

قال يوماً لابنه الحسن رضي الله عنه : يا بنيّ أبذل لصديقك كل المودة ، ولا تطمئن اليه كل الطمأنينة ، وأعطه كل المواساة ، ولا تفش له كل الاسرار .

ومن كتاب التراجم :

إن عيسى عليه السلام ، قال : عاشروا الناس معاشرة ، إن عشتم حنوا اليكم ، وإن متم بكوا عليكم . وأنشد :

قد يمكث الناس دهراً ليس بينهم   ودٌ فيزرعـــه التسليم واللطف
يُسلي الشقيقين طول النأي بينهما   وتلتقي شعبٌ شق فتأتلف

وفي الحكمة القديمة :

ليس للعقلاء تنعم إلا بمودة الاخوان . وقـــال العباس بن جرير : المودة

تعاطف القـلوب ، وائتلاف الارواح ، وإنس النفوس ، ووحشة الاشخاص عند تنائي اللقـــاء ، وظهور السرور بكثرة التزاور ، على حسب مشاكلة الجواهر ، يكون الاتفاق في الخصال .

وروينا من حديث رباح بن عبيد الله ، قـال : خرج عمر بن عبد العزيز قبل خلافته ، وشيخ متكىء على يده ، فقلت في نفسي : أن هذا الشيخ جاف فلمـا صلى ودخل ، لحقته ، فقلت : أصلح الله الأمير ، من الشيخ الذي كان متكئاً على يدك ؟ فقال : يا رباح ، رأيته ؟ قلت : نعم ، قال : ما احسبك يا رباح إلا رجلاً صالحاً ، ذاك اخي الخضر ، آتاني فأعلمني أني سألي أمر هذه الأمة ، وإني سأعدل فيها .

وحكى محمد بن فضالة ، فـيما رواه ابو نعيم ، ان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، وقف براهب في الجزيرة في صومعة له ، قد اتى عليه فيها عمر طويل وكان ينسب اليه علم من الكتاب ، فهبط اليه ، ولم ير هابطاً الى احد قبله ، فقال له : يا عبد الله، أتدري لم هبطت اليك ؟ قال : لا، قال : الحق بابيك انا نجده في ائمة العدل بمنزلة رجب من اشهر الحرم . قال : فسره له ابو ايوب ابن سويد ، فقال : ثلاثة متوالية : ذو القعدة ، والحجة ، والمحرم، ابو بكر وعمر ، وعثمان ، ورجب منفرد ، منها عمر بن عبد العزيز .

قلت : تكلم ابو ايوب في هـذا التفسير ببادىء رأيه ، ولم يتحقق مقصد المتكلم ، فلم يرد الراهب بقوله العدد ، فإنه ما تعرض اليه ، وكيف يتعرض للعدد ، وأئمة الهدى بعد رسول الله ﷺ : ابو بكر، وعمر، وعثمان ، وعلي، وحسن ، رضي الله عنهم أجمعين . وإنما أراد بالمثال ، انه كان بـين رجب ، والأشهر الحرم ، شهور ليست بحرم ، وليست لها تلك المرتبة ، كذلك بـين

أئمـــة العدل ، وبين عمر بن عبد العزيز ، خلفاء ليست لهم في العدل مرتبة هؤلاء المذكورين .

حكى لنا بعض الادباء ، عن ابي الجهم ، وكان بدوياً جافياً ، لمـا قدم على المتوكل ، وأنشده يمدحه بقصيدته التي يقول فيها يخاطب الخليفة :

انت كالـكلب في حفاظك لـلود وكالتيس في قراع الخطـوب
انت كالدلو لا عدمناك دلواً من كبار الدلا كثير الذنوب

فعرف المتوكل قوته ، ورقة مقصده ، وخشونة لفظه ، فعرف انـه ما رأى سوى مـــا شبه به ، لعدم المخالط ، وملازمة البادية ، فأمر له بدار حسنة على شاطىء الدجلة ، فيها بستان حسن يتخلله نسيم لطيف ، يغـذي الارواح ، والجسر قريب منه ، وأمر بالغذاء اللطيف ان يتعاهد به . وكان يركب في اكثر الاوقات ، فيخرج الى محلات بغداد ، فيرى حركة الناس ، ولطافة الحضر ، ويرجع الى بيته ، فأقـام ستة اشهر على ذلك ، والادباء ، والفضلاء ، يتعاهدون مجالسته ، ومحاضرته ، فاستدعاه الخليفة بعد هـــذه المدة ، لينشده ، فحضر ، وأنشد :

عيون المها بـــين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

فقال المتوكل : لقد خشيت عليه ان يذوب رقـــة ولطافة . وخرجت القصيدة عن فكري ، فـإن وجدتها ، فسألحقها إن شاء الله في بعض مجالس هذا الكتاب .

وأنشدنا ابو حامد الخشني الليلي عن بعض اشياخه ، عن ابن مغيث ، قال:

قال علي بن الجهم : من باب الرجوع الى الله تعالى :

توكلنا على رب السماء وسلمنا لأسباب القضاء
ووطنا على غير الليالي نفوساً سامحت بعد الآباء
وابواب الملوك محجبات وباب الله مبذول الفناء

هذه الأبيات ، قالها لما حبسه المتوكل .

وقال ايضاً في حبسه ذلك :

قالت حبست، قلت ليس بضائري حبسي وأي مهنّدٍ لا يغمدُ
أو ما رأيت الليثَ يألف غيلة كبرى وأوباش السباع تردّد
والنار في أحجارها مخبوءة لا تصطلي ما لم تثرها الأزند
والبدر يدركه الظلام فينجلي ايامه فكأنه متجدد
والراعبية لا يقيم كعوبها إلا الثقاف وجذوة تتوقد
غيرُ الليالي باديات عوّدٌ والمال عارية يفادُ وينفد
لا يؤسنك من تفرج كربة خطبٌ أتاكَ به الزمان الأنكد
فلكل حال معقبٌ ولربما اجلى لك المكروه عما تحمد
كم من عليل قد تخطاه الردى فنجا ومات طبيبه والعود
صبراً فان اليوم يعقبه غدٌ ويد الخليفة لا تطاولها يد
والحبس ما لم تغشه لدنيئة شنعاء نعم المنزل المتورد
لو لم يكن في الحبس إلا انه لا تستذلك بالحجاب الأعبد
بيت يجدد للكريم كرامةً وتزار فيه ولا تزور وتقصد
يا احمد بن ابي داود انما تدعى لكل كريهة يا احمد
ابلغ امير المؤمنين ودونه خوف العدو مخاوف لا تنفد
انتم بنو عم النبي محمدٍ أولى بما شرع النبي محمد
ما كان من حسنٍ فانتم اهله كرُمَت مغارسكم وطاب المحتد

أَمِنَ السوية يا ابن عم محمدٍ خصمٌ تقربه وآخر تُبعد
إن الذين سعوا اليك بباطل أعداء نعمتك التي لا تجحد
شهدوا وغبنا عنهم فتحكموا فينا وليس كغائب من يشهد
لو يجمع الخصمين عندك منزل يوماً لبان لك الطريق الأقصد
والشمس لولا انهـا محجوبة عن ناظريك لما اضاء الفرقد

وفي نقيض هذا ما انشده عاصم بن محمد الكاتب لنفسه لما حبس احمد ابن عبد العزيز أبا دلف ، فقال :

قالت حبست فقلت خطبٌ انكدُ أنحى عليّ به الزمانُ المرصدُ
لو كنت حراً كان سر بي مطلقاً ما كنت احبسُ عنوة وأقيّد
لو كنت كالسيف المهند لم يكن وقت الكريهة والشديدة يغمد
لو كنت كالليث الهصور لما رعت فيّ الذئاب وجذوتي تتوقد
مَن قال ان الحبس بيت كرامةٍ فمكابرٌ في قوله متجلد
ما الحبس إلا بيت كل مهانةٍ ومـذلة ومكاره لا تنفد
إن زارني فيه العدوّ فشامتٌ يبدي التوجع تارة ويُفنّد
او زارني فيه الصديق فموجعٌ يذري الدموع بزفرة تتردّد
يكفيك ان الحبس بيت لا يرى احدٌ عليه من الخلائق يحسد
تمضي الليالي لا اذوق لرقدةٍ طعماً وكيف حياة من لا يرقد
في مطبق فيه النهار مشاكلٌ لليل والظلمات فيه سرمد
فإلى متى هـذا الشقاء موكلٌ والى متى هـذا البلاء مجدد
ما لي مجيرٌ غير سيّدي الذي مـا زال يقبلني ونعم السيّد
غذيت حشاشة مهجتي بنوافل من سيبه وصنائع لا تجحد
عشرين حولاً عشت تحت جناحه عيش الملوك وحالتي تتزيد

فخلا العدوّ بموضعي من قلبه   فحشاه جمراً ناره لا تخمد
فاغفر لعبدك ذنبه متطولاً   فالحقد منك سجية لا تعهد
واذكر خصائص خدمتي وتعاوني   ايام كنتَ جميع أمري تحمد

وقال بعضهم : سئل عمار بن ياسر عن الولايات ، فقال : هي حلوة الرضاع ، مرّة الفطام .

وطلبني بعض السلاطين للولاية ، وعزم عليّ فيها ، فامتنعت عليه الى ان قال : لا اعزلك ، وعليّ العهد بذلك ، قلت : الاحوال بروق تلمع ، ولا تقم ، وهذه الحالة منك غير دائمة ، ولا سيا اذا جاء سلطان نقضها .

روي في سبب عزل الحجاج بن يوسف عن مدينة رسول الله ﷺ ، ان عيسى بن طلحة بن عبد الله ، وفد على عبد الملك بن مروان في وفد اهل المدينة ، فأثنى الوفد على الحجاج ثناء كثيراً ، وعيسى بن طلحة ساكت ، فلما انصرفوا ثبت عيسى مكانه حتى خلا له وجه عبد الملك ، فقام ، فجلس بين يديه ، فقال : يا امير المؤمنين ، من انا ؟ قال : عيسى بن طلحة بن عبيد الله ، قال: فمن انت ؟ قال : عبد الملك بن مروان ، قال : أفجهلتنا ؟ أم تغيرت بعدنا ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : وليت علينا الحجاج بن يوسف يسير فينا بالباطل ، ويحملنا على ان نثني عليه بغير الحق ، والله لئن أعدته علينا لنعصينك ، وإن قاتلتنا ، او غلبتنا ، او أسأت الينا ، قطعت ارحامنا ، ولئن قوينا عليك ، غصبناك ملكك . فقال له عبد الملك : انصرف ، والزم بيتك ، ولا تذكرن من هذا شيئاً . قال : وقام الى منزله . قال : فأصبح الحجاج غادياً الى عيسى بن طلحة ، فقال: جزاك الله خيراً عن خلوتك بأمير المؤمنين ، أبدلكم بي غيري ، وولاّني العراق .

أنشدنا يونس بن يحيى بمكة ، قال : قرأ عليّ محمد بن علي الطائي ، وأنا اسمع ، قيل له : أنشدنا ، قال : أنشدنا ابو محمد الحسن بن منصور السمعاني ، قال : أنشدنا والدي الشريف المظفـّر السمعاني ، لأبي بكر بن داود السختياني :

تمسك بحبل الله واتبع الهدى ... ولا تكُ بدعياً لعلك تفلحُ
ولذ بكتاب الله والسنن التي ... أتت عن رسول الله تنجو وتربح
ودَع عنك آراء الرجال وقولهم ... فقول رسول الله أزكى وأرجح
ولا تكُ من قوم تلهّوا بدينهم ... فتطعن في اهل الحديث وتقدح
اذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه ... فأنت على خير تبيتُ وتصبح

روينا من حديث ابي نعيم ، انا الوليد ، قال : بلغنا ان رجلاً ببعض بلاد خراسان ، قال : أتاني آتٍ في المنام ، فقال : اذا قام اشجّ بني مروان ، فانطلق ، فبايعه ، فإنه إمام عدل . فجعلت أسأل كلما قام خليفة ، حتى قام عمر بن عبد العزيز ، فأتاني ثلاث مرات في المنام ، فلما كان آخر ذلك ، زبرني فأوعرني ، فرحلت اليه ، فلما قدمت عليه لقيته فحدثته الحديث ، فقال : ما اسمك ومن انت ؟ وأين منزلك ؟ قلت : بخراسان ، قال : ومَن امير المكان الذي انت فيه ؟ ومن صديقك هناك ؟ ومَن عدوّك ؟ فالطف المسئلة. ثم حبسني اربعة اشهر، فشكوت الى مزاحم مولى عمر بن عبدالعزيز، فقال : انه كتب فيك ، فدعاني بعد اربعة اشهر ، فقال : اني كتبت فيك فجاءني ما أسرّ من قِبل صديقك، وعدوك، فهلم فبايعني على السمع والطاعة، والعدل ، فإذا تركت ذلك فليس لي عليك بيعة ، قال : فبايعته ، قال : ألك حاجة ؟ فقلت له : انا غني في المال ، إنما أتيتك لهذا فودّعني ، وودعته ، ومضيت .

وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته ، وقـــد صعد المنبر ، فخطب الناس ، فقال : أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فـإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم .

وقال علقمة بن ليث لابنه : يا بنيّ ان نازعتك نفسك الى صحبة الرجال إذ قد تمسّ الحاجة اليهم ، فاصحب من اذا صحبته زانك ، وان تخفضت له صانك ، وإن نزلت بك مؤنة مانك ، وإن قلت صدّق قولك ، وان صُلت به شدّد صولتك ، اصحب من اذا مددت يدك اليه لفضل مدها ، وإن رأى منك حسنة عدّها ، وإن بدت منك ثلمة سدها ، اصحب من لا يأتيك منه البوائق ، ولا تختلف عليك منه الطرائق ، ولا يخذلك عند الحقائق .

شعر :

أخوك أخوك من تدنو وترجو　　　مودته وإن دعي استجابا

وقال الآخر :

ومولاك مولاك الذي إندعوته　　　أجابك طوعاً والدماء تصيبُ

حكي عن عكرمة ، قال : كنا جلوساً عند ابن عباس ، وعبدالله بن عمر ، فطار غراب يصيح ، فقال رجل من القوم : خير خير ، فقـال ابن عباس : لا خير ولا شر .

شعر :

ما فرق الاحباب بعد الله إلا الابل
والناس يلحون غراب البين لما جهلوا
وما على ظهر غراب البين تطوى الرحل
ولا اذا صاح غرابٌ في الديار ارتحلوا
وما غراب البين إلا ناقة او جمل

ولنا في هذا المعنى :

نعقت أغربـة البين بهم		لا رعى الله غراباً نعقا
ما غراب البين إلا جملٌ		سار بالاحباب نصحاً عنقا

رؤيا آمنة ام رسول الله ﷺ في وقت حملها به وما قيل لها فيه :

روينا من حديث احمد بن عبد الله ، ثنا سليمان بن احمد بن ايوب الطبراني أنا حفص بن عمر بن الصباح البرقي، ثنا يحيى بن عبد الله البابلي ، ثنا ابو بكر ابن ابي مريم ، عن سعيد بن عمرو الانصاري ، عن ابيه ، عن كعب الاحبار في صفة النبي ﷺ، قال ابن عباس : وكان من دلالات حمل رسول الله ﷺ، إن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة ، وقالت : حمل رسول الله ﷺ ورب الكعبة ، وهو أمان الدنيا ، وسراج اهلها ، ولم يبق كاهنة من قريش، ولا في قبيلة من قبائل العرب ، إلا حجبت عن صاحبتها ، وانتزع علم الكهنة منها ، ولم يبق سرير ملك من مـــلوك الدنيا إلا اصبح منكوساً ، والملك مخرساً لا ينطق يومه ، ومرت وحش الشرق الى وحش الغرب بالبشارات ، وكذلك اهـل البحار يبشر بعضها بعضاً ، وفي كل شهر من شهوره نداء في الارض ونداء في السماء : ان ابشروا ، فقد آن لأبي القاسم أن يخرج الى الارض ميموناً مباركاً .

قال : وبقي في بطن امــه تسعة اشهر كملا لا تشكو وجعاً ، ولا ريحاً ، ولا مغصاً ، ولا ما يعرض للنساء من ذوات الحمل ، وهلك ابوه عبد الله وهو في بطن امه، فقالت الملائكة : إلهنا وسيدنا ، يبقى نبيك هذا يتيماً . فقال الله عز وجل للملائكة : أنا له وليّ ، وحافظ ، ونصير ، وتبركوا بمولده ميموناً مباركاً ، وفتح الله عز وجل لمولده ابواب السماء وجناتــه . فكانت

امه تحدث عن نفسها ، وتقول : أتاني آتٍ حين مر لي من حمله ستة أشهر ، فوكزني برجله في المنام ، وقال لي : يا آمنة ، إنك قـــد حملت بخير العالمين طرّاً ، فـإذا ولدتيه فسميه محمداً ، واكتمي شأنك . قال : فكانت تحدث عن نفسها ، فتقول : لقد أخذني ما يأخذ النساء ، ولم يعلم بي احد من القوم ذكراً ولا انثى ، وإني لوحيدة في المنزل ، وعبد المطلب في طوافه ، قالت : فسمعت وجبة شديدة ، وأمراً عظيماً ، فهالني ذلك ، وذلك يوم الاثنين ، فرأيت كأن جناح طير أبيض قـد مسح على فؤادي، فذهب عني كل رعب ، وكل فزع ووجع كنت اجد ، ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء ظننتها لبناً ، وكنت عطشى ، فتناولتها ، فشربتها ، فأضاء مني نورٌ عال، ثم رأيت نسوة كالنخل الطوال، كأنهن من بنات عبد مناف ، يحدقن بي ، فبينما أنا أعجب من ذلك ، وأقول : واغوثاه ، من أين علمن بي هؤلاء ؟ وأشتد بي الأمر ، وأنا اسمع الوجبة في كل ساعـة أعظم وأهول ، فإذا انا بديباج ابيض قد مد بين السماء والارض ، وإذا قائل يقول : خذوه عن أعين الناس .

قالت : ورأيت رجالاً قـــد وقفوا في الهواء بأيديهم اباريق فضة ، وأنا ارشح عرقاً كالجمان ، اطيب ريحـــاً من المسك الأدفر ، وأنا اقول : يا ليت عبد المطلب قد دخل عليّ ، وعبد المطلب ناء عني ، قالت : فرأيت قطعة من الطير ، قـــد أقبلت من حيث لا اشعر حتى غطت حجرتي ، مناقيرها من الزمرد ، وأجنحتها من الياقوت ، فكشف الله عـن بصري ، فأبصرت ساعتي تلك مشارق الارض ، ومغاربها ، ورأيت ثلاثة اعلام مضروبة : علماً في المشرق ، وعلماً في المغرب ، وعلـماً على ظهر الكعبة ، فأخذني المخاض ، وأشتد بي الأمر جداً ، فكنت كأني مستندة الى اركان النساء ، وكثرن عليّ حتى اني لا أرى معي في البيت احداً، وأنا لا أرى شيئاً ، فولدت محمداً ﷺ

فلما خرج من بطني درت فنظرت اليه ، فـــإذا هو ساجدٌ قد رفع اصبعيه كالمتضرع المبتهل ، ثم رأيت سحابة بيضاء قـد أقبلت من السماء نزلت حتى غشيته ، فغيب عن وجهي ، فسمعت منادياً ينادي ، ويقول : طوفوا بمحمد ﷺ شرق الارض وغربها ، وادخلوه البحار كلها ، ليعرفوه باسمه ، ونعته ، وصورته ، ويعلمون أنـــه يسمى فيها الماحي ، لا يبقى شيء من الشرك إلا محي به في زمنه ، ثم تجلت عنه في اسرع وقت ، فإذا انا به مدرج في ثوب صوف ابيض اشد بياضاً من اللبن ، وتحته حريرة خضراء ، وقـد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب الابيض ، وإذا قائل يقول : قبض محمد ﷺ على مفاتيح النصرة ، ومفاتيح الريـــح ، ومفاتيح النبوة . ثم أقبلت سحابة اخرى أعظم من الاولى ، ونور يسمع فيها صهيل الخيل ، وخفقان الاجنحة من كل مكان ، وكلام الرجال ، حتى غشيته ، فغيّب عن عيني اكثر وأطول من المـــدة الاولى ، فسمعت منادياً ينادي : طوفوا بمحمد ﷺ الشرق ، والغرب ، وعلى مواليد النبيين، واعرضوه على كل روحاني من الجن، والانس، والطير ، والسباع ، واعطوه صفاء آدم ، ورقة نوح ، وخلة ابراهيم ، ولسان اسمعيل ، وصبر يعقوب ، وجمـــال يوسف ، وصوت داود ، وصبر ايوب ، وزهد يحيى ، وكرم عيسى ، واغمروه في اخلاق النبيين .

ثم تجلت عنه في اسرع من طرفة عين ، فإذا انا قـــد قبض على حريرة خضراء مطوية طياً شديداً ، ينبع من تلك الحريرة ماء معين ، وإذا قائـــل يقول : بخٍ بخٍ ، قبض محمد ﷺ على الدنيا كلها ، لم يبق خلق من اهلها إلا دخل في قبضته، طائعاً بإذن الله عز وجل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . قالت آمنة : فبينما انا اتعجب إذا انا بثلاثـــة نفرٍ ، ظننت ان الشمس تطلع من خلال وجوههم ، في يد احدهم ابريق من فضة ، وفي ذلك الابريق ريح

ـسك ، وفي يد الثاني طست من زمرد اخضر ، عليها اربعة نواحي ، في كل ناحية من نواحيها لؤلؤة بيضاء ، وإذا قائل يقول : هـــذه الدنيا شرقها ، وغربها ، برها وبحرها ، فأقبض يا حبيب الله على أي ناحية شئت ، قالت : فدرت لأنظر اين قبض من الطست ؟ فإذا هو قد قبض على وسطها، فسمعت قائلاً يقول : قبض على الكعبة ورب الكعبة ، أما ان الله تبارك وتعالى قد جعلها له قبلة ومسكناً مباركاً .

قالت : ورأيت في يد الثالث حريرة بيضاء مطوية طيّاً شديداً، فنشرها فأخرج منها خاتمـاً تحارُ أبصار الناظرين دونه ، ثم حمل ابني فناوله صاحب الطست ، وأنا انظر اليه ، فغسله بذلك الابريق سبع مرات ، ثم ختم بـين كتفيه بالخاتم ختماً واحداً ، ولفـــه في الحريرة ، واستدار عليه خيطاً من المسك الأدفر ، ثم حمله فأدخله بـــين أجنحته ساعة . قال ابن عباس : كان ذلك رضوان خازن الجنان . قالت : وقال في اذنـه كلاماً كثيراً لم افهمه ، وقبّل بين عينيه ، ثم قال : أبشر يا محمد، فما بقي لنبي علم إلا وقد أعطيته، فأنت أكثرهم علماً ، وأشجعهم قلباً ، معك مفاتيح النصرة ، وقـــد ألبست الخوف ، والرعب ، فلا يسمع احد بذكرك إلا وجل فؤاده ، وخاف قلبه ، وإن لم يرك يا رسول الله . قالت : ثم رأيت رجلاً قـــد أقبل نحوه ، حتى وضع فاه على فيه ، فجعل يزقه كما تزق الحمام فرخها ، فكنتُ انظر الى ابني يشير بإصبعه ، يقول : زدني زدني ، فزقه ساعة ، ثم قال : أبشر يا حبيب الله ، فما بقي لنبيّ حلم إلا وقـــد أوتيته ، ثم احتمله فغيّبه عني ، فجزع فؤادي ، وذهل قلبي ، فقلتُ : ويح قريش ، والويل لها ، ماتت كلها ، أنا في ليلتي ، وفي ولادتي ، أرى ما أرى ، ويصنع بولدي ما يصنع، ولا يقربني احد من قومي ، إن هذا لهو العجب العجاب ، قالت : فبينا أنا كذلك إذا

أنا به قد ردّ عليّ كالبدر، وريحه يسطع كالمسك، وهو يقول : خذيه ، فقد طافوا به الشرق ، والغرب ، وعلى مواليد النبيين أجمعين ، والساعة كان عند ابيه آدم ، فضمه اليه ، وقبّل بين عينيه ، وقال : أبشر حبيبي، فأنت سيد الأولين ، والآخرين ، ومضى ، وجعل يلتفت ، ويقول : أبشر يا عزّ الدنيا، وشرف الآخرة ، فقد استمسكت بالعروة الوثقى ، فمن قال بمقالتك ، وشهد بشهادتك ، حشر غـــداً يوم القيمة تحت لوائك ، وفي زمرتك ، وناولنيه ، ومضى ، ولم أره بعد تلك المرة .

زاد العباس رضي الله عنه في حديثه ، قلت : يا آمنة ، مـا الذي رأيت في ولادتك من علامة هذا الصبي ؟ فقالت : رأيت علماً من سندس على قضيب من ياقوت ، قد ضرب بين السماء والأرض ، ورأيت نوراً ساطعاً من رأسه ، قد بلغ السماء ، ورأيت قصور الشام كلها شعلت ناراً ، ورأيت قربي سرباً من القطا قد سجدت له ، ونشرت أجنحتها ، ورأيت نابغة شعيرة الأسدية ، قد مرت وهي تقول : ما لقي الاصنام والكهان من ولدك هذا ؟ هلكت شعيرة، والويل للاصنام ، ثم الويل لها ، ورأيت شاباً من أتم الناس طولاً ، وأشدهم بياضاً ، فأخذ المولود مني ، فتفل في فيه ، ومعـــه طاس من ذهب ، فشق بطنه ، ثم اخرج قلبه فشقه شقاً ، فأخرج منه نكتة سوداء ، فرمى بهـا ، ثم أخرج صرة من حرير أخضر ففتحها ، فـإذا فيها شيء كالدرّة البيضاء ، فحشاه به ، ثم رده الى مكانه ، ثم مسح على بطنه ، فاستيقظ ، فنطق فـلم أفهم ما قال ، إلا أنه قال : انت في امان الله ، وحفظ الله ، وكلامه ، قد حشوتك علماً ، وحلماً ، ويقيناً ، وإيماناً ، وعقلاً ، وشجاعة ، وأنت خـير البشر ، فطوبى لمن اتبعك ، وآمن بك ، وعرفك ، والويل ثم الويل ، قالها سبع مرات ، لمن تخلف عنك ، وخرج منها ولم يعرفك ، ثم تفل فيه اخرى

تفلةً شديد ، ثم ضرب الارض ضربة ، فـإذا هو بماء أشد بياضاً من اللبن ، فغمسه في ذلك الماء ثلاث غمسات ، فما ظننت إلا أنــه قد غرق ، وما من مرة يخرجه إلا رأيت ضوء وجهه كالشمس الطالعة ، ولقد رأيت بريق وجهه يقع على قصور الشام كوقوع الشمس الحديث، ثم قال : أمرني ربي عزّ وجل أن انفخ فيك بروح القدس ، فنفخ فيه ، فألبسه قميصاً ، فقال : هذا أمانك من آفات الدنيا . الحديث، رواه احمد بن ابي عبد الله ، عن محمد بن عبد الله ابن جعفر ، عن محمد بن احمــد بن ابي يحيى ، عن سعيد بن عثمان الكريزي ، عن ابي احمد الزبيري ، عن سعيد بن مسلم مولى لبني مخزوم ، عن ابي صالح، عن ابن عباس ، قال : سمعت ابي العباس يحدث ، فذكره .

لطف خفيّ من لطيف بعبد مهين ضعيف :

حدثنا عبد الرحمن بن علي كتابــة ، نبأ ابو بكر الصوفي ، أنا علي بن ابي صادق ، أنا محمد بن عبد الله الشيرازي ، قــال : سمعت محمد بن فارس يقول سمعت خير النسّاج يقول سمعت ابراهيم الخواص . وقد رجع من شدة سفره وكان قد غاب عني سنين ، فقلتُ : مــــا الذي أصابك في سفرك ؟ فقال : عطشت عطشاً شديداً حتى سقطت من شدة العطش ، فـإذا أنا بماء قد رش على وجهي ، فلما أحسست ببرده ، فتحت عيني ، فإذا رجل حسن الوجه ، والذي عليه ثياب خضر ، على فرس أشهب ، فسقاني حتى رويت ، ثم قال : ارتدف خلفي ، وكنت بالحاجر ، فلمــا كان بعد ساعة ، قال : أيش ترى ؟ قلتُ : المدينة ، قــــال : أنزل ، واقرأ على رسول الله مني السلام ، وعلى صاحبيه ابي بكر ، وعمر ، وقال : اخوك الخضر ، يسلم عليك .

وفي رواية ، قال له : رضوان يقرأ عليك السلام كثيراً .

نعت معشوق :

حدثنا يونس بن يحيى العباسي ، أنا ابن ناصر السلامي ، عن ابي طاهر بن ابي الصقر ، ثنا مكي ، أنا طاهر بن احمد ، أنا ابو محمد بن زيد ، ثنا العباس بن محمد ، ثنا الاصمعي ، عن ابي الهذلي ، عن رجال من قومه ، أن اصيلاً الهذلي قدم على رسول الله ﷺ من مكة ، فقال له : يا اصيل ، كيف تركت مكة؟ قال : يا رسول الله ، تركتها قد أبيضت بطحاؤها ، واخضرت مسلاتها ، وأمشر سلمها ، وأحجن ثمامها ، وأغدق أدخرها ، فقال : يا اصيل ، دع القلوب تقرّ ، لا تشوقها الى مكة .

المسلان: الشعاب . والمشار: ثمر السلم ، وهو ثمر احمر. والاغداق: اجتماع اصول الشجر . والاحجان : انعقافه ومنه سمي الحجون .

في الوطن :

ما من غريبٍ وإن أبدى تجلـّده إلا تذكر بعد الغربـة الوطنا
ولا يزال حمـام باللوا غرد يهيج مني فؤاد طال ما سكنا

وأنشد محمد بن مالكون لبعضهم في ذلك :

اذا ما ذكرت الثغر فاضت مدامعي وأضحى فؤادي نهبـة للهماهم
حنيناً الى ارض بها اخضرّ شاربي وحلت بهـا عني عقود التمائم

وأنشد ابن سكرة لبعضهم في ذلك :

يقرّ بعيني أن أرى في مكانـه ذرى عطفات الأجرع المتقاود
وإن أرد الماء الذي عن شماله طروقاً وقد مل السرى كل واحد
وألصق احشائي ببرد ترابـه وإن كان ممزوجاً بسم الأساود

خبر عبد الله بن الثامر والأخدود من حديث ابن اسحاق :

حدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي، قال : كان أهل نجران أهـــل شرك ، يعبدون الأوثان ، وكان في قرية من قراها قريباً من نجران ، فإن نجران هي القرية العظمى ، يأتي اليها جماعة اهل تلك البلاد ساحر ، يعلم غلمان اهل نجران السحر ، فلما نزلها ميمون ، قالوا : رجل ابتنى خيمةً بين نجران ، وبين ملك القرية التي بها الساحر ، فجعل اهل نجران يرسلون غلمانهم الى ذلــك الساحر ، يعلمهم السحر ، فبعث الثامر ابنه عبد الله بن ثامر ، مع غلمان اهل نجران ، فكان إذا مرّ بصاحب الخيمة أعجبه مــا يرى من صلاته وعبادته ، فجعل يجلس اليه ، ويسمع منه حتى اسلم ، فوحّد الله ، وعبده ، وجعل يسأله عن شرائع الاسلام ، حتى إذا فقه فيهم ، جعل يسأله عن الاسم الأعظم ، وكان يعلمه ، فكتمه إياه ، وقال له : يا ابن اخي ، إنك ان تحمله اخشى ضعفك عنه ، والثامر ابو عبد الله يظن ان ابنه يختلف الى الساحر ، كما تختلف الغلمان ، فلما رأى عبد الله ان صاحبه قد ضنّ به عليه ، وتخوّف ضعفه عنه ، عمــد الى قداح ، فجمعها ، ثم لم يبق لله اسماً يعلمه إلا كتبه على قدح ، لكل اسم قدح ، حتى إذا احصاها اوقد لها ناراً ، فجعل يقذفها فيها قدحاً قدحاً ، حتى إذا مرّ بالاسم الأعظم قــذف فيها بقدحه ، فوثب القدح حتى خرج منها لم يضرّه شيء ، فأخذه ثم أتى صاحبه ، فأخبره أنه قــد علم الاسم الذي كتمه ، فقال : وما هو ؟ قال : هو كذا وكذا ، قال : وكيف علمته ؟ فأخبره بمــا صنع ، قال : أي ابن اخي ، قد أصبته ، فأمسك على نفسك ، وما أظن أن تفعل ، فجعل عبد الله بن ثامر إذا دخل نجران لم يبق احدٌ به ضرر ، ألا قال له عبد الله : أتوحّد الله ، وتدخل في ديني، وأدعوا الله فيعافيك ممــا انت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم ، فيوحد الله ، ويسلم ،

ويدعو له ، فيشفى ، حتى لم يبق بنجران احدٌ به ضرر ، إلا أتاه ، فأتبعه على امره ، ودعا له ، فعوفي ، حتى رفع شأنـــه الى ملك نجران ، فدعاه ، فقال له : أفسدت عليّ اهـل قريتي ، وخالفت ديني ، ودين آبائي ، لأمثلنّ بك . قال : لا تقدر على ذلك ، قال : فجعل يرسل به الى الجبل الطويل ، فيطرح على رأسه ، فيقع على الارض ليس به بأس ، وجعل يبعث بـــه الى مياه نجران ، بحور لا يقع فيها شيء إلا هلك ، فيلقى فيهـا ، فيخرج ليس بـــه بأس . فلما غلبه ، قال له عبد الله ابن الثامر : إنك والله لا تقدر على قتلي حتى توحّد الله ، فتؤمن بما آمنت بـــه ، فإنك ان فعلت سُلطت عليّ فقتلتني . قال : فوحّد الله ذلك الملك ، وشهد شهادة عبد الله بن الثامر ، ثم ضربه بعصىً في يده فشجه شجة غير كبيرة ، فقتله ، وهلك الملك مكانه . فاجتمع اهل نجران على دين عبد الله ابن الثامر ، وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم عليـــه الصلاة والسلام من الانجيل وحكمه ، فسار اليهم ذو نواس ذرعة بن شنار بجنوده ، فدعاهم الى اليهودية ، وخيرهم بين ذلك ، والقتل ، فاختاروا القتل ، فخذلهم ، فحرق بالنار ، وقتل بالسيف ، ومثّل بهم حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفـــاً ، وفيه نزل قوله تعالى : « قتل اصحاب الاخدود » . والاخدود: الحفر الطويل في الارض كالخندق ، والجمع أخاديد .

قال ابن اسحاق : فحدثني عبد الله بن ابي بكر بن محمد عمرو بن حزام ، انه حدّث أن رجلا من اهل نجران في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حفر خربة من خرد نجران لبعض حاجة ، فوجد عبد الله بن الثـــامر تحت الحفيرة التي دفن فيها قاعداً ، واضعاً يده على ضربة في رأسه ، ممسكاً عليها بيده ، فاذا أخرت يده عنها تنبعت دماء ، واذا ارسلت يده ردّها عليها ، فأمسكت دمها ، في يده خاتم مكتوب فيه : ربي الله . فكتب به الى عمر

ابن الخطاب رضي الله عنه يخبره بأمره ، فكتب اليهم: ان أقرّوه على حاله، وردّوا عليه الدفن الذي كان عليه ، ففعلوا .

ومن قتله القرآن :

مـا حدثنا به عبد الرحمن بن علي كتابة ، عن عمر بن ظفر ، عن جعفر ابن احمد ، عن عبد العزيز بن علي ، عن علي بن عبد الله ، عن محمد بن داود ، عن ابي زكريا الشيرازي، قال : تهت في بادية العراق اياماً كثيرة لم اجد شيئاً أرتفق به، فلما كان بعد ايام رأيت في الفلاة خباء شعرٍ مضروباً ، فقصدته، فإذا ببيت وعليه شيء مسبل ، فسلمت فردّت عليّ عجوز من داخل الخباء ، فقالت : يا انسان ، من اين اقبلت ؟ قلت : من مكة ، قالت : وأين تريد ؟ قلت : الشام ، قالت : أرى شبحك شبح انسان بطـّـال ، ألا لزمت زاوية تجلس فيها الى ان يأتيك اليقين ؟ ثم تنظر هـذه الكسرة من أين تأكلها ؟ ثم قالت : تقرأ القرآن ؟ قلت : نعم، قالت : إقرأ عليّ آخر سورة الفرقان ، فقرأتها ، فشهقت ، وأغمي عليها ، فلما أفاقت قرأت هي الآيات ، فأخذت مني قراءتها أخذاً شديداً . ثم قالت: يا انسان، إقرأها عليّ ثانياً ، فقرأتها، فلحقها مثل ذلك ، غير انها لم تفق ، فقلت: كيف استكشف حالها ؟ ماتت أم لا ؟ فتركت البيت على حاله ومشيت أقل من نصف ميل ، فأشرفت على واد فيه اعراب ، فأقبل إليّ غلامان ، معهما جارية ، فقـال احد الغلامين : يا انسان ، أتيت البيت في الفلاة ؟ قلت : نعم ، قــال : وتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم ، قال : قتل العجوز وربّ الكعبة ، فرجعت معهم حتى اتينا البيت ، فدخلت الجارية ، فكشفت عنها الحجاب، فإذا هي ميتة ، فأعجبني خاطر الغلام ، فقلت للجارية : مَن هذان الغلامان ؟ فقالت : هذه اختها ،

منذ ثلاثين سنة مـــا تأنس بكلام الناس ، تأكل في كل ثلاثة ايام أكلة ، وشربة .

ومن باب البكاء عند رؤية القبر :

ما حدّثنا بـــه حنبل بن ابي الحصين ، عن ابن المذهب ، عن ابي بكر ابن مالك ، عن عبد الله بن احمد ، عن ابيه ، عن ابي عبد الرحمن المقري ، عن عبد الله بن واقد ، عن محمد بن مالك ، عن البراء بن عازب ، قـــال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ بصر بجماعة فقـــال : علامَ اجتمع هؤلاء ؟ قيل : على قبر يحفرونه ، ففزعَ رسول الله ﷺ فبدر بـــين يدي أصحابه مسرعاً حتى انتهى الى القبر فجثا عليه ، قال : فاستقبلته بين يديه لأنظر ما يفعل ، فبكى حتى بلّ الثرى من دموعه ، ثم اقبل علينا فقال : اي اخواني لمثل هذا فاغدوا .

شعر :

أيهـــا المغرور في الد ... نيـــا بعزٍّ تقتنيهِ
وبـأهل وبمـــال ... وبقصر تبتنيـــه
كم سحبناكم عليهـــا ... ذيل سلطان وتيـــه
تحسب الأفلاك تجري ... بخـلود ترتجيـــه
اذا طوانا الدهر طيّاً ... فاعتبر ما نحن فيه

روينا من حديث الهاشمي بسنده الى ابن عباس قال : قـــال رسول الله ﷺ : ايها الناس ، إن الرزق مقسوم لن يعدو امرء مـــا كتب له ، فاجملوا في الطلب . وإن العمر محدود لن يجاوز احد ما قدر له ، فبادروا قبل نفاد

الأجل . والأعمال محصاة لن يهمل منها صغيرة ولا كبيرة، فأكثروا من صالح العمل .

أيها الناس إن في القناعة لسعة ، وإن في الاقتصاد لبلغة ، وإن في الزهد لراحة ، ولكل عمل جزاء ، ولكل اجل كتاب ، وكل آتٍ قريب .

رؤيا المنصور امير المؤمنين التي كانت سبباً لبعض حججه التي احرم بها من بغداد :

حدثنا يونس بن يحيى ، عن ابن ابي منصور ، عن المبارك بن عبد الجبار، عن ابي بكر ، عن ابن المنكدر الصلت ، عن ابي بكر بن الانباري ، عن محمد بن احمد المقدمي ، عن ابي محمد التميمي ، عن منصور بن ابي مزاحم ، عن ابن سهل الحاسب ، عن طيفور قال : كان سبب احرام المنصور من بغداد ، انه نام ليلة فانتبه مرعوباً ، ثم عاود النوم فانتبه كذلك فزعاً مرعوباً ، ثم راجع النوم فانتبه كذلك ، فقال : يا ربيع ، قال الربيع : قلت : لبيك يا امير المؤمنين ، قال : لقد رأيت في منامي عجباً ، قال : ما رأيت جعلني الله فداءك ؟ قال : رأيت كأن آتياً آتاني فهينم بشيء لم افهمه ، فانتبهت فزعاً ، ثم عاودت النوم فعاودني يقول ذلك الشيء ، ثم عاودني بقوله حتى فهمته وحفظته وهو :

كأني بهذا القصر قد باد أهله وعُرّي منه أهله ومنازله
وصار رئيس القوم من بعد بهجة الى جدثٍ تبنى عليه جنادله

وما أحسبني يا ربيع إلا وقد حانت وفاتي ، وحضر أجلي ، وما لي غير ربي ، قم فاجعل لي غسلاً . ففعلت ، فقام فاغتسل وصلى ركعتين . وقال :

انا عازم على الحج فهيء لي آلة الحج ، فخرج وخرجنا حتى اذا انتهى الى الكوفة ونزل النجف فأقام أياماً ، ثم أمر بالرحيل ، فتقدمت نوابه وجنوده وبقيت أنا بوابه ، وهو بالقصر ، فقال لي : يا ربيع جئني بفحمة من المطبخ، وقال لي : أخرج فكن مع دابتي الى أن اخرج ، فلما خرج وركب رجعت الى المكان كأني أطلب شيئاً ، فوجدته قد كتب على الحائط بالفحمة :

المرء يهوى أن يعيـ ش وطول عيشٍ قد يضرّه
تفنى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مره
وتصرف الايام حتى ما يرى شيئاً يسره
كم شامتٍ بي إن هلكـ ت وقائل لله دره

للسهيس انشدني عمي رحمه الله :

زمانٌ يمر وعيشٌ يمر ودهر يكر بما لا يسر
ونفس تذوب وهم ينوب ودنيا تنادي بأن ليس حر

ومن وقائع بعض الفقراء ما حدثنا به عبد الله المروزي قال : قال لي : بعض الصالحين : رأيت في واقعتي ابا مدين ، وأبا حامد ، وجماعة منَ من الصوفية ، فقالوا لأبي مدين : قل لنا في التوحيد شيئاً ، فقال ابو مدين : التوحيد همة المرسلين والنبيين ، وهو سر الخلفاء الصديقين ، وقطب الورثة من العارفين ، به حنّت أسرارهم الى الحضرة الآلهية ، وبه انكشفت لهم الأمور الربانية ، فأمدهم بالحياة والقيومية ، وأظهر لهم اسراراً لا تكاد تطيقها الأرواح البشرية ، منها السر القائم بالوجود الذي منه بدأ واليه يعود ووراء ذلك أسرار لا ينبغي بثها ، ولا يليق بالعارف كشفها، إذ هي اسرار اذا طالعها اضمحلت رسومه ، وتلاشت افكاره وعلومه، وفني ما هو محصور

مقيد ، وبقي الواحد الفرد الصمد ، فالعارف المحقق الذي يسير بسيره ، ولم يكن له في قلبه متسع لغيره، هو قلبه وحياته ، وبه حسنت اخلاقه وصفاته فكثيفه ظاهر لكل كثيف ، ولطيفه يلاحظ اسرار اللطيف ، فتوحيد العارفين محض التحقيق ، والقصد القصد بلا تخليق، ففي التخليق فناء العمر، وفي القصد الوصول والظفر ، فالعارف مقيم بين الخلق بجسمه ، ومسافر الى جمال الحضرة العلية بسرة ، فثمرة هـذا التوحيد مناله ، بالسفر فيه تشرفوا وتنعموا ، واليه الإشارة بقوله عليه السلام سافروا تصحوا وتغنموا ، فغنيمة العارف تظهر عليه بالصفات والنعوت ، إن اختبرته وجدته بالله قائل ، وإن تحققته ألفيته مع سيده كالميت بين يدي الغاسل .

وروينا من حديث الهاشمي بلغ بـه النبي ﷺ انه قال : إياكم وفضول المطعم، فإن فضول المطعم يسم القلب بالقسوة ، ويبطىء بالجوارح عن الطاعة ويصم الهمم عـن سماع الموعظة ، وإياكم وفضول النظر ، فإنه يبذر الهوى ويولد الغفلة ، وإياكم واستشعار الطمع ، فإنـه يشرب القلب شدة الحرص ، ويخـتم على القلب بطابع حب الدنيا ، فهو مفتاح كل سيئة ، وسبب احباط كل حسنة .

وأنشدني محمد بن عبد الواحد لبعضهم :

وأحبائي مـن علـيم ليس يخفى عنه حالي
منطقي يبدي جميـلا والبـلايا في فعالي
ليت شعري ما اعتذاري يوم أدعى للسؤال
كيف قولي وجوابي كيف فعـلي واحتيالي
ليتني لم أك شيئاً قبـل تحقيق السؤال

ومن حسن التلطف في المكاتبة :

ما ذكره اسمعيل بن ابي شاكر قال : لمـا أصاب اهل مكة السيل الذي شارق الحجر ، ومـات تحته خلق كثير ، كتب عبد الله بن الحسن العلوي وهو والي الحرمين، الى المأمون : يا امير المؤمنين إن اهل حرم الله، وجيران بيته ، وآلاف مسجده ، وعمرة بلاده ، قـد استجاروا بعزّ معروفك من سيل تراكمت جرياته في هـدم البنيان ، وقتل الرجال والنسوان ، واجتاح الاصول ، وجرف الاثقال حتى ما ترك طارفاً ولا تالداً للراجع اليها في مطعم ولا ملبس ، فقد شغلهم طلب الغذاء عن الاستراحة الى البكاء على الامهات ، والأولاد، والآباء والأجداد؛ فأجرهم امير المؤمنين بعطفك عليهم، وأحسانك اليهم ، تجد الله مكافئك عنهم ، ومثيبك عن الشكر منهم .

قال : فوجّه المأمون اليهم بالأموال الكثيرة ، وكتب الى عبد الله : أما بعد فقد وصلت شكيّتك لأهل حرم الله الى امير المؤمنين فبكاهم بقلب رحمته وأنجدهم بسيب نعمته ، وهو متبع لما أسلف اليهم ، بما يخلفه عليهم ، عاجلاً وآجلاً ، أن أذن الله في تثبيت نيته على عزمه .

قال : فكان كتابه هذا أسرّ لأهل مكة من الأموال التي أنفذها اليهم :

ومن حسن الجواب :

ما حكي أن امير المؤمنين وقف على امرأةٍ من بني ثعل فقال لهـا : ممن العجوز ؟ قالت : من طي ، قال : ما منع طيّاً أن يكون فيها مثل حاتم ؟ قالت : الذي منع العرب أن يكون فيها آخر مثلك ، فأعجب بقولهـا ، ووصلها .

وقال معاوية حين أتاه سعيد بن مرّة الكندي : انت سعيد ؟ فقال : امير المؤمنين أسعد ، وأنا ابن مرّة . وقال الحجاج للمهلب : أنا اطول أم انت ؟ قال : الأمير اطول ، وأنا أبسط قامة منه .

وقيل للعباس بن عبد المطلب : انت اكبر أم رسول الله ﷺ ؟ قال : هو عليه السلام اكبر مني ، وأنا ولدت قبله .

قيل : دخل سيد بن انس على المأمون ، فقال له المأمون : انت السيد ؟ قال : انت السيد يا امير المؤمنين ، وأنا ابن انس .

حكم :

رب قول أشدّ من صول. لكل ساقطة لاقطة . لكل داهية ناهية. لكل قاصمة عاصمة . مقتل الرجل بين فكيه يعني لسانه .

وقال المهلب : اتقوا زلة اللسان، فإني وجدت الرجل يعثر قدمه ، فيقوم من عثرته ، ويزلّ لسانه ، فيكون فيه هلاكه .

وقال يونس بن عبيد : ليست خلة من خلال الخير تكون في الرجل هي احرى أن تكون جامعة لأنواع الخير كلها من حفظ اللسان .

ومن قولهم في الكتمان : كان امير المؤمنين ابو جعفر المنصور يقول : الملوك تحتمل كل شيء من اصحابها إلا ثلاثة : إفشاء السر ، والتعرض للحرم ، والقدح في الملك .

وقال بعض الحكماء : سرّك من دمك ، فانظر من يملكه .

وفي الحكمة القديمة : سرّك لا يطلع عليه غيرك .

وقيل لأبي مسلم : بأي شيء أدركت هذا الأمر ؟ قال : ارتديت الكتمان وأتزرت بالحزم ، وحالفت الصبر ، وساعدت المقادير ، فأدركت طلبتي ، وحزت بغيتي .

وأنشد في ذلك :

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت ... عنه ملوك بني مروان اذ حشدوا
ما زلتُ أسعى عليهم في ديارهم ... والقوم في ملكهم بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهمُ بالسيف فانتبهوا ... من نومةٍ لم ينمها قبلهم احد
ومن رعى غنماً في ارض مسبعة ... ونام عنها تولّى رعيها الأسدُ

روينا من حديث البغوي أخبرنا ابو سعيدٍ عبد الله بن احمد الظاهري ، أنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزّار ، أنا ابو بكر بن محمد بن زكريا الغدافري ، انبأ اسحاق بن ابراهيم ، ثنا عبد الرزاق ، أنا معمر ، عن قتادة عن نصر بن عاصم الليثي ، عن خالد بن خالد اليشكري ، قال : خرجت زمن فتحت تستر حتى قدمت الكوفة ، فدخلت المسجد ، فإذا أنا بحلقة فيها رجل صدع من الرجال ، حسن الثغر ، يعرف فيه أنه رجل من أهل الحجاز قال : فقلت من الرجل ؟ فقال القوم : أوما تعرفه ؟ قلت : لا ، قالوا : هذا حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله ﷺ ، قال : فقعدت ، وحدث القوم . فقال : إن الناس كانوا يجيؤن فيسألون النبي ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ، فأنكر ذلك القوم عليه ، فقال لهم : اني سأخبركم بما أنكرتم من ذلك : جاء الاسلام حين جاء ، فجاء أمراً ليس كأمر الجاهلية ، وكنت قد أعطيت فهماً في القرآن ، وكان رجال يسألون عن الخير ، فكنت أسأله عن الشرّ ، قلت : يا رسول الله أيكون بعد هذا الخير

شر كما كان قبله شر ؟ قال : نعم ، قلت : فما العصمة يا رسول الله ؟ قال : السيف ، قلت : وهل بعد السيف بقية ؟ قال : نعم يكون جماعة على أقذاء وهدنة على دخن ، قال : قلت ثم ماذا ؟ قال : ثم ينشأ دعاة الضلالة ، فإن كان لله في الارض خليفة جلد ظهرك ، وأخذ مالك ، فألزمه ، وإلا فمت وأنت عاضٍ على جذل [1] شجرة ، قال : قلت ثم ماذا ؟ قال : ثم يخرج الدجال بعد ذلك ومعه نهر ونار ، فمن وقع في ناره وجب أجره ، وحط وزره . ومن وقع في نهره وجب وزره ، وحبط أجره . قال : ثم قلت : ماذا ؟ قال : ثم ينتج المهر فلا يركب حتى تقوم الساعة . قال البغوي الصدع من الرجال مفتوحه الدال : الشاب المعتدل . ويقال : الصدع : الربعة في خلقة رجل بين الرجلين . وقوله : فما العصمة ؟ قال : السيف . قال قتادة: يضعه على أهل الردة كانت في زمن الصديق رضي الله عنه . وقوله : هدنة على دخن : صلح على بقايا من الضغن . وقوله : على أقذاء : يكون اجتماعهم على فساد من القلوب ، شبهه بأقذاء العين .

ومن اشراط الساعة :

ما رواه علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ عن أشراط الساعة فقال : اذا رأيت الناس قد ضيعوا الحق ، وأماتوا الصلاة ، وأكثروا القذف ، واستحلوا الكذب ، وأخذوا الرشوة ، وشيدوا البنيان ، وعظموا أرباب الأموال ، واستعملوا السفهاء ، واستحلوا الدماء ، فصار الجاهل عندهم ظريفاً ، والعالم ضعيفاً ، والظلم فخراً ، والمساجد طرقاً ، وتكثر الشرط ، وحليت المصاحف ، وطوّلت المنارات ، وخربت القلوب

---

(١) أي أصلها .

من الدين ، وشربت الخمور ، وكثر الطلاق ، وموت الفجأة ، وفشا الفجور، وقول البهتان ، وحلفوا بغير الله ، وأتمن الخائن ، وخان الأمين ، ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب ، فعندها قيام الساعة .

وروى حذيفة بن اليمان قال :

رأيت رسول الله ﷺ متعلقاً بأستار الكعبة ، وعيناه تذرفان بالدموع ، فقلت : ما يبكيك لا أبكى الله لك عيناً ! قال : يا حذيفة ذهبت الدنيا ، او كأنك بالدنيا لم تكن ، قلت : فداك أبي وأمي يا رسول الله ، فهل من علامة يستدل بها على ذلك ؟ قال : نعم يا حذيفة ، إحفظ بقلبك ، وانظر بعينيك ، وأعقد بيديك ، اذا ضيعت امتي الصلاة ، وأتبعت الشهوات ، وكثرت الخيانات ، وقلّت الأمانات ، وشربوا القهوات ، وأظلم الهوى ، وغار الماء ، وأغبرت الأفق ، وخيفت الطريق ، وتشاتم الناس ، وفسدوا ، وفجرت الباعة ، ورفضت القناعة ، وساءت الظنون ، وتلاشت السنون ، وكثرت الاشجار، وقلّت الثمار، وغلّت الاسعار ، وكثرت الرياح ، وتبينت الأشراط ، وظهر اللواط ، واستحسنوا الخلف ، وضاقت المكاسب ، وقلّت المطالب ، واستمروا بالهوى ، وتفاكهوا بينهم بشتيمة الآباء والأمهات، وأكل الرّبا ، وفشا الزنا ، وقلّ الرضا ، واستعملوا السفهاء ، وكثرت الخيانة ، وقلّت الأمانة ، وزكى كل امرءٍ نفسه وعمله ، واشتهر كل جاهل بجهله ، وزخرفت جدران الدور ، ورفع بناء القصور ، وصار الباطل حقاً ، والكذب صدقاً ، والصحة عجزاً ، واللؤم عقلاً ، والضلالة هدى ، والبيان عمى ، والصمت بلاهة ، والعلم جهالة ، وكثرت الآيات ، وتتابعت العلامات، وتراجموا بالظنون ، ودارت على الناس رحى المنون، وعميت القلوب ، وغلب المنكر المعروف ، وذهب التواصل ، وكثرت التجارات ، واستحسنوا

البطالات ، وتهادوا انفسهم بالشهوات ، وتهاونوا بالمعضلات ، وركبوا جلود النمور ، وأكلوا المـــأثور ، ولبسوا الحبور ، وآثروا الدنيا على الآخرة ، وذهبت الرحمة من القلوب ، وعمّ الفساد ، واتخذوا كتاب الله لعباً ، ومال الله دولاً ، واستحلوا الخمر بالنبيذ ، والنـّجْش بالزكاة ، والرّبا بالبيع ، والحكم بالرشا ، وتكافـــا الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ، وصارت المباهاة في المعصية ، والكبر في القلوب ، والجور في السلاطين ، والسفاهة في سائر الناس فعند ذلك لا يسلم الى ذي دين دينه إلا من فرّ بدينه من شاهق الى شاهق ، ومن وادٍ الى واد ، وذهب الاسلام حتى لا يبقى إلا اسمه ، واندرس القرآن من القلوب حـــتى لا يبقى إلا رسمه ، يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيّهم ، لا يعلمون بما فيه من وعد ربهم ووعيده وتحذيره وتنذيره وناسخه ومنسوخه ، فعند ذلك تكون مساجدهم عامرة ، وقلوبهم خاربة من الايمـان ، علماؤهم شر خلق الله على وجـه الارض ، منهم بدت الفتنة وإليهم تعود ، ويذهب الخير وأهله ، ويبقى الشر وأهله ، ويصير الناس بحيث لا يعبأ الله بشيء من أعمالهم ، قـد حبب اليهم الدينار والدرهم ، حتى ان الغني ليحدّث نفسه بالفقر .

ثم ذكر حديث خراب الأرض في باقي الحديث وقـــد ذكرناه في هذا الكتاب .

رؤيا سهل بن عبد الله التستري :

حدثنا محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بمدينة فاس . قال : رويت فيما رويت أن سهل بن عبد الله ، قال : نمت ليلة النصف من شعبان عندما غلب عـليّ السهر ، فرأيت جبريل عليه السلام والناس يعرضون عليه ، فقدم اليه رجل ،

فقال للملائكة الموكلين : كيف وجدتم هـذا العبد ؟ قالوا : عبد سوء أنعم عليه فما شكر ، وابتلي فما صبر ، وعوهد فخان وغدر ، وأمر فما أطاع ولا امتثل ، وسوّف نفسه بعسى ولعلّ ، يتبرم لقضاء المولى ، ويتحكم فيما يهوى ، ويقول : هذا أحق وهذا أولى . قال محمد بن قاسم : لمـا انتهى عمر بن عبد المجيد حين حدّثني بهذا الحديث الى قوله: وهذا أولى ، بكى ، وقال : فهذه صفتي التي عرفتها، وحالتي التي ألفتها، ثم أنشد فلا أدري أمن قبله أم متمثلاً:

ساعدوني في بكائي واسمعوا وصفي لحالي
كل ذنبٍ هو عندي وهو ذخري وهو مالي
وأنا عن قبح هذا في غرورٍ واشتغالِ
هل لمثلي من عزاءٍ ضاق بي وجه احتيال

ثم رجع الى الحديث قال : قال سهل : فأمر جبريل عليه السلام ملكاً ، فأخذ بيديه ، ونادى بين الملائكة الموكلين به عليه : هـذا عبدٌ خلعَ ربقة العبودية من اعماله، فخلـّوا بينه وبين اشـكاله . قال سهل : ثم قدم اليه رجل آخر ، فقال للملائكة الموكلين به : كيف وجدتم هذا العبد ؟ قالوا : هـذا عبدٌ صالح شكر على النـّعْما ، وصبر على البلوا ، وامتثل أمر المولى، وجانب الخيانة والجفا ، واتبع سنـّة المصطفى ، ثم أمر ملكاً فأخذ بيديه ، ونادى بين الملائكة عليه : هذا عبد لزم آداب العبودية فاعرفوه ، فإن نزل به أمر فلا تخذلوه .

ومن باب قول الله عز وجل وشاورهم في الأمر :

قالت العلماء : اذا استخار الرجل ربه ، واستشار نصيحه ، واجتهد ،

فقد قضى ما عليه ، ويقضي الله في امره ما يحبّ . وإياك ومشاورة النساء ، فإن رأيهن الى أفن ، وعزمهن الى وهن . وقــال بعضهم : حسن المشورة من المشير قضاء حق النعمة .

حكمة :

اذا قدرت فاصفح ، واذا استـُشرت فانصح ، النصيحة في الملا تقريع ، يقال : من وعظ أخاه سراً زانه ، ومن وعظه جهاراً شانه .

قال بعض الحكماء : نصف عقلك مع اخيك فاستشره ، فـإن الاعتصام بالمشورة ، لأنها تقيم اعوجاج الرأي ، وقلّ من هلك إلا برأيه ، ولا يغرّنك قول من قــال : لو لم يكن في ترك المشورة إلا استضعاف صاحبك ، وظهور فقرك اليه ، لوجب اطراح مــا يفيده من المشورة ، وإلقاء ما يكسبه الامتنان .

وقال بعضهم : أمر الحجاج بحضور الشعبيّ ، فجاءه ابن الأشعث قادماً ، فلقيه كاتب الحجاج ابو مسلم ، فقال له الشعبيّ : أشر عليّ يا أبا مسلم فأنت أعلم بما هناك ، فقال ابو مسلم : لا ادري بمَ أشير ، ولكن اعتذر بما قدرت عليه . قــال الشعبي : وأشار عليّ بذلك كل من استشرته من اهل ودّي . قال الشعبي : فلمــا دخلت على الحجاج اعتمدت على ربي الذي بيده تقليب قلوب الملوك ، وعزمت على مخالفة مشورة أصحابي ، ورأيت والله غير الذي قــالوا ، وهان عليّ الأمر ، فسلـّمت عليه بالأمارة إعطاء لحق المرتبة ، ثم قلت : أصلح الله الأمير ، إن الناس قد أمروني أن اعتذر بغير مــا يعلم الله انه الحق ، ولك والله أن لا اقول في مقامي هذا إلا الحق : قــد جهدنا وحرصنا ، فمــا كنا بالأقوياء الفجرة ، ولا بالأتقياء البررة ، ولقد نصرك الله

علينا ، وأظفرك بنا ، فإن سطوت فبذنوبنا ، وإن عفوت فبحلمك والحجة لك علينا. فقال الحجاج : انت والله أحب الينا قولاً ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا ، ويقول : والله ما فعلت ولا شهدت ، انت آمن يا شعبي . قال الشعبي : فقلت : أيها الأمير اكتحلتُ والله بعدك السهر ، واستحليتُ الخوف ، وقطعتُ صالح الاخوان، ولم أجد من الأمير خلفاً ، قال : صدقت وانصرفت ، فنعم المستشار العلم ، ونعم الوزير العقل .

وقال بعض الاعزاء من العقلاء : ما استشرت أحداً إلا كنت عند نفسي ضعيفاً ، وكان عندي قوياً ، وتصاغرت له، ودخلته الغيرة ، فإياك والمشورة وإن ضاقت بك المذاهب ، واختلفت عليك المسالك ، وأداك الاستبهام الى الخطأ الفادح ، فإن صاحبها أبدا جليل في العيون ، مهيبٌ في الصدور، ولن تزال كذلك ما استغنيت عن ذوي العقول ، فإذا افتقرت اليها حقرتك العيون ، ورجفت بك أركانك ، وتضعضع بنيانك ، وفسد تدبيرك ، واستحقرك الصغير ، واستخف بك الكبير ، وعرفت بالحاجة اليهم انتهى .

ولاية خزاعة الكعبة بعد جرهم :

روينا من حديث ابي الوليد ، عن جده ، عن سعيد بن سالم ، عن عثمان ابن ساج ، عن الكلبي ، عن ابي صالح. قال : لما طالت ولاية جرهم استحلوا من الحرم أموراً عظاماً ، ونالوا ما لم يكونوا ينالون ، واستخفوا بحرمة الحرم وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى اليها سراً وعلانية ، وكلما عدا سفيه منهم على منكر وجد من أشرافهم من يمنعه ، ويدفع عنه ، وظلموا من دخلها من غير أهلها ، حتى دخل رجل منهم بإمرأة الكعبة ، فيقال فجر بها ، أو قبّلها ، فمسخا حجرين ، فرق أمرهم فيها ، وضعفوا ، وتنازعوا امرهم بينهم

واختلفوا ، وكانوا قبل ذلـــك من أعزّ حيٍّ في العرب ، وأكثره رجالاً ، وأموالاً ، وسلاحاً ، وأعزه غرة .

فلما رأى ذلك رجل منهم يقال له مضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض ابن عمرو قام فيهم خطيباً فوعظهم وقال : يا قوم اتقوا على انفسكم ، وراقبوا الله في حرمه وأمنه ، فقد رأيتم وسمعتم من هلك من صدر هذه الامم قبلكم، قوم هودٍ ، وصالح ، وشعيب ، فلا تفعلوا ، وتواصلوا ، وتواصوا بالمعروف، وأنهوا عن المنكر ، ولا تستخفوا بحرم الله تعالى وبيته ، ولا يغرّنكم ما أنتم فيه من الأمن . وبالغ في وعظهم ، فما ازدادوا إلا طغياناً وتجبراً ، فلم رأى ذلـــك مضاض منهم ، عمد الى غزالين كانا في الكعبة من ذهب ، وأسياف فدفنها في موضع زمزم ، وكان زمزم إذ ذاك قد ذهب ماؤه ودرس ، فبينما هم كذلك إذ كان من أهل مأرب ، مــا ذكر أنه ألقت طريفة الكاهنة الى عمرو بن عامر ، وهو الذي يقال له مرتقب بن مــاء السماء ، وهو عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرء القيس بن مــازن بن الازد بن الغوث بن بنت مالك بن زيد بن كهلان بن ساس بن يعرب بن قحطان ، وكانت رأت في كهانتها أن سدّ مأرب سيخرب، وأنه سيأتي سيل العرم فيخرب الجنتين. وقال فيما حدثه ابو زيد الانصاري أن عمراً رأى جُرداً يحفر في سدّ مأرب الذي كان يحبس عليهم الماء ، فعلم انه لا بقاء للسدّ على ذلك ، فباع أمواله ، وسار هو وقومه من بـــلد الى بلد ، لا يطول بلداً إلا غلبوا عليه ، وقهروا أهــله حتى يخرجوا منه ، فلما قاربوا مكة ساروا ومعهم طريفة الكاهنة . فقالت لهم: سيروا ، سيروا ، فلن تجتمعوا انتم ومن خلفتم ابداً ، فهم لكل أصل، وأنتم لهم فرع ، ثم قالت الكاهنة : وحق ما أقول ما علمني ما أقول إلا الحكيم المحكم رب جميع الانس من عرب وعجم . قالوا لها : ما شأنكِ يا

طريفة ؟ قالت : خذوا البعير الشذقم فخضبوه بالدم ، تسكنوا أرض جرهم جيران بيته المحرم . قال : فلما انتهوا الى مكة ، وأهلها جرهم قــد قهروا الناس ، وحازوا ولاية البيت على بني اسمعيل وغيرهم أرسل اليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر يا قوم أنا قــد خرجنا من بلادنا ، فلم ننزل بلداً إلا فسح أهلها لنا ، وتزحزحوا عنا ، فنقيم معهم حتى نرسل روّادنا فيرتادون لنا بلداً يحملنا ، فأفسحوا لنا في بلادكم حتى نقيم بقدر مـا نستريح ، ونرسل روّادنا الى الشام ، والى الشرق فحيث مـا بلغنا أنه أمثل لحقنا به ، وأرجو أن يكون مقامنا معكم يسيراً . فـأبت جرهم ذلـك ، وبعثوا اليهم أن ارحلوا عنا ، فأرسل اليهم ثعلبة انـه لا بدّ لي من المقام في هذا البلد حولاً ، حتى ترجع اليّ رسلي ، فــإن تركتموني طوعاً نزلت وحمدتكم ، وواسيتكم ، في الرعي ، والماء ، وإن أبيتم ، أقمت على كرهكم ، ثم لم ترتعوا معي إلا فضلاً، ولم تشربوا معي إلا زيفا، وإن قاتلتموني قاتلتكم، ثم إن ظهرت عليكم سبيت النساء ، وقتلت الرجال ، ولم أترك منكم احداً ينزل للحرم ابــداً . فأبت جرهم أن يتركوه طوعاً ، فاقتتلوا ثلاثة ايام ، وأفزع عليهم الصبر ، ومنعوا النصر ، ثم انهزمت جرهم ، فـلم يلتفت منهم إلا الشريد ، وكان مضاض بن عمرو بن الحارث قد اعتزل جرهم ، ولم يعنهم في ذلك وقال : قــد كنت احذركم هذا . ثم رحل هو وولده وأهل بيته حتى نزلوا فنوناً ، وحلى ، وما حول ذلك ، فبقايا جرهم بها الى اليوم، وأفنى جرهما السيف في تلك الحرب، فأقام ثعلبة بمكة ومــا حولها في قومه وعساكره حولاً ، فأصابتهم الحمى فشكوا الى طريفة ما أصابهم ، فقالت لهم : قــد أصابني الذي تشكون ، وهو مفرّق مـا بيننا . قالوا : فماذا تأمرين ؟ قالت : فيكم ومنكم الأمير ، وعلى التيسير . قالوا : فمـا تقولين ؟ قالت : فمن كان منكم ، ذا همّ بعيد ، وجمل شديد ، ومزادٍ جديد، فليلحق بقصر عمان المشيد، فكانت ازد عمان.

ثم قالت : من كان منكم ذا جلد وقسر وصبر على أن يـــأتي الدهر ، فعليه بالإدراك من بطن مرة ، فكانت خزاعه . ثم قالت : من كان منكم يريـــد الراسيات في الوحل ، المطعمات في المحـــل ، فليلحق بيثرب ذات النخل ، فكانت الآوس والخزرج .

ثم قالت : من كان منكم يريـد الخمر والخمير ، والملك والتأمير ، ويلبس الديباج والحرير ، فليلحق ببصرى وغوير ، وهمـــا من ارض الشام . فكان الذي سكنوها جفنة من غسان .

ثم قالت : من كان منكم يريد البنات الرقاق ، والخيل العتاق ، وكنوز الأوراق ، والدم المهراق ، فليلحق بأرض العراق . فكان الذي سكنها آل جذيمـــة الأبرش ، ومن كان بالحيرة من غسان ، وآل محرق ، حتى جاءهم روّادهم ، فافترقوا من مكة فرقتين : فرقة توجهت الى عمان وهم أزد عمان، وسار ثعلبة بن عمرو بن عامر نحو الشام ، فنزلت الآوس والخزرج ابنـــا حارثـة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وهم الأنصار بالمدينة ، ومضت غسان فنزلوا الشام ، وانخزعت خزاعة بمكة ، فأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو ابن عامر وهو لحيّ ، فولي أمر مكة وحجابة الكعبة ، فلما حازت خزاعة أمر مكة ، وصاروا أهلها ، جاءهم بنو اسمعيل ، وقـد كانوا اعتزلوا حرب جرهم وخزاعة ، فلم يدخلوا في ذلـــك ، فسألوهم السكنى معهم وحولهم ، فأذنوا لهم ، فلما رأى ذلك مضاض بن عمرو بن الحارث ، وقد كان أصابه من الصبابة الى مكة ما احزنه، أرسل الى خزاعة يستأذنها في الدخول اليهم والنزول معهم بمكة في جوارهم ، وبث اليهم براءته وتوزيعه قومه عن القتال، وسوء السيرة في الحرم ، واعتزاله الحرب ، فأبت خزاعة أن يقروهم، ونفتهم عن الحرم كله. وقال عمرو بن لحيّ وهو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر

لقومه : من وجد منكم جرهمياً قد قارب الحرم فدمه هدر . ففزعت ابل مضاض بن عمرو بن الحارث الجرهمي من فنوناً تريد مكة ، فخرج في طلبها حتى وجد أثرها قد دخلت مكة ، فمضى الى الجبال من نحو جياد حتى ظهر على ابي قبيس يتبصر الإبل في بطن وادي مكة ، فأبصر الإبل تنحر وتؤكل لا سبيل له اليها ، فخاف إن هبط الوادي أن يقتل ، فولى منصرفاً لأهله ، وأنشأ يقول :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ... أنيسٌ ولم يسمر بمكة سامرُ
ولم يتربع واسطاً فجنوبه ... الى المنحنى من ذي الإزالة حاضر
بلى نحن كنا أهلها فأزالنا ... صروف الليالي والجدود العواثر
وأبدلنا ربي بها دار غربةٍ ... بها الذئب يعوي والعدو المحاصر
فإن تنثني الدنيا علينا بحالها ... فإن لها حالاً وفيها التشاجر
فإن تمل الدنيا علينا بكلّها ... سيصلح حال بعدنا وتشاجر
ونحن ولينا البيت من بعد ثابتٍ ... نطوف بذاك البيت والخير حاضر
ملكنا فعزّزنا وأعظم بملكنا ... فليس لحيٍّ غيرنا ثم فاخر
فكنا ولاة البيت من بعد ثابتٍ ... بعزّ فما يحظى لدنيا المكاثر
وأنكح جدّ خير شخص علمته ... فأبناؤنا منه ونحن الأساهر
فأخرجنا منها المليك بقدرة ... كذلك بل للناس تجري المقادر
أقول إذا نام الخليّ ولم أنم ... إذا العرش لا يبعد سهيل وعامر
وبدلتُ منهم أوجهاً لا أحبها ... وحمير قد بدّلتها والبحاثر
وصرنا أحاديثاً وكنا بغبطةٍ ... كذلك غضتنا السنون الغوابر
وسحّت دموع العين تبكي لبلدة ... بها حرمٌ أمنٌ وفيها المشاعر
بوادٍ انيسٍ ليس يوذي حمامة ... تظل به آمناً وفيه العصافر

وفيه وحوش لا ترام أنيسة إذا خرجت منها فما[1] ان تقادر
فيا ليت شعري هل تعمّر بعدنا جياد فمعضني سيله فالظواهر
فبطن منىً وحشٌ كأن لم يسر به مضاض ومن حيِّي عديّ عمائر

وقال عمرو ايضاً يذكر بكراً وغسان ومن خلفهم في مكة بعدهم :

يا ايها الحيّ سيروا إن قصركم أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
أنّا كما كنتم كنّا فغيّرنا دهرٌ فسوف كما صرنا تصيرونا
حثّوا المطيّ وأرخوا من أزمّتها قبل الممات وقصّوا ما تقصّونا
قد مال دهرٌ علينا ثم أهلكنا بالبغي فيه وبذء الناس تأسونا

وقال حسان بن ثابت الانصاريّ يذكر الخزاع خزاعة بمكة ، ومسير الآوس والخزرج الى المدينة وغسان الى الشام :

فلما هبطنا بطن مروٍ تخزّعت خزاعة منا في حلولٍ كراكرِ
حموا كل واد من تهامة واحتموا بسمر القنا والمرهفات البواتر
فكان لها المرباع في كل غادةٍ تشنّ بنجدٍ والفجاج العوابر
خزاعتنا اهل اجتهاد وهجرة وأنصارنا جند النبي المهاجر
وسرنا فلما ان هبطنا بيثربٍ بلا وهنٍ منا ولا بتشاجر
وجدنا بها رزقاً غدا من بقية من آثار عاد بالخلال الظواهر
فحلّت بها الأنصار ثم تبوأت بيثربها داراً على خير طائر
بنو الخزرج الاخيار والاوس انهم حموها بفتيان الصباح البواكر
نفوا من طغى في الدهر عنها ودينّوا يهوداً بأطراف الرماح الخواطر

---

(١) فليست (نسخة) .

وسارت لنا سيّارة ذات قوةٍ بكوم المطايا والخيول الجماهر
يؤمّون نحو الشام حتى تمكنوا ملوكاً بأرض الشام فوق المنابر
يُصيبون فضل القول من كل خطبة اذا وصلوا ايمانهم بالمخاصر
أولاك بنوا ماء السماء توارثوا دمشقاً بملك كابراً بعد كابر

قال الخطّاب بن نفيل بن عبدالعزّى وبلغه ان ابا عمرو بن أمية يتواعده:

أتوعدني بنو عمرو ودوني رجالٌ لا ينهنها الوعيدُ
رجال من بني تيم بن عمرو الى أبياتهم يأوى الطريد
حجا حجة شياظمة كرامٌ مراجحة اذا فرع الحديد
خضارمة ملاوية ليوث خلال بيوتهم كرم وجود
ربيع المعدمين وكل جارٍ اذا نزلت بهم سنة كؤد
هم الرأس المقدّم من قريش وعند بيوتهم تلقى الوفود
فكيف اخاف او اخشى عدواً ونصرهم اذا ادعوا عتيد
فليس بعادلٍ بهم سواهم طوال الدهر ما اختلف الجديد

ومن مكارم ابن المبارك :

ما حدّثنا به محمد بن عبد الله ، عن ابي منصور القزّاز ، عن ابي بكر الخطيب ، عن ابي محمد الخلّال ، عن اسماعيل بن محمد ، عن محمد بن حسن المقري ، سمعت عبد الله بن احمد الزورقي ، سمعت محمد بن علي بن حسن بن شقيق ، سمعت ابي يقول : كان ابن المبارك رضي الله عنه اذا كان وقت الحج اجتمع اليه اخوانه من اهل مروٍ فيقولون : نصحبك يا ابا عبد الرحمن ؟ فيقول لهم : هاتوا نفقاتكم ، فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق ويقفل عليها، ثم يكتري لهم ، ويخرجهم من مرو الى بغداد ، فلا يزال ينفق عليهم ،

ويطعمهم اطيب الطعام والحلو ، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي ، وأكمل مروءة ، حتى يصلوا الى مدينة رسول الله ﷺ ، فاذا صاروا الى المدينة قال لكل رجل منهم : ما أمرك عيالك ان تشتري لهم من متاع المدينة؟ فيقول: كذا وكذا ، فيشتري لهم ، ويخرجهم من المدينة الى مكة ، فاذا صاروا الى مكة قال لكل رجل منهم: ما أمرك عيالك ان تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول كذا وكذا ، فيشتري لهم ، ويخرجهم من مكة، فلا يزال ينفق عليهم حتى يصيروا الى مرو ، فاذا وصل الى مرو جصّص دورهم ، فاذا كان بعد ثلاثة ايام صنع لهم وليمة وكساهم ، فاذا أكلوا وشربوا دعا بصندوق ففتحه ودفع الى كل واحد منهم صرّته بعد ان كتب عليها اسمه . قال ابي : أخبرني خادمه أنه عمل آخر سفرة سافرها دعوة ، فقدم على الناس خمسة وعشرين خواناً فالوذج. قال ابي: وبلغنا انه قال للفضيل بن عياض: لولاك وأصحابك ما أتجرت . وكان ينفق على الفقراء في كل سنة مائة الف درهم .

ومن سماع اهل الله على قول ابن الدمينة :

أما والراقصات بذات عرقٍ ومن صلى بنعمان الأراكِ
لقد أضمرت حبكِ في فؤادي وما أضمرت حُباً من سواك

سماعهم في الراقصات التي هي الابل هم العارفين ، وذات عرق انبعاثها من اصل صحيح . ومن صلى بنعمان الأراك من طلب الوصال ليتنعّم بالرؤية . والبيت الثاني على اصله فانه متوجه .

وسماعهم في قول الصمّة وهو :

وحنّت قلوصي آخر الليل حنة فيا روعة ما راع قلبي حنينها

فقلتُ لها حنيّ فكل قرينةٍ ... مفارقها لا بدّ يوماً قرينها
وقلتُ لها حنيّ رويداً فإنني ... وإياك تخفي غـولة سنبينها

سماعهم في القلوص: مركب الحسن . وآخر الليل: انقضاء العمر. فيا روعة هول المطلع ، والروح والنفس قريبان يتفارقان بالموت ، تخفي غولة سنبينها يوم تشهد عليهم ألسنتهم .

ومن باب حنين الإبل وسيرها قوله :

ثورهـــا ناشطة عقالها ... قـــد ملأت من بدْنها حلالها
فـــلم تزلْ أشواقه تسُوقها ... حتى رَمتْ من الوجا رحالها
ماذا على الناقة من غرامه ... لو أنه أنصف أو رثا لهـــا
أراد أن يشربَ ماءَ حاجرٍ ... أربهـــا تطلبُ أم كلالها
إنّ لها على القلوب ذمّةً ... لأنها قـــد عرفت بلبالها
كانت لهـــا على الصبا تحيّة ... أعجلها السائق أن تنالها
كم تسأل البارق عن سويقة ... ولا يجيبُ عامـــداً سؤالها
خوفاً على قلوبها إن عملت ... إن الغوادي أدرست أطلالها
فعلّلوها بحديثِ حاجرٍ ... ولتصنع الفلاة مـــا بدا لها
وأمدت الفلاة دون خطوها ... كأنها قـــد كرهت زوالها

ومن هذا الباب مـــا انشدناه محمد بن عبد الله لأبي عبد الله البارع رحمه الله تعالى :

دع المطـــايا تسمُ الجنوبا ... إنّ لهـــا لنبأ عجيبا
حنينها ومـــا اشتكت لغوبا ... يشهد أن قد فارقت حبيبا

شامت بنجد بارقاً كذوبا ... أذكرها عهد هوىً قريبا
فغادر الشوق لها حبيبا ... يضرم في اكبادها لهيبا
تزرم ان ما استشرفت كثيبا ... فإن بالرمل لها سقوبا
ما حملت إلا فتىً كئيبا ... يسرّ مما اعلنت نصيبا
يمسي إذا حنت لها مجيبا ... لو غادر الشوق لها قلوبا
إذاً لآثرن بهنّ النيبا ... ان الغريب يسعد الغريبا

ولعلي بن افلح من هذا الباب :

دعها لك الخير وما بدا لها ... من الحنين ناشطاً عقالها
ولا تعقها عن عقيق رامةٍ ... فإنها ذاكرة أفعالها
ولا تعلّلها بجيّ بابلٌ ... فهو أهاج بالجوى بلبالها
نشدتك الله إذا جئت الرّبى ... فرد أضاها واستظلّ ضالها
وبارح الورق بشجو ثاكلٍ ... اطغى لها ريبُ الرّدى اطفالها

وقال ابو نواس [1] في النسيب :

لولا تذكر من ذكرت بحاجرٍ ... لم ابكِ فيه مواقد النيران
يا واقفين معي على الدار طلباً ... غيري لها ان كنتما تقفان
منع الوقوف على المنازل طارق ... أمر الدموع بمقلتي ونهاني
أنا ليجمعنا البكاء وكلنا ... نبكي على شجن من الأشجان

حماية إلهية :

حدثنا عبد الرحمن ، ثنا ابو بكر الصوفي ، أنا ابو سعيد الحميري، أنا ابن باكوية ، سمعت محمد بن احمد النجار ، سمعت ابا بكر الكتاني يقول : كنت

---

(١) نسخة ٢ : ابو فراس .

بطريق مكة فإذا أنا بهميان تلمع منه الدنانير ، فهممتُ أن أخذه فأحمله الى فقراء مكة ، فهتف بي هاتف من ورائي إن اخذته سلبناك فقرك .

وبالإسناد الى البخاري قال : اخبرني ابو علي الروزبادي قال : سمعت بنان الجمال يقول : دخلت البرية على طريق تبوك وحدي، فاستوحشت فإذا بهاتفٍ يهتف : يا بنان نقضت العهد ، لم تستوحش ؟ أليس حبيبك معك ؟

ومن باب هوان الدنيا على اهل الله :

ما حدثنا به محمد بن الفضل ، ثنا ابو منصور ، ثنا ابو بكر بن ثابت ، ثنا عبد العزيز القرميني ، ثنا ابن جهضم ، ثنا الخالدي ، ثنا ابن مسروق ، حدثني محمد بن سهل البخاري قال : كنت أمشي في طريق مكة إذ رأيت رجلا من اهل المغرب على بغل وبين يديه منادٍ ينادي : من أصاب هميانا فله ألف دينار ، فإذا انسان أعرج عليه اطمار رثة يقول للمغربي أيش علامة الهميان ؟ فقال : كذا وكذا ، وفيه بضائع للقوم، وأنا أعطي من مالي ألف دينار . فقال الفقير : من يقرأ الكتابة ؟ فقلت : انا ، قال : اعدلوا الى ناحيةٍ ، فعدلنا ، فأخرج الهميان ، فجعلْ المغربي يقول : حبتين لفلانة بنت فلان بخمسمائة دينار ، وحبة لفلان بمائة دينار، وجعل يعدّ فإذا هو كما قال، فحلّ المغربي هميانه وقال : خذ ألف دينار التي وعدت، فقال الأعرج الفقير : لو كان قيمة الهميان عندي بعرتين ما كنت تراه ، فكيف آخذ منك ألف دينار على ما هذا قيمته ؟ ومضى ولم يأخذ منه شيئاً .

أخبرني الوجيه الفاسي بمدينة مائد ، في سنة احدى وستمائة قال : كان ببخارى والي يظلم ويجور ، فركب في يوم شديد البرد ، فرأى في بعض

الأزقة كلباً اجرب قـــد أنكاه البرد ، فدمعت عيناه ، وأخذته عليه شفقة فقال لبعض جماعته : احمل هذا الكلب الى البيت حتى أرجع ، فلما رجع من وجهه الى البيت تولى موضعاً من داره جعله مربطاً لذلك الكلب ، وأطعمه وسقاه ودهنه وكساه جُلاً ، وأوقد حوله ناراً يستدفي بها على بعد . فلم يلبث الوالي بعد هذه الفعلة سوى ليلتين ومات رحمه الله . فرآه بعض الصالحين ممن كان يعرف ظلمه وجوره قال : ما فعل الله تعالى بك ؟ فقال له : يا هــذا أوقفني الحق بين يديه ، وقــال لي : كنت كلباً فوهبناك لكلب ، فغفر لي ، وضمن عني ، وأدخلني الجنة . فقلت : يصدق هـــذا ما أخبر به رسول الله ﷺ عن بغي من بغـــايا بني اسرائيل رأت كلبـاً على بئر يلهث عطشاً ، فنزعت موقها من رجلها ، واستقت له ، وسقته ، وانصرفت ، فشكر الله تعالى فعلها وغفر لها .

فتوة ومروءة :

حدّثنا عبد الرحمن ، عن ابي بكر الصوفي ، عن علي الحبري ، عن ابن باكويه ، عن ابي الحسن الحنظلي ، عن احمــد بن علي الاصطخري ، عن ابي عمر الدمشقي قــال : خرجنا مع ابي عبد الله بن الجلاء الى مكة ، فمكثنا اياماً لم نأكل ، فوقعنا في البرية الى اعرابية عندها شاة ، فقلنا لها : بكم هذه الشاة ؟ قالت : بخمسين درهماً ، فقلنا لها أحسني ، فقالت : بخمسة دراهم ، فقلنا لها: تهزئين ؟ فقالت: لا والله ولكن سألتموني الاحسان ، ولو أمكنني لما اخذت شيئاً . فقال ابن الجلاء : ايش معكم ؟ قلنا : ستمائة درهم . فقال : اعطوها واتركوا الشاة عليها . فما سافرنا سفراً أطيب منها .

سبحانك أللهم وبحمدك ، لا إله إلا انت ، أستغفرك ، وأتوب اليك .

استنصار دوس ذي ثعلبان قيصر ملك الروم على ذي نواس :

روينا من حديث ابن اسحاق، عن المكي،عن سعيد بن جبير، وعكرمة، عن ابن عباس ، ان زرعة ذا نواس ، لما قتل اصحاب الاخدود ، وقد ذكرنا قصته في هـذا الكتاب أفلت رجل منهم يقال له دوس ذو ثعلبان ، فذهب على فرس له يركض عليه حتى اعجزهم في الرمل ، فأتى قيصر فذكر له ما بلغ منهم ذو نواس ، واستنصره ، فقال : بعدت بلادك ، ونأت دارك عنا ، ولكن سأكتب لك الى ملك الحبشة ، فانه على ديننا فينصرك . فكتب له الى النجاشي يأمره بنصره . فلما قدم على النجاشي بعث معه رجلا من الحبشة يُقال له ارباط ، وقال : ان دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها ، واخرب ثلث بلادها . فلما دخلوا ارض اليمن وهم في سبعين الفاً من الحبشة ، من جملتهم ابرهة الأشرم احد اجناد ارباط ، وكان طريقهم الى اليمن في البحر ، فلما نزلوا بساحل اليمن سار اليهم ذو نواس في حمير ، ومن اطاعـه من قبائل اليمن ، فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه ، فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه وجّه فرسه في البحر فضربه فدخل بـه حتى لجّج في البحر فكان آخر العهد بـه ، فدخل أرباط اليمن ، ففعل ما أمره به النجاشي من القتل والتخريب .

فقال ذو جدن فيما اصاب اهل اليمن :

دعيني لا أبالك ان تطيقي ... لحاكِ الله قد أنزفت ريقي
لدى عزف القيان اذا انتشينا ... واذ نسقى من الخمر الرحيق
وشرب الخمر ليس عليّ عارٌ ... اذا لم يُشكني فيـه رفيقي
فان الموت لا ينهـاه ناهٍ ... ولو شرب الشفاء مع النسوق

ولا مترهبٍ في اسطوانٍ   يُناطح حدره بيض الانوق
وعمدان الذي حدّثت عنه   بنوه مسمّكاً في رأس نيق
بمنهمة وأسفله حروث   وحرّ الموحل اللثق اللزيق
مصابيح السليط تلوح فيه   اذا تمسى كتوماض البروق
ونخلته التي غرست اليه   يكاد البسر يهصر بالغدوق
فأصبح بعد جنته رماداً   وغيّر حسنه لهبُ الحريق
وأسلم ذو نواسٍ مستكيناً   وحذر قومه ضنك المضيق

المنهمة : التجارة . والحروث : ارض الزرع . وحرّ الموحل : يعني الطين الحرّ الذي هو كالوحل من شدة ريّه .

وقال ذو جدن الحميري ايضاً :

هونك ما أن يردّ الدمعُ ما فاتا   لا تهلكا أسفاً في إثر من ماتا
أبعد بينون لا عينٌ ولا أثرٌ   وبعد سلحين يبني الناس أبياتا

بينون ، وسلحين ، وعمدان : من حصون اليمن الذي هدم أرباط .

زاد ابن هشام في هذا الحديث ما قاله ربيعة بن عبد باليل الثقفي في ذلك:

لعمرك ما للفتى من مفرّ   مع الموت يلحقه والكبرْ
لعمرك ما للفتى صخرةٌ   لعمرك ما ان له من وزر
أبعد قبائل من حميرٍ   أبيدوا صباحاً بذات العِبر
بألف ألوفٍ وحرابةٍ   كمثل السماء قبيل المطر
بضُمرٍ صباحهم المقربات   ينفون من قاتلوا بالذفر
سعالى مثل عديد التراب   تيبّس منهم رطاب الشجر

يعني من انفاسهم . وذات العبر: الداهية التي فيها عبر العين، أي سخنتها. وصار مُلك اليمن بين ارباط ، وأبرهة ، وكان أرباط فوق ابرهة . فأقـــام ارباط سنتين في سلطانه لا ينازعه احد، ثم نازعه ابرهة الحبشي الملك ، وكان في جند من الحبشة ، فانحاز الى كل واحد من الحبشة طائفة ، ثم سار احدهما على الآخر ، وكان لأرباط صنعاء وأحوازها ، وكان لأبرهة الجند وأحوازها ، فلما تقارب الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، ارسل ابرهة الى ارباط : إنك لا تصنع شيئاً بأن تلقي الحبشة بعضهم ببعض فتفني ما بيننا فيضعف امرها ، فابرز اليّ بنفسك ، وأبرز اليك ، فمن ظهر على صاحبه منا كان الامر له . فقال ارباط : أنصفت . وكان ارباط طويلاً في الرجال وسيماً عظيم الخلق . وكان ابرهة قصيراً دحداحة ، وكان ذا دينٍ في النصرانية ، وعقل وحلم . فجعل ابرهة خلفه عبداً له يحمي ظهره يقال له عتودة ، فلما دنا كل واحد من صاحبه رفع ارباط الحربة يريـد نافوخ ابرهة فوقعت الحربة على جبهة ابرهة فشرمت حاجبه وعينه وأنفه وشفتيه ، فبذلك سمي ابرهة الاشرم ، وحمـل غلام ابرهة عتودة على ارباط من خلف ابرهة فزرقه بالحربة فقتله . فانصرف جند ارباط الى ابرهة واجتمعت عليه الحبشة باليمن .

وكان ما وقع من هذا الامر كله بين ابرهة وأرباط عن غير عـلم ولا أمر من النجاشي ملك الحبشة ، وكان مسكنه باكسوم من بلاد الحبشة ، فلما بلغه ذلك غضب غضباً شديداً وقـــال : عدا على اميري بغير امري فقتله ، وما كنت أمّرته ، ثم حلف النجاشي لا يـــدع ابرهة حتى يطأ ارضه ، ويجزّ ناصيته . فلمـــا بلغ ذلك ابرهة حلق رأسه ، ثم ملأ جراباً من تراب ارض اليمن ، ثم بعث به الى النجاشي ، وكتب اليه : أيهـــا الملك انما كان ارباط عبدك ، وأنا عبدك ، اختلفنا في امرك وكلنا طاعة لك ، إلا أني كنت أقوى

على امر الحبشة منه ، وأضبط وأسوس لهم منه ، وقد حلقت رأسي كله حين بلغني قسم الملك ، وبعثت بـــه اليه مع جراب من تراب ارضي ليضعه تحت قدميه ، فيبرّ بذلك قسمه . فلما انتهى ذلك الى النجاشي رضي عنه، وكتب اليه : ان اثبت بأرض اليمن حتى يأتيك امري . فأقام ابرهة باليمن الى ان هلك . وقد ذكرت قصة هلاكه في حديث الفيل .

روينا من حديث ابن ابي الدنيا، عن القاسم بن هاشم، عن علي بن عباس، عن اسماعيل بن عيّاش ، عن ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد أن بني اسرائيل لم يكن فيهم ملك إلا ومعه رجل حكيم ، فاذا رآه غضبان كتب له صحائف ، في كل صحيفة ارحم المسكين، واخش الموت، واذكر الآخرة . فكلما اخذ الملك صحيفة قطعها حتى يسكن غضبه .

وحدّثنا عبد الصمد بن علي قال : كان ببلاد فارس في زمان الأكاسرة ينادي كل يوم مناد على باب قصر الملك : لا يكون ملكٌ إلا بالرجال ، ولا يثبت الرجال إلا بالمال ، ولا يحصل المــال إلا بالعمارة ، ولا تصحّ العمارة إلا بالعدل .

وحدّثنا بعض الهنود ان الملك فيهم اذا خرج ركب على الفيل وبين يديه راكب مشرف على الناس ينادي بلسانهم وفي يده طشت من ذهب فيه جمجمة انسان ، وفي يده اليمنى قضيب فيقول : يا أيهــا الناس ، وقال : ينظر الى الملك ويقول : يا أيهــا الملك : انت ملك الناس قد ركبتَ على ملك السباع والى هــذا مصيرك ، ويشير بالقضيب الى الجمجمة ، والملك يبكي وينظر في أمور الناس الى ان يرجع .

ووقفت في كتاب سر الاسرار لأرسطو على دائرة اصطنعها للاسكندر

يوصيه فيها : تتضمن العالم بستان سياجه الدولة. الدولة سلطان يحجبه السّنة. السّنة سياسة يسوسها الملك . الملك راع يعضّده الجيش . الجيش أعوان يكفلهم المال . المال رزق تجمعه الرعيّة . الرعية عبيد يعبدهم العدل . العدل مألوف فيه صلاح العالم . تصل الكلام بأوله .

وقـــال عيسى بن مريم عليهما السلام : معاشر الفقهاء قعدتم على طريق الآخرة ، فــلا انتم مشيتم فوصلتم اليها ، ولا انتم تركتم احداً يجوزكم اليها ، فالويل لمن اغتربكم .

روينا من حديث ابن مروان ، عن عبد الله بن مسلم ، عن الرياشي ، عن الاصمعي قال : كان بلال بن سعد يصلي الليل أجمع ، فكان اذا غلبه النوم في الشتاء، وكان في داره بركة فيجيء فيطرح عنه ثيابه وينغمس في الماء ليذهب عنه النوم ، فعوتب في ذلك فقال : ماء البركة في الدنيا خيرٌ من صديد اهل جهنم .

وكان عندنا بأشبيلية رجل عابـــد ، حسن الصوت ، كثير الاجتهاد ، سريع الدمعة ، دائم العبرة ، كثير الفكرة والتهجّد ، بتٌ معه ليالي عدّة فلم يكن يفتر ، فربمـــا أسمعه في بعض الاحايين ينشد بصوت طيّب غرد ، ودموعه تنحدر على خديه :

قطع الليل رجــال	ورجـــال وصلوه
رقدوا فيــه أناسٌ	وأناسٌ سهروه
لا يميلون الى النو	مِ ولا يستعذبوه
فكأن النوم شيءٌ	لم يكونوا يعرفوه
لبسوا ثوباً من الخد	مــة حتى خلعوه
مع جلبابٍ من الحز	ن فمــا أن نزعوه

ورويننا من حديث الدينوري ، عن سعيد بن عمر الازدي ، عـن أبيه ، عن يونس بن حازم قال : قال العتابي : مررت بديرٍ فصحتُ يا راهب فـلم يجبني أحد حتى قلتُ : يا صاحب الدير ، فإذا به قد أشرف عليّ فقلتُ له : ما منعك أن تجيبني ؟ قال : لأنك سميتني بغير اسمي فقلتُ : ومـا اسمك ؟ قال : الكلب العقور، وإنما حبستُ نفسي في هذا الموضع لكي لا أعقر الناس.

وقال العتابيّ ايضاً : مررت بديرٍ فإذا راهبٌ ينادي فرفعتُ رأسي اليه فقال لي: ويحك هب ان المسيء قد عفي عنه، أليس قد فاته ثوابُ الصالحين؟

وقال ابو سليمان الداراني : لقيتُ راهباً فقلتُ له : يا راهب كيف ترى الدهر ؟ فقال : يخلق الأبـدان ، ويجدد الآمال ، ويباعد الامنية ، ويقرّب المنية . فقلت له : فكيف ترى أهله ؟ فقال : من ظفر بها نصب، ومن فاتته تعب . قال : فما الغنى عنه ؟ قال قطع الرجاء منه . قال : فقلت له : فأي الاصحاب أبرّ وأوفى ؟ قال : العمل الصالح والتقى . قلت : فأين المخرج ؟ قال : في سلوك المنهج قلت : وما هو ؟ قال : بذل المجهود وخلع الراحة . قلت : فأوصني ، قال : قد فعلت .

رويناه من حديث المالكي، عن احمد بن عبّاد ، عن احمد بن ابي الحواري عن ابي سليمان، ورويناه من حديث العتابي قبله من حديثه أيضاً ، عن علي بن الحسين عنه .

واقعة لبعض الفقراء :

حدثنا عبد الله بن الاستاذ بمرشانة بدار شمس العابدات ام الفقراء ، رأى بعض الفقراء في واقعته ابا مدين ، وبعض مشايخ الصوفية ، فقال بعضهم لأبي

مدين : ما معنى الوصول ؟ فقال : اذا دلك به عليه كنتَ منه وإليه ، وإذا أفناك عن الإحساس كنت في حضرة الإيناس ، وإذا كاشفك بحبه لم تتلذذ إلا بقربه . وإذا غيّبك عن شهودك تجلّى لك من وجودك .

قلت : وأفدت ليلة في واقعة ، وذلك اني بتّ في جماعة من الصالحين ، منهم ابو العباس الحريري الامام بزقاق القناديل بمصر ، وأخوه محمد الخياط ، وعبد الله المروزي ، ومحمد الهاشمي اليشكري ، ومحمد بن ابي الفضل ، فأريت نفسي والجماعة في بيتٍ شديد الظلمة ، وليس لنا فيه نور سوى ما ينبعث من ذواتنا ، فكانت الأنوار تنفهق علينا من أجسامنا فنضيء بها ، فدخل علينا شخص من أحسن الناس وجهاً ومنطقاً فقال : أنا رسول الحق إليكم ، فكنت أقول له : فما جئت به في رسالتك ؟ فقال : اعلموا أن الخير في الوجود ، والشر في العدم ، أوجد الانسان بجوده ، وجعله واجداً ينافي وجوده ، تخلق بأسمائه وصفاته ، وفني عنها بمشاهدة ذاته ، فرأى نفسه بنفسه ، وعاد العدد الى أسه ، فكان هو ولا انت .

فأخبرت الجماعة بالواقعة ، فسروا وشكروا الله .

ثم وضعت رأسي في عبي فنظمت في نفسي أبياتاً في المعرفة ، ونام أصحابي فاستيقظ عبد الله وناداني : يا أبا عبد الله . فلم أجبه كأني نائم . فقال لي : ما انت بنائم ، انت تعمل شعراً في معرفة الله وتوحيده . فرفعت رأسي وقلت له : من أين لك هذا ؟ فقال لي : رأيتك تعقد شبكة رفيعة ، فأوّلتُ الخيوط المنثورة تعقدها شبكة معاني متفرقة تجمعها ، وكلاماً منثوراً تنظمه . فقلت : هذا يعمل شعراً . قلت له : صدقت ، فمن أين عرفت انه معرفة الله وتوحيده؟ قال : قلت الشبكة لا يُصاد فيها إلا ذو روح حيّ عزيز المأخذ ،

فلم أجد شعراً فيه روح وحياة وعزة إلا فيما يتعلق بالله تعالى . فكان تأويل رؤياه أعجب الينا من الرؤيا رضي الله عنهم اجمعين .

حكاية من لم يقيّد جوارحه أتعب قلبه :

حدثنا ابو محمد بن يحيى ، ثنا المبارك بن علي بن محمد ، عن عبد الملك بن بشران ، عن احمد بن ابراهيم الكندي ، عن جعفر الخرئطي ، عن ابي العباس المبرّد ، عن هشام ، عن معمر بن المثنى ، قال : حجّ عبد الملك بن مروان ، وحج معه خالد بن يزيد بن معاوية ، وكان من رجالات قريش المعدودين وعلمائهم ، وكان عظيم القدر ، جليل المنزلة ، مهيب المجلس ، موقراً معظّماً عند عبدالملك ، فبينا هو يطوف بالبيت إذ بَصُر برملة بنت الزبير بن العوام ، فعشقها عشقاً شديداً ، وأخذت بجميع قلبه ، وتغير عليه الحال ، ولم يملك من أمره شيئاً . فلما أراد عبد الملك القفول ، همّ خالد بالتخلف عنه ، فبعث اليه فسأله عن أمره ، فقال : يا امير المؤمنين ، رملة بنت الزبير ، رأيتها تطوف بالبيت ، فأذهلت عقلي ، فوالله ما أبديت لك ما بي حتى عيل صبري ، ولقد عرضت النوم على عيني فلم تقبله ، والسلو على قلبي فامتنع منه . فأطال عبد الملك التعجب من ذلك وقال : ما كنت أقول ان الهوى يستأثر مثلك . فقال خالد : واني لأشدّ تعجباً من تعجبك مني ، فقد كنت أقول إن الهوى لا يتمكن إلا من صنفين من الناس : الأعراب ، والشعراء . أما الشعراء فانهم ألزموا قلوبهم الفكر في النساء والغزل ، فمال طبعهم الى النساء ، فضعُفت قلوبهم عن دفع الهوى ، فاستسلموا له منقادين . وأما الأعراب ، فان أحدهم يخلو بامرأته فلا يكون الغالب عليه غير حبه لها . وجملة أمري ، ما رأيت نظرة حالت بيني وبين الحرم ، وحسُن عندي ركوب الإثم مثل نظرتي هذه. فتبسّم عبد الملك وقال : أوَ كل هذا بلغ بك ؟ فقال : والله ما عرفت هذه

البليّة قبل وقتي هذا. فوجّه عبد الملك الى آل الزبير يخطب رملة على خالد، فذكروا ذلك، فقالت : لا والله او يطلّق نساءه . فطلّق امرأتين كانتا عنده ، وتزوّجها وظعن بها الى الشام . وفيها يقول :

أليس يزيد الشوق في كل ليلة ... وفي كل يوم من حبيبتنا قربا
خليليّ ما من ساعة تذكرانها ... من الدهر إلا فرجت عني الكربا
احبّ بني العوّام طرّاً لحبّها ... ومن أجلها أحببتُ أخوالها كلبا
تجول خلاخيل النساء ولا أرى ... لرملة خلخالاً يجول ولا قُلبا[1]

ومما وجد بخطّ الامام العلّامة القاضي بدر الدين بن شهبة ، رحمه الله ، تتمة هذه الحكاية . فلما وقف عبد الملك على الأبيات نظم بيتاً ودسّه ليكيد به خالداً ، لأن كان يروم الخلافة كأبيه يزيد ، وجدّه معاوية ، فقال عبد الملك : يا خالد ، أأنت القائل ؟

فإن تسلمي أسلم وإن تتنصّري ... تحطّ رجال بين أعينهم صُلبا

فقال خالد : لعن الله قائل هذا البيت ، ولم يعلم خالد قائله . فخجل عبد الملك ولام نفسه .

كنت يوماً أطوف وقد عراني حال أعرفه، فخرجت عن البلاط من أجل الناس ، وطفتُ على الرمل فحضرتني أبيات فأنشدتها أُسمع نفسي بها ومَن يليني لو كان هناك أحد وأنا أقول وأبكي :

(١) بضم القاف : السوار .

ليت شعري هل دَرَوْا أيَّ قلب ملكوا ؟
وفؤادي لو دَرى أيّ شعبٍ سلكوا
أتراهم سَلموا أم تراهم هلكوا ؟
حار أرباب الهوى في الهوى وارتبكوا

فلم أشعر إلا وضربة بين كتفيّ من كفّ ألين من الخزّ ، فرددت وجهي فرأيت جــارية من بنات الروم لم أرَ أحسن وجهاً ، ولا أعـذب منطقاً ، ولا أرقّ حاشية ، ولا ألطف معنى ، ولا أظرف محاورة منها . قـد فاقت النساء ظرفاً ، وأدباً ، وجمالاً ، ومعرفة . فقالت : يا سيدي، كيف قلت ؟ فقلت :

ليت شعري هل دَرَوْا أيّ قلب ملكوا ؟

فقالت : عجباً منك وانت عارف زمانك تقول مثل هذا ؟ أليس كل مملوك معروف ؟ وهل يصح الملك إلا بعد المعرفة؟ وتمني الشعور يؤذن بعدم المعرفة، والطريق لسان صدق، فكيف يتجوّز مثلك ؟ قل: فماذا قلت بعده ؟ قلت:

وفؤادي لو درى أي شعبٍ سلكوا

فقالت : الشعب الذي بين الشغاف والفؤاد ، وهو المانع له من المعرفة به، فكيف يتمنى مثلك ما لا يمكن الوصول الى معرفته ؟ والطريق لسان صدق، فكيف يتجوز مثلك يا سيدي ؟ قل : فماذا قلت بعده ؟ قلت :

أتراهم سلموا أم تراهم هلكوا

فقالت : أما هم فسلموا ، ولكن عنك ينبغي ان تسأل نفسك ، هل هلكت أم سلمت ؟ يا سيدي قل : فماذا فعلت بعده ؟ قلت :

حار ارباب الهوى في الهوى وارتبكوا

فصاحت وقالت : يا عجباً كيف يبقى المشغوف فضلة يحار بها ؟ والهوى شأنه التعميم يخدّر الحواس ، ويذهب بالعقول ، ويدهش الخواطر ، ويذهب بصاحبه في الذاهبين ، فأين الحيرة هنا ؟ ومن هنا باق فيحار؟ والطريق لسان صدق ، والتجوّز على مثلك لا يليق. قلت : يا بنت الخالة ما اسمك ؟ قالت: قرة العين قلت لها : لي . ومن شعري فيها ما قلته :

ما رحلوا يوم بانوا البُزّل العيسا إلا وقد حملوا فيها الطواويسا
من كل فاتكة الالحاظ مالكةٍ تخالها فوق عرش الدّرّ بلقيسا
اذا تمشت على صرح الزجاج ترى شمساً على فلكٍ في حجر ادريسا
تحيي اذا قتلت باللحظ منطقها كأنها عندما تحيي بها عيسا
توراتها لوح ساقيها سنىً وأنا أتلو وأدرسها كأنني موسى
أسقفّة من بنات الروم راهبة ترى عليها من الانوار ناموسا
وحشية ما لها انسٌ قد اتخذت في بيت ناموسها للذكر ناووسا
قد أعجزت كل علّامٍ بملّتنا وداودياً وحبراً ثم قسيسا
ان أومأت تطلب الانجيل تحسبها أقسّة او بطاريقاً شماميسا
ناديت اذ رحلت للبين ناقتها يا حادي العيس لا تحدو بها العيسا
عبّيت أجياد صبري يوم بينهم على الطريق كراديساً كراديسا
سألت اذ بلغت نفسي تراقيها ذاك الجمال وذاك اللطف تنفيسا
فأسلمت ووقانا الله شرّتها وزحزح الملك المنصور ابليسا

وكان لنا اهل تقرّ العين بها ففرّق الدهر بيني وبينها فتذكرتها ومنزلها بالحلة من بغداد فقلت :

خليليّ عوجا بالكثيب وعرّجا ... على لعلع واطلب مياه يلملم
فان بها من قد علمت ومن لهم ... صيامي وحجّي واعتماري وموسمي
فلا أنس يوماً بالمحصّب من منىً ... وبالمنحر الاعلى اموراً وزمزم
محصّبهم قلبي لرمي جمارهم ... ومنحرهم نفسي ومشربهم دمي
فيا حادي الاجمال ان جئت حاجراً ... فقف بالمطايا ساعة ثم سلّم
ونادِ القباب الحمر من جانب الحمى ... تحيّة مشتاق اليكم مُتيّم
فان سلموا فاعدِ السلام مع الصبا ... وان سكتوا فارحل بها وتقدّم
الى نهر عيسى حيث حلّت ركابهم ... وحيث الخيام البيض من جانب الفم
ونادِ بدعدٍ والرباب وزينبٍ ... وهند وسلمى ثم لبنى وزمزم
وسلهنّ هل بالحلة الغادة التي ... تريك سنا البيضاء عند التبسّم

ولنا من باب النسب ، والاشارة للمقام الاعلى ، والمنظر الاجلى :

سلامي على سلمى ومن حلّ بالحمى ... وحق لمثلي رقة ان يُسلما
وماذا عليها لو تردّ تحية ... علينا ولكن لا احتكام الى الدما
سروا وظلام الليل ارخى سدوله ... فقلت لها صبّاً غريباً متيّما
أحاطت به الاشواق سوراً وأرشدت ... له راشقات النبل أيّان يمّما
فأبدت ثناياها وأومض بارق ... فلم أدري من شق الحنادس منهما
وقالت : أما يكفيه اني بقلبه ... يشاهدني سراً وجهراً أما أما ؟

خبر الحية الطائفة بالبيت :

روينا من حديث ابي الوليد ، عن جده ، عن سعيد بن سالم ، عن سالم ، عن عثمان بن ساج ، عن بشر بن تميم ، عن ابي الطفيل قال : كانت امرأة من الجن في الجاهلية تسكن ذا طوىً ، وكان لها ابن ولم يكن لها ولد غيره ،

وكانت تحبه حباً شديداً ، وكان شريفاً في قومه، فتزوج وأتى زوجته ، فلما كان يوم سابعه قال لأمه : يا أمَّه اني احب ان اطوف بالكعبة سبعاً نهاراً ، قالت له امـــه : أي بنيّ إني أخاف عليك سفهاء قريش ، فقال : ارجو السلامة ، فأذنت له ، فولى في صورة جان، فلما أدبر جعلت تعوّذه وتقول:

أعيذه بالكعبة المستورة ودعوات ابن ابي محذورة
وما تلى محمد من سورة إني الى حياتـــه فقيرة
وإنـــي بعيشه مسرورة

فمضى الجان نحو الطواف فطاف بالبيت سبعاً ، وصلى خلف المقام ركعتين ثم أقبل منقلباً حتى إذا كان ببعض دور بني سهم عرض له شاب من بني سهم أحمر أكشف أزرق أحول أعسر فقتله ، فثارت بمكة غبرة حتى لم تبصر لها الجبال . قال ابو الطفيل : وبلغنا أنـه إنما تثور تلك الغبرة عند موت عظيم من الجن ، قال : فأصبح من بني سهم على فرشهم موتى كثير من قبل الجن ، فكان فيهم سبعون شيخاً أصلع سوى الشباب ، قـــال : فنهضت بنو سهم وخلفاؤها ومواليها وعبيدها ، فركبوا الجبال والشعاب بالثنية ، فمـا تركوا حية ، ولا عقرباً ، ولا خنفساء ، ولا شيئاً من الهوام يدب على وجه الارض إلا قتلوه ، فأقاموا بذلك ثلاثاً ، فسمعوا في الليلة الثالثة على ابي قبيس هاتفاً يهتف بصوتٍ له جهوري يسمع بين الجبلين : يا معشر قريش الله الله فإن لكم احلاماً وعقولاً ، أعذرونا من بني سهم فقد قتلوا منا أضعاف مـــا قتلنا منهم ، أدخـلوا بيننا وبينهم بصلح نعطيهم ويعطونا العهد والميثاق أن لا يعود بعضنا لبعض بسوء ابـداً ففعلت ذلك قريش واستوثقوا لبعضهم من بعض فسميت بنو سهم العياطلة قتلة الجن .

ما جاء من الحكم في مثل هذه الواقعة :

حدثنا الضرير ابراهيم بن سليمان الصوفي الخابوري مـن دير الرمان بحلب قال : كنت بـذي نصر فخرج رجل يحتطب لعياله ، ففقد اياماً حتى حزن عليه أهله ، فدخل عليهم بعد ذلـك ضعيفاً ، متغير اللون ، كاسف البال ، أثر الرعب والجزع عليه ظاهر ، قال : فسألناه عن شأنه ، قـال : بينا أنا أحتطب إذ عرضت لي حية فقتلتها ، فغشي عليّ ، وغبتُ عن نفسي ، فـما أفقت إلا وأنا بأرض لا اعرفها ، بـين قوم لا اعرفهم ، فأخذني جماعة منهم فجاؤا بي الى شيخ فيهم كبير هو زعيمهم ، فمثلوني بين يديه فقال: ما شأنكم؟ فقالوا : هذا قتل ابن عمنا ، وأشاروا اليّ ، فقد لنا منه ، فقال الشيخ : ما تقول ؟ فقلت : لا اعرف ما يقولون ، إنما أنا رجل كنت احتطب فعرضت لي حية فقتلتها ، فقالوا : ذلك ابن عمنا، فقال ذلك الزعيم : امسكوه عندكم واستوصوا بـــه خيراً حتى أرى في امركم وأمره ، فأخذوني اليهم ، وجاؤا بأطعمة لا أعرف منها سوى اللبن ، فكنت أشربه لا أعدل الى غيره مـدة هـــذه الايام التي غبت فيها عنكم ، فبينا انا على ذلك إذ جاؤني فأخذوني وحضروا بي عند ذلك الشيخ ، فذكروا مثل مقالتهم الاولى من الدعوى ، فسألني الشيخ ، فذكرت له الأمر على ما جرى ، فقال الشيخ للقوم : ما لكم عليه حق ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : من تصوّر في غير صورته ، فقتل ، فـلا عقل فيه ، ولا قود ، وصاحبكم تصور في صورة حية . فخلوا سبيلي ، فقلت : يا شيخ وهل رأيت رسول الله ﷺ ؟ فقال : نعم كنت في وفد جن نصيبين حين قدم رسول الله ﷺ ، وما عاش لليوم من ذلك اليوم غيري ، فهؤلاء الجن قومنا ، يتحاكمون الينا في امورهم ، فأحـكم بينهم . ثم قـــال لهم : ردّوه الى حيث اخذتموه ، فما شعرت إلا وأنا في موضعي ،

فأخذت عدتي ، وجئت . فهذا ما كان من خبري في غيبتي .

خبر حية اخرى طائفة بالبيت :

روينا من حديث ابي الوليد ، عن جده ، عن داود بن عبد الرحمن ، عن ابن جريج ، عن عبد الله بن عبيد ، عن عمير ، عن طلق بن حبيب قال : كنا جلوساً مع عبد الله بن عمرو بن العاص في الحجر إذ قلص الظل ، وقامت المجالس ، إذا بأيم طالع من هذا الباب ، يعني باب بني شيبة ، فأشرفت له عيون الناس ، فطاف بالبيت سبعاً ، وصلى ركعتين وراء المقام ، فقمنا اليه ، فقلنا له : ألا أيها المعتمر قد قضى الله نسكك ، وإن بأرضنا عبيداً وسفهاء وأنا نخشى عليك منهم ، فكوّم برأسه كومة بطحاء ، فوضع ذنبه عليها ، فسما في السماء حتى مثل علينا فما نراه . قال ابو محمد الخزاعي الأيم الحية الذكر .

« وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن » كانوا أهل نصيبين ، وكانوا سبعة : حسا ، ومسا ، وشاصرا ، وناصرا ، وابنا الارب ، وأبنين ، والاخصم . هذا من حديث محمد بن اسحاق . وأما حديث اسحاق بن عبد الله ، عن ابي جعفر ، فذكر منهم الاذريان ، والاحقب .

خبر الحيّة الشهيدة العابدة :

روينا من حديث احمد بن عبد الله ، عن سليمان بن احمد ، ثنا مطّلب بن شعيب ، عن عبدالله بن صالح ، عن عبد العزيز بن سلمة الماجشون ، عن معاذ ابن عبد الله بن معمر ، قال : كنت جالساً عند عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فجاء رجل فقال : يا امير المؤمنين ، بينا انا بفلاة كذا وكذا ، اذا

اعصاران قد أقبلت احداهما من مكان ، والاخرى من مكان آخر ، فالتقتا واعتركتا ثم افترقتا ، واحداهما أقل منها حين جاءت ، فذهبت حتى جئت معتركيهما ، فاذا من الحيات شيء ما رأيت مثله قطّ غيره ، فاذا ريح مسك من بعضها ، فجعلت أقلب الحيات أنظر من أيّها هـذه الرائحة ، فاذا ذلك من حية صفراء دقيقة . قال ابو محمد بن حيان في حديثه : تنثنى ببطن ابيض ينفح منها ريح المسك . فقلت لأصحابي : امضوا فلست ببارح حتى أنظر الى ما يصير أمر هذه الحية . قـــال : فما لبثت أن ماتت ، فعمدت الى خرقة بيضاء فلففتها فيها . وفي حديث ابن معمر : في عمامتي . قـال ابن حيان : ثم نحيتها عن الطريق فدفنتها ، وأدركت اصحابي في المتعشى . قال : فوالله إنا لقعود إذ أقبل اربع نسوة من قِبل المغرب ، فقـــالت واحدة منهن : أيكم دفن عمراً ؟ قلنا : ومَن عمروٌ ؟ قالت : أيكم دفن الحية ؟ قال : قلت انا. فقالت: أما والله لقد دفنتَ صوّاماً قوّاماً يأمر بما أنزل الله عزّ وجلّ، ولقد آمن بنبيكم ﷺ ، وسمع صفته في السماء قبل ان يُبعث بأربعمائة سنة .

وفي حديث ابن معمر بعد ان ذكر دفنها ، فبينا انا أمشي إذ ناداني مناد ولا أراه ، فقال : يا عبد الله، ما هذا الذي صنعت ؟ فأخبرته بالذي رأيت، فقال : انك قد هديت ، هذان حيّان من الجن : بني شيبان ، وبني أقيش ، التقوا ، فكان من القتلى ما رأيت ، فاستشهد الذي أخذته ، فكان من الذين استمعوا الوحي من رسول الله ﷺ .

وفي حديث ابن حيان ، قال الرجل : فلما قضينا حجّنا مررت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة ، فأنبأته بأمر الحية، فقال : صدقت ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : لقد آمن بي قبل ان أُبعث بأربعمائة سنة .

اني رأيت أحد عشر كوكباً :

وهي : حرنان ، والطارق ، والدّيّال ، والكتفان ، ويقال ذو الكتفين، ووناب ، وعمودان ، والفلق ، والصروح ، والضياء ، والنور ، وقابس ، والمضبح ، وذو الفرع ، يعني بالضياء ، والنور ، والشمس ، والقمر .

مفارقة حبيب :

روينا من حديث ابي بكر بن ابي الدنيا ، عن محمد بن سلام قال : احتضر سيبويه النحوي ، فوضع رأسه في حجر اخيه، فقطرت قطرة من دموع أخيه على خده ، فأفاق من غشيته فقال :

أخيّين كنا فرّق الدهر بيننا الى أمد الاقصى ومن يأمن الدهرا

خبر شق وسطيح مع ملك اليمن :

قال ابن اسحاق : كان ربيعة بن نصر ملك اليمن فرأى رؤيا هالته وفظع بهـا ، فلم يدع كاهناً ، ولا ساحراً ، ولا عائقاً ، ولا منجماً ، إلا جمعه اليه فقال لهم : اني رأيت رؤياً هالتني وفظعت بها ، فأخبروني بهـا وبتعبيرها ، قالوا له : اقصصها علينا نخبرك بتأويلها ، فقال : اني ان اخبرتكم بهـا لم أطمئن الى خبركم عن تأويلها ، لأنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفهـا قبل ان اخبره بها ، فقـال له رجل : ان اردت علم ذلك فابعث الى شق وسطيح ، فبعث اليهما ، فقدم عليه سطيح وهو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن غسان ، فقال له الملك : إني رأيت رؤيا فأخبرني بها وبتأويلها ، قـال : افعل ، رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة . فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئاً ،

فما عندك من تأويلها ؟ قال : أحلف بمــا بين الحرّتين من حنش ، لتزلن ارضكم الحبش ، فلتملكنّ ما بين أبين وجرش . فقــال الملك : يا سطيح ان هــذا لنا لغائظ موجع ، فمتى هو كائن ؟ أفي زماني ام بعده ؟ قال : لا بل بعده بحين ، اكثر من ستين او سبعين يمضين من السنين ، قال : أفيدوم ذلك في ملكهم ام ينقطع ؟ قــال : بل ينقطع لبضع وسبعين تمضين من السنين ، ثم يقتلون ، ويخرجون منها هاربين . قال : ومن يلي ذلك من قتلهم ؟ قال: يليه ارم ذي يزن ، يخرج عليهم من عدن فلا يترك احداً منهم باليمن . قال: أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع. قال : ومن يقطعه ؟ قال : نبيّ زكي يأتيه الوحي من قِبل العلي . قال : وممن هذا النبي ؟ قال : رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، يكون الملك في قومه الى آخر الدهر . قــال : وهل للدهر من آخر ؟ قال : نعم ، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون ، يسعد فيــه المحسنون ، ويشقى فيــه المسيئون . قال : أحق ما تخبرني ؟ قال : نعم ، والشفق ، والغسق ، والفلق اذا اتسق ، إن ما أنبأتك به لحق .

ثم قدم عليه بعــد ذلك شق بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن قسز ابن عبقر بن انمار بن نزار ، فقال له كقوله لسطيح ، وكتمه ما قال سطيح ، لينظر أيتفقان أم يختلفان ؟ قال شق : نعم، رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت كل ذات نسمة . قال الملك : ما أخطأت يا شق شيئاً يريد المعنى ، فما عندك في تأويلها ؟ قال شق : أحلف بمـــا بين الحرتين من انسان لينزلنّ أرضكم السودان فليغلبن على كل طفلة [1] البنــان ،

---

(١) أي ناعمتها .

وليملكنّ ما بين أبين الى نجران . فقال الملك : ان هذا لنا لغائظ موجع ، فمتى هو كائن ؟ في زماني أم بعده ؟ قال : لا ، بل بعدك بزمان، ثم يستنقذكم منه عظيم ذو شان ، ويذيقهم أشد الهوان . قال : ومن العظيم الشان ؟ قال: غلام ليس بدنيّ ولا مدن ، أراد مدني بوزن مفعل فحذف اليـــاء للسجع ، يخرج عليهم من بيت ذي يزن . قــال : أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مُرسَل يأتي بالحق والعـــدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك في قومه الى يوم الفصل . قال : ومــا يوم الفصل ؟ قال : يوم تجزى فيه الولات ، يدعى فيــه من السماء بدعوات ، تسمع منها الأحيـــاء والأموات، ويجمع فيه الناس للميقات ، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات. قال : أحق ما تقول ؟ قال : اي ورب السماء والارض ، وما بينهما من رفع وخفض ، ان ما أنبأتك لحقّ ما فيه أمض .

فوقع في نفس الملك ما قالا ، فجهز بيته وأهله الى العراق بما يصلحهم ، وكتب لهم الى ملك من ملوك فارس يقــال له سابور بن خزراد ، فأسكنهم الحيرة ، واليهم ينتمي النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر . هذا الملك صاحب الرؤيا .

رؤيا الموبذان وارتجاج الايوان وما قال في ذلك سطيح والكهّان :

روينا من حديث احمد بن عبد الله ، عن عبد الله بن محمد بن جعفر ، عن عبد الرحمن بن الحسن ، عن علي بن حرب ، عن ابي أيوب يعلى بن عمران البجلي ، عن مخزوم بن هانىء المخزومي ، عن أبيه ، واتت له خمسون ومائة سنة ، قــال : لما كان ليلة وُلد فيها رسول الله ﷺ ارتجس إيوان كسرى ، وسقطت منه اربعــة عشر شرافة ، وخمدت نار فارس ، ولم تخمد قبل ذلك

بألف عـام ، وغاضت بحيرة ساوى ، ورأى الموبذان إبلا صعاباً تقود خيلا عراباً ، قد قطعت دجلة ، وانتشرت في بلادها .

فلما أصبح كسرى أفزعه مـا رأى ، فتصبّر عليه تشجّعاً ، ثم رأى ان لا يكتم ذلك عن وزرائه ، ومرازبته ، فلبس تاجه ، وقعـــد على سريره ، وأرسل الى الموبذان ، فقال : يا موبذان ، انه سقط من إيواني اربعـة عشر شرافة ، وخمدت نار فارس ، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام . فقـال : وأنا ايها الملك قد رأيت إبلا صعاباً تقود خيلاً عراباً حتى عبرت دجلة، وانتشرت في بلاد فارس . قال : فما ترى في ذلك يا موبذان ؟ قال : وكان رأسهم في العلم ، فقال : حدث يكون من قِبل العرب . فكتب حينئذ كسرى :

من كسرى ملك الملوك الى النعمان بن المنذر، إبعث إليّ رجلا من العرب يخبرني بما أسأله عنه . فبعث اليه عبد المسيح بن حيان بن نفيلة ، فقـال : يا عبد المسيح ، هل عندك علم بما اريد ان أسألك عنه ؟ قال : يسألني الملك ، فإن كان عندي منه علم أعلمته او لا أعلمته بمن علمه عنده . فأخبره به الملك، فقال : علمه عنـــد خالٍ لي يسكن مشارق الشام يُقال له سطيح . قال : فاذهب اليه واسأله ، واخبرني بما يخبرك به . فخرج عبد المسيح حتى قدم على سطيح وهو مشرف على الموت ، فسلم عليه وحيّاه بتحية الملك ، فلم يجبـه سطيح ، فأقبل يقول :

أصمّ أم يسمع غطريف اليمن — أم فارق ازليم به شاو العنن
يا فاصل الخطـّة أعيت مَن ومن — وكاشف الكربة في الوجه الغضن
أتاك شيخ الحي من آل سنن — وأمه من آل ذئب بن حجن
تحمله وجناء تهوى من وجن — حتى أتى غار الجاجي والفطن
أصكّ مهما الناب صرار الاذن

فرفع سطيح رأسه اليه ، فقال : عبد المسيح يهوي الى سطيح ، وقد أوفى على الضريح ، بعثك ملك ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان : رأى ابلا صعاباً تقود خيلا عراباً قد قطعت دجلة ، وانتشرت في بلاد فارس، يا عبد المسيح اذا ظهرت التلاوة ، وغارت بحيرة ساوة ، وخرج صاحب الهراوة ، وفاض وادي سماوة ، فليس الشام لسطيح بشام ، يملك منهم ملوك وملكات ، على عدد الشرافات ، وكل ما هو آت آت ، ثم مات.

فقام عبد المسيح وهو يقول :

شمّر فإنك ماضي الهمّ شمير	لا يُفزعنك تشديدٌ وتعزيرُ
فربما ربمـــا أضحوا بمنزلةٍ	يهاب صولهم الاسد المهاصير
منهم اخو الصرح بهرام واخوته	والهرمزان وسابور وشابور
والناس اولاد علّات فمن علموا	ان قد أقلّ فمهجور ومحقور
وهم بنو آدمٍ لما رأوا نسباً	فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
والخير والشرّ مجموعان في قرن	فالخير متّبع والشر محذور

قال : فرجع عبد المسيح الى كسرى ، فأخبره ، فقال : الى ان يملك منا اربعة عشر تكون امور وأمور . قال : فملك منهم عشرة في اربع سنين ، وملك الباقون بعـد اولاد علاتهم ، الاولاد لأب واحد ، وأمهم شتى . أسد هصور ، وهصير ، وهصار : وهو الذي يكسر أزلام القوم ازليماً ، أي ولـّوا سراعاً . وشاو : اسبق . والعنن : مصدر عنّ يعنّ عنـّاً ، أي اعترض ، ويكون أزلم مقصوراً من إزلام ، والجآجىء : جمع جؤجؤ ، وهو صدر الطير والسفينة. والموبذان : قاضي المجوس ، ويجمع موابذة . والشرفة: جمعها شرف ، والشرفة في غير هذا الموضع خيار المـال . ورجست السماء ، وارتجست : اذا رعدت وتمخّضَت ْ .

خبر ظريف في الحنين الى الوطن

قال ابن الرومي في ذلك :

وحبّب اوطان الرجـال اليهم مأرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا الاوطان ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

روينا من حديث ابي الوليد ، عن محمد بن ابي عمر ، عن القاضي محمد بن عبد الرحمن بن محمد المخزومي ، عن القاضي الأوقص محمـد بن عبد الرحمن بن هشام ، قال : خرجت غازياً في خلافة ابن مروان ، فقفلنا من بلاد الروم ، فأصابنا مطر ، فآوينا الى قصر فاستكنا به من المطر ، فلما أمسينا خرجت جارية مولدة من القصر ، فتذكرت مكة وبكت عليها ، وأنشأت تقول :

من كان ذا شجن بالشام يحسبه فان في غيره أمسى الى الشجنُ
فان ذا القصر حقاً ما به وطنٌ لكن بمكة أمسى الاهل والوطن
من ذا يسائل عنا أين منزلنا فالاقحوانة منّا منزل قمن
اذ يلبث العيش صفواً ما يكدّره طعن الوشاة ولا ينبو بنا الزمن

قال : فلما أصبحنا لقيت صاحب القصر فقلت له: رأيت جارية مولـّدة، خرجت من قصرك ، فسمعتها تنشد كذا وكذا ، فقال : هذه جارية مولدة مكيّة اشتريتها ، وخرجت بها الى الشام ، فوالله ما ترى عيشنا ولا ما نحن فيه شيئاً ، فقلت : أتبيعها ؟ فقال : اذا فارقتُ روحي .

قولها : فالاقحوانة منّا منزل قمن : الاقحوانة منزل عند الليط بمكة ، كان مجلساً يجلس فيه من يخرج من مكة ، يتحدثون فيه بالعشيّ ، ويلبسون

الثياب المحمّرة ، والمورّدة ، والمطيّبة ، فكان مجلسهم من حسن ثيابهم يقال له : الإقحوانة .

وقالت بعض بنات الاعراب : روتني صاحبة القصر الذي على شاطىء دجلة قبالة سامرّاء يقال له عاشق ومعشوق ، وكان قد عشقها بعض الخلفاء فتزوّجها ، ونقلها من البادية، فتغيّر عليها الحال . وكانت تحنّ الى ما نشأت عليه ، فبنى لها هذا القصر ، وأمر بالإبل والغنم ان تُحلب بكرة وعشية على باب قصرها في البرية ، فأنست بعض أنس ، فدخل عليها الخليفة يوماً وهي تبكي وتقول :

وما ذنب أعرابية قذفت بها صروف النوى من حيث لم تكُ ظنّتِ
تمنّتْ أحاليبَ الرعاة وخيمةً بنجدٍ فلم يُقضى لها ما تمنّتِ
اذا ذكرت ماء العُذيب وطيبه وبرد حصاه آخر الليل حنّتِ
لها أنّة عند العشاء وأنّة سحيراً ولولا أنّتاها لجنّتِ

فذُكر أنه قال لها : إلحقي بأهلك بكل ما معك . فسُرّت ، ولحقت بأهلها .

ولنا فيما يتعلق بعفو الله ومِنّته :

ألله يعلم أني لست أذكره إلا وجدت له ناراً على كبدي
لأنني بلسان الذنب أذكره وهو العليم بما أضمرت في خلدي
لكنني بجميل العفو أعرفه وبالتجاوز والاحسان والرفد
وهل تقاوم عفوَ الله معصية هيهات هيهات لا تعدل عن الرشد
ألله أكرم ان تنساك منّته ومَن يجود اذا الرحمن لم يجُد
فحسّن الظنّ بالرحمن وارضَ به ربّاً فليس وجود الفرد كالأحد

ومن حديث مكة بعد خزاعة وولاية قصيّ بن كلاب البيت الحرام وما ذُكر من ذلك :

ما روينا من حديث ابي الوليد ، عن جدّه ، عن سعيد بن سالم ، عن عثمان بن ساج ، عن ابن جريج ، وعن ابن اسحاق يزيد احدهما على صاحبه ، قال : أقامت خزاعة على ما كانت عليه من ولاية البيت والحكم بمكة ثلاثمائة سنة ، وكان بعض التبابعة قد سار اليه وأراد هدمه وتخريبه ، فقامت دونه خزاعة ، فقاتلت عليه أشد القتال حتى رجع ، ثم آخر كذلك .

وأما تبّع الثالث الذي نحر له وكساه ، وجعل له غلقاً ، وأقـام عنده أياماً ينحر عنده كل يوم مائة بدنة ، ولا يرزأ هو ولا احد من اهل عسكره منها شيئاً ، يردها الناس بالفجاج ، والشعاب ، فيأخذون منها حاجتهم ، ثم يقطع الطير عليها ، فتأكل ثم تنتابها السباع اذا امست، ولا يرد عليها انسان، ولا طائر ، ولا سبع . ثم رجع الى اليمن انما كان في عهد قريش ، قـال : فلبثت خزاعة على ما هي عليه ، وقريش اذ ذاك في بني كنانة متفرقة ، وقد قدم في بعض الزمان حاج قضاعة، فيهم ربيعة بن حزام بن ضبة بن عبد كبير ابن عذرة بن سعد بن زيد ، وقـد هلك كلاب بن مرة بن كعب بن لؤيّ بن غالب ، وترك زهرة ، وقصياً ابني كلاب مع أمهما فاطمة بنت عمرو بن سعد ابن سبل ، وسعد بن سبل الذي يقول فيه الشاعر ، وكان أشجع اهل زمانه:

لا أرى في الناس شخصاً واحداً فاعلموا ذاك كسعد بن سبل
فارس أضبط فيـه عسرة واذا ما عاين القِرن نزل
فارس يستدرج الخيـل كما يدرج الحرّ القطاميّ الحجل

قال : وزهرة اكبر من قصي سناً ، فتزوج ربيعة بن حزام امهما ، وزهرة

رجل بالغ ، وقصي فطيم ، او في سن الفطيم ، فاحتملها ربيعة الى بلاده من ارض عذرة من أشراف الشام ، فاحتملت معها قصياً لصغره ، وتخلف زهرة في قومه ، فولدت فاطمة بنت عمرو بن سعد لربيعة رزاح بن ربيعة ، فكان أخا قصي بن كلاب لأمه ولربيعة بن حزام من امرأة اخرى ثلاثة نفر : حنّ، ومحمودة ، وجلهمة ، بنو ربيعة .

فبينا قصي بن كلاب في ارض قضاعة لا تنتمي الى آل ربيعة بن حزام اذ كان بينه وبين رجل من قضاعة شيء ، وقصي قد بلغ ، فقال له القضاعي : ألا تلحق بنسبك وقومك فانك لست منا ؟ فرجع قصي الى امه وقد وجد مما قال له القضاعي ، فسألها عما قال له ، فقالت : أنت والله يا بُنيّ خير منه ، وأكرم ، انت ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وقومك عند البيت الحرام وما حوله . فأجمع قصي الخروج الى قومه ، واللحاق بهم ، وكره الغربة في ارض قضاعة ، فقالت له امه : يا بني لا تعجل بالخروج ، حتى يدخل عليك الشهر الحرام ، فتخرج في حاجّ العرب ، فإني أخشى عليك ، فأقام قصي حتى دخل الشهر الحرام ، وخرج في حاج قضاعة حتى قدم مكة ، فلما فرغ من الحج أقام بها ، وكان قصي رجلا جليداً حازماً بارعاً ، فخطب الى حليل بن حبشية بن سلول الخزاعي ابنته حبى ، فعرف حليل النسب ، ورغب في الرجل ، فزوّجه ، وحليل يومئذ يلي الكعبة ، وأمر مكة ، فأقام قصي معه حتى ولدت حبي لقصي عبد الدار وهو اكبر ولده ، وعبد مناف ، وعبد العزّى ، وعبد بن قصي ، وكان حليل يفتح البيت ، فاذا اعتل أعطى ابنته حبي المفتاح ، ففتحت ، فاذا اعتلت أعطت المفتاح لزوجها قصياً ، او بعض ولدها فيفتحه، وكان قصي يعمل في حيازته اليه ، وقطع ذكر خزاعة عنه ، فلما حضرت

حليل الوفاة نظر الى قصي ، والى ما انتشر له من الولد من ابنته ، فرأى ان يجعلها في ولد ابنته، فدعا قصياً ، فجعل له ولاية البيت ، وأسلم اليه المفتاح، وكاد يكون عند حني .

فلما هلك حليل أبت خزاعة ان تدعه هنالك ، وأخذوا المفتاح من حني، فمشى قصي الى رجال من قومه من قريش ، وبني كنانة ، ودعاهم الى ان يقوموا معه في ذلك ، وأن ينصروه ، ويعضّدوه ، فأجابوا الى نصره . وأرسل قصي الى اخيه لأمه رزاح بن ربيعة ، وهو في بلاد قومه من قضاعة ، يدعوه الى نصره ، ويعلمه ما حال بينه وبين ولاية البيت ، ويسأله الخروج اليه بمن أجابه من قومه . فقام رزاح في قومه فأجابوه الى ذلك ، فخرج رزاح بن ربيعة ومعه اخوته من ابيه حنّ ، ومحمود ، وجلهمة ، بنو ربيعة ابن حزام فيمن تبعهم من قضاعة في حاج العرب ، مجمعين لنصر قصي ، والقيام معه .

فلما اجتمع الناس بمكة خرجوا الى الحج ، فوقفوا بعرفة بجمع ، ونزلوا منىً ، وقصي مجمع على ما أجمع عليه من قتالهم بمن معه من قضاعة ، فلما كان آخر ايام منى أرسلت قضاعة الى خزاعة يسألونهم ان يسلموا الى قصي ما جعل له حليل ، وعظموا عليهم القتال في الحرم ، وحذروهم الظلم والبغي في الحرم ومكة ، وذكروهم ما كانت عليه جرهم ، وما صارت اليه حين ألحدوا فيه بالظلم ، فأبت خزاعة ان تسلم ذلك ، فاقتتلوا بمفضى المأزمين من منى .

قال : فسمي ذلك المكان المفجر ، لما فجر فيه ، وسفك فيه الدماء من الدم ، وانهتك من حرمته ، فاقتتلوا حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعاً ، وفشت فيهم الجروح ، والجراحات ، وحاج العرب جميعاً ينظرون الى

قتالهم ، من مضر ، واليمن . ثم تداعوا الى الصلح ، ودخلت قبائل العرب بينهم ، فاصطلحوا على ان يحكموا بينهم رجلاً من العرب فيما اختلفوا فيه . قال : فحكّموا يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة ، وكان رجلاً شريفاً ، فقال : موعدكم فناء الكعبة غداً ، فاجتمع اليه الناس ، وعدّوا القتلى ، فكانت في خزاعة اكثر منها في قريش، وقضاعة ، وكنانة ، وليس كل بني كنانة قاتل مع قصي، خزاعة ، انما كانت مع قريش من بني كنانة غلمان يسيرة ، فاعتزلت عنها بكر بن عبد مناف قاطبة .

فلما اجتمع الناس بفناء الكعبة قام يعمر بن عوف فقال : ألا اني قد شدخت ما كان بينكم من دم تحت قدميّ هاتين ، فلا تباعة لأحد على أحد في دم ، وإني قد حكمت لقصيّ بحجابة الكعبة ، وولاية أمر مكة ، دون خزاعة لما جعل له حليل، وان تخلّي بينه وبين ذلك ، وان لا تخرج خزاعة عن مساكنها من مكة. قال : فسمّي يعمر من ذلك اليوم ، الشداخ . فسلمت بذلك خزاعة لقصي ، وأعظموا سفك الدماء في الحرم ، وافترق الناس ، وُوّلي قصي بن كلاب حجابة البيت ، وأمر مكة ، وجمع قومه من قريش من منازلهم الى مكة يستعزّ بهم ، وتملّك على قومه فملّكوه ، وخزاعة مقيمة بمكة على رباعهم ، لم يتحركوا من مساكنهم ، ولم يخرجوا منها ، ولم يزالوا على ذلك حتى الآن .

فحاز قصي شرف مكة ، وبنى دار الندوة ، وفيها كانت قريش تقضي امورها ، ولم يكن يدخلها من قريش من غير ولد قصي إلا ابن اربعين سنة المشورة ، وكان يدخلها ولد قصي كلهم أجمعون ، وخلفاؤهم. وكان قصي اول

رجل من بني كنانة أصاب مُلكاً ، فأطاع له به قومه، فكانت اليه الحجابة، والرفادة ، والسقاية ، والندوة ، واللواء ، والقيادة .

فلما جمع قصي قريشاً بمكة سمّي مجمعاً ، ومن أجل تجمّع قريش الى قصي سمّيت قريش قريشاً .

وقال قصي يتشكر لأخيه رزاح بن ربيعة :

أنا ابن العاصمين بني لؤيّ   بمكة مولدي وبها ربيتُ
ليَ البطحاء قد علمتْ مَعَدٌّ   ومروتها رضيت بها رضيت
وفيها كانت الآباء قبلي   فما شويت أخيٌ وما شويت
فلست لغالب إن لم تؤثّل   بها أولاد قيدر والنبيت
رزاح ناصري وبه أسامي   فلست أخاف ضيماً ما حييت

فقال رزاح في إجابته أخاه قصياً :

فلما أتى من قصي رسول   فقال الرسول أجيبوا الخليلا
نهضنا اليه نعود الجياد   ونطرح عنا الملول الثقيلا
نسير بها الليل حتى الصباح   ونكمي النهار لئلا يزولا
فهُنّ سراع كورد القطا   يجئن بنا من قصي رسولا
جمعنا من السرّ من اشمذين   ومن كل حيٍّ جمعنا قبيلا
فيا لك حلبة ما ليلة   نزيد على الألف سيباً رسيلا
فلما مررنا على عسكر   وأسهلنا من مستناخ سبيلا
وجاوزن بالركن من ورّقان   وجاوزن بالعرج حياً حلولا
مررن على الحلى ما ذقنَه   وعالجنَ مَن مرٌ ليلا طويلا
فدنى من العود أفلاءها   إرادة ان تسترقنَ الصهيلا

فلمـا انتضينا[1] الى مكة	أنخنـا الرحال قبيلاً قبيلا
نعـاورهم ثم حدّ السيوف	وفي كل حوب خلسن العقولا
نخبّرهم بصلاب السنو	ن خبر القويّ العزيز الذليلا
قتلنـــا خزاعة في دارها	وبكراً قتلنـا فجيلاً وجيلا
نفينـاهمُ من بلاد المليك	كما لا يحلُّون أرضاً سهولا
فأصبح سبيُهم في الحديد	ومن كل حيٍّ شفينا الغليلا

وقال ثعلبة بن عبد الله بن دينار بن الحارث بن سعد بن هديم القضاعي في ذلك ، من أمر قصي حين دعاهم فأجابوه :

جلبنا الخيل مُضمرة تعالى	من الاعراف أعراف الجنابِ
الى غورَيْ تِهـامة فالتقينا	من الفيفاء في قاعٍ يبـاب
فأمـا صفوة الحسنى فخلُّوا	منازلهم محـــادرة الضراب
وقـام بنو عليٍّ إذ رأوْنا	الى الاسياف كالإبل الظراب

وقال حذافة بن غانم الجمحي يمدح قريشاً وبني قصي :

أبوهم قصيّ كان يدعى مجمعاً	به جمع الله القبائل من فهرِ
همُ نزلوها والميـــاه قليلة	وليس بها إلا كهول بني عمرو
همُ ملأوا البطحاء مجداً وسؤدداً	وهم طردوا عنها عراة بني بكر
وهم حفروها والميـــاه قليلة	ولم تستقي إلا بنكدٍ من الحفر
حليل الذي عادى كنانة كلهـا	وأربط بيت الله بالعسر واليسر
أحارث امّا أهلكن فلا تزل	لهم شاكراً حتى توسّد في القبر

---

(١) انتهينا .

قال : ولما استقر رزاح بن ربيعة في بلاده بعد انصرافه من قصي وقع بين رزاح بن ربيعة وبين فهر بن زيد، وحونكة بن أسلم،وهما بطنان من قضاعة، شيء فأخـــافهم ، حتى لحقوا باليمن ، وخلـّوا عن بلاد قضاعة ، وهم اليوم باليمن . قال قصي بن كلاب ، وقد كره ما فعل رزاح بهم ، شعراً :

ألا مَن مُبلغٌ عني رزاحاً ... فإني قد لحيتك في اثنتين
لحيتك في بني فهر بن زيد ... كما فرّقتَ بينهمُ وبيني
وحوتكة بن أسلم انّ قوماً ... عنوهم بالمساءة قـــد عنوني

اعتراف عارف في أشرف المواقف :

حدثنا عبد الرحمن بن علي ، نبّأ ابو بكر الصوفي ، انا ابو سعيد الخير ، انا ابن باكويه ، نبأ محمد بن هارون ، نبأ ابن مسروق ، نبأ محمد بن الحسين ، عن وداع بن مرجا ، عن صالح المري، قال : وقف مطرف وبكر بن عبدالله بعرفة ، فقـــال مطرف : اللهم لا تردهم اليوم من أجلي . وقال بكر : ما أشرفه من موقف ، وأرضاه لأهله ، لولا اني فيهم . ورفع الفضيل رأسه الى السماء ، وقـد قبض على لحيته وهو يبكي بكاء الثكلى ويقول : واسوأتاه منك وإن عفوت .

وممن مات حياء من الله تعالى :

ما روينا من حديث ابن باكويه ، قـال : سمعت علي بن هزارمد يقول : سمعت ابن محبوب تلميذ ابي الأبـّان يقول : سمعت أبا الأبان يقول : ما رأيت خائفاً إلا رجلا واحداً ، كنت بالموقف فرأيت شاباً مطرقاً منذ وقف الناس الى ان سقط القرص ، فقلت : يا هـذا ابسط يديك للدعاء ، فقـال لي : ثمّ

وحشة ؟ فقلت له : فهذا يوم العفو من الذنوب ، قال : فبسط يـده ، ففي بسطه يديه وقع ميّتاً .

ومن باب المجاهدة :

ما رويناه من حديث المالكي ، عن الرياشيّ قال : رأيت احمد بن المعدل في الموقف ، في يوم شديد الحرّ ، وقد ضحى للشمس ، فقلت : يا أبا الفضل لو أخذت بالتوسعة ، فأنشد يقول :

ضحيت له كي أستظلّ بظلّـه اذا الظل أمسى في القيامة قالصا
فوا أسفاً ان كان سعيك باطلا ويا حسرتا ان كان حظك ناقصا

ومن باب من دعا ربه في حياة قلبه :

ما رويناه من حديث ابن باكويه ، عن احمـد بن عطاء ، عن الحسن بن احمد ، قال : قال المأمون ، قال ابراهيم بن أدهم : قال لي ابو عباد الرملي : حضرت عرفات ، فوقفت أدعو فاذا انا بفتىً قد أقبل فقال : أقوام يصلون الى هـذا الموضع يكون فيهم من الفضل ما يسألون الله عزّ وجلّ الحوائج ، إلا جعلوا حوائجهم في حياة قلوبهم ؟ ثم قال لي : انت ابو عباد الذي تركت الشهوات منذ ثلاثين سنة ، فعند تركك أفدت فائـدة ، فبكيت ، وقلت : ما أرى ، فقـال : هيهات أبى الله ان يجعل ذخائره لمن الدنيا والآخرة في قلبه .

أنشدنا علي بن عمرو الكاتب بقرطبة قال : أنشدني ابو القاسم بن بشكوال المحدّث لأبي وهب عبد الرحمن بن الفاضل ، وقبره بقرطبة مثل قبر معروفٍ ببغداد ، في إجابة الدعاء عنده :

برئتُ من المنازل والقبابِ فلم يعسر على احد حجابي
فمنزلي الفضاء وسقف بيتي سماء الله او قطع السحاب
فأنت اذا أردت دخلت بيتي عليّ مسلّماً من غير باب
لأني لم أجد مصراع بابٍ يكون من السماء الى التراب
ولا انشق الثرى عن عود نحتٍ أؤمل ان أشد به ثيابي
ولا خفت الاباق على عبيدي ولا خفت الرهاص على دوابي
ولا حاسبت يوماً قهرماناً فأخشى ان أغلّب في الحساب
ففي ذارحة وبلاغ عيشٍ فدأب الدهر ذا أبداً ودأبي

حدثنا عبد الرحمن بن علي ، نبأ ابو غالب محمد بن الحسين الماوردتي ، انا ابو علي ، نبأ عبد الله بن محمد ، نبأ ابو اسحق الهجمي ، نبأ محمد بن زكريا الغلابي ، نبأ ابراهيم بن عمر قال : خرج ابو نواس في أيام العشر يريد شراء أضحية ، فلما صار في المربد اذا هو باعرابي قد أدخل شاة له يقدمها كبش فاره ، فقال : لأجرّبنّ هذا الاعرابي ، فأنظر ما عنده ، فإنه أظنه عاقلاً ، فقال ابو نواس :

أيا صاحب الشاة الذي قد يسوقها بكم ذاكم الكبش الذي قد تقدّما

فقال الاعرابي :

أبيعكه ان كنت ممن تريده ولم تك مزّاحاً بعشرين درهما

فقال ابو نواس :

أجدتَ رعاك الله ردّ جوابنا فاحسن الينا ان أردت التكرّما

فقال الاعرابي :

أحطّ من العشرين خمساً فإنني أراك ظريفاً فاقتضيه مسلّما

قال : فدفع اليه خمسة عشر درهماً ، وأخذ كبشاً يساوي ثلاثين درهماً .

حدّثنا محمد بن محمد بن محمد ، نبأ ابو القاسم الحريري ، انا ابو بكر محمد بن علي المقري ، انا ابن دوست العلّاف ، نبأ صفوان ، عن عبد الله بن صفوان القرشي ، عن ابي الحسن الازدي ، قال : وجدت على قبر بشاطىء الفرات مكتوباً :

يا عجباً للارض ما تشبع ... وكل حيٍّ فوقها يهجعُ
ابتلعت عاداً فأفنتهم ... وبعد عادٍ هلكت تبّع
وقوم نوح أدخلت بطنها ... فظهرها من جمعهم بلقع
يا أيها الراجي لما قد مضى ... هل لك فيما قد مضى مطمع

وحدّثنا يوسف بن مالك ، نبأ ابن جهور ، نبأ ابو القاسم الحريري عن محمد بن علي بن دوست ، عن ابن صفوان ، عن محمد بن الحسين ، عن ابي عمر العمري ، عن عبد الله بن صدقة بن مرداس البكري ، عن ابيه قال : نظرت الى ثلاث قبور على شرفٍ من الارض ، فإذا على احدهم مكتوب بنقش عجيب الصنع :

وكيف يلذ العيش من هو عالم ... بأن إله العرش لا بدّ سائله
فيأخذ منه ظلمة لعباده ... ويجزيه بالخير الذي هو فاعله

وعلى الثاني مكتوب :

وكيف يلذّ العيش من كان موقناً ... بأن المنايا بغتة ستؤاجله
فتسلبه ملكاً عظيماً ونخوة ... وتسلبه البيت الذي هو آهله

وعلى الثالث مكتوب :

وكيف يلذّ العيش من كان صائراً الى حدثٍ تبلى الشباب مناهلهْ
ويذهب رسم الوجه من بعد صونه ويبلى سريعاً جسمه ومفاصلهْ

خبر النجباء :

كان على عهد رسول الله ﷺ اثنا عشر نجيباً زادت هذه الامة في النجباء على سائر الامم بخمسة نجباء ، فانه لكل نبي سبعة نجباء إلا نبينا ﷺ ، فإنه كان له اثنا عشر نجيباً وهم :

علي بن ابي طالب ، والزبير بن العوام ، وأبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وجعفر بن ابي طالب ، ومصعب بن عمير ، وبلال ، وعمّار بن ياسر ، والمقداد ، وعثمان بن مظعون ، وشك سفيان بن عيينة في عبد الله بن مسعود .

روينا أسماءهم من حديث الدينوري ، عن محمد بن عيسى المدائني ، عن سفيان بن عيينة ، عن كثير ، عن اسماعيل ، عن ابي ادريس ، عن المسيّب ، عن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم .

وروينا عدتهم بهذا الاسناد عن النبي ﷺ .

وأما نقباء هذه الامة :

فروينا من حديث ابن مرو ، عن محمد بن عيسى ، عن سفيان بن عيينة ، عن معمر ، قال : النقباء كلهم من الأنصار ، والحواريون كلهم من قريش ، فأما النقباء :

فسعد بن خيثمة من بني عمر، وبن عوف، وسعد بن الربيع من بني النجار، وسعد بن عبادة من بني عبد الاشهل ، وعبد الله بن رواحـة ، وأبو الهيثم بن التيهان ، والبرّاء بن معرور ، ورافع بن مالك الزرقي ، وعبد الله بن عمرو بن حزام ، وهو أبو جابر ، وعبادة بن الصامت من بني سلمة ، والمنذر بن عمرو من بني ساعدة . وقد ذكرنا عدد الحواريين في اول الكتاب ، وكذلك ذكرنا النقباء والنجباء .

ومن باب من جُوزي هنا بخير عمله :

ما روينا من حديث المالكي ، عن جعفر بن محمد ، وأفادنا علاّن منعماً ، حدثنا يزيد بن الحكيم ، عن الحكم بن ابّان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : أتى سائل امرأة وفي فمها لقمة فلفظتها فناولتها السائل، فلم تلبث ان رزقت غلاماً ، فلما ترعرع جاء ذئب فاحتمله، فخرجت تعدو في أثر الذئب وهي تقول : ابني ابني ، فأمر الله ملكاً أن إلحق الذئب وخـــذ الصبي من فيه ، وقل لأمه : ان الله يقرئك السلام ، وقل هذه لقمة بلقمة .

ومن باب المواعظ على مجالس الذكر والصبر على الحق :

ما روينا من حديث ابي الدنيا ، عن محمــد بن الحسين ، عن ابي يعقوب الضرير ، قال : حدثني عمار بن الراهب ، قـال : رأيت سكينة الطفاوية في منامي فقلت : مرحباً يا مسكينة ، فقالت : هيهات يا عمار هيهات ، ذهبت المسكنة ، وجاء الغنى الاكبر ، قلت : هيه ، قالت : مـا تسأل عمن أبيح لها الجنة بحذافيرها تظلّ فيها حيث تشاء ، قال : قلت وبمَ ذلك ؟ قالت : بمجالس الذكر والصبر على الحق ، قال عمار : وكانت تحضر معنا مجلس عيسى

ابن زاذان بالأيلة تنحدر من البصرة حتى تأتيه قاصدة . قال عمـار : قلت يا مسكينة فما فعل عيسى بن زاذان؟ قال: فضحكت وقالت: قد كسي حلة البهاء ، وطافت عليه بأباريق حوله الخدام، ثم حلى. وقيل: يا قارىء ارقأ ، فلعمري لقد براك الصيام ، انتهى .

ذكر اسلام الجارود وما جرى له من ذكر قس في مجلس النبي ﷺ :

روينا من حديث السلمي وهو ابو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمـد بن موسى ، قال : نبـأ ابو العباس الوليد بن سعيد بن حاتم بن عيسى الفسطاطي بمكة ، قال : انا محمـد بن عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد ، أنا ابي عيسى بن محمد بن سعد (١) القرشي ، عن علي بن سليمان بن علي ، عن علي بن عبد الله بن العباس ، عن عبد الله بن العباس ، قال : قدم الجارود بن عبدالله وكان سيداً في قومه ، مطاعاً عظيماً في عشيرته ، مطاع الأمر ، رفيع القـدر ، ظاهر الأدب ، بارع الفضل ، شامخ الحسب ، بديع الجمال ، كثير الخطر ، حسن الفعال ، ذا مال ومنعة ، في وفد عبد القيس من ذوي الاخطار ، والأقدار ، والفضل ، والاحسان ، والفصاحة ، والبرهـــان ، وكل رجل منهم كالنخلة السحوق ، على ناقة كالفحل العتيق ، وقد جنبوا الجياد ، وأعدوا للجلاد ، جادين في سيرهم ، حازمين في امرهم، يسيرون دميلا ، ويقطعون ميلا فميلا ، حتى أناخوا عند مسجد رسول الله ﷺ، فأقبل الجارود على قومه، والمشيخة من بني عمه ، فقال : يا قوم هذا محمد الأغر الأعز، سيد العرب ، وخير سلالة عبد المطلب ، فإذا دخلتم عليه ، ووقفتم بين يديه ، فاحسنوا اليـه السلام ،

(١) كذا في النسخ فتأمل .

وأقلّوا عنـده الكلام . فقالوا : أيهـا الملك الهمام ، والأسد الضرغام ، لن نتكلم اذا حضرت ، ولن نجاوز اذا امرت ، فقل مـا شئت فإنا سامعون ، واعمل ما شئت فإنا تابعون ، وأمر بما تراه فإنا طائعون .

فنهض الجارود في كل كميّ صنديد ، قد دوّموا العمائم، وتردّوا بالصمائم، يجرّون أسيافهم ، ويسحبون أذيالهم ، يتناشدون الأشعار ، ويتذاكرون مناقب الأخيار، لا يتكلمون طويلاً، ولا يسكتون عيّاً، إن أمرهم ائتمروا، وإن زجرهم ازدجروا ، كأنهم أسد غيل، يقدمها ذو لبوة مهول ، حتى مثلوا بين يدي رسول الله ﷺ . فلما دخل القوم المسجد ، وأبصرهم أهل المشهد ، لفّ الجارود امـــام النبي ﷺ ، وحسر لثامه ، وحسن سلامــه ، ثم أنشأ يقول :

يا نبيّ الهدى أتتك رجالٌ	قطعت فدفداً وآلاً فآلا
وطوت نحوك الضحاضح طُراً	لا تخال الكلال فيك كلالا
كل دهماء يقصر الطرف عنهـا	أرقلتهـا قلاصنا إرقـــالا
وطوتها الجيا تجمّحُ فيهـــا	بكـماة كأنجم تتـلالا
تبتغي دفع يوم بؤس عبوسٍ	أوجل القلب ذكره ثم هالا

فلما سمع رسول الله ﷺ ما سمع منه فرح فرحاً شديداً ، وقرّبه وأدناه، ورفع مجلسه وحيّاه ، وأكرمه وحباه ، وقـال : يا جارود لقـد تأخر بك وبقومك الموعد ، وطال بكم الأمد . قال : والله يا رسول الله لقد أخطأ من أخطأك قصده ، وعدم رشده ، وتلك وايم الله اكبر خيبة ، وأعظم جوبة ، والرائد لا يكذب اهله، ولا يغش نفسه، لقد جئت بالحق، ونطقت بالصدق، والذي بعثك بالحق نبيـاً ، واختارك للمؤمنين ولياً ، لقد وجدت وصفك في

الانجيل ، ولقـــد بشّر بك ابن البتول ، وطول التحية لك ، والشكر لمن إكرمك وأرسلك، ولا أثر بعد عين، ولا شك بعد يقين ، مدّ يدك فإنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله .

قـال : فآمن الجارود ، وآمن من قومه كل سيد ، وسرّ بهم النبي ﷺ سروراً ، وابتهج حبوراً ، وقـال : يا جارود هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قساً ؟ قال : كلنا نعرفه يا رسول الله وأنا من بين قومي كنت أقفوا أثره ، وأطلب خـبره ، كان قساً سبطاً من اسباط العرب ، صحيح النسب ، فصيحـاً اذا خطب ، ذا شيبة حسنة ، عمره سبعمائة سنة ، يتقفر القفار ، ولا تكنّـه دار ، ولا يقرّه قرار ، يتحسى في تقفره بيض النعام ، ويأنس بالوحوش والهوام ، يلبس المسوح ، ويتبع السياح على منهاج المسيح ، لا يقرّ من الوجدانية ، مقراً لله بالوحدانيـــة ، تضرب بحكمته الأمثال ، وتكشف به الأهوال ، وتتبعه الابدال ، أدرك رأس الحواريين سمعان ، فهو اول من تأله من العرب، وأعبد من تعبد في الحقب، وأيقن بالبعث والحساب، وحذر سوء المنقلب والمآب، ووعظ بذكر الموت، وأمر بالعمل قبل الفوت، الحسن الألفاظ، الخاطب بسوق عكاظ، العالم بشرق وغرب، ويابس ورطب، وأجاج وعذب ، كأني انظر اليه ، والعرب بين يديه ، يقسم بالرب الذي هو له ، ليبلغن الكتاب أجله ، وليوفين كل عامل عمله .

وأنشأ يقول :

هاج بالقلب من هواده ادكار وليـــال خلالهنّ نهـــارُ
ونجوم يحثهـــا قمر الليـ ـل وشمس في كل يوم تدار
ضوءها يطمس العيون وإرعا دٌ شديدٌ في الخافقين مطار

وغـلام وأشمط ورضيـعٌ ... كلهم في التراب يومـاً يزار
وقصور مشيدة حوت الخيـ ... ـر وأخرى خلت فهنّ قفار
وكثير ممـــا يقصّر عنه ... حوشة الناظر الذي لا يحار
والذي قد ذكرتُ دل على اللـ ... ـه نفوس لها هدىً واعتبار

فقال النبي ﷺ : على رسلك على جارود، فلستُ أنساه بسوق عكاظ على جمل له أورق ، وهو يتكلم بكلام مونق ، مـا أظن أني احفظه ، فهل فيكم من يحفظ لنا منه شيئاً يا معاشر المهاجرين والأنصار؟ فوثب ابو بكر رضي الله عنه قائمـاً وقال : يا رسول الله اني احفظه وكنت حاضراً ذلك اليوم بسوق عكاظ حين خطب فأطنب ، ورغـّب ورهـّب ، وحذّر وأنذر ، وقـال في خطبته : أيها الناس اسمعوا وعوا ، واذا وعيتم شيئاً فانتفعوا ، إنه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، مطر ونبـــات ، وأرزاق وأقوات ، وآباء وأمهات ، وأحياء وأموات ، جمع وأشتات ، وآيات بعـد آيات ، إن في السماء لخبرا ، وإن في الأرض لعبرا ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، وأرض ذات افجاج، وبحار ذات أمواج ، ما لي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تُركوا هنـاك فناموا ؟ أقسم قس قسماً ، حقاً لا حانثاً فيه ولا آثماً ، إن لله ديناً هو أحب اليه من دينكم الذي أنتم عليه ، ونبياً قد حان حينه ، وأظلكم أوانه ، وأدرككم إبانه ، فطوبى لمن أدركه فآمن به وهداه ، وويل لمن خالفه وعصاه .

ثم قال : تباً لأرباب الغفلة ، والأمم الخالية ، والقرون الماضية .

يا معشر اياد ، أين الآباء والأجداد، وأين المريض والعواد؟ وأين الفراعنة الشداد ؟ أين من بنى وشيّد ؟ وزخرف ونجد ، أين المال والولد، أين من بغى

وطغى وجمع فأوعى؟ وقال : انا ربكم الأعلى . ألم يكونوا اكثر منكم اموالاً ؟ وأطول منكم آجالاً ، طحنهم الثرى بكلكله، ومزّقهم بطوله، فتلك عظامهم بالية ، وبيوتهم خالية [1] ، عمرتها الذئاب العاوية ، كلا ، بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود .

ثم أنشأ يقول :

في الذاهبين الأولين	من القرون لنا بصائرْ
لما رأيت مواردا	للموت ليس لها مصادر
ورأيتُ قومي نحوها	يمضي الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي إليّ	ولا من الباقين عابر
أيقنت إني لا محا	لة حيث صار القوم صائر

قال : ثم جلس وقام رجل من الانصار بعده كأنه قطعة جبل، ذو هامة عظيمة ، وقامة جسيمة ، قد دوّم عمامته ، وأرخى ذؤابته ، منيف أنوف، أشدق ، أجش الصوت ، فقال : يا سيد المرسلين وصفوة رب العالمين لقد رأيت من قس عجيباً ، وشهدت منه أمراً غريباً . فقال : ما الذي رأيته وحفظته عنه ؟ فقال : خرجت في الجاهلية اطلب بعيراً إليّ شرد مني ، أقفوا أثره ، وأطلب خبره في تنائف حفاف ذات دعادع وزعازع ، ليس لها للركب مقيل ، ولا لغير الجن عليها سبيل ، واذا أنا بموئل مهول في طود عظيم ، ليس فيه إلا البوم ، وأدركني الليل فولجته مذعوراً ، لا آمن فيه حتفي ، ولا اركن الى غير سيفي ، فبتّ بليل طويل كأنه بليل موصول ،

(١) نسخه : خاوية .

أرقب الكواكب ، وأرمق الغيهب ، حتى اذا الليل عسعس ، وكاد الصبح ان يتنفس ، هتف بي هاتف يقول :

يا أيها الراقدُ في الليل الأجم   قد بعثَ الله نبياً في الحرمْ
من هاشم أهل الوفاء والكرم   يجلو دُجُنّات الليالي والبهمْ

قـــال : فأدرت طرفي فمـــا رأيت له شخصاً ، ولا سمعت له فحصاً . فأنشأت اقول :

يا أيها الهاتف في داجي الظلم   أهلاً وسهلاً بك من طيفٍ ألمُ
بيّن هداك الله في اللحن الكلم   ما ذا الذي تدعو اليه يغتنمْ

قـــال : فإذا أنا بنحنحة ، وقائل يقول : ظهر النور ، وبطل الزور ، بعث الله محمداً ﷺ بالحبور ، صاحب النجيب الاحمر ، والتـــاج والمغفر ، والوجه الأزهر ، والحاجب الأقمر ، والطرف الأحور ، صاحب قول شهادة أن لا إله إلا الله، فذاك محمد المبعوث الى الاسود والابيض، أهل المدر والوبر، ثم أنشأ يقول :

الحمـــد لله الذي   لم يخلق الخلق عبثْ
لم يجعلنا سدىً   من بعد عيسى واكترث
أرسل فينـــا أحمداً   خير نبي قـــد بعث
صلى عليه الله مـــا   حجّ له ركبٌ وحث

قال : فذهلتُ عن البعير ، واكتنفني السرور ، ولاح لي الصباح، واتسع الأوضاح فتركت الغور وأخذت الجبل فـإذا أنا بالفنيق [1] يشقشق النوق ،

---

(١) الفنيق الفحل المكرم .

فملكتُ خطامه ، وعلوتُ سنامه ، فمرح طاعة ، وهزهزته ساعة ، حتى اذا لعب ، وذل منه ما صعب ، وحميت الوسادة ، وبردت المزادة ، فـإذا الزاد قـــد هش له الفؤاد ، وبركته فبرك في روضة خضراء نضرة عطراء ، ذات حوادر وقربان ، وعبقران ، وعبيثران ، وحـلى ، وأقاحي جثجاث نوار ، وشقائق وبهار ، كأنما قـــد بات الجو بها مطيرا ، وباكرها المزن بكورا ، فخلالها شجر ، وقرارها نهر ، فجعل يرتع ابّا ، وأصيد ضبّا ، حـــتى إذا أكلتُ وأكل، ونهلتُ ونهل، وعللتُ وعل ، حللتُ عقاله ، وعلوت حلاله ، وأوسعتُ مجاله ، فاغتنم الحملة ، ومرّ كالنبلة ، يسبق الريح ، ويقطع عرض الفيح ، حتى أشرف بي على واد ، وشجر عاد مورقة ومونقة ، قـــد تهدل اغصانها كأنما بريدها حب الفلفل ، فدنوت فـإذا أنا بقسّ بن ساعدة في ظل شجرة ، في يده قضيبٌ من اراك ينكثُ به الارض ، وهو يترنم ويقول :

يا ناعي الموتِ والملحود في جدثٍ عليهم من بقـــايا برّهم خرق
دعم فإنّ لهم يوماً يصاح بهم فهم إذا نبّهوا من نومهم حرق
حتى يعودوا لحالٍ غير حالهم خلقاً جديداً كما من قبله خلقوا
منهم عراةٌ ومنهم في ثيابهم منها الجديد ومنها المنهج الخلق

قال : فدنوت منـــه وسلمت عليه ، فردّ عليّ السلام ، وإذا بعين حزارة في ارض خوّارة ، ومسجد بين قبرين ، وأسدين عظيمين يلوذان بــــه ، ويتمسحان بأثوابه ، وإذا احدهم يسبق صاحبه الى الماء فتبعه الآخر، وطلب الماء ، فضربه بالقضيب الذي بيده وقال : ارجع ثكلتك امك حتى يشرب الذي ورد قبلك ، فرجع ، ثم ورد بعده فقلت له : مـــا هذان القبران ؟ فقال : هذان قبرا اخوين لي ، كانا يعبدان الله معي في هـــذا المكان ، لا

يشركان بالله شيئاً ، فأدركهما الموت ، فقبرتهما ، وها انا بين قبريهما حتى ألحق بهما . ثم نظر اليهما فتغرغرت عيناه بالدموع ، فأنكبَّ عليهما وجعل يقول :

خليلي هبّا طالما قد رقدتما — اجدّكما لا تقضيان كراكما
ألم ترَيا اني بسمعان مُفردٌ — وما لي فيه من خليل سواكما
مقيم على قبريكما لستُ بارحاً — طوال الليالي أو يجيب صداكما
أأبكيكما طول الحياة وما الذي — يردّ على ذي عولة ان بكاكما
كأنكما والموت أقرب غائبٍ — بروحي في قبريكما قد اتاكما
فلو جعلت نفسٌ لنفس وقاية — لجدتُ بنفسي أن تكون فداكما

قال رسول الله ﷺ: يرحم الله قسّاً، اني لأرجو أن يبعثه الله امةً وحده.

وأنشدوا في الموت :

ذهب الأحبة بعد طول تودّد — ونأى المزارُ فأسلموك وأقلعوا
خذلوك أفقر ما تكون بغُربةٍ — لم يؤنسوك وكربة لم يدفعوا
قضى القضاء وصرت صاحب حفرة — عنك الأحبّة اعرضوا وتصدعوا

وأنشدوا :

يا أيها الواقف بالقبور — بين اناسٍ غيبٍ حضورِ
قد سكنوا في خرب معمور — بين الثرى وجندل الصخور
لا تكُ عن خطبك في غرور

وأنشدوا :

صرت بعد النعيم في — منزل البعد والقلا
وجفاني أحبتي — حين غيّبت في الثرى
أخلق الموت جدّتي — ومحا حسني البلا

ومن ذلك :

سلب الموت بهجتي وشبابي وجفاني في غربتي أحبابي
بعدملكوظلعيشٍعجيبٍ صرتُ رهناً لجندل وتراب

حدثنا محمد بن محمد بن محمد ، ثنا الحريري ، ثنا ابو بكر الخياط ، ثنا ابن دوست ، ثنا ابن صفوان ، ثنا ابو بكر القرشي، عن ابي جعفر القرشي قال: خرج رجل الى مقابر البصرة . فرأى قبراً قد نقش عليه شعر :

يا غافل القلب عن ذكر المنيّات عما قليل ستثوى بين أمواتِ
فاذكر محلك من قبل الحلول به وتب الى الله عن لهو ولذات
إن الحمام له وقتٌ الى أجلٍ فاذكر مصائب ايامٍ وساعات
لا تطمئنّ الى الدنيا وزينتها قد حانللموت يا ذا اللبّ أنيأتي

حدثنا ابو الحسن علي بن سعيد بن عبد الله اللخمي القربـاني ، حدثني ابو الطاهر بن محمد بن احمد ، ثنا ابو نصر بن علي ، حدثني ابن النحاس ، عن ابن وسيم ، عن ابراهيم بن عرفـة ، عن العباس بن محمد ، عن عثمان بن عمر ، عن شعبة ، عن ابن جبير ، عن ابن عباس ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم ، وإن لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ، إن المؤمن بين مخافتين : بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانعٌ فيه ، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت ، فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا دار ألّا الجنة أو النار.

أخبرنا عبد الرحمن بن علي كتابة ، نبأ ابراهيم بن دينار ، انا اسماعيل بن

محمد ، عن عبـد العزيز بن احمد ، ثنا ابن حبان ، نبأ ابو سعيد الثقفي ، عن ذي النون المصري ، قال : كنت في الطواف اذ طلع نورٌ لحق بعنان السماء ، فتعجبت وأتممت طوافي ، ووقفت أتفكر في ذلـك النور ، فسمعت صوتاً حزيناً ، فنظرت فاذا انا بجارية متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول :

أنت تدري يا حبيبي　　يا حبيبي انت تدري
ونحول الجسم والدمع يبوحان بسرّي
يا حبيبي قـد كتمت الحب حتى ضاق صدري

قال ذو النون : فشجاني ما سمعت، ثم انتحبت وبكت وقالت : يا إلهي وسيدي ومولاي بحبك لي إلا ما غفرت لي . قال : فتعاظمني ذلك ، فقلت: يا جارية أما يكفيك ان تقولي بحبي لك حتى تقولي بحبك لي ؟ فقالت : اليك عني يا ذا النون، أما علمت ان الله عزّ وجلّ قوماً يحبهم ويحبونه ؟ أما سمعت الله يقول : « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » فسبقت محبته لهم قبـل محبتهم له . فقلت : من أين علمت اني ذو النون ؟ فقالت : يا بطـّال جالت القلوب في ميدان الأسرار ، فعرفتك بمعرفة الجبّار . ثم قالت لي : انظر الى من خلفك فأدرت وجهي ، فلا أدري السماء اقتلعتها ام الارض ابتلعتها .

روينا من حديث ابن باكويه ، عن عبد العزيز بن الفضل ، عن عبد الجبار ابن عبد الصمد ، عن الحسين بن احمد بن هارون ، عن محمد بن عبد الله ، عن ابي شعيب قـــال : سألت ابراهيم بن أدهم الصحبة الى مكة فقال لي : على شريطة على ان لا ينظر إلا لله وبالله ، فشرطت له ذلك على نفسي . فخرجت معه ، فبينا نحن في الطواف اذا بغلام قد افتتن الناس بحسنه وجماله ، وجعل ابراهيم يديم النظر اليه ، فلما طال ذلك قلت : يا أبا اسحاق أليس شرطت

على ان لا ننظر إلا لله وبالله ؟ قال : بلى ، قلت : فاني أراك تديم النظر الى هذا الغلام ، فقال : هذا ابني وولدي ، وهؤلاء غلماني وخدمي الذين معه ، ولكن انطلق وسلّم عليه مني ، وعانقه عني ، فمضيت اليه وسلمت عليه ، فجاء الى والده فسلم عليه ، ثم صرفه مع الخدم ، وقال : ارجع وانظر ايش يراد بك ؟ وأنشأ يقول :

هجرتُ الخلق طراً في رضاكا وأيتمت البنين لكي أراكا
فلو قطّعتني في الحب ارباً لما حنّ الفؤاد الى سواكا

حدثنا يونس ، عن ابي منصور ، عن ابي الحسين بن يوسف قال :

قال لنا ابو الحسن بن صخر : تعلق رجل بالستر وقال :

ستور بيتك ذيل الامن منك وقد علّقتها مستجيراً ايها الباري
وما أظنك لما ان عممت بها خوفاً من النار تدنيني من النار
وها انا جار بيتٍ انت قلت لنا حجّوا اليه وقد أوصيت بالجار

وأنشدنا سليمان بن خليل بمكة لأبي الفرج بن علي بن محمد بن الجوزي الامام العالم :

تملكوا واحتكموا وصار قلبي لهمُ
تصرّفوا في ملكهم فلا يقال ظلموا
ان وصلوا محبّهم أو قطعوا فهم هم
صبراً لما شاؤوا وان ساء الذي قد حكموا
قد أودعوا سرّ فؤادي حبهم واستكتموا
يا ارض سبعٍ خبّري وحدّثيني عنهم

يا ليت شعري اذ غدوا   أأنجدوا أم اتهموا
تبكيهم ارض منىً   وتشتكيهم زمزم
ما ضرّهم حين سروا   لو وقفوا وسلموا
يشوقني واديهم   وضالهم والسلم

وأنشدنا ايضاً في هذا الباب :

يا صاحبي ان كنت لي او معي   فعد الى أرض الحمى ترتَعِ
وسل عن الوادي وأربابـــهِ   وانشد فؤادي في ربى الجمعِ
حيّ كثيب الرمل رمل الحمى   وقـف وسلّم لي على لعلعِ
واسمع حديثاً قد روته الصَّبا   سندُه عن بانـــة الأجرَعِ
وابك بمـا في العين من فضلة   ونـُبْ فدتك النفسُ عن مدمعي
وانزل على الشيحِ بواديهمُ   واشمُمْ نبـاتَ البلدِ البَلقع
عند منىً كنتُ وكان النوى   فصُمّ إلا عنهـمُ مسمعي
لهفي على طيب ليالٍ خلت   عودي تعودي مدنفاً قد نُعي
اذا تذكرتُ زمانـــاً مضى   فويحَ اجفـاني من أدمعي

وأنشدنا لأبي القاسم المطرزي :

صحا كل عذريّ الغرام عن الهوى   وأنت على حكم الصبابة نازلْ
نزلنا على التوديع من دارة الحمى   فضنت علينا بالسلام المنـازل

وقال المبرّد : أحسن ما سمعت في حفظ اللسان والسرّ ، مـا بلغني عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه :

ولا تُفشِ سرك إلا اليك   فإن لكل نصيحٍ نصيحا
فإني رأيتُ وشاة الرجا   ل لا يتركون اديماً صحيحا

ولبعضهم في هذا الباب من قصيدة :

فلا تُودِ عن الدهر سرّك احمقاً فإنك ان أودعته منه أحمقُ
وحسبك في سر الأحاديث واعظاً من القول ما قال الأديب الموفق
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السرّ أضيق

روينا من حديث الهاشمي ، عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ألا أن الدنيا قد ارتحلت مدبرة ، والآخرة قد تحمّلت مقبلة ، ألا وأنكم لفي يوم عمل ليس فيه حساب ، ويوشك ان تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل ، وأن الله يعطي الدنيا من يحب ويبغض ، ولا يعطي الآخرة إلا من يحب ، وأن للدنيا ابناء ، وللآخرة ابناء ، فكونوا من ابناء الآخرة ، ولا تكونوا من ابناء الدنيا ، إن شرّ ما اتخوف عليكم اتباع الهوى ، وطول الأمل ؛ فاتباع الهوى يصرف بقلوبكم عن الحق ، وطول الامل يصرف همتكم الى الدنيا ، وما بعدهما لأحدٍ من دنيا ولا آخرة .

ومن حديث انس بن مالك قال :

قال رسول الله ﷺ : ما من بيت إلا وملك الموت يقف على بابه كل يوم خمس مرات ، فإذا وجد الانسان قد نفد اجله القى عليه غمرات الموت ، فغشيته كرباته ، وغمرته غمراته ، فمن اهل بيته الناشرة شعرها ، والضاربة وجهها ، والباكية بشجوها ، والصارخة بويلها ؛ فيقول ملك الموت عليه السلام : ويلكم ممن الفزع ؟ وفيمَ الجزع ؟ ما أذهبت لواحد منكم رزقاً ، ولا قرّبتُ له أجلا ، ولا أتيته حتى أُمرت ، ولا قبضت روحه حتى استأمرت ، وإن لي فيكم عودةً ثم عودة حتى لا أبقي منكم احداً .

قـــال النبي ﷺ : فوالذي نفس محمد بيده لو يرون مكانه ، ويسمعون كلامه ، لذهلوا عن ميّتهم ، ولبكوا على انفسهم ، حتى اذا حُمل الميت على نعشه رفرفت روحه فوق النعش وهو ينادي : يا اهلي ويا ولدي لا تلعبنّ بكم الدنيا كما لعبت بي، جمعت المال من حلـّه ومن غير حلـّه، ثم خلـّفته لغيري، فالمهناة له ، والتبعة عليّ ، فاحذوا مثل ما حل بي .

ومن باب الكرم الالهي ما روي عن موسى عليه السلام :

حدثنا محمد بن قاسم ، نبأ عمر بن عبد المجيد قال : بلغنا ان موسى عليه السلام سجد في بعض تقرّبه وقال : يا رب ، فقال له ربه سبحانه وتعالى : لبيك يا موسى، فلما سمع موسى عليه السلام تلبية الحق له ، سجد ثانية وقال في سجوده : سبحانك سبحانك انتَ انت، ومَنْ عبدك حتى تجيبه بالتلبية؟ فقـال له ربه سبحانه وتعـالى : يا موسى اني آليت على نفسي ان لا يدعوني عبدي بالربوبية إلا أجبته بالتلبية ، فقال موسى : يا رب هذا جعلته للطائعين من عبادك دون المذنبين ؟ فقـــال له سبحانه : يا موسى اذا أجبت المحسن لأجل إحسانه ، ولم أجب المسيء لأجل عصيانه ، فمنعته من فضلي ونعمتي ، فأين عطفي وكرمي ؟

ومن جيد الشعر في الجود والشجاعة :

ومن عجَب انّ السيوف لديكمُ ... تحيضُ دماءً والسيوف ذكورُ
وأعجبُ من ذا انها في أكفـّكمْ ... تأجّج ناراً والأكـُفّ بحورُ

حدّث ابو ذرّ واحمد بن يحيى ، والسياق لأبي ذرّ أن ابن يحيى النـديم قـــال : دعاني امير المؤمنين المتوكل على الله ذات يوم وهو في بعض راحاته

فقال : يا ابن يحيى انشدني قول عمارة في اهل بغداد ، فأنشدته :

من يشتري مني ملوك مخرّم أبع حسَناً وابني هشامٍ بدرهم
وأعطي رجالاً بعد ذاك زيادة وأمنح دينـاراً بغير تندّم
فإن طلبوا مني الزيادة زدتهم أبـا دلف والمستطيل بن اكثم

فقـال المتوكل : ويلي على ابن النوال على عقبيه يهجو شقيق دولة ولد العباس .

ثم قال لي: يا ابن يحيى هل عندك من المديح في ابي دلف القاسم بن عيسى شيء ؟ قلت : نعم يا امير المؤمنين قول الاعرابي الذي يقول فيه :

أبا دلف إن السماحة لم تزل مغلـّلة تشكو الى الله غلها
فبشّرها ربي بميلاد قـــاسمٍ فأرسل جبريلاً اليها فحلـّها

ومن هذا الباب قول القائل :

حرٌّ اذا جئته يوماً لتسأله أعطاك ما ملكت كفاه واعتذرا
يخفي صنائعه والله يُظهرهـا ان الجميل اذا اخفيته ظهرا

وقال الآخر :

فتىً عاهد الرحمن في بذل ماله فلستَ تراه الدهر إلا على العهد
فتىً قصرتْ آمـاله عن فعاله وليس على الحر الكريم سوى الجهد

هذا المديح أقرب للديانة من الكرم ، فإن عطاؤه انما هو من أجل الوفاء بعده من الله حتى لا يكون من الذين ينقضون عهــد الله ، والكريم سجيته

الكرم ، فلا يحتاج الى القسم عليه إلا لعلة لنفسه ، فما وفّى هذا الشاعر مدح هذا في الكرم ما تصوّر له في خاطره، فهذا اللفظ دون ما في القصد .

وقال الآخر في هذا الباب :

أرى نفسي تتوقُ الى امورٍ يقصّر دون مبلغهنّ مالي
فنفسي لا تطاوعني لبخلٍ ومالي لا يبلّغني فعالي

وقال آخر :

اذا ما أتاه السائلون توقّدت عليه مصابيحُ الطلاقة والبشْرِ
له في ذرى[1] المعروف نعمى كأنها مواقع ماء المزن في البلد القفرِ

ينظر الى البيت الاول قول زهير :

تراه اذا ما جئته متهللا كمثل الذي يعطي الذي أنت سائلهْ

فإن مدحه بالفرح بما يعطي نقصٌ به اذا جاء مطلقاً فلو قيّده من أجل ما يجد ما يعطي لكان أشعر :

ومن جيّد الشعر ما قال القائل :

لئن ساءني ان نلتني بمساءةٍ لقد سرّني اني خطرت ببالكِ

لأن الاول قد أقرّ بأنه إساءة ثم اعتذر .

---

(١) نسخه ذوى .

ومن حسن الشعر ما قال الآخر في باب الشكوى :

فالليـل ان وصلتْ كالليـل ان هجرت
أشكو من الطول ما اشكو من القِصَرِ

وأحسن منه ما قلنا :

شغلي بها وصلت بالليل أو هجرت   فما أبالي أطال الليل أم قصُرا

فإن الاول شغله بطول الليل وقصره من اجلها ، فهو فاقد لهـا في زمن الاشتغال بغيرها ، والثاني شغله بها ومن سواها تبـغ .

وأحسن منه ما قلنا :

ولقد هممت بقتلها من حبها   كيما تكون خصيمتي في المحشر

فإن الاول جعله مطلوباً قد نهب حقها ولا تخاصم ، والثـاني جعل الحق له ، وجعل المحبوب المطلوب ، فالخصومة لازمة .

حدثني عبد الله بن رحلون الساري قال :

علـّم بعض الشعراء من اصحابنا زرزوراً الكلام حتى نطق لسانه ، فعلـّمه الدعاء لخليفة الوقت ، وسوَراً من القرآن. ومن جملة ما علمه بيتان في الفصد ، وأحضر بين يدي الزرزور هيئة الفصد وحركاته حتى ارتسمت في خيـاله ، فصار الزرزور اذا رأى تلك الحـــالة أنشد البيتين ، ثم أعلم حاجب الامام بذلك ، ودفع اليه الزرزور . فلما علم الحاجب ان امير المؤمنين يفتصد استأذن في إدخال الزرزور عليه ، فأذن له ، فأحضر الزرزور في قفصه ، قـــال : النصر والتمكين لأمير المؤمنين. فلما جاء الفاصد ، ورأى الآلات قد حضرت ،

وأخرج امير المؤمنين يده للحجّام ، وأخـــذ المبضع ، وهمّ ان يفصده نطق الزرزور فقال :

ايهـــا الفاصد رفقاً بأمير المؤمنين
إنمــا تفصد عرْقاً فيه محْيا العالمين

فأعجب الخليفة به ، وأمر لصاحبه بألفي دينار ، وقال : لو زاد زدناه.

وحُكي ان ابن اللبانة كان وزيراً للمعتمد بن عبّاد ملك الاندلس ، فلمـــا قبض على المعتمد ، وتفرّق شمله ، مرّ ابن اللبانة على بعض أولاده بدكان صائغ وهو ينفخ في الفحم فبكى ، وتذكّر مــا كان فيه من الملك والنعمة ، فقبّل يديه ، وأنشده لنفسه :

صرفت في آلة الصيّاغ انملة لم تدرِ إلا الندى والسيف والقلما
للنفخ في الصور هول ما حكاه سوى هول رأيتك فيه تنفخ الفحما
يدٌ عهـــدتك للتقبيل تبسطها فتستقلّ الثرّيا ان تكون فما
وددتُ إذ نظرتْ عيني اليك به لو ان عينيَ تشكو بعد ذلك عمًا
ما حطّك الدهر لما حطّ من شرفٍ ولا تحيف من أخلاقك الكرما
لحْ في العــلا كوكباً إن لم تلحْ قمراً وقم بهــا ربوةً إن لم تقم علما
واصبر فربّما أحمـــدتَ عاقبــة من يلزم الصبرَ يحمد غبّ ما لزما
والله لو أنصفتك الشمس لانكسفت ولو وفى لك دمع العين لانسجما

فعمل في قلبه كلامه ، وثار بقلعة مراكش ، وأقام بها الى ان قُتل .

وذكر الفتح بن خاقان ان الراضي ولد المعتمـــد بن عبّاد سلطان الاندلس كان معتكفاً على درس العلوم والاشتغال بها ، فأراد منه ابوه المعتمد على الله

محمد بن عبّاد ان يقدّمه على جيش لمحاربة بادس بن حبوس بغرناطة ، فتمارض الراضي على ابيـــه ، وامتنع لشغفه بالعلم ، فخرج المعتمد بنفسه لمحاربته ، وتخلّف ابنه الراضي ، فاتفق ان هزمه العدو فعاد الى اشبيلية ، وهجر ابنه الراضي ؛ فكتب اليه ابنه الراضي يقول :

لا يكثرنك خطب الحادث الجاري ... فما عليك بذاك الخطب من عارِ
مـــاذا على ضيغم أمضى عزيمته ... إن خانه حدّ أنيـابٍ وأظفار
عليك للناس ان تبقى لهم سنداً ... ومـــا عليك لهم اسعاد اقدار
لو يعلم الناس حقاً ان تدوم لهم ... لم يتحفوك بشيء غير أعمـــار

فأجابه أبوه المعتمد على الله يهزأ به :

الملك في طيّ الدفاتر ... فيجلّ عن قود العساكر
طف بالسرير مسلّماً ... وارجع لتوديع المنـابر
وازحف الى جيش المعا ... رف تهزم الحبر المقامر
واطعن بأطراف اليرا ... ع نصرت في ثغر المحابر
واضرب بسكين الدوا ... ة مكان ماضي الحدّ باتر
أولستَ اسطاليس إذ ... ذكر الفلاسفة الأكابر
وكذاك إن ذكر الخليـ ... ـل فأنت نحويّ وشاعر
وابو حنيفـــة ساقط ... في الرأي حين تكون حاضر
مَن هرمسٌ مَن سيبويـ ... ـه مَن ابن فورك إذ تناظر
هذي المكارم قد حوَيْـ ... ـتَ فكن لمن جاراك شاكر
واقعـــد فإنك عاصمٌ ... كاس وقل هل من مفاخر
لحجبتُ وجه رضاي عنـ ... ـك وكنت قد تلقاه سافر

أولستَ تذكر وقت ور   قة حين قلبك ثم طائر
لا يستقرّ مكانـــه   وأبوه كالضرغام هـادر
هـــلّا اقتديتَ بفعله   وأطعته إذ ذاك آمر
قد كان أبصر بالعوا   قب والموارد والمصادر

فأجابه ابنه الراضي رحمهما الله :

مولاي قد اصبحت كافر   بجميع ما تحوي الدفاتر
وفللتُ سكّين الدوا   ة وظللت للاقلام كاسر
وعلمتُ ان الملك والـ   علياء في ضرب العساكر
لا ضرب أقوال بأق   وال ضعيفات مكاسر
قد كنتُ أحسب من سفا   هٍ انهـــا أصل المفاخر
واذا بها فرعٌ لهـــا   والجهل للانسان غادر
وهجرتُ مَن سمّيتَهم   وجحدتُ انهمُ أكابر
إن كان في فضل فمنـ   ـك فهل لذاك النور ساتر
او كان في نقصٍ فمنّـ   ـيَ غير ان الفضل غامر
ضحك الموالي بالعبيـ   ـد اذا تواصل غير صائر
لا تنسَ يا مولايَ قو   لة ضارع الأقوال فاجر
ضبَط الجزيرة عنـدما   نزلت بعقوتها العساكر
ايام ظلتُ بهـــا فريـ   ـداً ليس غير الله ناصر
إذ كان يغشى ناظري   لمع الأسنة والبواتر
ويصمّ آذاني بهـــا   قرعُ الحجارة بالحوافر
وهى الحضيض سهولة   لكن ثبتّ بهـا مخاطر
هب زلّتي لنبوّتي   واغفر فإن الله غافر

فلم يزده ذلك إلا تمادياً في هجرانه ، فكتب اليه ايضاً :

مولاي أشكو اليك داءً اصبح قلبي بـــه جريحاً
سخطك قد زادني سقاماً فابعث لي الرضى مسيحاً

قال : فرضي عنه وأدناه .

حدثنا يونس بن محمـد بن طاهر ، انبأ الحسن بن علي الجوهري ، عن ابي عمر بن حيويه ، عن ابي الحسن بن معروف ، عن الحسين بن الفهم ، عن محمد ابن سعد ، عن عبد الله بن نمير ، عن الاعمش ، عن ابي وائل ، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها قالت : مرض ابو بكر رضي الله عنه مرضه الذي مات فيه وقال : انظروا مـا زاد في مالي منذ دخلت في الإمارة ، فابعثوا بـــه الى الخليفة من بعدي ، فنظرنا فإذا عبد نوبي كان يحمل صبيانه ، واذا ناضح كان يسقي بستاناً له ، فبعثنا بهما الى عمر . قالت : فأخبرني رسولي أن عمر بكى وقال : رحمة الله على ابي بكر ، لقد اتعب من بعده تعباً شديداً .

وقال عبد الله بن عباس : سمعت ابا بكر الصديق يقول هذين البيتين :

إذا أردت شريف الناس كلّهم فانظر الى ملك في زي مسكين
ذاك الذي حسنتْ في الناس سيرته وذاك يصلح للدنيـــا وللدين

وروينا عن السري السقطي انــه قال : كنت يوماً بجامع المدينة فوقف علي شابٌ ذو حشم وخول ، فسمعني اقول : عجباً لضعيف يعصى قويّــاً ، فنظرت الى لونه قــد تغـّير وانصرف ، ثم جاءني من الغد فسلم عليّ وقال : سمعتك بالأمس تقول : عجباً لضعيف يعصي قوياً ، فمــا معناه ؟ قلت : فما أقوى من الله ولا أضعف من العبد وهو يعصيه ، فنهض فخرج ، ثم عــاد من

الغد وعليه ثوبان ابيضان وليس معه احد فقال : يا سيدي كيف الطريق الى الله ؟ فقلت : إن أردت العبادة فعليك بصيام النهار وقيام الليل ، وإن أردت الله فاترك كلما سواه ، وليس إلا المساجد ، والخراب ، والمقابر . فقام وهو يقول : والله لا سلكت إلا أصعب الطرق . ثم ولّى خارجاً ، فلما كان بعد ايام أقبل اليّ جماعة كثيرة من الغلمان فقالوا : ما فعل احمد بن يزيد الكاتب ؟ قلت : لا اعرفه ، إلا أن رجلا جاءني من صفته كذا وكذا ، فجرى لي معه كذا وكذا ، ولا أعلم حاله . فقالوا : نقسم عليك بالله متى عرفت حاله فعرّفنا ، ودلوني على منزله ، فبقيت سنةً لا أعرف له خبراً فبينا انا ذات ليلة بعد العشاء في بيتي إذا بطارق يطرق الباب ، فأذنت له في الدخول ، فإذا بالفتى عليه قطعة من كساء ، وأخرى على عاتقه ، ومعه زنبيل فيه نوى ، فقبّل بين عيني وقال : يا سري اعتقك الله من النار كما اعتقتني من رق الدنيا . فأمأت الى صاحبي ان امض الى اهله فأخبرهم ، فمضى فإذا زوجته جاءت ومعها ولده وغلمانه ، فدخلت فألقت ولده في حجره وعليه حلي وحلل ، وقالت له : يا سيدي أرملتني وأنت حي ، وأيتمت ولدك وأنت حي . فنظر اليّ وقال : يا سيدتي ما هذا وفاء ، ثم نزع ما على الصبي وقال : ضعي هذا في الاكباد الجياع ، والأجساد العارية ، فانتزعت ولدها منه ، فقال : ضيّعتم على ليلتي ، بيني وبينكم الله. ثم خرج ، فضجّت الدار بالبكاء ، فقالوا : ان عدت تسمع له خبراً فأعلمنا . فلما كان بعد ايام إذا بعجوز قد جاءت فقالت: يا سري معي بالشوتيزية غلام يسألك الحضور، فمضيت فإذا هو مطروح في ثوبه ، تحت رأسه لبنة ، فسلمت عليه ، ففتح عينيه وقال : يا سري ترى تغفر تلك الجنايات ؟ فقلت : نعم، فقال : يغفر لمثلي ؟ قلت : نعم، قال : انا غريق، قلت : هو منجي الغرقا ، قال : عليّ مظالم ، قلت : إن الله يعوّض المظلومين . فقال : يا سري معي دراهم من

لقط النوى ، فإذا انا مُتّ فاشتر لي ما احتاج اليه ، وكفني ، ولا تعلم اهلي لئلا يغيّروا كفني بحرام . قال السري : فجلست عنه ، ففتح عينيه وقال : « لمثل هذا فليعمل العاملون » ثم مات . فأخذت الدراهم ، واشتريت مـــا يحتاج اليه ، وإذا الناس يهرعون ، فقلت : ما الخبر ؟ فقيل : مات وليّ من اولياء الله تعالى ، ونريد أن نصلي عليه ، فصلّينا عليه ، ودفناه . فلما كان بعد مدة بعث اهله اليّ يستعلمون خبره ، فأخبرتهم بموتـه . فأقبلت امرأته باكيةً ، وسألتني أن أريها قبره ، فقلت : أخاف أن تغيّروا كفنه ، فقالت لا والله ، فأريتها القبر ، فبكت ، وأمرت بأحضار شاهدين ، فأحضرتهما ، وأعتقت جواريها ، ووقفت عقارها ، وتصدّقت بمالها ، ولزمت قبره حتى ماتت .

دخل على شيخنا الأديب ابن سعد بمسجده بأشبيلية فتى وسيم الوجه بـه لثغ يردّ السين ثاءً ، وكان اسمه عيسى ، فقال له الاستاذ : ما اسمك يا بنيّ ؟ فقال : عيثا ، فقال الشيخ :

وأغيد كالقضيب معطفه يحكي لنـا في الكلام تخنيثا
سألته والسؤال يخجله ما اسمك يا بدر قال لي عيثا

ودخل شاب آخر بـه لثغ يردّ الراء غيناً على الاديب الملقب بالابيض ، فجرى بين الصبي وبين الابيض حديث الى ان قـال له : ما غذاؤك ؟ فقـال الصبي : القاند والسكغ ، فطرب الابيض وقال في الحين :

وألثغ ما مثله ألثغ كأنـــه من فضة مُفرغ
قلت له مولاي ما تغتذي فقـال لي القانـد والسكغ

اجتمع جماعة من اصحابنا من قرطبة بقرطبة، منهم ابو الحسن بن خروف الاديب ، وعمر الجزّار وغيرهم ، فرأوا حلقة فيها صبي وسيم الوجه سندي ، يلعب للنـاس ، وينطوي حتى يجعل رأسه بين رجليه ، والناس يتعجبون من لطفه ومحاسنه ، فقال واحد منهم :

ومنوّع الحركات يختلس النهى ‏ ‏ ‏ لبس المحاسن عنـد خلع لباسه

وقال الآخر :

متأوّداً كالغصن فوق كثيبة ‏ ‏ ‏ متلاعباً كالظبي عند كناسه

وقال الآخر :

ويضمّ للقدمين منه برأسه ‏ ‏ ‏ كالسيف ضمّ ذبابه لرساسه

تاريخ فتح عمورية :

فتحها المعتصم في شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، وكان المعتصم شجاعاً مقداماً ، وكان يقال له : المثمن ؛ فإنه كان له الى الثمانية احـد عشر وجهاً :

الاول : انه ثامن ولدالعباس .

الثاني : انه ثامن خلفاء بني العباس .

الثالث : انه ولـّي سنة ثمانية عشرة ومائتين .

الرابـع ، والخامس : انه كانت خلافته ثمان سنين وثمانية اشهر .

السادس : انه توفي وله ثمان وأربعون سنة .

السابـع : انه ُولد ثامن شهر من السنة وهو شعبان .

الثامن : انه خلف ثمانية ذكور .

التاسع : انه خلـّف ثمان بنات .

العاشر : انه غزا ثمان غزوات .

الحادي عشر : انه خلف ثمانمائة الف دينار ، ومثلها دراهم ، فيكون له على هذا اثنا عشر وجهاً الى الثمانية .

فأما سبب فتحه لعمورية فهو ما ذكره اهل التواريخ ان رجلا وقف على المعتصم فقـــال : يا امير المؤمنين كنت بعمورية ، وجارية من أحسن النساء أسيرة ، قد لطمها علج في وجهها . فنادت : وامعتصماه ، فقال العلج : وما يقدر عليه المعتصم ؟ يجيء على ابلق ينصرك؟ وزاد في ضربها . فقال المعتصم: وفي أية جهة عمورية؟ فقال له الرجل: وأشار الى جهتها هكذا ، فردّ المعتصم وجهه اليها وقال : لبّيكِ أيتها الجارية لبيك هـذا المعتصم بالله أجابك . ثم تجهّز اليها في اثني عشر الف فرس أبلق .

وفي هذه التلبية يقول له في قصيدته حبيب مفرد :

لبّيت صوتاً رطيباً قد هرقت له كأس الكرى ورضاب الخرد العرب

فلما حاصرها وطال مقامه عليها جمع المنجمين فقالوا له : انا نرى انك ما تفتحها إلا في زمان نضج العنب والتين ، فبعُد عليه ذلك ، واغتمّ لذلك . فخرج ليلة مع بعض حشمه متحشماً في العسكر يسمع ما يقول الناس ، فمر بخيمة حدّاد يضرب نعال الخيل وبين يديه غلامه أقرع قبيح الصورة ، وهو يضرب على السندان ويقول : في رأس المعتصم ، فقال له معلمه : اتركنا من هذا ، مالك والمعتصم ؟ فقال : ما عنده تدبير ، له كذا وكذا يوم على هذه

المدينة مع قوّته ولا يفتحها، لو اعطاني الامر ما بات غداً إلا فيها . فتعجب المعتصم مما سمع ، وترك بعض رجاله موكلاً به ، وانصرف الى خبائه . فلما اصبح جاؤوه به فقال : ما حملك يا هذا على ما بلغني عنك ؟ فقال الرجل : الذي بلغك حق ، ولّني ما وراء خبائك ، وقد فتح الله فيها ، فقال : قد ولّيتك وخلع عليه ، وقدّمه على الحرب ، فجمع الرماة ، واختار منهم اهل الاصابة ، وجاء الى بدن من أبدان الصور ، وفي البدن من اوله الى آخره خط اسود ، عرضه ثلاثة أشبار او أكثر ، فحمى السهام بالنار ، فقال للرماة : من أخطأ منكم ذلك الخط الاسود ضربت عنقه ، واذا بذلك الخط خشب ساج ، فعندما حصلت فيه السهام المحميّة قام النار فيه واحترق ، فنزل البدن كما هو ، وتحامى الرجال ، ودخل البلد بالسيف ، وذلك قبل الزمان الذي ذكره المنجّمون .

وفي ذلك يقول حبيب في قصيدته :

السيف أصدق أنباءً من الكتبِ ... في حدّه الحدُّ بين الجدّ واللعبِ
بيض الصفائح لا سود الصفائح في ... متونهنّ جلاء الشكّ والريبِ
والعلم في شهب الأرواح لامعة ... بين الخميسين لا في السبعة الشهُبِ
وخوّفوا الناس من دهياء داهية ... اذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب
تخرّصاً وأحاديثاً ملفقةً ... ليست بنبعٍ اذا عدّت ولا غرب

ثم مشى في القصيدة الى ذكر يعرض بتاريخ المنجمين في التين والعنب ، فقال :

تسعون الفاً كآساد الشّرى نضجتْ
جلودهم قبل نضج التين والعنبِ

ولم تفتح من الوقت الذي أثبت فذكر ذلك في قصيدته ، وذكر منعتها وقوّتها فقال :

من عهد اسكندر أو قبل ذاك فقد شابت نواصي الليالي وهي لم تشبِ
بكر فما انتزعتها كفّ حادثةٍ ولا ترقّتْ اليها همّة النوّاب

فلما دخلها ومعه الرجل الذي بلّغه حديث الجارية قال له : سر بي الى الموضع الذي رأيتها فيه ، فسار به ، وأخرجها من موضعها ، وقال لها : يا جارية هل اجابك المعتصم ؟ وملّكها العلج الذي لطمها ، والسيد الذي كان يملكها ، وجميع ماله .

ومن سيَر عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

ما حدثنا محمد بن اسماعيل ، عن عبد الرحمن بن علي ، عن محمد بن أبي طاهر ، عن الحسن بن علي الجوهري ، عن ابي عمر بن حمويه ، عن احمد بن معروف ، عن الحسين بن الفهم ، عن محمد بن سعد ، عن يزيد بن هارون ، عن يحيى بن المتوكل ، عن عبد الله بن نافع ، عن ابيه ، عن ابن عمر قال : قدمت رفقة من التجار في ايام خلافة عمر بن الخطاب رضي الله فنزلوا المصلى، فقال عمر لعبد الرحمن: هل لك ان نحرسهم الليلة من السرّاق؟ فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما، فسمع عمر بكاء صبي فوجه نحوه وقال لأمه : اتق الله واحسني الى صبيّك ، ثم عاد الى مكانه ، فسمع بكاءه فعاد اليها بمثل تلك المقالة ، ثم عاد الى مكانه ، فلما كان من آخر الليل سمع بكاءه ، فعاد اليها فعاتبها في لبنها ، ثم سألها عن شأن بكائه ، فقالت له يا هذا الرجل اني اريد ان افطمه وهو يبكي على الثدي ، فقال لها : وكم له ؟ قالت : كذا

وكذا شهراً ، فقال لها : فما حملك على تعجيل فطامه ؟ قالت : ان عمر امر ان لا يفرض لصبي إلا بعد الفطام ، وأنا محتاجة ، فأحبّ ان افطمه حتى يفرض له ، فقال لها : ويحك أرضعيه ولا تعجليه بالفطام . ثم صلى الفجر بالناس وما يستبين للناس قراءته من غلبة البكاء عليه . فلما سلم قال : يا بؤساً لعمركم قتل من اولاد المسلمين ، ثم امر منادياً فنادى : لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام ، فانا نفرض لكل مولود في الاسلام .

وبالاسناد الى محمد بن سعد قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدّثني عبدالله ابن زيد بن أسلم ، عن ابيه ، عن جده ، قال : كان عمر يديم الصوم ، وكان زمان الرمادة ، فاذا أمسى أتى بالخبز قد ثرد بالزيت ، الى ان نحر يوماً من الايام جزوراً ، فأطعمها الناس ، وغرفوا له طيبها ، فأتى به فاذا قدر قطعة من سنام، ومن كبدٍ ، فقال : أنى هذا ؟ قالوا : يا امير المؤمنين من الجزور الذي نحرنا اليوم ، فقال : بخٍ بخٍ بئس الوالي ، انا ان أكلت طيبها ، وأطعمت الناس كراويشها ، ارفع هذه الجفنة ، وهيء لنا غير هذا الطعام ، فأتى بخبز وزيت ، فجعل يكسر بيده ، ويثرد ذلك الخبز ، ثم قال : ويحك يا برقيّ ارفع هذه الجفنة حتى تأتي بها اهل بيت ربيع ، فاني لم آتهم منذ ثلاثة ايام ، وأحسبهم مقفرين ، وضعها بين ايديهم .

وروينا من حديث انس بن مالك قال : بينا عمر يعسّ المدينة اذ رأى بيتاً من شعر لم يكن بالامس ، فدنا منه ، فسمع أنين امرأة ، ورأى رجلا قاعداً ، فدنا منه فقال : من الرجل ؟ قال : رجل من اهل البادية جئت الى امير المؤمنين أصيب من فضله . قال : فما هذا الانين ؟ قال : امرأة تمخض ، قال : هل عندها احد؟ قال : لا ، فانطلق الى منزله فقال لامرأته ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب رضي الله عنه : هل لكِ في أجر ساقه الله اليك ؟

قالت : وما هو ؟ قال : امرأة تمخض ليس عندها احد ، قالت : ان شئت، قـــال : خذي ما يصلح المرأة من الخرق والدهن ، وجيئيني ببرمة وشحم وحبوب ، فجاءت به ، فحمل البرمة ، ومشت خلفه حتى انتهى الى البيت ، فقال: ادخلي الى المرأة ، وجاء حتى قعد الى الرجل فقال له : أوقد لي ناراً، ففعل وأوقد تحت البرمة حتى أنضجها ، وولدت المرأة ، فقالت له امرأته : يا أمير المؤمنين بشّر صاحبك بغلام . فلما سمع الرجل يا امير المؤمنين كأنه هابه ، فجعل يتنحّى عنه ، فقال له : مكانك كما كنت . فحمل عمر البرمة حتى وضعها على البـــاب ، ثم قال : أشبعيها ، ففعلت ، ثم أخرجت البرمة فوضعتها على الباب ، فقام عمر فأخذها فوضعها بين يدي الرجل ، فقال : كل ويحك فانك قد سهرت من الليل ، ففعل ، ثم قال لامرأته : اخرجي، وقال للرجل : اذا كان غداً فأتنا نأمر لك بما يصلح ، فأتاه ، فأجازه وأعطاه .

ومن مواعظ علي بن ابي طالب رضي الله عنه :

ما رويناه من حديث ابي بكر بن ابي الدنيا قال : حدثنا علي بن الحسن ابن ابي مريم ، عن عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي ، عن معاد الهراء قال : سمع علي بن ابي طالب رضي الله عنه رجلاً يسبّ الدنيا ، فقال علي رضي الله عنه : انها لدار صدق لمن صدقها ، ودار عافية لمن فهم عنها ، ودار غنىً لمن تزوّد منها ، مسجد أحبّاء الله عز وجل، ومهبط وحيه، ومصلّى ملائكته، ومتجر أوليائه ، اكتسبوا فيه الرحمة ، وربحوا فيها الجنـــة . فمن ذا يذمّ الدنيا ؟ وقد أذنت بفراقها ، ونادت بعيبها ، ونعَتْ نفسها وأهلها ، فمثلت ببلائها البلاء ، وشوّقت بسرورها الى السرور ، فذمّها قوم عنـد الندامة ، وحمَدها آخرون ، ذكّرتهم فذكروا : يا ايها المغرور بغرورها ، متى غرّتك مضاجع آبائك في الثرى ؟ أم مضاجع امهاتك في البلا ؟ كم قلّبت بكفيك ،

ومرضت بيديك تطلب له الشفاء وتسأل له الأطباء ؟ لم تظفر بحاجتك ، ولم تسعف بطلبتك ، قد مثلت لك الدنيا مصرعك غداً ، ولا يغني عنك بكاؤك ، ولا ينفعك أحبّاؤك .

ومن مواعظ سعيد بن عامر بن حديم لعمر :

ما روينا من حديث ابن ابي الدنيا قال : حدثني يعقوب بن عبيد ، ثنا ابو مسهر ، عن سعيد بن عبد العزيز قال : قال سعيد بن عامر بن حديم لعمر رضي الله عنه : اني موصيك بكلمات من جوامع الاسلام ومعالمه ، قال : أجل فان الله قد جعل عندك أدباً ، قال : اخشَ الله في الناس ، ولا تخشَ الناس في الله ، ولا يخالف قولك فعلك ، فان خير القول ما صدقه الفعل ، ولا تقض في أمر واحد بقضاءين فيختلف عليك أمرك ، واحبِب لقريب المسلمين وبعيدهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك ، وخض الغمرات الى الحق حيث علمته ، ولا تخف في الله لومة لائم . قال عمر : ومَن يستطيع ذلك يا سعيد ؟ قال : مَن ركب في عنقه مثل الذي ركب في عنقك .

موعظة :

روينا من حديث المالكي قال : حدثنا علي بن الحسن الربعي قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن القرشي ، عن أبيه قال : كتب بعض الحكماء الى ملك من ملوكهم : ان أحقّ الناس بذمّ الدنيا وقلاها ، مَن بسط له فيها ، وأعطى حاجته منها ، لأنه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه ، او على جمعه فتفرقه ، او تأتي سلطانه من القواعد فتهدمه ، او تدبّ الى جسمه فتسقمه ، وتفجعه بمن هو ضنين به من أحبابه وأهل مودّته ، فالدنيا أحقّ بالذمّ ، هي الآخذة ما تعطي ، الراجعة فيما تهب ، بينما تضحك صاحبها اذ اضحكت منه غيرة ،

وبينما هي تبكي له اذ أبكت عليه، وبينما هي تبسط كفيه بالاعطاء اذ بسطتها بالمسألة ، تعقد التـاج على رأس صاحبها اليوم ، وتعفره بالتراب غداً ، سواء عليها ذهاب مَن ذهب ، وبقاء مَن بقي ، تجد في البـاقي من الذاهب خلفاً ، وترضى من كل بدلاً .

رُوي عن المزني قال : دخلت على الشافعي رضي الله عنه في مرضه الذي مات فيه فقلت له : كيف اصبحت ؟ فقـال : اصبحت من الدنيا راحلاً ، وللاخوان مفارقاً ، ولسوء عملي ملاقياً ، وبكأس المنية شارباً ، وعلى الله وارداً ، فلا أدري أروحي تصير الى الجنة فأهنيها ؟ أم الى النار فأعزّيها ؟ ثم أنشأ يقول :

ولمـا قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلتُ رجائي نحو عفوك سلّما
تعاظمَني ذنبي فلمـا قرَنتُهُ بعفوك ربي كانَ عفوُك أعظما
وما زلتَ ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منّةً وتكرُّما

حكاية عن ملك زهدَ في الدنيا :

روينا من حديث احمـد بن محمد بن حنبل ، عن يزيد بن هارون ، ثنـا المسعودي ، عن سماك بن حرب ، عن عبـد الرحمن بن عبد الله ، عن أبيه ، عن ابن مسعود قال : بينا رجل ممن كان قبلكم في مملكته ، فتفكر، فعلم أن ذلك منقطع عنه ، وأن ما هو فيه قـد شغله عن عبادة ربه ، فانساب ذات ليلة من قصره ، فأصبح في مملكة غيره ، فأتى ساحل البحر ، فكان يضرب اللبن بالاجرة ، فيأكل ويتصدّق بالفضل، فلم يزل كذلك حتى وصل أمره الى ملكهم ، فأرسل ملكهم اليه ان يأتيه ، فأبى ، فأعاد اليـه الرسول ، فأبى وقال : مالك ومالي ؟ فركب الملك اليه ، فلما رآه الرجل ولّى هارباً ، فلما

رأى ذلك الملك ركض في أثره فلم يدركه ، فناداه : يا عبـد الله ، انه ليس عليك مني بأس ، فأقام حتى أدركه ، فقال : مَن انت يرحمك الله ؟ قـال : انا فلان ابن فلان صاحب ملك كذا وكذا ، تفكرت في امري ، فعلمت ان ما انا فيه منقطع عني ، وانه قـد شغلني عن عبادة ربي ، فتركته ، وجئت هاهنا أعبد ربي عز وجل . فقال : ما انت بأحوج مما سمعت مني ؟ قـال : ثم نزل عن دابته فسيّبها ، ثم تبعه ، فكانا جميعاً يعبـدان الله عز وجل ، فدعوا الله عز وجل ان يميتهما جميعاً ، فماتا . قال عبد الله : فلو كنت برميْلة مصر لأريتكم قبريهما بالنعت الذي نعت لنا رسول الله ﷺ .

قصة يحيى بن توغان ملك تلمسان وهو من خؤلتنا :

حدثني أخوالي ووالدي رحمهم الله ، قـالوا : كان بتلمسان الملك يحيى ، فنزل يوماً في موكبه من مدينة أقادر ، يريد المدينـة الوسطى ، وبينهما بقيع فيه قبور ، فبينا هو يسير واذا برجل متعبّد يمشي لحاجته ، فمسك عنـانه وسلـّم عليه ، فردّ الرجل العـابد السلام ، وكلـّمه بأشياء ، فكان من بعض ما كلمه به الملك أن قال له : ايها العابد ، ما تقول في الصلاة في هذه الثياب التي عليّ ؟ فاستغرق العابد ضحكاً ، فقـال له : ممّ تضحك ؟ قال : من سخف عقلك ، وما رأيت لك ايها الملك في هـذه المسألة شبيهاً إلا الكلب . قال : وكيف ؟ قال : الكلب يتمعـّك في الجيفة، ويتلطخ بدمها ، فاذا أراد ان يبول رفع رجله حتى لا يصيبـه البول ، وانت حرام كلك ، وتسأل عن ثيابك . فاستعبر الملك باكياً ، ونزل من حينه عن دابته ، وتجرّد من ثيابه ، فرمى عليه بعض العـامة من أهل الدين ثوباً ، وقال لأهل دولته : انظروا لأنفسكم فلست لكم بصاحب .

واقتفى أثر العـــابد ، فصعد معه الى العبادة بموضع عالٍ بقبلة تلمسان ، وأقام معه ثلاثة أيام. ثم أمره العابد بالاحتطاب، فجعل الملك يحتطب ويبيع بسوق تلمسان ، ويأكل ويتصدّق بالفضل ، وكان الناس اذا أتوا الى العـابد يسألونه الدعاء فيقول : سلوا يحيى في الدعاء ، فانه خرج عن قدرة. ويقال: ان ذلك العـابد كان ابا عبد الله التنوسي . وقفت انا على قبريهما وقبر الشيخ ابي مدين بالعباد بظاهر تلمسان .

روينا من حديث احمد بن حنبل، عن اسباط بن محمد، ثنا هشام بن سعد، عن عبد الله بن عباس قال : كان للعباس ميزاب على طريق عمر ، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة ، وكان إذ ذاك خليفة ، وكان ذُبح للعباس فرخان ، فلمـــا وافى الميزاب صبّ ماء بدم الفرخين فأصاب عمر ، فأمر بقلعه ، ثم رجع ، فطرح ثيابه ، ولبس ثياباً غير ثيابه ، ثم جاء فصلّى بالناس ، فأتاه العباس فقال : والله انه للموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ ، فقـال عمر للعباس : فأنا اعزم عليك لمـــا صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ ، ففعل ذلك العباس .

وروينا من مواعظ علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، انه ذكّر النـاس يوماً في خلافته فقال : انكم مخلوقون اقتداراً، ومربوبون اقتساراً، ومضمّنون أجداثاً ، وكائنون رفاتاً ، ومبعوثون أفراداً ، ومدينون حساباً . فرحم الله عبداً اقترف فاعترف ، ووجل فعمل ، وحاذر فبادر ، وعمر فاعتبر، وحذر فازدجر ، وراجع فتـاب ، واقتدى فاحتذى ، فتأهّب للمَعاد ، واستظهر بالزاد ليوم رحيله ، ووجه سبيله ، وحال حاجته ، وموطن فاقته ، فقـدم امامه لدار مقـــامه . فمهّدوا لأنفسكم في سلامة الأبدان ، فهل ينتظر أهل غضارة الشباب إلا خوافي الهرم ؟ وأهـل بضاضة الصحة إلا نوازل السقم ؟

وأهل مدة البقــاء إلا مفاجآت الفجــا ، واقتراب الفوت ، ونزول الموت ، وخفر الأنين ، ورشح الجبين ، وامتـــداد العرنين ، وألم المضض ، وغصص الحرض ؟ فاتقوا الله تقية من شمر تجريداً ، وجدّ تشميراً ، وانكمش في مهل، وأشفق في وجل ، ونظر في كره الموئل ، وعاقبــة المصير ، ومغبة المرجع ، فكفى بالله منتقماً ونصيراً ، وكفى بالجنة ثواباً ونوالاً ، وكفى بالنار عقاباً ونكالاً ، وكفى بكتاب الله حجيماً وخصيماً .

ومما وعظ به كعب الاحبار عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

مـــا رويناه من حديث احمد بن حنبل ، ثنا بهر بن اسد ، ثنا جعفر بن سليمان ، ثنـــا علي بن زيد ، عن مطرف ، عن كعب ، قال : قال عمر بن الخطاب وأنا عنــده : يا كعب خوّفنا ، قلت : يا امــير المؤمنين أليس فيكم كتاب الله وحكمة رسول الله ؟ قال : بلى ، ولكن خوّفنا ، فقلت : يا امير المؤمنين اعمل عمل وجل، لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبياً لازدريت عملك مما ترى . فأطرق عمر ملياً ، ثم أفاق فقال : زدنا يا كعب ، قلت : يا امير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ، ورجلٌ بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرّها . فأطرق عمر ملياً ، ثم أفاق فقــال : زدنا يا كعب ، قلت : ان جهنم لتزفر يوم القيـــامة زفرة لا يبقى ملكٌ مقرّب ، ولا نبي مصطفى إلا خرّ جاثيــاً على ركبتيه ، ويقول : رب نفسي نفسي لا أسألك اليوم إلا نفسي . فأطرق عمر ملياً ، فقلت : يا امير المؤمنين أوليس تجدون هذا في كتاب الله عز وجل ؟ قال : كيف ؟ قلت : يقول الله تعالى : « يوم تأتي كل نفسٍ تجادل عن نفسها » .

وروينا من حديث ابن ابي الدنيا ، حدثني القاسم بن هاشم ، قال : نبــأ

ابو اليمان قال : نبــأ صفوان بن عمرو ، عن ابي اليمان ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لكعب : ما تخاف علينا يا ابا اسحاق ؟ قال : يا امير المؤمنين إن في السماء ديّاناً ، وإن في الأرض ديّاناً ، فويل لديّان الارض من ديّان السماء إلا من دان نفسه لله عز وجل ، إنك تأمر ولا تؤمر ، وإنك بين الناس ، وبين ربك ، وليس بينك ، وبين الله احد . فقال له عمر : انشدك بالله كيف تجدني ؟ اخليفة أم ملكاً ؟ قال : بل خليفة ، قــال : فاستحلفه عمر ، فحلف له كعب ، وقـــال : خليفة والله من خير الخلفاء ، وزمانك خير زمان .

موعظة اعرابي للرشيد بمكة :

ذكر ابو الفرج في كتاب مثير الغرام الساكن لــه ، ان الرشيد حــجّ في بعض السنين ، فبينما هو يطوف بالبيت عرض له اعرابي فأنشده :

عشْ ما بدا لك كم تراك تعيش ... أتظنّ سهم الحادثات يَطيشُ
عشْ كيف شئت لتأتيك وقفة ... يوماً وليس على جناحكَ ريشُ

قال : فوقف الرشيد فاستعاده الشعر ، ثم بكى حتى بل وجهه ، وأمر له بخمسين الف درهم .

روينا من حديث الهاشميّ قال : قال رسول الله ﷺ : تكون امتي في الدنيا على ثلاثة اطباق :

أما الطبق الاول : فلا يرغبون في جمع المال ، وادّخــاره ، ولا يسعون في اقتنائه ، واحتكاره ، إنما رضاهم من الدنيا ما سدّ جوعة ، وستر عورة، وغناهم فيها ما بلـّغ الآخرة ، فأولئك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

وأما الطبق الثاني : فيحبّون جمع المـــال من اطيب سبيله ، وصرفه في احسن وجوهه ، يصلون به ارحامهم ، ويبرّون به اخوانهم ، ويواسون بـــه فقراءهم، ولعضّ احدهم على الرصف أسهل عليه من ان يكسب درهماً من غير حله ، وأن يضعه في غير وجهه ، وأن يمنعه من حقه ، وأن يكون له خازناً الى حين موته ، فأولئك الذين أن نوقشوا عذبوا ، وأن عفي عنهم سلموا .

وأما الطبق الثالث : فيحبون جمع المال مما حل وحرم ، ومنعه مما افترض او وجب ، ان انفقوه انفقوه إسرافاً وبداراً ، وأن امسكوه امسكوه بخلاً واحتكاراً ، أولئك الذين ملكت الدنيــا ازمّة قلوبهم حتى أوردتهم النــار بذنوبهم .

كان عليّ بن عبدالله بن العباس عند عبد الملك بن مروان، فأخذ عبدالملك يذكر ايام بني أمية ، فبينما هو كذلك إذ نادى المنادي بالآذان ، فقـــال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .

فقال علي رضي الله عنه :

هذي المكارمُ لا قعبانُ من لبن شيباً بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

فقال عبد الملك بن مروان : الحق في هذا بيّن من ان يكابر .

ومن هذا الباب :

ما ذكره علي بن محمد النديم قال: دخلت على المتوكل وعنده الرضا، فقال: يا علي من أشعر الناس في زماننا ؟ قلت : البحتري ، قال : وبعده ؟ قلت : مروان بن ابي حفصة عبدك ، والتفت إلي الرضا فقال : يا ابن عمّ من اشعر

الناس ؟ قال : علي بن محمد العلوي ، قال : ومـــا تحفظ من شعره ؟ قال : قوله هـ :

لقد فاخرتنا من قريشٍ عصابة بمطّ خدود وامتداد أصابـع

فلما تنازعنا القضاء قضى لنا عليهم بمــا تهوى نداء الصوامع

قال المتوكل : مـــا معنى نداء الصوامع ؟ قال : الشهادة . قال : وأبيك انه أشعرُ الناس .

ومن قوله هـ :

بلغنـــا السماء بأنسابنـــا ولولا السماء لحــزنا السماء

وحسبك من سؤدد أننا بحسن البلاء كشفنا البلاء

يطيبُ الثناء لآبائنـــــا وذكرُ عليّ يطيب الثناء

إذا ذكر الناسُ كنا ملوكاً وكانوا عبيداً وكانوا اماء

هجاني رجالٌ ولم أهجهم أبى الله لي أن أقول الهجاء

ومن باب قوله تعالى : « أن اكرمكم عند الله اتقاكم » :

ما رويناه عن رسول الله ﷺ ، عن ربــه تعالى ، قال : يقول الله جلّ ذكره يوم القيمة : « اليوم أضع نسبكم ، وأرفعُ نسبي » أين المتقون ؟

روينا من حديث ابن عباس قال : الناس يتفاضلون في الدنيا، في الشرف، والبيوت ، والإمارات ، والغنى ، والجمال ، والهيبة ، والنطق . ويتفاضلون في الآخرة بالتقوى ، واليقين ، واتقاهم أحسنهم يقيناً ، وأزكاهم عمـــلاً ، وأرفعهم درجة .

لبعضهم شعر :

يزين الفتى في الناس صحة عقله وإن كان محظوراً عليه مكاسبه
وشينُ الفتى في الناس قلة عقله وإن كرُمت آباؤه ومناسبه

قيل لعامر بن قيس : ما تقول في الانسان ؟ قال : وما أقول فيمن إن جاع صغى ، وإن شبع طغى ؟ قال الحكيم : اخوان من أب واحد ، وأم واحدة ، الواحد عاقل فساد بين الناس بعقله ، فكان له الشرفُ والسؤدد ، والآخر لا عقل له ، فلم يرفع نسبه به رأساً له ، فيقول له اخوه :

ابوك أبي والجدّ لا شكّ واحدٌ ولكننا عودان آسٌ وخروَعُ

وأحسن ما قيل مما يليق بهذا الباب :

إن الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقول كان أبي

وقول الآخر :

وما ينفع الأصل من هاشمٍ إذا كانت النفس من باهله

روينا عن رسول الله ﷺ إنه أتاه أعرابي فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله، من اكرم الناس حسباً ؟ قال : أحسنهم خلقاً ، وأفضلهم تقوى. فانصرف الاعرابي فقال : ردّوه ، فقال : يا أعرابي لعل أردت اكرم الناس نسباً ؟ قال : نعم يا رسول الله ، قال : يوسف صديق الله ابن يعقوب ، إسرائيل الله ابن اسحاق ، ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله ، فأين مثل هؤلاء الآباء في جميع الدنيا ؟ ما كان مثلهم ولا يكون .

وفي ذلك يقول الشاعر :

ولم أرَ كالاسباط ابناء واحد ولا كأبيهم والداً حين ينسبُ

فمن الشرف والسؤدد الحلم ، وبه ساد الأحنف بن قيس .

ومنها الوفاء وبه ساد السمؤل .

ومنها الرأي وبه ساد الحصين بن المنذر .

ومنها التحبّب الى الناس عامة وخاصة وبه ساد مالك بن مسمع .

ومنها الجود والكرم وبه ساد حاتم ، ومعن بن زائدة .

ومنها حب المساكين وبه ساد جعفر بن ابي طالب .

ومنها العطف على الارامل وبه ساد سويد بن متحوف .

ومن مكارم الاخلاق :

ما حدثه الفتح بن خاقان ، عن المتوكل قال : خرج المتوكل الى دمشق وأنا عديله ، فلما صرنا بقنسرين قطعت بنو سليم على التجار ، فانتهى ذلك اليه ، فوجّه قائداً من وجوه قوّاده اليهم ، فحاصرهم ، فلما قربنا من القوم إذا نحن بجارية ذات جمال وهيبة وهي تقول :

امير المؤمنين سما الينا ... سموّ الليث مال به الغريفُ
فإن نسلم فعفو الله نرجو ... وأن نقتل فقاتلنا شريف

فقال لها المتوكل : أحسنت ، ما جزاؤها يا فتح ؟ قلت : العفو ، والصلة يا امير المؤمنين ، فأمر لها بعشرة آلاف درهم ، وقال لها : مري الى قومك ، وقولي لهم ، لا تردوا المال على التجار ، فإني أعوّضهم .

حكمة بالغة :

قال عبد الملك بن مروان لسالم بن يزيد الفهمي : أي الزمان أدركت

افضل ؟ وأي ملوكه أكمل ؟ قال : اما الملوك فلم أرَ إلا ذامّاً ، وحامداً ، وأما الزمان فرفع أقوام ، ووضع آخرين ، وكلهم يذم زمانه ، لأنــه يبلي جديدهم ، ويهرم صغيرهم ، وكل مـا فيه منقطع إلا الامل ، قال : فأخبرني عن فهم ، قال : هم كما قال الشاعر :

درج الليل والنهار على فهـ ... ـم بن عمْرٍ فأصبحوا كالرميمِ
وخلت دارهم فأضحت نعاماً ... بعـــد عزٍّ وثروةٍ ونعيم
وكذاك الزمان يذهب بالنا ... سِ وتبقى ديارهم كالرُسوم

قال : فمن يقول منكم ؟

رأيت الناس مذ خلقوا وكانوا ... يحبون الغنيّ من الرجـالِ
وان كان الغني أقـل خيراً ... بخيـــلا بالقليل من النوال
فلم أدري علامَ وفيمَ هـذا ... وماذا يرتجون من المُحـــال
أللدينا فليس هنـاك دنيـا ... ولا يرجى لحادثـــة الليالي

قال : انا وقد كتمتها .

وروينا من حديث ابن ودعان ، عن ابي سعيد الآملي ، عن السيرافي ، عن ابي سعيد ، عن هبة الله بن عاصم ، عن محمد بن عبيد الله الخزاعي ، عن حماد بن سلمة ، عن ابي هارون ، عن ابي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لرجل يعظه : ارغب فيما عنـد الله يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي النـــاس يحبك الناس ، الزاهد في الدنيا يربح قلبه وبدنه في الدنيا والآخرة ، وان الراغب يتعب قلبه وبدنه في الدنيا والآخرة . ليجيئن أقوام يوم القيامة لهم حسنات كأمثال الجبال، فيؤمر بهم الى النار، فقيل: يا رسول

الله أو يُصلّون كانوا ؟ قال : كانوا يصلون ، ويصومون ، ويأخذون وهناً من الليل ، لكنهم كانوا اذا لاح لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه .

وروينا من حديثه ايضاً ، عن محمـد بن علي ، عن ابراهيم بن محمد ، عن عبيد الله بن جرير ، عن معاذ بن أسد ، عن ابن المبـارك ، عن اسماعيل بن عياش ، عن يحيى الطويل ، عن نافع بن عمرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أيها الناس ان هـذه الدار دار التواء لا دار استواء ، ومنزلة ترح لا منزلة فرح ، فمن عرفها لم يفرح لرخاء ، ولم يحزن لشقاء ، ألا وان الله خلق الدنيا دار بلوى ، والآخرة دار عقبى ، فجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً ، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً ، فيأخـــذ ليعطي ، ويبتلي ليجزي ، وانها لسريعة الذهاب، وشبكة الانقلاب. فاحذروا حلاوة رضاعها لمرارة فطامها ، واهجروا لذيذ عاجلها لكريه آجلها ، ولا تسعوا في غمرات دار قد قضى الله خرابها، ولا تواصلوها وقد أراد الله منكم اجتنابها، فتكونوا لسخطه متعرضين ، ولعقوبته مستحقين .

ولما أتى علي رضي الله عنه العراق دخل المدائن ، فنظر الى إيوان كسرى معتبراً ، فجعل يبكي ، فقام اليه بعض الحاضرين فقال: يا امير المؤمنين أتحب أن اسمعك قول الاسود بن يعفر ؟ فقال : ان شئت ، وعلي يتلو قوله تعالى : «فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لآية» قال : وأي آية ؟ ما أعظمها، ثم قال : يا هذا ما قال الأسود ؟ فقال :

ماذا يؤمّل بعد آل محرّقٍ ... تركوا منازلهم وبعد ايادِ
ارض الخورنق والسدير وبارقٍ ... والقصر ذو الشرفات من سنداد
نزلوا بأنفرة تسيل عليهم ... ماء الفرات يجيء من أطواد

ارض تخيّرها لطيب نسيمها ‏ كعب بن مامة وابن ام ‏ُدواد
جرت الرياح على محل ديارهم ‏ فكأنما كانوا على ميعـاد
فاذا النعيم وكل ما يلهى به ‏ يوماً يصير الى بلى ونفاد

فقال علي رضي الله عنه: يا هذا أبلغ من ذلك قول الله تعالى: « كم تركوا من جناتٍ وعيون وزروع ومقامٍ كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوماً آخرين » .

سمعت محمد بن ابي محمد الكتاني ينشد يوماً أبياتاً فأثر بي سماعها وهي :

لو جرى دمعك يا هذا دماً ‏ ما تقدمت الينـــا قدما
انمـــا يصفو هواناً لامرءٍ ‏ حفظ العهـد وراعى الذمما
كيف يخفى لك أمرٌ بعدما ‏ نشر العُذر عليـــه علما
عنـــدنا منك امور ‏ُكلها ‏ حيرة فيا لدينـــا وعما
وأرى داءك داءً معضلاً ‏ أبـــداً تزداد فيه سقما
كم حينـــاك فلم تبق لنـــا ‏ وتعدّيت ووافيت الحمى
نحْ علينا أسفاً او لا تنُحْ ‏ واقرع السنّ علينـــا ندما
لو أردناك لنـــا ما فتّنا ‏ أو وصلنا حبلنا ما انصرما
ما رأينـــا منصفاً عامله ‏ منصف في ‏ُصفقة فاختصما
انتَ لو سالمتَنا نلتَ الُمنى ‏ قلّ مَنْ سالمَ إلا سَلِمـا

كان ثوبة صاحب ليلى الاخيَلية قد قال :

ولو أن ليلى الاخيلية سلـّمَت ‏ عليّ ودوني جندلٌ وصفائحُ
لسلّمتُ تسليم البشاشة اوزقي ‏ اليها صدىً من جانب القبر صائح
ولو أن ليلى في السماء لأصعدت ‏ بطرفي الى ليلى العيُون اللوامح

فيقال : انه لما مات ثوبة مرّ زوج ليلى بليلى على قبره ، فقال لها : سلمي على ثوبة ، فانه زعم في شعره انه يسلـّم عليك تسليم البشاشة ، فقالت : ما تريد الى مَن بليَت عظامه ؟ قال : والله لتفعلي ، فقـالت وهي على البعير : سلامٌ عليك يا ثوبة فتى الفتيان . وكان قطاة مستظلة في نقب القبر ، فلمـا سمعَت الصوت طارت فصاحت ، فنفر البعير ورمى بليلى ، فماتت ودُفنت بجنب قبره .

ويحكى ان ليلى الأخيلية دخلت على الحجاج فأنشدته قولها فيه :

اذا نزل الحجّاج أرضاً سقيمةً تتبـّع أقصى دائهـا فشفاها
شفاها من الداء العُضال الذي بها غلامٌ اذا هزّ القناة ثناها
أحجّاج لا تعطي العُصاة مُناهمُ ولا الله لا يعطي العصاة مُناها

فوصلها الحجاج بألف دينار ، وسألها الحجاج : هل كان بينك وبين ثوبة ريبة قطّ ؟ قالت : لا والذي أسأله صلاحك ، إلا انه قـال مرة لي قولاً ، ظننتُ انه خنع لبعض شيء ، فقلت له شعراً :

وذي حاجة قلنا له لا تبحْ بها فليس اليها مـا حييتُ سبيلُ
لنا صاحب لا ينبغي ان نخونه وانت لأخرى فازع وحليل

قالت : فما كلـّمني بعد ذلك بشيء حتى فرّق بيني وبينه الموت . قـال الحجاج : فما كان من بعد ذلك ؟ قالت : لم يلبث أن قال لصاحب له : اذا أتيتَ الحاضر من بني عباد فقل بأعلى صوتك :

عفـا الله عنها هل أبيتنّ ليلةً من الدهر لا يسري الينا خيالها

فلما سمعت الصوت خرجت فقالت :

وعنه عفـا ربّي فأصلح حاله يعزّ علينا حالة لا ينـالها

ومن الكلام الأشد في وصف الأسد :

ما حدثناه بعض الأدباء قال : دخل ابو زبيد الطائي على عثمان بن عفان رضي الله عنه في خلافته ، وكان نصرانياً ، فقال له : بلغني انك تجيد وصف الأسد ، فقال له : لقد رأيت منه منظراً ، وشهدت منه مخبراً ، لا يزال ذكره يتجدد على قلبي. قال : هاتِ ما مرّ على رأسك منه، فقال : خرجت يا امير المؤمنين في صبية من أفناء قبائل العرب ذوي شارة حسنة ترتمي بنا المهاري بأكسائها القيروانية ، ومعنا البغال عليها العبيد يقودون عناق الخيل، نريد الحارث بن ابي شمر الغساني ملك الشام ، فاخروط بنا المسير في حمارة القيظ ، حتى اذا عصبت الأفواه ، وذبلت الشفاه ، وسالت المياه ، وأذكت الجو المعر [1] ، وذاب الصخر الجندب ، وضاف العصفور الضبّ في وجاره ، قال قائلنا : ايها الركب غوروا بنا في ضوح هذا الوادي ، واذا واد كثير الدّغل ، دائم الغلل ، شجراؤه مغنة ، وأطياره مرنة . فحططنا رحالنا بأصول دوحات كنهبَلات [2] متهدلات، فاصبنا من فضلات المزاود، وأتبعناها بالماء البارد ، فإنا لنصف حرّ يومنا ، ومماطلته ومطاولته ، اذ صرّ أقصى الخيل أذنيه ، وفحص الارض بيديه ، ثم ما لبث ان جال فحمحم ، وبال فهمهم ، ثم فعل الذي يليه واحد فواحد ، فتضعضعت الخيل ، وتكعكعت الإبل ، وتقهقرت البغال ، فمن نافر بشكاله ، وناهض بعقاله ، فعلمنا أن قد أتينا ، وانه السبع لا شك ، ففزع كل امرىءٍ اليه بسيفه ، واستلّ من جربانه ، ثم وقفنا له زردقاً ، فأقبل يتطلع في مشيته كأنه مجنون ، او في هجار ، لصدره نحيط ، ولبلاعيمه غطيط ، ولطرفه وميض ، ولأرساغه

---

(١) المعر ككتف .

(٢) نهبل كجعفر .

نقيض ، كأنما يخبط هشيماً ، او يطأ صريماً ، واذا هامة كالمجنّ ، وخدّ كالمسَنّ ، وعينان شجراوان ، كأنهما تقدان ، وقصرة [1] ربلة ، ولهزمة رَهلة ، وكيد مفتبط ، وزور مفرط ، وساعد مجدول ، وعضد مفتول ، وكفّ شثنة المراثن الى مخالب كالمحاجن .

ثم ضرب بذنبه الارض فأرهج ، وكشر فأفرج عن أنياب كالمعاول ، مصقولة غير مفلولة ، وفم أشدق كالغار الاخرق ، ثم تمطأ فأسرع بيديه ، وحفز وركيه برجليه ، حتى صار ظله مثليه . ثم أقعا فاقشعر ، ثم مثل فاكفهرّ ، ثم تجهّم فازبأرّ . فلا والذي بيته في السماء ما اتقيناه بأول من أخ لنا من بني فزارة ، كان ضخم الجزارة ، فوهصه ، ثم أقعصه ، فقضقض متنه ، وبقر بطنه ، فجعل يألغ في دمه ، فدمرت أصحابي فبعد رأي ما ، استقدموا ، فكرّ مقشعراً لزئيرة كان بها سهماً حولياً ، فاختلج من دوني رجلاً ذا حوايا ، فنفضه نفضة ، فتزايلت أوصاله ، وانقطعت أوداجه ، ثم نهض فقرقر ، ثم زفر فبربر ، ثم زأر فجرجر ، ثم لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه من عن شماله ويمينه ، فأرعشت الايدي ، واصطكت الارجل ، واطت الاضلاع ، وارتجت الاسماع ، وجمحت العيون ، وانخزلت المتون ، ولحقت البطون بالظهور ، وساءت الظنون ، وأنشأ يقول :

عبوس شموس مصلخدّ خباسرٌ جريء على الارواح للقرن قاهرُ
منيعٌ ويحمي كل وادٍ يرومه شديد اصول الماضغين مكابر
برايته شثن وعيناه في الدجى لجمر الغضى في وجهه الشر ظاهر
يدل بأنياب حدادٍ كأنها اذا قلص الأشداق عنها خناجر

---

(١) في الاصل : قطعة الحديد .

فقـــال له عثمان رضي الله عنه : اكفف لا أم لك ، فلقد ارعبت قلوب المسلمين ، ولقد وصفته حتى كأنني انظر اليه يريد يواثبني .

مثل سائر :

هو أجبن من هجرس ، وهو القرد ، وذلك انه لا ينام الليل إلا وفي يده حجر مخافة ان يأكله الذئب .

قال قتيبة بن مسلم : لا تطلبوا الحوائج من كذوب ، فإنه يقرّبهـا وان كانت بعيدة ، ويبعدها وان كانت قريبة ، ولا الى رجل قـــد جعل المسألة مأكله ، فإنه يقدّم حاجته قبلها ، ويجعل حاجتك وقاية لها ، ولا الى احمق فإنه يريد نفعك فيضرّك .

قال بعضهم : لو لم يترك العاقل الكذب إلا مروءة بذلك ، فكيف وفيه المأثم والعار ؟

مكتوب في الحكمة :

عند التراخي عن شكر المنعم يحلّ عظيم النقم .

وقيل لذي الرمة : لِمَ خصصت بلال بن ابي بردة بمدحك ؟ قـال : لأنه وطّأ مضجعي ، وأكرَم مجلسي ، وأحسَن صلتي ، فحق لكثير معروفـــه عندي ان يستولي على شكري .

وروينا من حديث عائشة أم المؤمنين قالت : كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يقول : يا عائشة ما فعل نبيّك ؟ فأنشده :

نجزيك أو نثني عليك وإن مَنْ   أثنى عليك لما فعلتَ كمن جَزَا

فيقول ﷺ : صدق القائل يا عائشة ، إن الله اذا أجرى على يـد رجل خيراً فلم يشكر فليس لله بشاكر .

قـال الهيثم بن حسن بن عمارة : كان سراقة البارقي من أظرف النـاس ، وكان من اهل الكوفة ، فأسره رجل من اصحاب المختار ، وكان يومي الى انه نبيّ ، وعرف ذلك منه ، فأتى بسراقة اليه ، فقـال له المختار : أسرك هذا ؟ فقال سراقة : كذب والله ما أسرَني إلا رجل عليه ثيـاب بيض على فرس أبلق ، فقال المختار : اما ان الرجل قـد عاين الملك ، خلوا سبيله . فلما أفلتَ أنشأ يقول :

ألا بلـّـغ أبا اسحق اني رأيتُ البلق دُهماً مضمناتِ
أري عينيّ مـا لم توريَاه كلانا عـالمٌ بالترهـاتِ
كفرت بوحيكم وجعلت نذراً عليّ قتـالكم حتى المماتِ

قيل وما عبّر عن شيء ، فهو افضل منه ، انتهى .

كتاب رسول الله ﷺ الى قيصر ملك الروم وما كان منه في ذلك :

روينا من حديث الحافظ ابي نعيم ، قال : حدثنا محمد بن احمد بن الحسن ابو عمر ، نبأ الحسن بن الجهم ، نبأ الحسين بن الفرَج ، نبأ محمد بن عمر الواقدي ، حدثني مالك بن ابي الرجـال ، عن عمر بن عبد الله ، عن محمـد بن كعب القرظيّ ، قال : بعث رسول الله ﷺ دحيّة الكلبيّ الى قيصر ، وكتب اليه معه ، فلقيه دحية بحمص ، وقيصر ماشٍ من قسطنطينية ، فلما لقيه قال له من قومه كلب : اذا لقيته فاسجد لـه ، ثم لا ترفع رأسك حتى يأذن لك . قال دحية : لا افعل هذا ابداً ، ولا اسجد لغير الله . قال : فإذاً لا يأخذ

كتابك ، ولا يردّ جوابك . قـال : وإن لم يأخذ . قـال رجل من القوم : أدلك على أمر يأخذ فيه كتابك ، ولا يكلفك السجود فيـه . قـال دحية : وما هو؟ قال له : على كل عقبة منبر يجلس عليه فضع صحيفتك وجاه المنبر، فانه لا أحد يحرّكها حتى يأخذها هو ، ثم يدعو صاحبها . قال : أما هـذا فسأفعله ، فعمد الى منبر من تلك المنابر التي يستريح عليها ، فألقى الصحيفة ، وجاء المنبر ، ثم تنحّى فجلس قريباً ، فجاء قيصر فجلس على المنبر ، ثم نظر الى الصحيفة ، فدعا بها ، فاذا عنوانها : كتاب عربي . فدعا الترجمان الذي يقرأ بالعربية ، فاذا فيه : من محمـــد رسول الله الى قيصر صاحب الروم . فغضب أخ لقيصر يسمى نياق ، فضرب الترجمان في صدره ضربة شديدة أجلسته على استه ، ثم نزعها منه ، فقـال : ما شأنك اختلست الصحيفة ؟ قال : تنظر في كتاب رجل بدا فيه بنفسه قبلك ؟ قال قيصر لنياق : انك والله ما علمت انك أحمق صغير ، او مجنون كبير ، أتريـد ان تخرق كتاب رجل قبل ان أنظر فيه ؟ فلعمري ان كان رسول الله كما يقول ، فنفسه أحق ان يبدأ بهـــا مني ، وان كان سماني صاحب الروم لقد صدق ، وما أنا إلا صاحبهم ، وما أملكهم ، ولكن الله سخرهم لي ، ولو شاء لسلّطهم عليّ كما سلّط فارس على كسرى فقتلوه .

ثم فتح الصحيفة فاذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله الى قيصر صاحب الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعـد : « يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك بـه شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون » في آيات من كتاب الله تعالى يدعوه الى الله ، ويزهّده في ملكه ، ويرغبه فيما رغبه الله عنه من دار الآخرة ، ويحذره بطش الله وبأسه .

فقرأ قيصر الكتاب فقال : يا معشر الروم اني لأظنّ ان هذا الذي بشّر به عيسى بن مريم عليه السلام،ولو أعلم انه هو لمشيت اليه حتى أخدمه بنفسي لا يسقط وضوءه إلا على يديّ . قالوا : ما كان الله ليجعل ذلك في العرب الأميين ، ويدعنا ونحن اهل الكتاب . قال : فاصل الهدى بيني وبينكم ، عندي الانجيل ، ندعو به ، فنفتحه ، فان كان هو اتبعناه ، وإلا أعدنا عليه خواتيمه كما كانت ، انما هي خواتم مكان خواتم . قال : وعلى الانجيل يومئذ اثنا عشر خاتماً من ذهب ، ختم عليه هرقل ، فكان كل ملك يليه بعده ظاهر عليه بخاتم آخر ، حتى ألفى ملك قيصر وعليه اثنا عشر خاتماً بخبر أولهم آخرهم : انه لا يحلّ لهم ان يفتحوا الانجيل في دينهم ، وأنه يوم يفتح يغيّر دينهم ، ويهلك ملكهم ، فدعا بالانجيل ، ففضّ عنه احد عشر خاتماً حتى اذا بقي عليه خاتم واحد قامت الشمامسة ، والاساقفة ، والبطارقة ، فشقوا ثيابهم، وصكّوا وجوههم ، ونتفوا رؤوسهم . قال : ما لكم ؟ قالوا: اليوم يملك ملك ابيك ، ويتغير دين قومك . قال : فاصل الهدى ، قالوا : لا تعجل حتى نسأل عن هذا ، ونكاتبه ، وتنظر في امره ، فانك قادر ان شاء الله تعالى على ان تفضّ هذا الخاتم ، فتنظر فيه ما تريد ، وانك لا تقدر ان انفتق عليك ما تكره ان تردّه بعد فتقه . قال : فمن نسأل عنه ؟ قالوا: نسأل قوماً كثيراً بالشام . فأرسل يبتغي قوماً يسألهم قال : فجمع له ابو سفيان بن حرب وأصحابه ، فجاء قوم كلهم لله ولرسوله عليه السلام عدو ، فقال : اخبرني يا أبا سفيان من هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فلم يأل ان يصغّر أمره ما استطاع ، قال : أيها الملك لا يكبر عليك شأنه ، إنّا لنقول هو ساحر ، ونقول هو شاعر ، ونقول هو كاهن . قال قيصر: كذلك والذي نفسي بيده كان يقال للأنبياء قبله ، أخبرني موضعه فيكم . قال : أوسطنا سطةً ، قال : كذلك يبعث الله كل نبي من أوسط قومه ، قال :

أخبرني عن أصحابه ، قال : غلماننا وأحداثنا سناً ، والسفهاء ، أما رؤساؤنا فلم يتبعه منهم احد . قال : اولئك والله أتباع الرسل منذ قط [١] ، أما الملأ والرؤوس فتأخذهم الحمية ، قال : فأخبرني عن اصحابه هل يفارقونه بعد ما يدخلون في دينه سخطةً له ؟ قال : ما يفارقه منهم احد ، قال : فلا يزال داخل منكم في دينه ؟ قال : نعم ، قال : ما تزبدونني عليه إلا بصيرة ، والذي نفسي بيده ليوشكن ان يغلب على ما تحت قدمي .

يا معشر الروم : هل الى ان نجيب هذا الرجل الى ما دعانا اليه ؟ ونسأله الشام ان لا توطأ علينا ابداً، فانه لم يكتب قطّ نبي من الانبياء الى ملك من الملوك يدعوه الى الله تعالى فيجيبه الى ما دعاه . ثم يسأله غيرها فيسأله إلا أعطاه مسألته ما كانت ، فأطيعوني . فلنجبه الى ما دعانا اليه، ونسأله الشام ان لا توطأ. قالوا : لا نطاوعك في هذا ابداً ، أتكتب اليه تسأله في ملكك الذي تحت رجليك، وهو هنالك لا يملك من ذلك شيئاً ، فمن أضعف منك ؟ قال ابو سفيان: والله ما يمنعني من ان أقول قولاً أسقط من عينه إلا اني أكره ان أكذب عنده كذبة يأخذها عليّ فلا يصدّقني في شيء، قال : حتى ذكرت قوله ليلة أسريَ به ، قال : قلت ايها الملك ألا اخبرك عنه خبراً تعلم انه قد كذب ؟ قال : وما هو ؟ قال : يزعم لنا انه خرج من أرضنا أرض الحرم في ليلة فجاء مسجدكم هذا مسجد إيلياء ورجع الينا في تلك الليلة قبل الصباح . قال : وبطريقُ إيلياء عند رأس قيصر ، فقال بطريق ايلياء : قد علمت تلك الليلة . قال : فنظر قيصر اليه وقال : وما علمك بهذا ؟ قال : اني كنت لا أنام ليلة ابداً حتى أغلق ابواب المسجد ، فلما كانت تلك الليلة أغلقتُ الابواب

---

(١) أي الدهر هـ .

كلها غير باب واحد غلبني، فاستعنتُ عليه عمالي وَمن حضرني كلهم، فعالجته فلم نستطع ان نحرّكه كأنما تروّل به جبلاً ، فدعوت النجاجرة، فنظروا اليه فقالوا : هذا باب سقط عليه النجاف ، والبنيان ، والاسطوانة، ولا نستطيع ان نحرّكه حتى نصبح فننظر من أين أتى . قال : فرجعتُ وتركت البابين مفتوحين، فلما اصبحتُ غدَوْتُ عليهما ، فاذا الحجر الذي من زاوية المسجد مثقوب ، واذا فيه اثر مربط الدابة . قال : فقلت لأصحابي : ما حبس هذا الباب الليلة إلا على نبي ، وقد صلّى الليلة في مسجدنا .

فقـال قيصر لقومه : يا معشر الروم ، أليس تعلمون ان بين عيسى وبين الساعة نبياً بشّركم بـه عيسى كنتم ترجون ان يجعله الله منكم ؟ قالوا : نعم . قال : فان الله قـد جعله في غيركم في أقلّ منكم عدداً ، وأضيق منكم باباً ، وهي رحمة الله يضعها حيث يشاء ، فإما ان تطيعوني فيما آمركم به، وإلا رأيتم الخيـــل دوابين ، نواصيها بين أظهركم ، فيُقتل الرجال ، ويُستباح المال ، وتُسبى العيال . قالوا : نصبر له عشر سنين ؟ قال : نعم ، وعشرين سنة . قالوا : نصبر عشرين سنة ؟ قال : نعم ، وثلاثين . قالوا نصبر ثلاثين ؟ قال: نعم ، واربعين . قالوا : نصبر اربعين ؟ قال : نعم ، وخمسين حتى بلغ رأس المائة يزيد عشراً عشراً ، فلمـا بلغ رأس المائة قالوا : ألك علم بهم ؟ كيف هم بعد المائة ؟ قال: هم بعد المائة كالدينار المضروب ثلثه هِبرِزيّ(١) خالص، وثلثه مغشوش ، وثلثه لا خير فيه . قال : ثم قال قيصر : ارجعوا عني هذا اليوم حتى أفكـّر في أمري وأدبّره ، ثم اغدوا عليّ بالغداة أجمعكم . قال : فغدوا عليه حين اصبح وأشرف لهم على بيت مرتفع ، فقال: يا معشر الروم،

---

(١) بالكسر الذهب الخالص : قاموس .

ان هذا النبي الذي بشّر به عيسى بن مريم ، فأجيبوه الى ما دعا اليه . فلما رأى إلغاطهم وإباءهم صمتَ عنهم حتى سكن عنه الصوت، ثم قال : يا معشر الروم ، دعاكم ملككم ينظر كيف صلابتكم في دينكم ، فشتمتموه وسببتموه وهو بين أظهركم . قال : فخرُّوا له سُجَّداً .

غريبٌ دعاه حبيبٌ فأجابه :

حدثنا محمد بن اسمعيل ، نبأ عبد الرحمن بن علي، نبأ محمد بن ابي منصور، نبأ ابو عبد الله الحميدي ، انا الاردستاني ، نبأ ابو عبد الرحمن السلمي ، سمعت ابا الحسن بن عبد الله الطوسي، سمعت علـّوس الدينوري يقول : سمعت المزني يقول : كنت مجاوراً بمكة فخطر لي خاطر في الخروج الى المدينة، فخرجت، فبينما انا بين المسجدين أمشي فاذا انا بشابٍّ مطروح الى جانب جبل عليه خرقتان وهو ينزع ، فقعدت عند رأسه فقلت: يا سيدي، قل لا إله إلا الله، ففتح عينيه ونظر إليَّ ، وأنشد :

أنا إن متُّ فالهوى حَشوُ قلبي ... وبداءِ الهوى يموتُ الكرامُ

وشهق شهقة كانت فيها نفسه ، فكفـّنته في اطماره ورجعت .

أنشدني ابو علي الغالي في الوطن :

أقول لصاحبي والعيسُ تَحدي ... بنا بين المنيعة والضمارِ
تزوّدْ من شميم عِرارِ نجدٍ ... فما بعد العشيَّة من عِرار
ألا يا حبَّذا أرواحُ نجدٍ ... ورَيّا روضه غِبَّ القطار
وعيشك إذ يحلّ القوم نجداً ... وأنتَ على زمانك غير زار
شهورٌ تنقضين وما علمنا ... بإنصافٍ لهنّ ولا سرار

وأنشد ابو بكر الانباري في ذلك :

واستشرف الاعلامَ حتى يدلني على طيبها مرّ الرياح النواسمْ
وما انسم الأرواح إلا لأنهـا تمرُّ على تلك الربى والمعـــالم

وأنشد الشريف الرضي رحمه الله تعالى :

أقول وقد حلـّت بذي الاثل ناقتي قرىّ لا ينل منك الحنين المرجّع
تحنين إلا أن بي لا بـك الهوى ولي لا لك اليوم الخليط المودّع
وباتت تشكي تحت رحلي ضمانـة كلانا اذاً يا ناقُ نضوٌ مفجع
أحسّت بنار في ضلوعي فأصبحت يحثّ بهـا نار الغرام ويوضع

ومن وقائع بعض الفقراء :

ما حدثنا به عبد الله بن الاستاذ المروزيّ رحمه الله قـــال : رأى بعض الفقراء ببجاية في الواقعة أبا حـــامد وجماعة من الصوفية يقولون للشيخ ابي مدين : اخبرنا عن شيء مما خصك به الحق من العلم ، فقـال لهم : بالعلم الباقي اضاء سري ، وحسُنت اخلاقي ، فعلم الله صفة ذاته ، فكل ما عرف منه سبحانه معروف ، والصفة لا تفارق الموصوف ، فما ثبت في الوحود منه فبإمداده ، وما فهموا عنه فبإرشاده ، فكل علم سواه بالاضافة اليه مذموم، وإنما يشرف العلم بشرف المعلوم ، فانظر ما علمك وماذا ؟ فمن هناك تجازى وتنادى ، فخير العلم مـــا وصلك الى المعلوم ، وعند مشاهدة الحق تضمحل الرسوم ، ويتجلى إذ ذاك الحي القيوم، فمن رقى عن المحسوسات نال الغيوب، ومن قهقر عندهـــا فهو محجوب ، فالعارف ابداً يرقى ، ودقائق الاشارات واللطائف يتلقى ، ليس له التفـات الى ذيتٍ وذيت ، ولا يقنعُ من البيت

إلا برب البيت ، فهو ابـــداً في التنزيه ، والمشاهدة ، يرفع عن الأغيار والمكايدة ، ملاحظ ذلك الجمال الأبدي ، متلذذ بمشاهدة الملك العليّ .

ثم قال الشيخ : مقامي مقام العبودية ، وعلومي العلوم الإلهية ، وصفاتي مستمدة من الصفات الربانية ، بها عمر فكري ، وهي غذاء لسرّي وجهري، فعلمي بالله متصل، وعن كل من سواه منفصل، اتصاله بحضرة قدسه، ومسرحه في رياض انسه ، فبالعلم بالله وذاته وصفاته نلتُ الجـاه ، ومعلومي هو الله ، عظمته ملأت حقيقتي وسرّي ، ونوره أضاء به برّي وبحري ، فمن أحيـاه فهو الحيّ ، ومن أماته عنه في ظلمة الغيّ اذ المقرب به عظيم ، ولا يسمو إلا من أتى الله بقلب سليم ، فالقلب السليم هو الذي سلم ممـا سواه ، ولا يكون في الوعاء إلا ما جعل فيه مولاه ، فقلب العارف يسرح في الملكوت بلا شكّ ولا ارتياب ، وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرُّ مرّ السحاب ، فالجبـال بقدرته سيّرها ، وبصنعه الجميل أتقنها ، فكلامه العزيز اصدور أوليائه شفا ، وهو سبحانه لشدة ظهوره خفا .

ومن محاسن المخاطبة :

ما قال عمارة بن حمزة لأبي العباس وقد أمر له بجوهر نفيس : وصلك الله يا امير المؤمنين، وبرّك ، فوالله لو أردنا شكرك على انعامك ليقصُرنّ شكرنا على نعمتك ، كما قصر الله بنا عن منزلتك .

ودخل اسحاق بن ابراهيم الموصلي على الرشيد فقال : مالك ؟ فقال :

سوامي سوام المكثرين تجمُّلا ومالي كما قـــد تعلمين قليلُ
وآمرة بالبخل قلت لها اقصري فذلك شيء مـا اليه سبيل

وكيف أخاف الفقر او أُحرم الغنى ورأي امـير المؤمنـين جميل
أرى الناس خلاّن الجواد ولا أرى بخيلاً له في العـالمين خليل

فقال الرشيد : والله هذا الشعر الذي صحّت معـانيه ، وقويت اركانه ومبانيه ، ولذّ على افواه القائلين ، وأسماع السامعين، يا غلام احمل اليه خمسين الف درهم . قال اسحاق : يا امير المؤمنين كيف اقبل صلتك وقـد مدحتَ شعري بأكثر مما مدحتك به ؟ قال الاصمعي : فعلمت انه أصيد للدراهم مني .

ودخل المأمون ذات يوم الديوان، فنظر الى غلام جميل على أذنه قلم فقال: من أنت ؟ قال: انا الناشيء في دولتك، المتقلب في نعمتك، المؤمّل لخدمتك، الحسن بن رجاء . فقال المأمون : بالاحسان في البديهة تتفاضل العقول ، يرفع عن مرتبة الديوان الى مرتبة الخاصة ، ويعطى مائة الف درهم تقوية له .

ووصف يحيى بن خالد الفضل بن سهل وهو غـلام على المجوسية للرشيد ، وذكر أدبه وحسن معرفته ، فعمل على ضمّه الى المأمون ، فقال ليحيى يوماً: أُدخل يوماً عليّ هذا الغلام حتى انظر اليه فأوصله، فلما مثل بين يديه ووقف تحيّر ، وأراد الكلام ، فارتج عليـه ، فأدركته كبوة ، فنظر الرشيد الى يحيى نظرةً منكرة ، لمـا كان تقدم به في حقه ، فانبعث الفضل بن سهل فقال : يا امير المؤمنين ان من أبـين الدلالة على فراهة المملوك شدّة افراط هيبته لسيده ، فقال له الرشيد : أحسنت والله لئن كان سكوتك لتقول هذه انه لحسن، وإن كان شيئاً أدركك عند انقطاعك لأحسن وأحسن . ثم جعل لا يسأله عن شيء إلا رآه فيه مقدماً ، فضمّه الى المأمون .

المزاح :

روينا من حديث الدينوري ، عن محمـد بن المغيرة المازني ، عن خالد بن

عمرو ، عن الربيع بن صبح ، عن الحسن قال : المزاح يذهب بالمروءة .

وأنشد محمد بن المغيرة :

اخوك الذي أن سُؤتَه قال أنني أسأت وإن عاتبته لان جانبه
فعش واحداً اوصل أخاك فإنه مفارق ذنبٍ مرّةً ومجانبُه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأيُّ الناس تصفو مشاربه

بالعدل يكثر الخراج وينمو المال :

روينا من حديث المالكي ، عن ابراهيم الحرّاني ، عن سليمان بن ابي شيخ ، عن صالح بن سليمان قال : قال عمر بن عبد العزيز لو تجاءيت [1] الامم ، وجئنا بالحجاج ، لغلبناهم ، وما كان يصلح لدنيا ولا لآخرة ، لقد ولّي العراق وهي أوفر ما تكون من العمارة ، فأخسّ بها حتى صيّر خراجها اربعين الف الف ، وقد أدى اليّ عاملي هذا منها ثمانين الف الف ، وإن بقيتُ الى قابل رجوتُ أن يؤدي اليّ ما أدّوا الى عمر بن الخطاب مائة الف الف .

وصية بمكارم الاخلاق ممن بلغت نفسه التراق :

روينا من حديث الدينوري ، عن ابي بكر بن ابي الدنيا ، عن زكريا بن يحيى ، نبأ عمر بن حصين ، عن جدّه حميد بن منهب ، عن جرثم قال : لما حضر ابي اوس بن جارثة الوفاة جمعنا فقال : يا بني اني قلتُ أبياتاً فاحفظوها عني :

---

(١) أي تغالبت : قاموس .

لنا خير اخلاق ونحنُ اعزّةٌ نعِفُّ ونأبى أن نذمّ وننصبا
نجاور أكفاناً وننزل بالرّبى ولأنك عن خير المشاهد غيّبا
ونجتنبُ الآفاتِ والأثم كله ونحمي حمانا رهبة أن نؤنبا
بذلك أوصانا أبينا وجدّنا وتحرمنا أحسابنا ان نؤنّبا
فنحن مناجيبٌ لأكرم منجبٍ وجدّ أبينا كان من قبل منجبا
وما يبتغي فينا الجاور خيفــة وكلا ومن زار الصفا والمحصّبا

ومن حديثه ايضاً عن احمد بن محمد ، أنشدني اسمعيل بن زيد :

أحبّ الفتى ينفي الفواحش سمعه كأن به عن كل فاحشة وقرا
سليم دواعي الصدر لا باسطاً يداً ولا ضائقاً خيراً ولا قائلاً هجرا
اذا ما أتت من صاحب لك زلّة فكن أنت محتالاً لزلته عذرا
غنى النفس ما يكفيك من سدّ فاقة فان زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقرا

ومما لا بدّ منه ، ما قال النابغة هـ :

حسبُ الخليلين ان الارض بينهما هـــذا عليها وهذا تحتها بالي

ومن باب من ُطرد فلزم حتى ُقبل :

أخبرني شيخ بالتنعيم ونحن محرمين نلبي فقال : جاور هنا شيخ سبعين سنة ما منها حجة يحجها او عمرة يعتمرها إلا يقال له عندما يقول : لبّيك ، لا لبيك ، ولا سعديك، فأحرم معه يوماً شاب فقال الشيخ : لبيك أللهم لبيك، فسمع الشاب قائلاً يقول له : لا لبيك ، فقــال له : يا عم قــد قيل لك : لا لبيك ، فبكى الشيخ ، فقال له : يا ولدي أسمعته ؟ قــال الشاب : نعم ، فقال له الشيخ : ان لي أسمعه سبعين سنة ، قــال له الشاب : ففيمَ تتعب ؟

قال : يا بني فإلى باب من ألزم؟ والى من أرجع ؟ انما لي اللزوم والجهد ، وله سبحانه القبول ان شاء ، او الردّ ، يا بني لا ينبغي ان يطرده هـذا عن باب مولاه ، ولا يحول بينه وبين خدمته . وبكى الشيخ حق جرت دموعه على صدره ، ثم رفع صوته بالتلبية ، فسمع الشاب ذلك القائل يقول له : قـــد قبلنا اجابتك ، وهكذا فعلنا بكل من حسَّن الظن بنـا ، مع الاجتهاد في خدمتنا ، ولزوم طاعتنا ، وإيثار ذكرنا على ذكر غيرنا ، لا من يتبع هواه، ويتمنى علينا الأماني. فقال الشاب: أما سمعت ما ردّ عليك ؟ قال : سمعت، وعلا نحيبه ، واشتدّ بكاؤه .

أخبرني عبد الرحمن ، عن عبد الله بن حبيب ، عن عبد الغفار بن محمد ، عن ابن ابي الصادق ، عن ابن باكويه ، عن الحسن بن احمد ، عن محمـــد بن داود ، عن ابي عبد الله الجلّاء قال: كنت بذي الحليفة وشابّ يريد ان يحرم، فكان يقول : يا رب ، اريد ان أقول لبّيك اللهم لبّيك ، فأخشى ان تجيبني بلا لبّيك ، ولا سعديك . يردّد ذلك مراراً ، ثم قـال : لبيك اللهم ، مَدّ بها صوته ، وخرجت روحه .

في شرف التواضع والعلم ميزان الخشية :

حدثنا ابو محمد بن عبد الله ، نبأ علي بن الحسن ، نبـأ عبد الله بن محمد بن احمد ، نبأ جدّي احمـد بن الحسين ، أنا ابو بكر بن الحسن القاضي ، أنا ابو جعفر احمد بن علي بن رحيم ، نبأ محمد بن الحسين بن ابي الحسن ، نبأ سعيد بن منصور ، نبأ الحارث بن عبيد الله الايادي ، ، عن ابي عمر بن الجوبي ، عـن انس قال : قال رسول الله ﷺ : بينما انا جالس إذ جاء جبريل عليه السلام فوكز بـــين كتفيّ فقمتُ ، يعني الى شجرة فيها مثل وكري طائر ، فقعد

جبريل عليه السلام في احدهما ، وقعدتُ في الآخر ، فسمت وارتقت حتى سدّت الخافقين ، وأنا اقلبُ طرفي ، فلو شئتُ أن أمسّ السماء مسست .

وفي حديث ابن عطارد : فلو بسطت يديّ الى السماء لنلتها . ففتح بابٌ من ابواب السماء ، فرأيت النور الأعظم .

قال ابن عطارد : فدّلى بسبب ، وهبط النور، فوقع جبريل مغشياً عليه كأنه خلس ، فعرفت فضل خشيته على خشيتي .

وقال انس : فضل علمه بالله عليّ ، واذادوني حجاب ، رفرف الدرّ والياقوت .

قال ابن عطارد : فأوحى اليّ نبيّاً ملكاً ، او نبيّاً عبداً ، فأومأ اليّ جبريل وهو مضطجع ، أن تواضع ، قلتُ : لا بل نبيّاً عبداً .

وقال ابن عباس في حديثه : فما اكل بعد تلك الكلمة طعاماً ، متكئاً حتى لقي ربه . وخالفهما في المتن بل لم يذكر من الحديث إلا قصة التخيير ، فلعله هذا الحديث او غيره .

في قوله تعالى « كنتم خير امة » :

حدثنا ابو بكر السجستاني ، نبأ علي بن ابراهيم ، نبأ سعد الخير ، عن محمد بن محمد المطرّزي ، نبأ احمد بن عبد الله ، نبأ ابراهيم بن عبد الله بن اسحاق ، نبأ محمد بن اسحاق الثقفي، أنا قتيبة بن سعيد، نبأ رشيد بن سعد ، عن سعيد بن عبد الرحمن المغافري ، عن ابيه ، ان كعب الاحبار رأى حبر اليهود يبكي فقال : ما يبكيك ؟ قال : ذكرت بعض الأمر، فقال له كعبٌ: أنشدك بالله لئن اخبرتك ما ابكاك لتصدقني ؟ قال : نعم ، قال أنشدك بالله

هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة ؟ فقال : يا رب إني اجد امــةً في التوراة « خير امة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ويؤمنون بالكتاب الاول ، والكتاب الآخر ، ويقاتلون اهــل الضلالة حتى يقاتلون الاعور الدجال. قال : فقال موسى : رب اجعلهم امتي، قال : هم امة احمد يا موسى ، قال الحبر : نعم .

قال كعب : فأنشدك بالله هل تجد في كتاب الله المنزل ان موسى نظر في التوراة فقال : رب إني اجد امــــةً هم الحمّادون رعاة الشمس المحكمون إذا أرادوا امراً ؟ قالوا : نفعله إن شاء الله فاجعلهم امتي ، قال : هم أمــة احمد يا موسى ، قال الحبرُ : نعم .

قال كعبٌ : أنشدك بالله هــــل في كتاب الله المنزل إن موسى نظر في التوراة فقال : يا رب إني اجد امةً إذا أشرف احدهم على شرف كـبّر الله ، وإذا هبط وادياً حمد الله ، الصعيد لهم طهور ، والارض لهم مسجد ، حيثما كانوا يطهّرون من الجنابة، طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء ، حيث لا يجدون الماء ، غرّ محجّلون من أثر الوضوء ، فأجعلهم امتي . قال : هم امــة احمد يا موسى ، قال الحبر : نعم .

قال كعب : أنشدك بالله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال: رب إني اجد امة مرحومة ضعفاء، يرثون الكتاب، فأصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات ، فلا اجد واحداً منهم إلا مرحوماً ، فأجعلهم امتي . قال : هم امــــة احمد يا موسى ، قال الحبر : نعم .

قال كعبٌ : أنشدك بالله هــل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى عليه

السلام نظر في التوراة فقال : رب إني اجد في التوراة امـةً ، مصاحفهم في صدورهم ، يلبسون ثياب اهل الجنة ، يصطفون في صلاتهم كصفوف الملائكة اصواتهم في صلاتهم كدويّ النحل ، لا يدخل النار منهم احـد إلا من بريء من الحسنات مثل ما بريء الحجر من ورق الشجر، قال موسى: فأجعلهم امتي قال : هم أمة احمد يا موسى ، قال الحبر : نعم .

قـــال كعب : أنشدك بالله هل تجد في كتاب الله المنزل ان موسى عليه السلام لما نزلت عليه التوراة وقرأها فوجد فيها ذكر هذه الأمة قال : يا رب اني اجد في الألواح أمة هم السابقون المشفوع لهم فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة احمد ، قال : يا رب اني أجد في الألواح أمة هم المسبّحون المستجيبون ، والمستجاب لهم ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة احمد ، قـال : يا رب اني اجد في الألواح أمة يأكلون الفيء فاجعلهم امتي ، قال : تلك أمة احمـد ، قـــال : يا رب اني أجد في الألواح أمة يجعلون الصدقة في بطونهم يؤجرون عليها ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة احمد ، قال : يا رب اني اجـــد في الألواح أمة اذا همّ احدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة ، وإن عملها كتبت له عشر حسنات، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة احمد، قال : يا رب اني اجد في الألواح أمة اذا همّ احدهم بسيئة فلم يعملهـــا لم تكتب ، وإن عملهـا كتبت سيئة واحدة ، فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة احمـد ، قال : يا رب اني اجد في الألواح أمـة يؤتون العلم الاول ، والعلم الآخر ، فيقتلون قرون الضلالة المسيح الدجال ، فاجعلها أمتي . قـــال : تلك أمة احمد ، قال [1] : قال الحبر : فلما عجب موسى عليـه السلام من الخير الذي أعطاه الله محمداً ﷺ ، وأمته ، قال : يا ليتني من اصحاب محمد .

---

(١) وفي نسخة قال الحبر: نعم . فلما عجب بدل قوله قال : قال الحبر تأمل .

وفي حديث ابي هريرة عن النبي ﷺ قال : يا رب اجعلني من أمة محمد . قال الحبر : نعم ، فأوحى الله تعالى اليه ثلاث آيات يرضيه بهن : « يا موسى اني اصطفيك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ مـــا آتيتك وكن من الشاكرين » . « وكتبنا له في الألواح من كل شيء ، الى قوله دار الفاسقين » . « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبـه يعدلون » . لم يذكر ابو هريرة في حديثه سوى الخصلتين : الرسالة ، والكلام . وذِكره معاوية ، والسياق من مصاحفهم في صدورهم ، في هذا الحديث إليّ من اصحاب محمـد لأبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، ذكرناه من رواية محمد بن الحسن ، عن محمـد بن عثمان بن ابي شيبة ، عن جبـــارة بن المفلس ، عن الربيع بن النعمان ، عن سهيل بن ابي صالح ، عن ابيه ، عن ابي هريرة رضي الله عنه .

بلاغة واعتراف :

روينا من حديث احمد بن داود ، عن المازني ، عن الاصمعي قـال : قيل لاعرابي : ما احسن الثناء عليك ؟ فقال : بلاء الله عندي أحسن من وصف المـادحين وأن احسنوا ، وذنوبي الى الله اكثر من عيب الذامين وأن كثروا ، فيا اسفي على ما فرطت في جنب الله ، ويا سوأتاه مما قدمت .

حكمة :

قال ابن داود : قال محمد بن سلام : قال قرشي لحكيم من العرب : علمني الحلم ، فقال له : ان الحلم هو الذلّ ، فاصبر عليه .

موعظة :

روينا عن احمد بن عبّاد قال : أنشدني الرياشي :

لا يبعدُ اللهُ اخواناً لنا بعدوا　　افناهمُ حدثان الدهر والأبدُ
يمدّهم كل يوم من بقيّتنـا　　ولا يُردُّ الينـا منهم احد

وروينا من حديث احمد بن الحسين الانماطي قال : انشدنا سعيد الحرميّ، ورسول الله ﷺ اولى بما قال :

أما القبور فإنهنّ اوانسٌ　　بجوار قبرك والديار قبورُ
عمّت مصيبته فعمّ هلاكه　　فالناس فيهم كلهم مأجورُ
ردّت صنائعه اليه حياته　　فكأنه من نشرها منشور

حدثنا ابو بكر السجستاني، نبأ هبة الله بن علي، نبأ ابن بركات السعيدي، نبأ محمد بن سلامة ، نبأ احمد بن محمد بن الحاج ، انا عبد الله الفضل بن عبيـد الهاشمي ، حدثنا ابو محمد بكر بن سهل الدمياطي إملاءً ، نبـأ محمد بن ابي السريّ ، نبـأ عبد العزيز بن عبد الصمد ، نبأ ابان بن ابي عياش ، عن انس ابن مالك قال : خطبنا رسول الله ﷺ على ناقته الجدعاء فقال في خطبته : أيها الناس كان الحق فيها على غيرنا وجب، وكان الموت فيها على غيرنا كتب ، وكان الذين نشيع من الأموات سفرٌ عما قليل الينـا راجعون ، نبوّئهم اجداثهم ، ونأكل تراثهم ، كأنا مخلدون بعدهم ، قـد نسينا كل واعظة ، وآمنا كل جائحة ، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب النـاس ، وأنفق من مـال اكتسبه من غير معصية ، وخالط اهل الفقـه والحكمة ، وجانب أهل الذل والمعصية ، طوبى لمن ذلّ في نفسه ، وحسنت خليقته ، وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعته السّنة ولم يعدُها الى بدعة .

خبر وصي عيسى عليه السلام :

حدثنا عربشاه بن محمد بن ابي المعالي العلوي التنوخي والخبوشاني كتابة ،

ثنا محمـد بن الحسن بن سهل العباسي الطوسي ، أنبأنا خالي ابو المحاسن علي بن ابي الفضل الفارمدي ، أنبأنا احمد بن الحسين بن علي قال : حدثنا ابو عبد الله الحافظ ، حدثنا ابو عمر عثمان بن احمد السماك ببغداد إملاءً ، ثنا يحيى بن ابي طالب ، ثنا عبد الرحمن بن ابراهيم الراسبي ، ثنا مالك بن انس ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال :

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى سعد بن ابي وقاص وهو بالقادسية أن وجّه نضلة بن معاوية الانصاري الى حلوان العراق ، فليغر على ضواحيها ، قال : فوجّه سعدٌ نضلة في ثلاثمائة فارس ، فخرجوا حتى أتوا حلوان العراق وأغاروا على ضواحيها ، فأصابوا غنيمة ، وسبياً ، فأقبلوا يسوقون الغنيمة والسبي حتى رهقت بهم العصر ، وكادت الشمس ان تغرب ، فألجأ نضلة الغنيمة والسبي الى سفح الجبل ، ثم قـام فأذن فقال : الله اكبر الله اكبر ، قال : ومجيبٌ من الجبل يجيبه ، كبرتَ كبيراً يا نضلة ، ثم قـال : أشهدُ أن لا إله إلا الله ، فقال : كلمة الاخلاص يا نضلة ، ثم قال : أشهدُ أن محمداً رسول الله قال : هو الدين ، وهو الذي بشرنا بـه عيسى بن مريم عليه السلام ، وعلى رأس امته تقوم الساعة ، ثم قال : حيَّ على الصلاة ، قال : طوبى لمن مشي اليها ، وواظب عليها ، ثم قال : حيَّ على الفلاح ، قـال : أفلح من أجاب محمداً ﷺ وهو البقاء لأمته ، ثم قـال : الله اكبر الله اكبر ، قال : كبرت كبيراً ، ثم قال : لا إله إلا الله ، قال : اخلصت الاخلاص يا نضلة فحرم الله جسدك على النار .

قال : فلما فرغ من أذانه قمنـا فقلنا من انت يرحمك الله ؟ أملك أنت ؟ أم ساكن من الجن ؟ أم من عباد الله ؟ أسمعتنا صوتك ، فـأرنا شخصك ، فأنا وفد الله ، ووفد رسول الله ﷺ ، ووفد عمر بن الخطاب رضي الله عنه،

قال : فانفلق الجبل عن هامة كالرّحاء ، أبيض الرأس واللحية، عليه طمران من صوف ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فقلنا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا رزيب بن برثملة وصي العبد الصالح عيسى بن مريم عليه السلام ، أسكنني هـذا الجبل ، ودعا لي بطول البقاء الى نزوله من السماء ، فيقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويتبرّأ مما نحلته النصارى .

ثم قال : ما فعل النبي ﷺ ؟ قلنا قبض ، فبكى بكاءً كثيراً طويلاً حتى خضب لحيته بالدموع ، ثم قال : من قام فيكم بعده ؟ قلنا : ابو بكر ، قال: ما فعل ؟ قلنا قبض ، قال : فمن قـام بعده ؟ قلنا : عمر ، قال : إذا فاتني لقاء محمد ﷺ فاقرؤا عمر مني السلام ، وقولوا له : يا عمر سدّد ، وقارب ، فقد دنا الأمر، وأخبروه بهذه الخصال التي أخبركم بها ، يا عمر إذا ظهرت هذه الخصال في امة محمد ﷺ ، فالهرب الهرب ، إذا استغنى الرجال ، بالرجال ، والنساء بالنساء ، وانتسبوا في غير مناسبهم ، وانتموا الى غير مواليهم ، ولم يرحم كبيرهم صغيرهم ، ولم يوقر صغيرهم كبيرهم ، وترك الأمر بالمعروف ، فلم يؤمر به ، وترك النهي عن المنكر ، فلم ينته عنه ، وتعلم عالمهم العلم ليجلب بـه الدنانير والدراهم ، وكان المطر قيظاً ، والولد غيظاً ، وطوّلوا المنابر ، وفضّضوا المصاحف ، وزخرفوا المساجد ، واظهروا الرشا ، وشيّدوا البناء، واتبعوا الهوى ، وباعوا الدين بالدنيا، واستخفّ بالدما ، وتقطّعت الارحام، وبيع الحكم ، وأكل الربا ، وصار التسلط فخراً ، والقتل عزّاً ، وخرج الرجل من بيته ، فقام اليه من هو خير منه ، وركبت النساء السروج .

قال : ثم غاب عنّا ، فكتب بذلـك نضلة الى سعد ، فكتب سعد الى عمر ، فكتب عمر الى سعد : أئتِ أنت ومن معك من المهاجرين والانصار

حتى تنزل هذا الجبل ، فإذا ألقيته فاقرأه مني السلام ، فإن رسول الله ﷺ قال : إن بعض اوصياء عيسى بن مريم نزل بذلك الجبل بناحية العراق ، فنزل سعد في أربعة آلاف من المهاجرين حتى نزلوا الجبل اربعين يوماً ، ينادي بالأذان في كل صلاة ، لم يتابع الراسبي على قوله ، عن مالك بن انس ، والمعروف في هذا الحديث مالك بن الازهر ، عن نافع ، وابن الازهر مجهول ، قال الحكم : لم يسمع بذكره في غير هذا الحديث ، والسؤال عن النبي ﷺ ، وعن ابي بكر هو من حديث ابن لهيعة ، عن ابن الأزهر ، وقوله : في زخرفة المساجد ، وتفضيض المصاحف ليس على طريق الذم ، وإنما هو دلالة على قيام الساعة ، وفساد الزمان كدلالة نزول عيسى ، وخروج المهدي ، وطلوع الشمس .

وصية نبوية :

حدثنا محمد بن قاسم ، نبأ هبة الله بن مسعود ، نبأ محمد بن بركات ، نبأ محمد بن سلامة بن جعفر ، نبأ هبة الله بن ابراهيم الخولاني ، نبأ علي بن الحسين ابن بندار ، نبأ اسماعيل بن احمد بن ابي حازم ، نبأ ابي ، نبأ عمرو بن هاشم ، اخبرني سليمان بن ابي كريمة ، عن محمد بن عمرو ، عن ابي سلمة ، عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : يا أبا هريرة أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً ، واحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمناً ، واعمل بفرائض الله تكن عابداً ، وارض بقسم الله تكن زاهداً .

همة شريفة :

روينا من حديث جعفر بن محمد ، عن معاوية بن عمرو ، عن ابي اسحاق ،

قال : كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى بعض عماله ممن عزّاه بموت سهيل بن عبد العزيز بن مروان :

وحسبي حياة الله من كل ميتٍ وحسبي بقاء الله من كل هالك

تنبيه وتعليم من عالِم شفيق :

روينا من حديث ابي قلابة عن مسلم بن ابراهيم قال : عزّى صالح المري بعض اخوانه فقال له : ان لم تكن مصيبتك أحدثت في نفسك موعظة فمصيبتك بنفسك أعظم .

وفي هذا المعنى لبعض الشعراء :

إن لم يكن ما به اصيب جليلاً فذهابُ العزاء فيه أجلُّ

تذكرة عاقل وتنبيه غافل :

روينا من حديث ابن ابي الدنيا ، عن عبد الله بن محمد قال : قرأت على ركن دار مشيد :

لو كنتَ تعقل يا مغرورُ مارقاتْ دموعُ عينيك من خوفٍ ومن حذر
ما بال قوم سهامُ الموت تخطفهم يفاخرون برفع الطين والمدر

وأما أنا فمررتُ بجبّانة فرأيت على قبر مكتوباً :

يا أيها الناسُ كان لي امل قصّرَ بي عن بلوغه الأجلُ
فليتق الله ربه رجلٌ أمكنه في حياته العمل
ما انا وحدي نقلت حيث تروا كلٌّ الى مثله سينتقل

ومن حسن العهد ومكارم الاخلاق :

مـا روينا من حديث ابراهيم الحربي ، عن عثمان بن محمـد الانماطي ، عن عمرو بن ابي قيس ، قال : خرج عبد الله بن جعفر الى حيطان المدينة ، فبينما هو يسير إذ نظر الى اسود على بعض الحيطان وهو يأكل ، وكلب رابض بين يديه ، فكلما اخذ لقمةً رمى للكلب مثلهـا ، فلم يزل كذلك حتى فرغ من أكله وعبد الله بن جعفر واقف على دابّته ينظر اليه ، فلما فرغ دنا منه فقال له : يا غلام لمن انت ؟ فقال : لورثة عثمان بن عفان رضي الله عنه . فقـال : لقد رأيت منك عجباً . قال : وما الذي رأيتَ من العجب يا مولاي ؟ قال: رأيتك تأكل ، وكلما تأكل لقمة رميتَ للكلب مثلها . فقال له : يا مولاي ، هو رفيقي منذ سنين ، ولا بدّ ان أجعله كأسوتي في الطعام . فقـال له : فدون هذا يكفيه . فقال له : يا مولاي ، إني لأستحي من الله عز وجل ان آكل وعين تنظر إليّ .

ثم مضى عنه حتى أتى ورثة عثمان بن عفان ، فنزل عندهم ، فقال : جئت في حاجة. فقالوا له : وما حاجتك ؟ فقال : تبيعوني الحائط الفلاني، فقالوا: قد وهبناك إياه . فقال : لست آخذه إلا بثمن، فباعوه. فقال لهم: وتبيعوني الغلام الأسود ؟ فقـالوا له : ان الأسود ربّيناه ، وهو كأحدنا . فلم يزل بهم حتى باعوه ، فانصرف عنهم . فلمـا اصبح غدا على الغلام وهو في الحائط ، فخرج اليه فقال: أما شعرتَ أني قد اشتريتك، واشتريت الحائط من مواليك؟ فقال له: بارك الله لك فيما اشتريت، ولقد غمّني مفارقتي لمواليّ ، انهم ربّوني. فقال له : فأنت حرٌ والحائط لك . فقـال : إن كنتَ صادقاً يا مولاي ، فاشهد أني قد أوقفته على ورثة عثمان بن عفان . قال : فتعجّب عبـد الله بن

جعفر منه ، وقال : ما رأيت كاليوم . فقال له : بارك الله فيك ، ودعا له، ومضى . انتهى .

ومن باب فضل مواساة أهل البيت وإيثارهم بالنفقة على الحج الى البيت :

ما حدّثناه يونس بن يحيى ، عن محمد بن ناصر ، عن الحسن بن احمد ، عن ابي الحسن علي بن احمد الهذلي ، حدّثني ابو الحسين بن شمعون ان عبد الله بن المبارك قال : كان بعض المتقدمين قد حبّب اليه الحج ، قال : فحدّثت انه ورد الحاج في بعض السنين الى بغداد فعزمت على الخروج معهم الى الحج ، فأخذت في كمي خمسمائة دينار ، وخرجت الى السوق أشتري آلة الحج ، فبينا انا في بعض الطريق عارضتني امرأة فقالت : يرحمك الله ، اني امرأة شريفة، ولي بنات عراة ، واليوم الرابع ما أكلنا شيئاً . قال : فوقع كلامها في قلبي، فطرحت الخمسمائة دينار في طرف إزارها، وقلت: عودي الى بيتك فاستعيني بهذه الدنانير على وقتك . فحمدت الله ، وانصرفت ، ونزع الله عزّ وجلّ حلاوة الخروج في تلك السنة ، فخرج الناس ، وحجّوا ، وعادوا ، فقلت : أخرج للقاء الاصدقاء ، والسلام عليهم، فخرجت ، فجعلت كلما لقيت صديقاً سلمت عليه وقلت له : قبِلَ الله حجك، وشكر سعيك . يقول لي : وأنت قبل الله حجك . فطال علي ذلك ، فلما كان الليل ، نمت فرأيت النبي ﷺ في المنام يقول لي : لا تعجب من تهنئة النـــاس لك بالحج ، أغثت ملهوفاً ، وأغنيت ضعيفاً ، فسألت الله تعالى ، فخلق في صورتك ملكاً فهو يحجّ عنك في كل عام ، فان شئت تحجّ ، وان شئت لا تحج .

ولمهيار الديلمي في النسيب :

وبجرعاء الحمى عني فعُجْ　　　بالحمى واقرأ على قلبي السلاما

وترحّل فتحدّث عجباً ان قلباً سار عن جسم اقاما
قل لجيران الفضا آهٍ على طيب عيشٍ بالفضا لو كان داما
حمّلوا ريح الصبا نشركمُ قبل ان تحمل شيحاً وثماما
وابعثوا أشباحكم لي في الكرى إن أذنتم لجفوني ان تناما

مَن حجّ من خلفاء بني العباس :

حجّ ابو جعفر المنصور بالناس في سنة ١٤٠ ، ثم في سنة ١٤٤ ، ثم في سنة ١٤٧ ، ثم في سنة ١٥٢ ، ثم في سنة ١٥٨ ، وتوفي قبل التروية بيومين .

وحجّ المهدي بالناس في خلافته سنة ١٦٠ .

وحجّ الرشيد في خلافته سنة ١٧٠ ، ثم في سنة ١٧٣ ، ثم في سنة ١٧٤.

روينا من حديث ابن ودعان ، عن محمد بن علي بن سليمان ، عن عثمان الدّقاق ، عن اسماعيل بن اسحاق ، عن سليمان بن حرب ، عن حمّاد بن زيد، عن ايوب، عن نافع ، عن ابن عمر قال: خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فكان مما ضبطت منها : أيها الناس إن افضل النــاس من تواضع عن رفعه ، وزهد عن غنيه ، وأنصف عن قود ، وحلم عن قدرة ، وان افضل الناس عبداً أخذ من الدنيا الكفاف ، وصاحب فيها العفاف ، وتزوّد للرحيل ، وتأهب للمسير . ألا وان اعقل النــاس عبد عرف ربه فأطاعه ، وعرف عدّوه فعصاه ، وعرف دار إقامته فأصلحها ، وعرف سرعة رحيله فتزوّد لها . ألا وان خير الزاد ما صحبه التقوى، وخير العمل ما تقدمته النية ، وأعلى الناس منزلةً أخوفهم منه .

ومن وقائع بعض الفقراء الى الله تعالى :

ما حدّثنا عبد الله بن الاستاذ المروزيّ قال : قال لي بعض اصحاب ابي

مدين رأيت في الواقعة الشيخ أبا مدين ، وهو في قبة من نور ، وقد أحدق المريدون بتلك القبة ، وهم لا يرونه ، فخاطبهم من باطن القبة فقال لهم : مَن هنده من يراني به فليراني ، فقال له بعض الحاضرين : اني أراك ، فقال: بمَ رأيتني ؟ فقال له : أمدّ نورك نوري فرأيتك . فقال عند ذلك الشيخ : لا يرى صديقاً إلا صديق ، ولا نبياً إلا نبي ، ولا رسولاً إلا رسول ، ولا ملَكاً إلا ملَك . فالمحسوسات لا معنى لها من نفسها ، إذ هي المستمدة من غيرها ، والوقوف مع الاجسام قصورٌ وعيّ ، ولا يرى مَن ليس كمثله شيء ، فالمحسوسات انما تواجه مَن له مكانٌ وجهَه ، والله سبحانه وتعالى عزّ ان يُرى بهذه الصفة، فنحن في هذه الدار الفانية ، كمثل قواديس السانية، وأصل الرؤية قوة الايمان ، وبقدر ما يصحب كل احد منه يكون العيان ، اذ الحق سبحانه لا يحويه حجاب ، تعالى عن ذلك ربّ الأرباب ، والحجب صفة البشر ، وبقوة اسرار القلوب وضعفها يكون النظر ، ففي بدائع صنع الله ما يعجز الاوهام عن وصفه ، وتكلّ الافكار عن الإحاطة بكنه علمه . فالارضون وما منها ظلمات ، وإنما أضاءت بنور السموات ، فما من ارض إلا ولها سماءٌ تحييها بما تنزل عليها من الماء .

ومن سماعنا على قول الرضي بالقلب :

ترى النازلين بأرض العرا ق قد علموا إن وجدي كذا
دنا طرباً والهوى نازحٌ فيا بعد ذاك ويا قربَ ذا

وسماعنا على قول الأشجع بالسرّ :

ألا ليتَ حياً بالعراق عهدتهم ذوي غبطة في عيشهم وأمانِ
يرَوْن دموعي حين يشتمل الدجى عليّ وما ألقى من الحدَثان

أمن بشر ميمون تحنّ صبابةً الى أهل بغدادٍ وتلك أماني
بعدت وبيت الله عمّن تحبّه هواك عراقيٌّ وانت يمـــاني
اذا ذُكِرَتْ بغدادُ لي فكأنما تحرّكُ في صدري شباهُ سنان

ومن سماعنا على قول موسى بن عبدالملك بالنفس والروح ، لما حجّ ووصل الى الثعلبية اشتدّ شوقه فقال :

لما وردتُ الثعلبية عنـد مجتمع الرفاق
وشممتُ من برد الحجا ونسيم أنفاس العراق
أيقنتُ لي ولمن هويـ ت بجمع شمل واتفاق
ما بيننـا إلا تصرّ م هـذه السبع البواقي
حتى يطول حديثنـا بصنوف ما كنا نلاقي

وسماعنا على قول جرير في التوديع بالنفس لا غير :

أتبعتهم مقـلةً انسانها غرق هل ما ترى تارك للعين انسانا
يا حبّذا جبل الرّيان من جبل وحبّذا ساكن الرّيان مَن كانا
وحبّذا نفحاتٌ من يمانيـــةٍ تأتيك من قبل الرّيان احيانا
هل يرجعنّ وليس الدهر مرتجعاً عيشٌ لنا طال ما احلولى وما لانا

ورأينا في تراجم الكتب المتقدمة أن الله تعـــالى أوحى الى موسى عليه السلام :

يا ابن عمران حبّبني الى عبـادي . قال : يا ربّ كيف أصل الى ذلك ؟ فأوحى الله تعـالى اليه : يا ابن عمران ذكّرهم إحساني اليهم ، وعظيم تفضّلي عليهم ، فانهم لا يعرفون مني إلا الحسن الجميل . يشهد لصحّة هــذا الخبر

أخبار الله تعالى لنـا في القرآن : « وذكـّرهم بأيام الله » . جاء التفسير بآلاء الله ونعَمه ، فكنـّى عنها بالزمان الذي أوجدها فيه . المعنى .

روينا من حديث ابن ماجه قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله تعـالى لموسى : اشكرني حقّ الشكر. قال : ومَن يقدر على ذلك ؟ قال : يا موسى اذا رأيتَ النعمة مني فقد شكرتني .

حدثنا محمـد بن قاسم من حديث السبع لما ذكر النور الأبهى ، حيث كان الروح القدس الأسنى ، بالمعراج المحمدي الأعلى ، على الرفرف الأنزه الأزهى ، ان عنده بين يديه او خلفه لا أدري أيّ ذلك ؟ قـال : صوّر على صور ابن آدم ، فاذا فعل العبد هنا قبيحاً تغير وجه تلك الصورة الشبيهة به هنـاك ، فيرسل الله ستراً بينها وبين تلك الصور . واذا فعل العبد هنـا حسنة أحسن وجه تلك الصورة الشبيهة به هناك، فيرفع الله الستر بينها وبين سائر الصور، فتنظر تلك الصور الى مـا أعطيت الصورة من الحسن . قال : وعيادة تلك الصور هناك .

سبحان مَن أظهرَ الجميل ، وسترَ القبيح . وأنشدنا :

جعلت توسُّلي دمعي وذلـّي ومثلي مَن توسـّل بالدموعِ
وبالحزن الشديد ووضع خدّي على أرض التنصـُّل والخضوع
عسى المولى يجود بكشف ضُرّي ويقضي بالإنابـة والرجوع

قال ابن عطاء : اذا تنفـّس العبد افتقاراً ، وذلاً ، هتك بذلك النفَس كل حجاب حال بين سرّه ، وبين مشاهدة ربه. يؤيّد هذا القول في باب المعرفة: مَن عرف نفسه عرف ربّه .

قال القائل :

لبستُ ثوب الرَّجا والناس قد رقدوا وقمتُ أشكو الى مولاي ما أجدُ
وقلت يا أملي في كلِّ نائبــةٍ ومَن عليه لكشف الضُّرِّ أعتمد
أشكو اليك ذنوباً انت تعلمهــا ما لي على حملها صبرٌ ولا جَلَد
وقد مددتُ يدي بالذُّلِّ صاغرةً اليك يا خيرَ مَن مُدَّتْ اليه يد
فلا تردَّنهـــا يا ربِّ خائبــةً فبحرُ جودك يروي كلَّ مَنْ يَرِد

وقال الآخر :

اليك قصدي بفقري لا الى أحدٍ فخُذْ بفضلك من بحر الهوى بيدي
وانظرْ إليَّ فكم أوليتَني حسَناً ما مرَّ يوماً على بالي ولا خلَدي
يا مَن أجابَ دعائي بعد معصيتي ومَن عليه وإن أخطأتُ معتمدي

حكى لنا بعض شيوخنا ان الحسن بن هانىء الشهير بالمعاصي ، رآه بعض اصحابه في النوم ، وهو على حالة حسنة ، فقال له ، وقد أنكر في نفسه ما رآه من حسن حاله ، مع ما يعرفه من خبث سيرته : مــا فعل الله بك يا أبا نواس ؟ قال : غفر لي ، وصيَّر حالي الى ما ترى . قلت : فهل تعرف لذلك سبباً سوى جوده سبحانه ؟ فقال : يا اخي من جود الله وعظيم منَّته ، أن وقفني قبل ان يقبضني ، الى ابيات عملتها في حالتي بقلب منكسر ، وحسن ظن ، بمن لجأت اليه في وقت ضرورتي ، فقبل ذلك مني ، وغفر لي . قال : فقلت : أنشدني اياها . قال لي : تراهـــا في تحت وسادتي . فاستيقظت ، وجئت البيت ، واستأذنت ، فرفعت الوسادة التي كانت تحت رأسه ، فــإذا بالرقعة تلوح ، فتناولتها ، فإذا فيها :

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرةً فلقد علمتُ بأن عفوكَ أعظمُ

إن كان لا يرجوك إلا محسنٌ فمن الذي يدعو ويرجو المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعاً فـإذا رددتَ يدي فمن ذا يرحم
مالي اليك وسيلة إلا الرجـا وجميل ظـــني ثم اني مسلم

غضب السلطان على جماعة من العلماء خرجوا عليه ، ووقعوا فيه ، فلمـا ظفر بهم أمر بقتلهم ، فبلغ الخبر شيخنا أبا مدين رحمـــه الله ، وكان مرعي الجانب عند السلطان ، والخاصة ، والعامة ، فأخذ عصاه وخرج ، فلما جاء دار السلطان أبصر القوم على تلك الحـالة ، فبكى ، وأُخبر السلطان بمكانه فتلقاه ، وقال : ما جاء بالشيخ في هذا الوقت ؟ فقال : الشفاعة في هؤلاء . فقال السلطان : أوما تعرف يا شيخ إساءتهم ؟ فقـال : يا أبا علي وهل على المحسنين من سبيل ؟ وهل الشفاعة إلا في اهل الكبائر من المسيئين ؟ فاستعبر السلطان ، وعفا عن الجميع ، وانصرف .

قرأنا في الخبر الاول ، أن الخليل عليـــه السلام ، اتفق له قضيتان متعارضان : ادب في الواحدة ، وشكر في الاخرى ، فإن الله تعالى هو متولي أدب عباده الصالحين . أما التي شكر عليها فمن هذا الباب ، وذلك انه عليه السلام ، نزل به رجل من عبدة الأوثان ، فأضافه الخليل ، وأكرمه ، فضجت الملائكة في السماوات ، وقالوا : ربنا خليلك يضيف عدوّك ، فقـال لهم : جَلّتْ قدرتي يا ملائكتي ، أنا أعلم بخليلي منكم . ثم أمرَ جبريل عليه السلام ، فنزل ، وعرض عليه قول الملائكة . فبكى ابراهيم عليه السلام ، وقال له : يا جبريل قـــل لمولاي ، منك تعلمت الكرم ، يشير الى حكاية الادب التي أسوقها بعد هذه ان شاء الله تعالى ، رأيتك تحسن الى من أساء فتعلمت منك.

وأما حكاية الأدب ، فنزل بـــه عليه السلام رجل من عبدة الأوثان ،

فاستضافه ، فقال له ابراهيم : لا أضيفك حتى تسلم، فأبى عليه ، وانصرف ، فأمر الله جبريل ان ينزل على ابراهيم عليهما السلام ، فقال له : يا ابراهيم يقول لك ربك استضافك عبدي فشرطت عليه ان يترك دينه من اجل لقمة يأكلها عندك ، وأنا أرزقه منذ ثمانين سنة على شركه ، فلما أبى تركته . قال : فبكى ابراهيم، ثم قام يقفو أثر الوثني الى أن لحق به، فعرض عليه الرجوع ، فأبى عليه او يخبره بسبب ذلك، فقال له ابراهيم عليه السلام : إن الله عاتبني فيك ، وقال لي ذيت وذيت ، فبكى الوثني وقال : يا ابراهيم أسلمت لرب العالمين . فأسلم الوثني هذا نتيجة الكرم .

وأنشد بعضهم :

أطمعتني بالجود حين بدأتني أفلا أؤمّل نعمة الاتمامِ
حاشى الكريم اذا تفضّل منعماً مما يَشين محاسن الانعامِ

وفي معنى هذين البيتين ، ما سمعت شيخنا ابن الشحنة بإشبيلة وهو يقول لرجل ، وما رأيت رجلاً قط أحسن شيبة ، ولا وجهاً منه ، ودموعه قد اخضلت لحيته : يا اخي حاشا الكريم ان يمنّ عليّ بالاسلام ابتداءً قبل ان أسأله ، ثم ينزعه مني بعد سؤالي . هذا نقيض الكرم . وعلا بكاؤه ، وعظم انتحابه . فبكينا لبكائه رضي الله عنه . وهو من اجلّ من لقيت في طريق الله .

ومن حميد الخصال :

ما اشترط عبد الملك بن مروان على الشعبي، لما دخل عليه قال : يا شعبي جنبني خصالاً أربعاً ، وما شئت فافعل . قال : يا امير المؤمنين وما هي ؟ قال : الواحدة : لا تطريني في وجهي، ولا أجربن عليك كذبة ، ولا تغتابن

عندي احـداً ، ولا تفشين لي سراً . فقل ما شئت يا شعبي . فقال الشعبي : ائذن لي يا أمير المؤمنين في الانصراف . فقال: انصرف فانصرف وما تكلم .

ولبعضهم في الكتمان :

النجم أقرب من سري إذا اشتملت   منيّ على السرّ أضلاعي وأحشائي

ولنا في مصراع من قصيدة :

(فالسرّ ميتٌ بقلب الحرّ مدفون)

اخذته من قول القائل : قلوب الاحرار قبور الاسرار .

وقال الآخر :

ونفسك فاحفظها ولا تفش للعدى   من السرّ ما يطوي عليه ضميرها
فما يحفظ المكتوم من سرّ اهله   إذا عقد الاسرار ضاع كبيرها
من القوم إلا ذو عفافٍ بعينه   على ذاك منه صدق نفسٍ وخيرها

يقال لكاتم سره : من كتمانه احد فضيلتين : الظفر بحاجته ، والسلامة من شره .

موطن شكر :

قال في الحكمة ينبغي لذي اللبّ أن يصون شكره عمن لا يستحقه ، ويستر ماء وجهه بالقناعة ، وهو الرضى بالموجود في الوقت ، وعدم التجاوز عنه الى ما يذهب بماء الوجه ، فمن أراد أن تعظم منزلته فليكفّ مسألته . ومن أحبّ الزيادة من النعم فليشكر .

قال الله تعالى : « لئن شكرتم لأزيدنكم » .

يحكى عن بعض الاعراب انــه رؤي وهو متعلق بأستار الكعبة وهو يقول : احمدُك سبحانك ولا اشكرك . فعاتبه بعض الطائفين في ذلـــك ، فقال : إنه اعطاني الفقر ، فإن شكرته عليه أخاف من زيادة فقري ، فـإن وعده حق . ثم انصرف ، فلما جاءت السّنة الثانية رؤي حسن الهيئة ، وهو يحسن الثناء والشكر على الله ، فقيل له : فأين هذا من ذاك ؟ فقال : إنـــه سبحانه أنعم عليّ بالخير بالشاء ، والإبل ، فاشكر للزيادة فإن وعده حق .

قال بعضهم : من احبّ بقاء عزّه فليسقط دالته ومكره .

محل صنائع المعروف :

في الحكمة الاولى : المعروف الى الكرام يعقبُ خيراً ، والى اللئام يعقبُ شراً .

ومثل ذلك : المطر يشرب منه الصدف فيعقبُ لؤلؤاً ، ويشرب منـه الافاعي فيعقبُ سُمّاً .

حكاية : ذكر أن جماعة من الاعراب اثاروا ضبعاً ، فدخلت خباء شيخ ، فقصدوها ، فخرج اليهم فقال : مـا بغيتكم ؟ قالوا : جارك ، قال : أما إذ قد سميتموه جاري فإن هذا السيف دونه . فتركوه . وكانت الضبع هزيلاً ، فأحضر لها من لقامه ، وجعل يسقيها حتى عاشت ، فنام الشيخ فوثبت عليه فقتلته . فقال شاعرهم في ذلك :

ومن يصنع المعروف مع غير أهله ... يلاقي الذي لاقى مجير ام عامرِ
أقام لها لمـــا اناخت ببابه ... لتسمن ألبانَ اللقاح الدرائر
فأسمنها حتى إذا مـــا تمكنت ... فرته بأنيابٍ لهـــا وأظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من ... يعود بإحسان الى غير شاكر

يا اخي أمالك فيما ترى معتبر ؟ الله يرسل نعمته على عبديه ، فالكريم منهما يطيعه بها ، واللئيم منهما يستعين على معصيته بها .

يقول سفيان : وجدنا اصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام .

يحكى عن بعض الاعراب انه اخذ جرو ذئبٍ عندما ولد قبل أن يعرف امه ، فاحتمل الى خبائه ، وقرب له شاة ، فجعل يمتص من لبنها حتى كـُبر وسمن ، ثم شدّ على الشاة فقتلها . فقال الاعرابي في ذلك :

غذتك شويهتي ونشأت عندي فما أدراك أن اباك ذيبُ
فجعتَ نسيبتي وصغار قومٍ بشاتهم وأنت لهم ربيب
إذا كان الطباع طباع سوء فما يجدي التحفظ والأديب

ومن باب الاخلاق ومكارمها :

في الحكمة : عليك بالصدق ، فما السيف القاطع في كفّ الشجاع بأعزّ من الصدق . والصدق عزّ وإن كان فيه ما تكره . والكذب ذلّ وإن كان فيه ما تحبّ . ومن عرف بالكذب اتهم في الصدق .

ولبعضهم :

لا يكذب المرء إلا من مهانته او عادة السوء او من قلة الادب

مذكور في كتابٍ لهندي : ليس لكذوبٍ مروءة . ولا لضجور رياسة . ولا لملول وفاء . ولا لبخيل صديق .

يقول بعضهم : الصدق ميزان الله الذي يدور عليه العدل . والكذب مكيال الشيطان الذي يدور عليه الجور .

من عفا عن قدرة :

يحكى عن امير المؤمنين هارون الرشيد ، أمر يحيى بن خالد بحبس رجل جنى جناية فحبسه ، ثم سأل عنه الرشيد فقيل : هو كثير الصلاة والدعاء ، فقال للموكل به : عرّض له بأن يكلمني ، ويسألني اطلاقه ، فقـال له الموكل ذلك ، فقال : قل لأمير المؤمنين ان كل يوم يمضي من نعمتك ينقص من محنتي ، فالامر قريب ، والموعد الصراط ، والحاكم الله . فخرّ الرشيد مغشياً عليه ، ثم أفاق وأمر باطلاقه .

حكاية :

ظفر المأمون برجل كان يطلبه ، فلما دخل عليه قال : يا عدوّ الله أنت الذي تفسد في الارض بغير الحق ؟ يا غلام خـذه اليك فاسقه كأس المنية ، فقال : يا امير المؤمنين دعني أنشدك أبياتاً ، فقال : هات ، فأنشده :

زعموا بأن الصقر صادف مرةً   عصفورَ برّ ساقـه المقدورُ
فتكلم العصفور تحت جناحه   والصقر منقضّ عليـه يطير
ما كنتُ خاميراً لمثلك لقمة   ولئن ُشوبتُ فإنني لحقير
فتهاون الصقر المدلّ بصيده   كرماً وأفلت ذلك العصفور

فقال له المأمون : أحسنت ، ما جرى ذلك على لسانك إلا لبقية بقيت من عمرك . فأطلقه ، وخلع عليه ، ووصله .

حكاية مضحكة :

ذكر ان معلماً كان يعلم الصبيان ، وكان اسمه ابو عاصم ، فبينا هو ذات

يوم قاعد وبين يديه ثلاثـة من صبيان العرب صغار يعلمهم ، اذ بـه ضرط ، فقال احدهم :

وضرطةٍ جاءت على غفلة   من مغلق الشيخ ابي عاصمِ

فقال الآخر :

فأيقظت ما كان نائم   وأقعدت ما كان من قائم

فقال الثالث :

وانهدت الارض وأجبالها   والتزم المظلوم بالظالم

حكاية في معناها :

حُكي عن بعضهم ان والياً أتى برجل جنى جناية فأمر بضربه ، فلما مُدّ قال : بحق رأس امك إلا عفوت عني ، فقال : أوجعه ، قال : بحق خدّيها ، ونحرها ، قال : اضرب ، قال : بحق ثديها ، قال : اضرب ، قـال : بحق سرّتها ، قال : ويلكم دعوه لا ينحدر قليلا .

وأتى محتسبٌ كان عندنا بفاس بشاعر جنى جناية ، فأمر بضربه ، فسأله العفو حتى أغضبه ، فصاح على الضرّاب ، شدّ عليه ، ففي صحيته تلك ضرط المحتسب ضرطات . فقال الشاعر في ذلك ، والسياط تأخذه :

اسمعوني واعجبوا   ضرط المحتسبُ
ضرطةً صافيـةً   طـار منهـا العتبُ
سهلت حلق سَلى   وعرت وادي سبُ
سبعة في نسق   ب ب ب بوب ب بُ

كتاب رسول الله ﷺ الى كسرى ملك فارس وما كان منه في ذلك :

روينا من حديث احمد بن عبد الله قال : ثنا ابراهيم بن اسماعيل ، عن صالح بن كيسان قال : قال ابن شهاب ، أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ان ابن عباس أخبره ان رسول الله ﷺ ، بعث بكتابه الى كسرى ، مع عبد الله بن حُذافة ، وأمر ان يدفعه الى عظيم البحرين، فرفعه عظيم البحرين الى كسرى ، فلما قرأه كسرى خرّقه . قال ابن شهاب : فحسبت ان المسيّب قال : فدعا عليهم رسول الله ﷺ ان يمزّقوا كل ممزّق .

قال محمد بن اسحاق: وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة بن قيس ابن عديّ بن سعيد بن سهم الى كسرى بن هرمز ملك فارس، وكتب معه:

بسم الله الرحمن الرحيم :

من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله ، فإني رسول الله الى الناس كافة « لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين » فأسلم تسلم ، فان أبيت فان إثم المجوس عليك .

فلما قرأ كتاب رسول الله ﷺ شققه ، وقال : يكتب الي بهذا الكتاب وهو عبدي . قال محمد بن اسحاق : فبلغني ان رسول الله ﷺ قال : أللهم مزّق ملكه ، حين بلغه شق كتابه .

ثم كتب كسرى الى باذان ، وهو على اليمن : ابعث الى هذا الرجل الذي بالحجاز من عندك رجلين جلدين ، فليأتياني به . فبعث باذان قهرمانه ، وهو

أنوبوبة، وكان كاتباً حاسباً بكتاب ملك فارس، وبعث معه برجل من الفرس يقال له خرخرشونة ، وكتب معهما الى رسول الله ﷺ ، يأمره ان ينصرف معهما الى كسرى ، وقال لأنوبوبة : ويلك ، انظره ما الرجل ؟ وكلّمه ، وائتني بخبره . فخرجا حتى قدما الطائف ، فسألاهم عنه ، فقالوا : هو بالمدينة ، فاستبشروا بهما ، وفرحوا . فقال بعضهم لبعض : ابشروا فقد نصب له [1] ملك الملوك . كفيتم الرجل .

فخرجا حتى قدِما المدينة على رسول الله ﷺ ، فكلّمه انوبوبة وقال : ان شاه شاه ملك الملوك كسرى ، بعث الى الملك باذان ، يأمره بأن يبعث اليك من يأتي بك ، وقد بعثني اليك لتنطلق معي ، فإن فعلتَ كتب فيك الى ملك الملوك بكتاب ينفعك [2] منه ، ويكفّ به عنك ، وإن أبيتَ فهو من قد علمت ، وهو مهلكك ، ومهلك قومك ، ومخرب بلادك .

ودخلا على رسول الله ﷺ وقد حلقا لحاهما ، وأعفيا شواربهما ، فكره النظر اليهما وقال : ويلكما ، مَن أمركما بهذا ؟ قالا : أمرنا بهذا ربنا، يعنيان كسرى . فقال رسول الله ﷺ : لكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي ، وقصّ شاربي . ثم قال لهما : ارجعا حتى تأتياني غداً .

وأتى رسول الله ﷺ الخبر ، أنّ الله عز وجل سلّط على كسرى ابنه شيرويه ، فقتله في شهر كذا وكذا ، في ليلة كذا وكذا ، لعدة ما مضى من الليل ، سلّط عليه ابنه شيرويه ، فقتله . فقالا : هل تدري ما تقول ،

---

(١) نسخة : لكم .
(٢) نسخة : ينفعك .

فتكتب بهذا عنك ، وتخبر الملك ؟ قـال : نعم ، أخبراه ذلك عني ، وقولا له : ان ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ُملك كسرى ، وينتهي الى منتهى الخفّ والحافر . وقولا له : انك إن أسلمتَ أعطيتك ما تحت يديك ، وملّكتك على قومك . ثم أعطى خرخرشونة منطقة فيها ذهب وفضة ، كان أهداها له بعض الملوك . فخرجا من عنده حتى قدما على باذان ، فأخبراه الخبر ، فقال : والله ما هذا بكلام ملك ، واني لأرى هذا الرجل نبياً كما يقول . ولننظرنّ ما قال ، فلئن كان ما قد قال حقاً ، ما فيه كلام ، انه لنبي ُمرسَل ، وإن لم يكن ، فسنرى فيه رأينا . فلم ينشب باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه : اما بعـد ، قد قتلتُ كسرى ، ولم أقتله إلا غضباً لفارس ، لما كان استحلّ من قتل أشرافهم ، وتجهيزهم ، ونعوتهم . فاذا جاءك كتابي هـــذا فخُذ لي الطاعة ممن قِبَلك . وانظر الرجل الذي كتب اليك كسرى ، فلا تهجْه حتى يأتيك أمري . فلمـــا انتهى كتاب شيرويه الى باذان قال : ان هذا الرجل لرسول . فأسلم وأسلمت الأبنـــاء من فارس ، من كان منهم باليمن . فكانت حِمْير تقول : لخرخرشونة ذو المعجزة للمنطقة التي أعطاه رسول الله ﷺ ، والمنطقة بلسان حمير المعجزة ، فبنوه اليوم باليمن، ُينسبون اليها خرخرشونة ذو المعجزة . وقد قال انوبوبة لباذان : ما كلّمتُ رجلاً قطّ أهيب عندي منه . فقال له باذان : هل معه شرط ؟ قال : لا .

انسٌ بعرفان وخلوة برحمان :

حدثنا محمد بن اسمعيل ، نبأ علي بن النفيس ، نبأ عبـد الرحمن بن علي بن محمـــد ، انا ابو بكر الصوفي ، انا ابو سعيد الحيري ، انا ابو بكر ، انا ابن باكويه الشيرازي ، نبأ عبد الواحد بن بكر الورثاني ، انا ابو بكر احمـد بن محمـد المارستاني ، عن محمـد بن عيسى القرشي ، حدثني ابو الاشهب السائح :

رأيت بين الثعلبية والخزيمية ، غلاماً قائماً يصلّي عنـــد بعض الاسيال ، قد انقطع عن الناس، فانتظرته حتى قطع صلاته، ثم قلت له : ما معك مونس؟ قـال : بلى . قلت : وأين هو ؟ قـال : أمامي ، ومعي ، وخلفي ، وعن شمالي ، وعن يميني ، وفوقي . فعلمت أن عنده معرفة ، فقلت له : أما معك زاد ؟ قال: بلى. قلت : وأين هو ؟ قال : الاخلاص لله عز وجل، والتوحيد له ، والإقرار بنبيّه ﷺ ، وإيمـان صادق ، وتوكل واثق . قلت : هل لك في مرافقتي ؟ قال : الرفيق شغل عن الله عز وجل ، ولا احبُّ ان ارافق احداً فأشتغل به عنـه طرفة عين . قلت : أما تستوحش في هـــذه البرّية وحدك ؟ قال : الانس بالله قطع عني كل وحشة، حتى لو كنت بين السباع ما خفتُها ، ولا استوحشتُ منها . قلت : فمن أين تأكل ؟ قال : الذي غذّاني في ظلم الأرحـــام صغيراً تكفّل بي كبيراً . فقلت : في ايّ وقت تجيئك الاسباب ؟ فقال : لي حدّ معلوم ، ووقت مفهوم ، اذا احتجتُ الى الطعام أصبته في أي موضع كنت ، وقد علـّمني ما يصلحني ، وهو غير غافل عني . قلت : لك حاجة ؟ قـال : نعم . قلت : وما هي ؟ قال : إن رأيتني فلا تكلـّمني ، ولا تُعلم احداً انك تعرفني . قلت : لك ذلك . فهل حـــاجة اخرى ؟ قال : نعم . قلت : ومـا هي ؟ قال : إن استطعت ان لا تنساني في دعائك ، وعنـد الشدائد اذا نزلت بك فافعل . قلت : كيف يدعو مثلي لمثلك وأنت أفضل مني خوفاً وتوكلا ؟ قال : لا تقل هـــذا ، إنك قـد صليت لله قبـلي ، وصمت قبـلي ، ولك حق الاسلام ، ومعرفة الايمان . قلت : فإن لي ايضاً حاجة . قال : وما هي ؟ قلت : أدعُ الله لي . قال : حجب الله طرفك عـن كل معصية ، وألهم قلبك الفكر فيما يرضيه ، حتى لا يكون لك همّ إلا هو . قلت : يا حبيبي متى ألقاك وأين اطلبك ؟ قال : اما في الدنيا فلا تحدث نفسك بلقاء فيها ، وأما الآخرة فإنها مجمع المتقين ، فإياك

أن تخالف الله فيما أمرك وندبك اليه . وإن كنت تبتغي لقـائي فاطلبني مع الناظرين الى الله تعالى في زمرتهم . قلت: وكيف علمت ؟ قال : بغضّ طرفي له عن كل محرّم ، واجتنابي فيه كل منكر ، ومأثم . وقـد سألته ان يجعل حبي النظر اليه . ثم صاح وأقبل يسعى حتى غاب عن بصري .

تذكرة بلسان حال :

روينا من حديث المالكي ، عن محمد بن غالب ، عن محمد بن ابراهيم ، عن اسماعيل بن عبد الكريم ، عن عقيل بن معقل ، عن وهب بن منبّه ، قال: ما من شعرة تبيضّ إلا تقول للسوداء : يا اختاه قد اتاكِ الموت فاستعدي .

حدثنا محمد بن احمد الهرَوي ، عن عبد الرحمن بن أبي الفضل ، عن محمد ابن احمد الماهباني، سمعت محمد بن القاسم الصقار، سمعت حمزة بن عبدالعزيز، سمعت أبا بكر الابهري ، سمعت يوسف بن الحسين ، سمعت ذا النون المصري يقول : الحسود لا يسود .

ايقاع وحسن استماع :

حدثنا محمـد بن احمد ، ثنـا الثقفي ، حدثنا ابو عبد الرحمن السلمي ، حدثنا احمد بن سعيد ، ثنا محمد بن سعيد المروزي ، ثنـا العباس الترفقي ، نبأ عبد الله بن عمرو الورّاق ، نبأ الحسين بن علي بن منصور ، نبأ ابو غياث البصري ، عن ابراهيم بن محمـد الشافعي ان سعيد بن المسيب مرّ في بعض أزقة مكة فسمع الاخضر الجدي يتغنى في دار العاص بن وائل ويقول :

تضوّع مسكاً بطنُ نعمان إن مَشَتْ ... بـه زينبٌ في نسوةٍ عطراتِ
فلما رأت ركب النميري أعرضتْ ... وهنّ من ان يلقينـه حذراتِ

قال : فضرب برجله الارض زماناً وقال : هذا مما يلذّ سماعه ، وكانوا يرون ان الشعر لسعيد :

وللشريف الرضي :

أنشدني ابن فرقد :

ألا هل الى ظلّ الاثيل تخلصٌ   وهل لثنيّات الغوير طلوعُ
وهل لليالينا الطوال تصرّمٍ   وهل لليالينا القصار رجوعُ

وأنشد له ايضاً في ذلك :

أقول لركب رائحين لعلكم   تحلّون من بعد العقيق اليمانيا
خذوا نظري مني ولاقوا به الحمى   ونجداً وكثبان اللوى والمطاليا
ومرّوا على ابيات حيٍّ برامةٍ   وقولوا لديغ يبتغي اليوم راقيا
عدمتُ دوائي بالعراق فربما   وجدتم بنجدٍ لي طبيباً مداويا
وقولوا لجيرانٍ على الخيف من منىً   تراكم من استبدلتمُ بجواريا
ومن ورد الماء الذي كنتُ وارداً   به ورعى العشب الذي كنت راعيا
فوا حزناً كم لي على الخيف شهقة   تذوبُ عليها قطعة من فؤاديا
ترحّلت عنكم الى امامي نظرةٌ   وعشرٌ وعشرٌ بعدكم من ورائيا

ومن نظمه ايضاً في ذلك :

من مُعيدٌ لي ايـ   ـامي بجزع السمراتِ
ولياليـنا بجمـعٍ   ومـنىً والجمرات
يا وقوفاً مـا وقفـ   ـنا في ظلال السلمات

نتشاكى مـــا عنانا | بكلام العـــبرات
آه من جيد الى الد | ار طويل اللفتـات
وغرام غير مـاضٍ | بلقـــاءٍ غـير آت
فسقى بطنَ منىً | والخيف صوب الغاديات
غرستْ عندي غرس الش | ـوق مرور الحسنات
أين راقٍ لغرامي | وطبيبٌ لشكاتي

دعاء مجاب لبعض نساء الاعراب :

روينـا من حديث ابن مروان ، عن اسماعيل بن يونس ، عن الرياشي ، عن الاصمعي ، قـال : سمعت اعرابية بعرفات وهي تقول : اللهم إن كان رزقي في السماء فانزله، وإن كان في الارض فاخرجه، وإن كان نائياً فقرّبه ، وإن كان قريباً فيسّره .

حفظ اللسان دليل على عقل الانسان :

رأيتُ اللسان على أهله | اذا ساسه الجهل ليثاً مغيرا

وقال بعض الاعراب لآخر يعظه : إياك ان تضرب لسانك عنقك . وقال أكثم بن صيفيّ: معقل[1] الرجل بين فكيه، يعني لسانه. والفكان: اللحيان.

وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه كثيراً ما ينشد :

اخزن لسانك لا تقول فتـُبتلى | انَّ البلاء موكلٌ بالمنطقِ

وقال المؤمّل :

شفّ المؤمّل يوم الحيرة النظرُ | ليت المؤمّل لم يخلق له بصرُ

فعمي في مجلسه ذلك .

(١) نسخة : مقتل .

ومن باب العناية الالهية :

ما حدّثنا بـه عبد الرحمن بن علي ، ومحمد بن محمد ، فأما محمد بن محمد فقال : كتب الينا . وأما عبد الرحمن فقال : قرأت على ابي القاسم الحريري، عن ابي طالب العشاري ، عن مبادر بن عبد الله الصوفي قـال : سمعت أبا الازهر عبد الواحد بن محمد الفارسي قال : لقيت ابراهيم الختلي بمكة بعـد رجوعه الى وطنه ، وتزويجه ابنة عمه، وكان قد قطع البادية حافياً ، فحدثني انه لما رجع الى بلده، وتزوج شغف بابنة عمه شغفاً شديداً حتى ما كان يفارقها لحظة . فتفكرت ليلة في كثرة ميلي اليها ، فقلت : ما يحسن بي ان أرد القيامة وفي قلبي هذه ، فتطهرت ، وصليت ركعتين ، وقلت : سيدي رُدّ قلبي الى ما هو أولى . فلما كان من الغد أخذتهـا الحمى ، وتوفيت في اليوم الثالث . فنويت الخروج حافياً من وقتي الى مكة ، فقلت : هكذا يحمي الله أولياءه ويختار لهم ويرعاهم .

ومن باب حثّ النفس على المحامد :

ما حدّثنا به محمـد بن الفضل ، عن ابي منصور القزّاز ، عن ابي بكر الخطيب ، عن ابي سعيد الصيرفي ، عن ابي عبد الله الاصفهاني ، عن ابي بكر القرشي ، عن الحسين بن عبد الرحمن قال: حج سعيد بن وهب ماشياً ، فبلغ منه الجهد ، فأنشد :

قدمي اعتورا رمل الكثيب … وأطرقا الآجن من ماء القليب
ربّ يوم رُحتما فيـه على … زهرة الدنيا وفي وادٍ خصيب
وسماع حسن من حسنٍ … صحب المزهر كالظبي الربيب
فاحسبا ذاك بهـذا واصبرا … وخذا من كل فنّ بنصيب
انمـا أمشي لأني مذنبٌ … فلعل الله يغفر عن ذنوبي

ومن هذا الباب في حنين الابل وسيرها :

يا لزماني على الحمى عجباً ... وأي زمان مضى وأي حمى
حلفت بالراقصات مجتهداً ... عناقاً خفوضاً وأظهراً سنما
تحسب اشخاصها اذا اختلطت ... بالأكم الوقص في الدجا أكما
تحمل شقا اذا هم ذكروا ... ذخيرة الأجر غالطوا السأما
غدوا نزاعاً من عامهم وتقىً ... أيام جمع والاشهر الحُرما
حتى أناخوا بذي الستور ملبّ ... ين بأرض كادت تكون سما

ومن هذا الباب :

أحاديها لو أمكنت من زمامها ... أريد وراءً والهوى من امامها
فما الحزن إلا بين حلمي وخوفها ... وبين زفيري خائفاً وبغامها
يعزّ علينا يومها تحت كورها ... بما فات من أيامها في مشامها
وان تعلف الرّطب الخليط ببابل ... مكان اراكٍ حاجر وبشامها
فليت بلاد أسْرها في قصورها ... فذاك بيوت خيرها في خيامها

ومن هذا الباب :

ردّوا لها أمّامها بالغميم ... ان كان من بعد شقاء نعيمْ
ولا تدلّوها فقد آمّها ... أدلة الشوق وهادي الشميم

ومن هذا الباب :

أمن خفوق البرق ترزمينا ... حتى فما اتبعك الحنينا
سري يماناً وسراك شامة ... فضلت ما ان تتلقّنينا
نعم تشاقين ونشتاق له ... ونعلنُ الوجد وتكتمينا
فأين منك اليوم او منا الهوى ... وأين نجدٌ والمغورُونا

ومنه ايضاً :

أين تريـد يا مثير الظعن ... أوطن بنـا برامة بوطنِ
حبساً ولو زادك من مضضه ... بين الفرار خائفاً والوسن
لعلهـا أن تشتفي نائحةٌ ... بالعبرات أعـين من اعين
كم كبدٍ كريمـةٍ في برّةٍ ... خزمتها ومُهجة في رسن
يا قاتل الله العذيب موقفاً ... على ثبوت قـدمي ازلني
يا زمقي بالخيف بل يا جيرتي ... فيـه وأين جيرتي وزمقي
ليتَ الذي كان فطار شعباً ... بـه الفراق بيننا لم يكن

خبر لخنبعة مع ذي نواس :

ولي حمير باليمن بعد هلاك عمرو بن أسعد تبّع لخنبعة ذي شناتر ، فقتل خيارهم ، وعبث ببنين اهل مملكته ، وكان يعمل عمل قوم لوط ، فكان يرسل الى الغلام من أبناء الملوك فيقع عليه في مشرفة له قـد صنعها لذلك . فإذا فرغ من فسقه بالغلام يطلع من مشرفته تلك الى حرسه ، وقد أخذ سواكاً فجعله في فيه يعلمهم انه قد فرغ منه حتى بعث الى ذي نواس وهو زرعة ابن اسعد تبع الذي كسا الكعبة ، وكان وسيماً ذا هيبةٍ ، وعقل من اجمل الناس فلما أتاه رسول ذي شناتر عرف زرعة مـا يريد به ، فأخذ سكيناً لطيفاً فخباه بين قدمه ونعله . ثم أتاه ، فلما خلا معه ، وثب اليه ، فواثبه ذو نواسٍ فوجأه حتى قتله ، ثم جزّ رأسه ، فوضعه في الكوّة التي كان يشرف منها ، ووضع مسواكه في فيه ، ثم خرج على الناس ، فقالوا له : ذو نواس ارطبُ ام يباس ؟ فقـال : سل نحماس ، استرطبان ذو نواس ، استرطبن لأباس . فنظروا الى الكوة فإذا رأسُ خنبعة مقطوع ، فخرجوا في أثر ذي نواس ،

أرطب ، أدركوه ، وقالوا له : ما ينبغي أن يملكنا غيرك . إذ ارحتنا من هذا الخبيث . فملكوه ، واجتمعت عليه حمير ، وقبائل اليمن ، فكان آخر ملوك حمير ، ويسمى يوسف . وعاش في الملك زماناً .

الشناتر : الأصابع بلغة حمير . وتحماس : الراس بلغتهم . واسترطبان : بمعنى استرطب . والكلام حميريّ يفهم بالفرض والقرينة ، لأنه يخالف أُلف كلام العرب .

قال محمد بن سنان الخفاجي :

ودع النسيم يعيد من أخباره ... فله حواشٍ للحديث رفاقُ
ما ثمّ من علق العُذيب بغائبٍ ... إلا وقد شهدت بـه الآماق

وقال :

ومهوّن للوجد يحسبُ انّه ... يودي العذيب مدامع وخدود
سل بانة الوادي فليس يفوتها ... خبرٌ يطول به الجوى ويزيد
وأنشد معيضوء الصباح وقل له ... كم تستطيل بك الليالي السود
وإذا هبطت الواديين وفيهما ... دُمنٌ حبس على البكا وعهود
فأخدع فؤادي في الخليط لعله ... يهفـو على آثارهم ويعود
أصبابةٌ بالجزعِ بعد سويقه ... شغل لعمرُك يا اميمُ جديد

وقال عبد الرحمن بن علي حدثنا كتابةً :

في شغل عن الرقاد شاغِل ... من هاجه البرق بسفح عاجِل
يا صاحبي هذي رياح ربعهم ... قـد اخبرت شمائل الشمائل
نسيمُهم سُحيريّ الريح مـا ... تشبهه روائـحُ الاصائل

ما للصّبا مولعة بذي الصبى او صباً فوق الغرام القاتل
ما للهوى العذريّ في ديارنا اين العُذيبُ من قصور بابل
لا تطلبوا ثاراً لبنايا قومنا دمـــاؤنا في اذرع الرواحل
لله درّ العيش في ظـلالهم ولي وكم اثار في المفاصل
واطربا إذا رأيتُ ارضهم هـــذا وفيها رُميت مقاتلي
باطرة الشيخ سُقيتِ أدمعاً ولا ابتليتِ بالهوى تماثـلي
ميلكِ عن زهوٍ وميلي عن اسى ما طرب المخمور مثل الثاكل

وقال مهيار الديلمي :

اهفو لعلويّ الرياح إذا جرت وأظنّ رامة كل دار اقفرتْ
ويشوقني روض الحمى متقضباً يصف الترائب والبروق إذا سرت
يا دين قلبي من ليالي حاجرٍ مكرت به يوماً عليه وأبكرت

رسالة الى بكر الصديق وأتباع عمر بن الخطاب لها الى علي بن ابي طالب مع ابي عبيد بن الجراح وجواب علي عن ذلك ومبايعته لأبي بكر رضي الله عنهم أجمعين :

عن ابي حيّان علي بن محمد التوحيدي البغدادي قـــال : سمرنا ليلة عند القاضي ابي حامد احمد بن بشر المروزي العامري في دار ابي حُبشان في شارع المازيان ، فتصرف الحديث بنا كل متصرف ، وكان ابو حامد والله مِعنتاً ، مغتاً ، مخلطاً ، مزيلا ، غزير الرواية، لطيف الدراية، له في كل جو متنفس ، ومن كل نار مقتبس .

فجرى حديث السقيفة ، وشأن الخلافــة ، فركب كل منا متناً ، وقـــال

قولاً ، وعرّض بشيء ، ونزع الى فنّ . فقال : هل فيكم من يحفظ رسالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه ، وجواب علي له ، ومبايعته إياه عقيب تلك المناظرة ؟ فقالت الجماعـة التي بين يديه : لا والله . قـال : هي من بنات الحقاق ، ومخبآت الصناديق في الخزائن ، ومذ حفظتها ما رويتها إلا للمهلبي ابي محمـد في وزارته . وكتبها عني في خلوة ، وقال : لا اعرف على وجه الارض رسالة اعقل منها ، ولا أبين . وانها لتدل على حلم ، وفصاحة ، وفقاهة ، ودهاء ، ودين ، وبُعد غور ، وشدة غوص. فقال له ابو بكر العباداني: أيها القاضي لو أتممت المنة بروايتها سمعناها، ونحن أوعى لها عنك من المهلبي ، وأوجب ذماماً عليك ، فاندفع فقال :

حدثنا الخزاعي بمكة قال : حدثنا ابن ابي ميسرة ، حدثنا محمد بن فليح، نبأ عيسى بن داب ، نبأ صالح بن كيسان ، ويزيد بن رومان وكان معلم عبد الملك بن مروان ، قالا : حدثنا هشام بن عروة ، نبأ ابو النفـــاح مولى ابي عبيدة بن الجراح . وروي هـذا الحديث وكان له عليه جرأة ظاهرة ، وكان من محفوظاته القديمة. فلما كان بعد ذلك بدهر ذاكرنا بأحرف من هذه الرسالة ابن مروان، وكان نسيج وحده حفظاً ، وبياناً واتباعاً . فعرفناه ان الحديث عندنا من جهة ابي حامد . فزعم ان استاذه ابن شجرة احمد بن كامل القاضي سرده ، ولم يكن فيـه صالح بن كيسان . وذكر مولى ابي عبيدة ابا النفاح بالنون والفاء ، وخالف في احرف ، وأنا أكرر على الرسالة والحديث بعـــد ذكرهما ، وأسمي حرفاً حرفاً ممـا وقع فيه الخلاف على جهة التصحيف ، او على جهة التحريف ، على انني ما سمعت بحديث في طوله ، وغرابته ، بأحسن سلامة منه . وانمـا ذلك لأنه صار الينا من رواية هذين الشيخين العلّامتين . وكان سماعنا من ابي حامد سنة ستين ، ومن ابي منصور سنة خمس وسبعين .

قال ابو حامد : قال ابو النفاح : سمعت ابا عبيدة بن الجراح يقول : لما استقامت الخلافة لأبي بكر بين المهاجرين والانصار، ولحِظ بعين الهيبة والوقار. وان كان لم يزل كذلك بعد هنة كاده الشيطان بهـا ، فدفع الله عز وجل شرها ، ورحض عرّها ، ويسّر خيرها ، وأزاح ضيرها ، وردّ كيدها ، وقصم ظهر النفاق والفسوق ، من اهلها .

بلغ ابا بكر الصديق رضي الله عنه، عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه، تلكؤ وشماس ، وتهمهم ونفاس ، وكره ان يتمادى الحال ، وتبدو العداوة ، وتنفرج ذات البين ، ويصير ذلك دربة لجاهل مغرور ، او عاقل ذي دهاء ، او صاحب سلامة ، ضعيف القلب ، خوار العنان .

دعاني فحضرته وعنده عمر بن الخطاب وحـده ، وكان يرمل ارضه بالسرجين ، وكان عمر قبساً له ، ظهيراً معه ، يستضيء برأيه ، ويستملي على لسانه . فقال لي : يا ابا عبيدة ما أيمن ناصيتك ، وأبين الخير بين عينيك ، وعارضتيك، ولقد كنت من رسول الله ﷺ بالمكان المحوط، والمحل المغبوط. ولقد قال فيك في يوم مشهود : ابو عبيدة امين هـذه الامة ، وطال ما أعز الله بك الاسلام ، وأصلح فساده على يديك . ولم تزل للدين ملجأ ، وللمؤمنين دوحاً ، ولأهلك ركناً ، ولاخوانك رداء . قـد اردتك لأمر له ما بعده ، خطره مخوف، وصلاحه معروف . وان لم يندمل جرحه بمسبرك، ولم تستجب حيته لرقيتك ، فقد وقع اليأس ، وأعضل البأس ، واحتيج بعد ذلك الى ما هو أمرّ من ذلك وأعلق ، وأعسر منـه وأغلق ، والله أسأل تمامه بك ، ونظامه على يديك . فتأتَ له يا ابا عبيـدة وتلطف فيه ، وأنصح الله تعالى ولرسوله ﷺ ، ولهذه العصابة ، غير آلٍ جهداً ، ولا قال جـداً . والله كالئك ، وناصرك ، وهاديك ، ومبصرك ، وبه الحول والتوفيق .

إمض الى عليّ واخفض جناحك له ، واغضض من صوتك عنده . واعلم انه سلالة ابي طالب ، ومكانه ممن قد فقدناه بالأمس ﷺ مكانه ، وقل له : البحر مفرقه ، والبرّ مغرقه ، والجو أكلف ، والليل أغلف ، والسماء جلواً ، والأرض صلداً ، والصعود متعذر ، والهبوط متعسر ، والحق رؤف عطوف ، والباطل شنوف عنوف ، والضغن رائد البوار ، والتعريض شجار الفتنة ، والقحة ثقوب العداوة ، وهذا الشيطان متكىء على شماله ، متحبّل بيمينه ، نافخ حضنيه لأهله ، ينتظر الشتات والفرقة ، ويدبّ بين الأمة بالشحناء والعداوة ، عناداً لله ولرسوله ﷺ ولدينه ، ناكباً يوسوس بالفجور ، ويُدَلّي بالغرور ، ويمنّي اهل الشرور ، ويوحي الى اوليائه بالباطل ، دأباً له مذ كان على عهد ابينا آدم ﷺ ، وعادة منه منذ أهانه الله عز وجل في سالف الدهر ، لا ينجى منه إلا بعض الناجذين على الحق ، وغض الطرف عن الباطل ، ووطء هامة عدو الله ، وعدو الدين ، بالأشد فالأشد ، والأجدّ بالأجدّ ، وإسلام النفس لله عز وجل فيما رضاه ، وجنب سخطه .

ولا بد الآن من قول ينفع اذا ضرّ السكوت ، وخيف غبّه (١) . ولقد ارشدك من أفاد ضآلتك ، وصافاك من أحيى مودته لك بعتابك ، وأراد الخير بك من آثر البقاء معك . ما هذا الذي تسوّل لك نفسك ؟ ويدوي به قلبك ، ويلتوي به عليك رأيك ، ويتخاوص دونه طرفك ، ويسري فيه ظعنك ، ويترادّ معه نفسك ، وتكثر معه صعداؤك ، ولا يفيض به لسانك ، أعجمة بعد إفصاح ؟ اتلبيسٌ بعد ايضاح ؟ أدين غير دين الله عز وجهه ؟ أخلق غير خلق الله ؟ أهدي غير هدي النبي ﷺ ؟ أمثلي يمشي له الضرّا ؟

---

(١) نسخة : منه .

ويدبّ اليـــه الحمراء ؟ أم مثلك ينقبض عليه الفضاء ؟ او يكسف في عينه القمر؟ ما هذه القعقعة بالشنان ؟ وما هذه الوعوعة باللسان؟ انك جدّ عارف باستجابتنا لله عز وجل ولرسوله عليهالسلام، وخروجنا عن اوطاننا وأموالنا وأولادنا وأحبّتنا هجرةً الى الله تعالى عز ذكره، ولنصرة نبيه ﷺ في زمان أنت فيه في كنّ الصبي ، وخدر الغرارة ، غافل عما يشيب ويريب ، لا تعي ما يراد ويشاد ، ولا تحصّل ما يساق ويقاد ، سوى ما انت جار عليـــه الى غايتك التي اليها عدّي بك ، وعندها حط رحلك ، غير مجهول القدر ، ولا مجحود الفضل .

ونحن في اثناء ذلك نعاني احوالاً تزيل الرواسي ، ونقاسي اهوالاً تشيّب النواصي، خائضين غمارها ، راكبين تيارها ، نتجرع صابها ، ونشرح عيابها، ونتبلّغ عبابها ، ونحكم اساسها ، ونهزم أمراسها ، والعيون تحدّج بالحسد ، والأنوف تعطس بالكِبر، والصدور تستعر بالغيظ، والأعناق تتطاول بالفخر، والشفار تشحذ بالمكر، والارض تميد بالخوف، ولا ننتظر عند المساء صباحاً ، ولا عند الصباح مساء ، ولا ندفع في نحر أمر لنا إلا بعــد ان نحسوا الموت دونه ، ولا نتبلغ الى شيء إلا بعد جرع الغصص معه ، ولا نقود بناد إلا بعد اليأس من الحياة عنده ، فأدين في كل ذلك لرسول الله ﷺ بالأب ، والأم ، والخال، والعم ، والنشب، والسيد ، واللبد ، والهلة ، والبلة ، بطيب نفسٍ، وقرور عين ، ورَحب اعطان ، وثبـــات عزائم ، وصحة عقول ، وطلاقة اوجه ، وذلاقة ألسُن ، هذا الى خفيات اسرار ، ومكنونات اخبار ، كنت عنهــا غافلا ، ولولا سنك لم تكن عنها (١) ناكلا ، كيف وفؤادك مشهوم ، وعودك معجوم ، وغيبك مخبور ، والقول فيك كثير ؟

---

(١) نسخة : عن شيء منها .

والآن قد بلّغ الله بك ، وأرضَ الخير لك ، وجعل مرادك بين يديك .

وعن علم اقول مـــا تسمع : فارتقب زمانك ، وقلّص اليه أردانك ، ودع التجسس والتعسس [1] لمن لا يطلع اليك اذا أخطى ، ولا يتزحزح عنك اذا أعطى ، فالأمر غضّ ، والنفوس [2] فيها مضّ ، وإنك أديم هــذه الأمة ، فلا تحكم لجاجاً ، وسيفها الغضبُ فلا تفبو اعوجاجاً ، وماؤهــا العذب ، فلا تحيل اجاجاً ، والله لقد سألت رسول الله ﷺ عن هذا الأمر فقـــال لي : يا ابا بكر هو لمن يرغب عنه ، لا لمن يرغب فيـــه ، ويجاحش عليه ، ولمن يتضاءل له ، لا لمن تنفخ اليه ، ولمن يقال : هو لك ، لا لمن يقول : هو لي ، والله لقد شاورني رسول الله ﷺ في الصهر ، فذكر فتيانـــاً من قريش . فقلت : أين أنت من علي ؟ فقال : إني لا أكره [3] لفاطمة ميعة شبابه ، وحداثة سنه . فقلتُ له : متى كنفته يدك ، ورعته عينك ، حفت بهما البركة وسبغت عليهما النعمة مع كلام كثير حطبت به عنك ، ورغبته فيك . ومـــا كنتُ عرفتُ منك في ذلك حوجا ولا لوجا . فقلتُ : ما قلتُ ، وأنا أرى مكان غيرك ، وأجد رائحة سواك . وكنتُ لك إذ ذاك خيراً منك الآن لي. ولئن كان عرض بك رسول الله ﷺ فقد كنى عن غيرك. وإن كان قال فيك فمـــا سكت عن سواك . وأن يختلج في نفسك شيء فهلم فالحكم مرضي ، والصواب مسموع ، والحق مطاع .

ولقد نقل رسول الله ﷺ الى مـــا عند الله عزّ وجل ، وهو عن هذه العصابة راض . وعليها حدب . يسرّه ما يسرّها . ويكيده مـــا كادها .

---

(١) نسخة : والتعبس .

(٢) نسخة : النفس .

(٣) ظاهر ما يأتي انها لأكره لكن هكذا وجد والله اعلم .

ويرضيه ما ارضاها . ويسخطه ما اسخطها . ألم تعلم إنـــه لم يدع أحداً من اصحابه وخلطائه وأقاربه وشجرائه إلا أبانـــه بفضيلة ، وخصّه بكرمة ، وأفرده بجلاله ؟ لو اصفقت الأمـــة عليه لكان عنده إيالتها ، وكفالتها ، وكرافتها ، وغزارتها . أتظنُّ أنه ﷺ ترك الأمة نشراً سدى ، بدداً عدى، مباهل طلاحي ، مفتونة بالباطل ، مغبونة عن الحق ، لا زائد، ولا حائط، ولا ساقي ، ولا راقي ، ولا هادي ، ولا حادي . كلا والله ما اشتاق الى ربه تعالى ، ولا ساله المصير الى رضوانه ، حتى ضرب الصُّوى ، وأوضح الهدى، وأمّن المهالك والمطارح ، وسهّل المبارك والمهايع . إلا بعـد أن شدخ يافوخ الشرك بإذن الله عزّ وجل. وشرم وجه النفاق لوجه الله تعالى جدُّه. وجدع انف الفتنة في ذات الله تبارك اسمه . وتفل في وجه الشيطان بعون الله جلّ ذكره . وصدع بملءِ فيه ، وبده امر الله عزّ وجل .

وبعـــد فهؤلاء المهاجرين ، والانصار ، عندك ومعك في دار واحدة ، وبقعة جامعة ، ان استقلوني لك ، وأشاروا عندي بك ، فأنا واضع يدي في يدك ، وصائر الى رأيهم فيك . وأن تكن الأخرى فادخل فـــيما دخل فيه المسلمون ، وكن العون على مصالحهم ، والفاتـح لمغالقهم ، والمرشد لضآلهم ، والرادع لغاويهم . فقـــد أمر الله عزّ وجل بالتعاون على البر . وأهاب الى التناصر على الحق . ودعنا نقضي هذه الحياة الدنيا بصدور بريئةٍ من الغلّ . ونلقى الله عزّ وجل بقلوب سليمة من الضغن .

وبعد فالناس ثمامة ، فأرفق بهـم ، وأحن عليهم ، ولن لهم ، ولا تشق نفسك بنـا خاصة فيهم . وأترك ناجم الحقد حصيداً . وطائر الشر واقعاً . وباب الفتنة غلقاً . فـلا قال ولا قيل . ولا لوم ولا تبيـع . والله عزّ وجل على ما نقول وكيل . وما نحن عليه بصير .

قال ابو عبيدة : فلما تهيأت للنهوض قال لي عمر : كن لدا الباب هنية ، فلي معك درّ من القول ، فوقفتُ ولا أدري مـــا كان بعدي إلا أنه لحقني ووجهه ينذي تهللاً وقال : قل لعليّ الرقاد محلمة ، واللجاج ملحمة ، والهوى مفحمة . وما منا احدٌ إلا وله مقامٌ معلوم . وحق مشاع او مقسوم . ونبأ ظاهر او مكتوم. وأن أكيّس الكيس من منح الشارد تألفاً . وقارب البعيد تلطفاً . ووزن كل امرءٍ بميزانه . ولم يخلط خبره بعيانه . ولم يجعل فـتره مكان شبره . ولا خير في معرفة مشوبة بنكره . ولا في علم معتل في جهل . ولسنا كجلدة رقع البعير بين العجان وبين الذنب . وكل صال فبناره . وكل سيل فالى قراره . وما كان سكوتُ هذه العصابة الى هذه الغاية لعيّ وشي . وكلامها اليوم لفتق او رتق . قد جدع الله بمحمد ﷺ آنف كل ذي كبر . وقصف ظهر كل جبار. وقطع لسان كل كذوب. فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ ما هذه الخنزوانة التي في فراش رأسك ؟ وما هذا الشجا المعترض في مدارج أنفاسك ؟ ومـــا هذه الوحرة التي أكلت شراً سيفك ؟ والقذاة التي أغشت ناظرك؟ وما هذا الدخس والداس اللذان يدُلان علىضيق الباع وخور الطباع؟ وما هذا الذي ليست بسببه جلدة النمر ، واشتملت عليه بالشحناء والنكر ؟ لشدّ ما استسعيت اليها . وسَرَيت سُرى ابنِ انقد اليها . إن العوان لا تعلم الخمرة . وإن الحصان لا تكلم خبره . وما أحوج الفرعاء الى قال . وما أفقر الصلعاء الى حال .

لقد خرج رسول الله ﷺ ، والامر محبّس ليس لأحـد فيه ملمس ، ولا مأيس ، ولم يسيّر فيك قولاً ، ولم يستنزل فيك قراناً ، ولم يجزم في شأنك حكماً ، ولسنا في كسروية كسرى ، ولا في قيصرية قيصر تانك ، لا أخدان فارس ، وأبناء الاصفر ، قوماً جعلهم الله جرزاً لسيوفنا ، وحرزاً لرماحنا ،

ومرمى لطماننا ، وتبعاً لسلطاننا ، بل نحن في نور نبوّة ، وضياء رسالة ، وثمرة حكمة ، واثرة رحمة ، وعنوان نعمة ، وظل عصمة ، بين أمة مهدية بالحق والصدق ، مأمونة على الفتق والرتق . لها من الله عزّ وجلّ قلب ابيّ ، وساعد قوي ، ويد ناصرة ، وعين باصرة . أتظن ان ابا بكر الصديق وثب على هذا الامر مفتاتاً [1] على هذه الامة ، خادعاً لها ، متسلّطاً عليها ؟ أتراه امتلخ احلامها ، وزاغ ابصارها ، وحلّ عقدها ، وأحال عقولها ، واستلّ من صدورها حميتها ، وانتزع من أكبادها عصبيتها ، وانتكث رشاها ، وانتضب ماءها ، وأضلها عن هداها ، وساقها الى رداها ، وجعل نهارها ليلاً ، ووزنها كيلاً ، ويقظتها رقاداً ، وصلاحها فساداً ، ان كان هكذا ان سحره لمبين ، وان كيده لمتين . كلا والله بأي خيل ورجل ، وبأي سنان ونصل ، وبأي قوة ومنة ، وبأي ذخر وعدة ، وبأي أيد وشدة ، وبأي عشيرة وأسرة ، وبأي تدرّع وبسطة ، لقد اصبح عندك بما وسمته منيع العقبة ، رفيع العتبة . لا والله ولكن سلا عنها فولهت اليه وتطامن لها فلصقت به ، ومال عنها فمالت اليه ، واشتمل دونها فاشتملت عليه . حبوة حباه الله بها ، وعاقبة بلّغه الله إياها ، ونعمة سربله الله جمالها ، ويد أوجب عليه شكرها ، وأمة نظر الله به لها . ولطالما حلقت فوقه في أيام رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت لفتها ، ولا يرتصد وقتها . والله أعلم بخلقه ، وأرأف بعباده . يختار ما كان لهم الخيرة . وانك بحيث لا يُجهل موضعك من بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، وكهف الحكمة ، ولا يُجحد حقك فيما آتاك ربك ، ولكن لك من يزاحمك بمنكب أضخم من منكبك ، وقرب أمسّ من قربك ، وسنّ أعلى من سنك ، وشيبة أروع من شيبتك ، وسادة لها عرف من الجاهلية ، وفرع من الاسلام ،

---

(١) بفاء وتاءين بينهما الف : أي متعدياً .

والشريعة . ومواقف ليس لك فيها من جمل ولا ناقـــة . ولا تذكر منها في مقدمة ولا ساقة، ولا تضرب فيها بذراع ولا اصبع، ولا تخرج منها ببازل[1] ولا هُبع. فان عذرت[2] نفسك فيما تهدر به شقشقتك من صاغيتك[3]، فاعذرنا فيما تسمع منا في لين وسكون ، مما لا تبعده منه ، ولا تناضله عليه . ولئن خزيت بهـــذا نفسك ، لينتخشنّ عليك ما ينسيك الاولى ، ويلهيك عن الاخرى . ولو علم من ضننا به بما في انفسنا له وعليه ، لما سكن ، ولا اتخذت انت وليجة الى بعض الارب .

فأما ابو بكر الصديق فلم يزل حبه سويداء قلب رسول الله ﷺ، وعلاقة همه ، وعيبة سرّه ، ومثوى حربه[4] ، ومفزع رأيه ، ومشورته ، وراحة كفه ، ومرمق طرفه ، وذلك كله بمحضر الصادر ، والوارد ، من المهاجرين، والانصار . شهرته مغنية عن الدلالة عليه .

ولعمري انك اقرب الى رسول الله ﷺ قرابة ، لكنه اقرب قربـــة . والقرابة لحم ودم ، والقربة روح ونفس . وهـذا فرق قد عرّفه المؤمنون . وكذلك صاروا اجمعين .

أجمعين ههنا ، ليست التي يراد بهـــا التوكيد ، انما هي المستعملة في قول العرب : جاء القوم بأجمعهم . وكان الاصمعي يقول : انمـــا هو بأجمعهم بضم الميم لأن المفتوحة الميم لا تضاف، ولا تكون إلا مؤكدة. وخالفه ابن الاعرابي

(١) البازل : البعير تاسع سنه. والهبع: كصرد الحمار. قاموس وسيأتي غيره .
(٢) نسخة عددت .
(٣) صاغيتك : الذين يميلون اليك في حوائجهم .
(٤) نسخة : حزنه .

في ذلك وأجاز فتح الميم . وقال : ليست هذه تلك ، كما ان كلا ، المستعملة في قولنا : كل القوم ذاهب ، ليست المستعملة في قولنا : مررت بالقوم كلهم .

ومهما شككت فيه فلا تشك ، ان يد الله مع الجماعة ، ورضوانه لأهل الطاعة ، فادخل فيما هو خير لك اليوم ، وأنفع لك غداً ، وألفظ من فيك ما تعلّق بلهاتك ، وانفث سخيمة صدرك عن ثقاتك . فان لم يكن في الامد طول ، وفي الاجل فسحة ، فستأكله مريأ ، او غير مريء ، وستشربه هنيأ ، او غير هنيء ، حين لا رادّ لقولك إلا من كان منك ، ولا تابع لك إلا من كان طامعاً فيك ، يمض اهابك ، ويفري قادمتك ويزري على هديك ، هناك تقرع السن من ندم ، وتجرع الماء ممزوجاً بدم . وحينئذ تأس على ما مضى من عمرك ، ودارج قومك ، فتودّ ان لو سُقيت بالكأس التي أبيتها ، ورددت للحال التي استبريتها ، ولله تعالى فينا وفيك أمر هو بالغه ، وغيب هو شاهده ، وعاقبة هو المرجو لضرّائها وسرّائها ، وهو الولي الحميد ، الغفور الودود .

قال ابو عبيدة رضي الله عنه : فمشيت مزملا [1] اتوجّأ كأنما أخطو على أمّ رأسي ، فرقـاً من الفرقة ، وشفقاً على الأمة ، حتى وصلت الى عليّ في خلاءٍ فأبثثته بثي كله ، وبرئت اليه منه ، ورفقت له . فلما سمعها ، ووعاها ، وسرَت في اوصاله حمّياها . قال : حلت معلوّطه ، وولت مخروّطه ، حل لا حليت النفس ، أدنى لها من قول اما :

احدى لياليكِ فهيسي هيسي لا تنعمي الليـلة بالتعريسِ

نعم يا أبا عبيدة ، أكل هذا في أنفس القوم يحثون عليه ويطـّبعون به ؟

(١) نسخة : منزملا .

قال ابو عبيدة : فقلت : لا جواب لك عندي، إنما انا قاضٍ حق الدين ، وراتق فتق الاسلام للمسلمين . وساد ثلمة الأمة ، يعلم الله ذلك من خلجان قلبي ، وقرارة نفسي .

قال علي رضي الله عنه : والله ما كان قعودي في كسر هذا البيت قصداً للخلافة ، ولا إنكاراً للمعروف ، ولا رزاية على مسلم ، بل لما وقدني به رسول الله ﷺ بفراقه، وأودعني من الحزن بفقده ، وذلك اني لم أشهد بعده مشهداً إلا جدد لي حزناً ، وذكرني شجواً ، وأن الشوق الى اللحاق به كاف عن الطمع في غيره ، فقد عكفت على عهد الله انظر فيه ، واجمع ما تفرّج منه ، رجاء ثوابٍ معدٍّ لمن اخلص عمله ، وسلّم لعلمه ، ومشيئة ربه ، على اني ما علمت ان التظاهر عليّ واقع ، ولا عن الحق الذي سبق إليّ دافع ، واذا قد أفعم الوادي بي ، وحشد النادي من اجلي ، فلا مرحباً بما ساء احداً من المسلمين . وفي النفس كلام : لولا سابق قول ، وسالف عهد ، لشفيت غيظي ، بخنصري وبنصري ، وخضت لجته بأخمصي ومفرقي ، لكني ملجمٌ الى ان القى ربي عز وجل ، وعنده احتسب ما نزل بي ، وأنا عادل الى جماعتكم ، ومبايع لصاحبكم ، وصابر على ما ساءني وسرّكم ، ليقضي الله امراً كان مفعولاً ، وكان الله على كل شيء شهيداً .

قال ابو عبيدة : فعدت الى أبي بكر ، وعمر رضي الله عنهما ، فنصصت القول على غرّه، ولم اختزل شيئاً من حلوه ومرّه، وذكرت غدوه الى المسجد.

فلما كان صباح يومئذ وافى عليٌّ فخرق الى ابي بكر فبايعه ، وقال : خيراً ، ووصف جميلا ، وجلس زميناً ، واستأذن للقيام ، ونهض ، فشيعه عمر تكرمه له ، واستيثاراً لما عنده . فقال له عليّ : ما قعدت عن صاحبكم

كارهاً له ، ولا أتيته فرقاً منه ، وما اقول مـا اقول تعلـّة ، واني لأعرف مسمى طرفي ، ومخطى قدمي ، ومنزع قوسي ، وموقع سهمي ، ولكني قد ازمت على فأسي ثقة بالله في الابالة في الدنيا والآخرة .

فقال له عمر: كفكف عزبك ، واستوقف سربك ، ودع العصا بلحائها ، والدّلا برشائها ، فإنا من خلفها وورائها ، إن قدحنا اورينـا ، وإن منحنا اروينا ، وإن جرحنا أدمينـا ، وإن نصحنا أربينا ، ولقد سمعت اماثيلك التي لغوت بها عن صدر آكل بالجوى ، ولو شئت لقلت على مقالتك مـا اذا سمعته ندمت على ما قلته ، زعمت انك قعدت في كسر بيتك لـما وقدك به رسول الله ﷺ بفراقه .

أفراق رسول الله ﷺ وقدَك وحـدك ، ولم يَقِدِ سواك ؟ بل مصابه أعظم، وأعز من ذلك ، فإن من حق مصابه أن لا يصدع شمل الجماعة بكلمة لا عصام لها ، ولا يزرى على اخيارها بما لا يؤمن كيد الشيطان في عقباها ، هذه العرب حولنا ، والله لو تداعت علينا في مصبح يوم لم نلتق في ممسا .

وزعمت ان الشوق الى اللحاق بـه كافٍ عن الطمع في غيره ؛ فمن الشوق اليه نصرة دينه ، وموازرة اولياء الله تعالى جده ، ومعاونتهم فيه .

وزعمت انك عكفت على عهد الله عز وجل تجمع مـا تبدّد منه ؛ فمن العكوف على عهده النصيحة لعباده ، والرقـّة على خلقه ، وبذل ما يصلحون به ، ويرشدون اليه .

وزعمتُ أنك لم تعلم أن التظاهر عليك واقع ، ولك عن الحق الذي سبق اليك دافع . فأي تظاهر وقع عليك ؟ وأي حق لك ليط دونك ؟ قد علمت

ما قالت الانصار لك بالأمس سرّاً وجهراً . وما تقلبت عليه بطناً وظهراً . فهل ذكرتك ، او أشارت بك، او وجدنا رضاها عندك ؟ هؤلاء المهاجرون، من الذي قال بلسانه . تصلح لهذا الأمر ؟ او اومأ بعينه ، او همهم في نفسه أتظن أن الناس قـد ضلوا من اجلك وعادوا كفاراً زهداً فيك ؟ وباعوا الله عزّ وجل ، ورسول الله ﷺ ، تحامــلا عليك ؟ لا والله ولكنك اعتزلت تنتظر الوحي ، وتتوكف مناجاة الملك لك . ذلك امرٌ طواه الله عزّ وجل بعــد محمدٍ ﷺ . أكان الأمر معقوداً بأنشوطة ، او مشدوداً [١] بأطراف ليطة ؟ كلا والله إن الغيابة لمحققة ، وإن الشجرة لمورقة ، ولا عجماء بعــد حمد الله إلا وقد فصحت ، ولا عجفاء إلا وقد سمنت ، ولا بلهاء إلا وقــد فطنت ، ولا شوكاء إلا وقد نفحت .

ومن أعجب شانك قولك : لولا سابق قول ، وسالف عهــد ، لشفيت غيظي . وهل ترك الدينُ لأحدٍ من اهله أن يشفي غيظه بيده ولسانه ؟ تلك جاهلية قد استأصل الله شافتها ، ودفع عن الناس آفتها ، وأقلع جرثومتها ، وهوّر ليلها ، وغوّر سيلها، وأبدل منها الروح والريحان، والهدى والبرهان.

وزعمت انــك ملجم . فلعمري ان من اتقى الله عزّ وجل وآثر رضاه ، وطلب ما عنده ، أمسك لسانه ، وأطبق فاه ، وجعل سعيه لما واراه [٢] .

قال علي رضي الله عنه : والله ما بذلت وأنا أريد فلتة ، ولا اقررت بما اقررت ، وأنا أريد [٣] حولاً عنه ، وأنــ أخسر الناس صفقة عند الله عزّ

---

(١) نسخة : مسدوداً .
(٢) نسخة : وراءه .
(٣) نسخة : ابغي .

وجل من آثر النفاق ، واحتضن الشقاق . وبالله سلوة من كل كارث ، وعليه التوكل في كل [1] الحوادث .

ارجع يا أبا حفصٍ ناقعُ القلب، فسيح البال ، مبرود الغليل فصيح اللسان فليس وراء ما سمعته وقلته إلا ما يشدّ الأزر ، ويحط الوزر ، ويضع الأصر ويجمع الألفـة ، ويرفع الكلفة ، ويوقع الزّلفة بمعونة الله عزّ وجل وحسن توفيقه .

قال ابو عبيدة : وانصرف عمر ، وهذا أصعب ما مرّ بناصيتي بعد فراق رسول الله ﷺ .

قال ابو حيّان : وروي لنا هذا كله ابو حامد ، ثم اخرج لنـــا أصله ، فقابلنا به ، فما كان غادر منه إلا ما لا بال له .

فأما ما رواه لنا ابو منصور الكاتب ، فإنه خالف في احرف في حواشي الكتاب ، كل حرفٍ بإزاء نظيره الذي هو مبدل منه . وقد كان ابو منصور بلغة العرب . أبصر ، وفي غرائبها أنقد .

وإنما قدمتُ رواية ابي حامد لأنـــه بشأن الشريعة أعلم ، ولا عاجيبها احفظ ، وفيما اشكل فيها [2] افقه . وكان اسناد الحديث من جهته .

وقال لنا ابو منصور الكاتب في حديثه ، ولما حضر علي أبا بكر رضي الله عنهما، فقال له ابو بكر : إن عصابةً أنت فيها لمعصومة. وإن أمةً أنتَ

---

(١) نسخة : جميع .
(٢) نسخة : منها .

فيها لمرحومة . ولقد اصبحت عزيزاً علينا ، كريمـــاً لدينا . نخاف الله إذا سخطت . ونرجوه إذا رضيت . ولولا أني شدهت لمـــا أجبت اليه . ولقد حط الله عن ظهرك ما اثقل به كأهلي. وما اسعد من نظر الله اليه بالكفاية. وأنا اليك محتاجون وبفضلك عالمون . والى الله عزّ وجل في جميع الامور [1] راغبون .

شرح ما وقع في هذه الرسالة من فنّ الغريب :

المغن : الذي يتصرّف في كل فنّ . والمخلط : الذي يخلط بعض الأمور ببعض . والمزيل : الذي يفصل بعضها عن بعض . والمعن : الذي يتصرّف في المعـاني . والجوى : الهوى . والجواء : الناحية من الارض . والمتنفس : الاستراحة والاتساع .

والسقيفة : التي ذكرها هي سقيفة بني ساعدة التي اجتمع فيها المهاجرون والانصار ، عند موت رسول الله ﷺ .

والفن : النوع ويجمع على فنون .

والمتن : في الحديث نصه على وجهه ، وهو من كل شيء ظهره .

والحقاق : جمع حقة وهي وعاء يحبس فيه الطيب والجوهر .

والاعلاق والغوص : الدخول في الشيء الغامض .

قوله نسيج وحده : أي فريد ماله نظير ، وأصله في الثوب الرفيع الذي الذي لا مثال له ، يصنع له منسجٌ وحده لا ينسج عليه غـــيره . واستعير ذلك للرجل الذي لا نظير له في فنه .

---

(١) نسخة : الاحوال .

سرد الحديث : تتابع ألفاظه ، وكلماته ، كما هي ، لا يقدم المتأخر ، ولا يؤخر المتقدم . ويقال : سردُ الحديث ، نصّه ووصل اسناده .

والهنة : اللطيف من كل شيء .

قوله ورحض عرها : أزال مكروهها ، وأصله من العر ، وهو داء يأخذ الابل .

قال الشاعر :

كذا العرّ يكوي غيره وهو راتع

والتلكؤ : التأخر . وأزاح ضوءها : أذهب ضررها . والشماس : النفار. والتهمهم ، والهمهمة : كلام لا يصرّح به . والنفاس : المنافسة ، والجدل . يرمل : يصلح . والسرجين ، والسرقين : لغتان للزبل . تنفرج : تفترق .

وذات البين : الحال المتصلة به ، من قوله تعالى : « لقد تقطع بينكم » .

والظهير : المعيّن الذي يشد به ظهره .

مثإه ، والثأي : الافساد . وأصله في الخرز ، وهو ان يثقب الخرزة ، فتصير الاثنان واحدة . يقال : أثان الخرز فهو مثاء .

والمغبوط : الذي يتنافس فيه .

والقبس : عود في طرفه النار ، فضرب مثلاً لمن يستعان برأيه .

وقوله خوار العنان : يقال : فرس خرار العنان ، اذا كان صاحبه يصرفه كيف ما أراد ، فضرب مثلاً .

الدوح : الشجر العظيم . والردء : العون . وقوله يندمل يقول : يعبق .

والمسبار : فتيل يدخل في الجرح . يقال : سبرت الجرح ، اذا اختبرته بالمسبار ، وهو المرود الذي يدخل في الجرح ليرى كم عمقه .

وقوله : غير آل : أي مقصر .

والجهد : بضم الجيم ، الطاقة . وبفتح الجيم الغاية . وقد سوّي بينهما .

والقالي : المبغض المكاره . والجد : التشمير، والاجتهاد . وقوله مغرقة : يغرق فيه . وقوله مفرقة : يفرق من الفزع ، يقول : يفزع من السير فيه .

والجو : الهواء . وأكلف : أغبر . وأغلف : شديد الظلمة . وجلوا : ظاهرة النجوم . وصلعاء : لا نبات فيها .

والصعود : المرتفع ، وبضم الصاد المصدر ، وكذلك الهبوط بالفتح المكان المنحدر وبالضم المصدر .

والثقوب : الناقة الغزيرة اللبن ، قال : والصواب ثقوب العداوة ، والثقوب ، الحطب ، وما يهيج به النار .

والقمة : التأخر ، والقعود عن الامر ، وهو مأخوذ من قولهم : وقع الرجل وهو وقع الرجل اذا اشتكى لحم قدمه ، ولم يقدر على المشي .

وقوله شجار الفتنة : الشجار خشب الهودج ، ضربه مثلاً .

وقوله يدلي بالغرور : الادلاء ، الادخال في الأمر ، وأصله ادخال الدّلو في البئر . والشنوف : المبغض . والعنوف : الشديد : والثالب : الطاعن . والضغن : العداوة . وقوله رائد البوار: قائد الهلاك . وقوله يوحي : يشير . والناجد : آخر الاضراس . وقوله من أفاد ضالتك : أي ردّها .

والحوص : بالحاء غير المعجمة ضيق في العين ، وبالخاء المعجمة غور فيها . والطعن : النهوض . وقوله ما يغيض : أي ما يبين ولا يفهم .

والصعداء : النفَس العالي في الغضب والهمّ .

والخمر : ما التف من الشجر ، وكذلك الضراء ، يقال : يمشي فلان لفلان الضراء ، اذا كان يخفي له العداوة حتى يجد فرصة .

قال الشاعر :

يمشي الضراء وينفي : وأصله ان يستتر الصياد عن الصيد حتى يرميه .

الهدى : الطريق المستقيم . ينقض : يضيق ، وينغلق . والفضاء : المتسع من الارض . والشنان : جمع شن وهي القربة اليابسة . والقعقعة : صوتها اذا حُرّكت ، فاذا حُرّكت للبعير الشارد سكن ، فضرب مثلاً بمن يهدّد بما لا حقيقة له . والوعوعة : صوت الذئب . والشنان : العداوة .

وقوله يريء : أي يوقد ناراً . والتشبب : نحو منـه ، وأصله من شبب النار اذا اوقدها .

وقوله ونحن في أثناء ذلك : الاثناء الاعطاف ، والجوب ، واحدها ثنى. والرواسي : الجبال الناتئة . والنواصي : الذوائب . والغمار : الماء الكثير ، وهو جمع غمرة يغمر من يدخل فيه. الامراس : الحبال الذي يستقي بها الماء.

الصاب : الصبر . وقوله نشحذ : نسنّ . والعباب : الموج . والعيـاب : جمع عيبة .

وقوله تحدج : أي تنظر . وقوله تميد : أي تحيد . والنشب : الضياع . والسبد : الشعر . والوبر : يعني الابل . واللبد : الصوف يعني الغنم ، بقوله ما له لا سبد ولا لبد . والهلة : الفرح ومـا يستر به الرجل . والبلة : أصله الرطوبة ، والبلل ، ثم يستعمل بمعنى الضلة . والرحب : السعة . والذلاقة : الفصاحة . والمكنونات : المستترات . والأعْطان : مَبَارك الإبل عند الماء . والمخبور : المجرّب . وأرهص : معناه قدم واصل .

وقوله قلص : يقول شمر . والأردان : الأكام . وقوله يضلع : يعرج .

وقوله اعطى هنا : تنـــاول . والمضّ : والمضض ، والمضاضة الحرقة . واللجاج في الأمر : التلوّن . والأجاج : ضد العذب .

وقوله : ولا يحلم ، يقال : حلم الأديم اذا وقع فيه السوس . والعَضبُ : القاطع ، ويقال : نبأ السيف بنبُو اذا ضربَ به فلم يقطع .

وقوله يجاحش : يدافع . يتضاءل : يتصاغر .

وقوله يتنفج : أي يتفرشخ . والجوجاء : الحاجة . واللوجاء : اتبـــاع وتداخل في الأمر . والتعريض : ضد التصريح . والكناية : كذلك .

وقوله يختلج : أي يضطرب . والعصابة : الجماعة .

وقوله حدب : مشفق . والشجراء : جمع شجير وهو الصديق .

وقوله اصفقت: اجتمعت. والابالة: السياسة. والكفالة: التكفل بالأمور.

وقوله نشراً : النشر ان تنشر الغنم في المرعى فتعدوا عليهـــا الذئاب . والسدى : الشيء المهمل المتفرّق . والعـدا : الاعداء . والعـدى : الغرباء . والعباهل من الابل التي لا حافظ لها . والطلاحي : التي تكلّ فلا تقدر على النهوض . والمباهل : الابل التي لا تمنع اخلافها فيحلبها كل من اراد .

وقوله : بملء فيه ، يعني بكلامه ودفـــاعه . صدع : أظهر . الذائد : الدافع . والحائط : الذي يحوط اي يحفظ وكذلك الواقي . والهادي : الذي يمشّي الأمر الأسدّ . والحادي : الذي يمشي وراء الإبل .

اليافوخ : اصل الدماغ . الصّوى : علامة تجعل في الطريق يهتدى بهـا .

أوضح : بيّن . شدخ : كسر . شرم : شق أنفه . الرادع : القـامع . الغاوي : الضالّ ، المفسد . والضغن : العداوة . والغلّ : البغض .

النامة : شجر ضعيف . هنيئة : أي ساعة . والرقاد محلمة : أي ظرف الحلمة يحلم فيه اشياء لا حقيقة لها . والملحمة : موضع القتال . والمفحمة : دخول الانسان فيما لا ينبغي . والتآلف : التعطف والتمسكين . والفتر : ما بين السبّابة والإبهام .

وقوله مشوبة : أي ممزوجة . وقوله معتمل : أي منطبع . والرفع : أصل الفخذ. والصّالي: المتسخن بالنار. والقرار: المكان الذي يستقر به الماء.

وقوله العيّ وشيّ : الشي اتباع لعي كقولهم : حسن بسَن ، وشيطان ليطان ، وجايع نايع ، يقال : عيٌ شيٌ وشويٌ .

الرتق : ضد الفتق . الفرق : الفزع . الرهق : فساد الشيء .

وقوله قصف : أي قصم . الختروانة : التكبّر. الفراش : عظام الخيال .

الشجي : ما يغصُ به من عود وعظم ونحوه . والوجرة : الحقد .

الشراسف : أطراف الضلوع . والدخس : ورم يصيب الدابة في حافرها شبيه الانتفاخ من العصب . والداس : البحث عن الاخبار بالتجسس . والخور : الضعف .

وقوله : لبست بسببه جلدة النمر، يقال : لبس فلان لفلان جلد النمر اذا تنكر له وتهيأ لجرحه .

الشحناء : العداوة. والسُّرى : سَير الليل. اتقد[1] بالدّال غير المعجمة: وهو القنقد . الخمرة : شدّ الخمار على الرأس . والحصان : المرأة العفيفة .

---

(١) نسخة : ابن انقد .

والخبرة : الاختبار . والعون : التي كان لهـا زوج . والفرعاء : الكثيرة الشعر . والحالي : العنق المزيَّن بالحلى . محبَس : مقيد . معبد : مذلل .

وقوله : ملمس ، أي مـا يلمس . وقوله : مأيس ، أي تأثير . والمزع : القطع . والأثرة : ما يؤثر به الرجل دون غيره ، أي يخصّ .

وقوله : مأمونة على الرتق والفتق ، المعنى الاصلاح والافساد .

وقوله : مفتاتاً ، يعني بغير اختيارهم . والحمية : الانفة .

وقوله : انتكث رشاها ، يقول : نقض حبلها .

وقوله: انتضب ماءها، يقال: نضب الماء اذا جفّ وانضبته أنا وانتضبته.

المتين : القوي . الأيد : القوة . والأسرة [1] : الطبقة .

وقوله : بأي تدرّع من الدّرْع . وقوله ولهت : حنـّت . وتطامن : انخفض . والحبوة : العطية . وقوله : سربله ، أي ألبسه سربالها .

وقوله : لا يلتفت لفتها ، أي جهتها . والكهف : الجبل .

وقوله : وقربي أمَسُّ ، أي ألصق . والعرق : الاصل . والبازل : الجمل المسنّ. والهُبَّع: الصغير من اولاد الإبل وهو الذي يولد في آخر زمن النتاج ، فإن وُلد في أوله فهو ربع .

وقوله تهدر به شقشقتك : يقـال : هدر البعير اذا صاح ، والشقشقة : ما يخرج من حلقه عند هديره. والصاغية : القرابة. المناضلة: المراماة بالسهام.

وقوله خزيت : اي خضعت . وقال بعضهم : وخزيت هنا لا معنى له ، والصواب أنفت . ليلتحشنّ : ليقومنّ ويتحركنّ .

---

(١) قوله : والاسرة الطبقة في القاموس والاسرة من الرجل رهطه الادنون .

وقوله والفظْ : أي اطرحْ . وقوله وانفث : المعنى ابعد . والسخيمة : العداوة . والنفاث : ما ينفث به . وقوله مريئاً : أي طيباً .

وقوله يعضّ اهابك : اي يشق جلدك . ويفري قادمتك : اي يقطع ، والقادمة : ريش مقدّم الجناح تجمع على قوادم .

وقوله استبرأتها : اي تحلّيت منها . التزمّل : الالتفاف .

وقوله أتوجّى: أتعارج . وقوله حلّت مغلوّطة: اي نزلت، والمغلوّطة: الناقة توسم في عنقها بالنار . واسم تلك السمة الغلاطة .

وقوله مخروّطة : اي رقيقة المؤخر ، وهو مكروه في الإبل . ويقال للناقة اذا زجرت حل حل ، يقال : حلحلتُ بالإبل اذا قلت لها حل حل ، فاذا لم تزدجر قلت لها لا حليتِ : اي لا ظفرتِ بما أردتِ . ومثله قوله : فهيسي هيسي ، فانه يضرب مثلاً لمن وقع في داهية وأمر عظيم ، يحتاج فيه الى الانزعاج ، وترك الإخلاد الى الراحة . والهيس : السير الشديد . وأصل هذا المثل ان طسماً وقعت بجديس ، وأبادتها ، من قصة طويلة جرت بينهما ، فقال في ذلك بعض الرجال : ما ذكره في الرسالة .

وقوله لعا : كلمة تقال للعاثر اذا عثر ، ومعناه : انتعشْ وقمْ .

وقوله على غرة : اي على طبه الاول، ويُضرب مثلاً للأمر الذي لا يغيّر عما كان عليه . والزميت : الساكن .

وقوله مخطىقدمي: اي حيث يخطو قدمي. ومنزع قوسي: ايحيث أرمي.

وقوله أزمت على فاسي فاس اللجام: ما يدخل منه في فم الفرس، يقال: أزم الفرس على فارس اللجام اذا عضّ عليه .

الابالة : الحالة وانقلاب الامور ، وهي الادالة . والغرب : الحد هنا . واللحا : القشر . والرشا : الحبل . أورى الزند : اذا ظهر منه النار . والماتح : الذي يخرج الماء من البئر .

وقوله إن نصحنا : أصله مَن نصح اذا خاط ، وأربينا : أصلحنا .

أكِل مقصور : اي مقروح . والجوى : داء يعترض في الجوف . العصام : حبل القربة فضربه مثلاً . المؤازرة : المعاونة .

وقوله تداعت : اي دعا بعضها بعضاً . العهد هنا : القران .

وقوله ليط : اي ستر . الإيماء : الاشارة . الهمهمة : كلام لا يُصرَّح به.

الانشوطة : العقدة التي يُجذب بطرفها فتنحلّ. واللّيط : قشر القصب.

الغيابة : ما أظلّ الانسان فوق رأسه كالسحابة او الغبرة .

وقوله محلقة : اي مستديرة . وقوله استأصل : اي انتزعها من أصلها . والشافة : قرحة تخرج في القدم فتكوى . فضرب مثلاً .

جرثومة : كل شيء أصله ، والجرثومة ما يجتمع في أصل الشجرة .

وقوله وهور ليلها : أصله من هور الرجل البنيان اذا هدمه فيريد أذهبَ ليلها . والنكث : النقض . وقوله خولاً : اي تخوُّلاً .

وقوله احتضن : اي تأبّط ، والحضن : الإبط . والشقاق : الخلاف . وهو ناقع القلب : اي يرتوي .

وقوله مبرود الغليل : الغليل : حرقة العطش . الفسيح : الواسع . واللبان : الصدر . والأزر : القوة . والوزر : الثقل ، وأراد به هنا الإثم . والاصر : الثقل . وقوله شدهت : اي تحيرت . والكاهل : أعلى الكتفين .

ابو بكر الصديق رضي الله عنه :

قاتل أهل الردة حتى رجعوا الى الاسلام . وقتل مسيلمة الكذاب ، والأسود بن كعب العبسي ، وأسر طليحة الكذاب ، وفتح اليمامة .

وأما عمر بن الخطاب رضوان الله عليه :

فهو الذي فتح الفتوح ، ودوّن الدواوين، وأقطع الاجناد ، ورتب الناس في العطاء على منازلهم ، وقرّبهم من رسول الله ﷺ ، وجمع النـاس لصلاة التراويح في شهر رمضان ، وتلاوة القرآن في جميع المساجد . وجعل الخلافة من بعده في ستة :

عثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن ابي وقاص ، وعبد الرحمن ابن عوف ، على ان يختاروا من الستة .

وأوصى عبد الرحمن بن عوف ان يعطي لمن بقي من أهل بدر لكل رجل منهم مائة دينار . وأخذ عثمان بن عفان معهم ، وهو خليفة ، مائة دينار .

وأما عثمان بن عفان رضوان الله عليه :

فكان ممن أنفق ماله على رسول الله ﷺ ، وفي مصالح المؤمنين ، وفي جيش العسرة، وبئر رومة، وفي أيامه حيي الخراج، وكان يفرّقه على الصحابة حتى استغنى الناس . وجمع القرآن في المصحف ، وكان متفرقاً ، وأعانه على ذلك من حضر من اصحاب رسول الله ﷺ. وكانت في ايامه فتوحات كثيرة.

وأما علي بن ابي طالب رضوان الله عليه :

فكان في ايامه حروب كثيرة ، منها يوم الجمل ، وسار الى قتـال اهل

البصرة وهو يوم الجمل في ثلاثين الفاً . وسار الى صفين في خمسة وعشرين الفاً. وسار الى النهروان في اربعة عشر الفاً.خرج عليه بعد صفين عبد الله بن عمرو اليشكري في اهل حروراء .

وأما الحسن بن علي رضوان الله عليه :

فلما سار الى معاوية ، والتقيا بأرض الانبار ، نظر الى العسكرين وأفكر فيما يكون بينهما من القتل ، أحبّ السلامة ، وطلب العافية ، وصلاح الامة ، وحقن دماء المسلمين . صالح معاوية ، وسلم الامر اليه ، وبايعه ، ودخلا جميعاً الكوفة مع عسكريهما . ودفع معاوية الى الحسن بن علي رضي الله عنهما جميع ما أراد من المال وغيره ، وردّه الى المدينة ، وولي على الكوفة المغيرة ابن شعبة الثقفي ، ورجع معاوية الى الشام بالعسكرين ، وفعل الله هذا الصلح تصديقاً لقوله ﷺ : وقد نظر الى الحسن رضي الله عنه ابني هذا سيد يُصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين .

ذكر ما روي عن العشرة الذين هم أكابر الصحابة رضي الله عنهم من الحديث ما رويناه من حديث تقي بن مخلد :

ابو بكر الصديق رضي الله عنه : روي عنه مائـة حديث ، واثنان وثلاثون حديثاً .

عمر بن الخطاب رضي الله عنه : روي عنه خمسمائة حديث ، واثنان وثلاثون حديثاً .

عثمان بن عفان رضي الله عنه : مائـة حديث ، وستة وأربعون حديثاً .

علي بن ابي طالب رضي الله عنه : خمسمائة حديث وستة وثمانون حديثاً .

سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه : مائتا حديث وأحد وسبعون حديثاً .

الزبير بن العوّام رضي الله عنه : ثمانية وثلاثون حديثاً .

طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه : ثمانية وثلاثون حديثاً .

ابو عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه : اربعة عشر حديثاً .

عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : خمسة وستون حديثاً .

سعيد بن زيد بن عمرو بن نوفل رضي الله عنه : ثمانية وأربعون حديثاً .

ما روى [1] اهل البيت ونساؤه وخدمه ومواليه رضي الله عنهم :

والسياق ليس على الترتيب ، وانما هو على حسب ما وقع بـه الذكر في الوقت .

خديجة ام المؤمنين : حديث واحد .

بنت حمزة بن عبد المطلب : حديث واحد .

عقيل بن ابي طالب : ستة أحاديث .

انس بن مالك : الفا حديث ، ومائتا حديث ، وستة وثمانون حديثاً .

عائشة ام المؤمنين : الفـا حديث ، ومائتا حديث ، وعشرة أحاديث .

عبد الله بن عباس : الفا حديث ، وستمائة حديث ، وستون حديثاً .

ام سلمة ام المؤمنين : ثلاثمائة حديث ، وثمانية وسبعون حديثاً .

---

(١) نسخة : رواه .

اسامة بن زيد مولى رسول الله ﷺ : مائة حديث ، وثمانية وعشرون حديثاً .

ميمونة ام المؤمنين : ستة وسبعون حديثاً .

ثوبان مولاه ﷺ : مائة حديث ، وثمانية وعشرون حديثاً .

ابو رافع مولى رسول الله ﷺ : ثمانية وستون حديثاً .

سلمان الفارسي : ستون حديثاً .

حفصة ام المؤمنين : ستون حديثاً .

ام هانىء بنت ابي طالب : ستة وأربعون حديثاً .

العباس بن عبد المطلب : خمسة وثلاثون حديثاً .

عبد الله بن جعفر بن ابي طالب : خمسة وعشرون حديثاً .

الفضل بن العباس : اربعة وعشرون حديثاً .

فاطمة بنت رسول الله ﷺ : ثمانية عشر حديثاً .

شعبة مولى رسول الله ﷺ : اربعة عشر حديثاً .

الحسن بن علي : ثلاثة عشر حديثاً .

زينب بنت جحش ام المؤمنين : عشرة أحاديث .

ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب : احد عشر حديثاً .

صفية ام المؤمنين : عشرة أحاديث .

الحسين بن علي : ثمانية احاديث .

جويرية ام المؤمنين : سبعة احاديث .

سلمى مولاه عليه السلام : سبعة احاديث .

سودة ام المؤمنين : خمسة احاديث .

زيد بن حارثة مولاه عليه السلام : اربعة احاديث .

عبيد مولاه ﷺ : ثلاث احاديث .

احمد مولاه ﷺ : ثلاث احاديث .

ميمونة بنت ابي لهب : حديثان .

ابو سلمى راعي رسول الله ﷺ حديثان .

مهران ، وكيسا ، وابو أثيلة ، مواليه عليه السلام : حديث واحد .

روينا من حديث ابن اسحاق بن بشر القرشي ، عن مقاتل بن سليمان ، عن الضحّاك بن مزاحم ، عن ابن عباس قال : لما أراد الله أن يخلق الخلق ولا خلق ، خلق نوراً ، وخلق من ذلك النور ظلمة ، وخلق من تلك الظلمة نوراً ، وخلق من ذلك النور ياقوتةً خضراء غلظها غلظ السبع سموات والسبع الارضين وما بينهن ، ثم دعا تلك الياقوتة ، فلما سمعت كلام الله عزّ وجل ذابت الياقوتة فرقا حتى صارت ماءً ، فارتقى الماء من دهش تلك المهابة والخوف . ثم خلق الريح ، ثم وضع الماء على متن الريح .

ثم خلق العرش ، فوضع العرش على الماء ، وخلق للعرش الف لسان ، لكل لسان الف لون من التسبيح ، والتحميد .

وكتب في قباله إني أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي ، ومحمد عبدي ورسولي . فمن آمن برُسلي ، وصدق بوعدي ادخلته جنتي .

ثم خلق الكرسي بعد عرشه بألفي عام من غير الجوهر الذي خلق منه العرش ، والكرسي في جوف العرش كحلقة في وسط فلاة ، والسموات والأرض في جوف الكرسي كحلقة ملقاة في وسط فلاة .

ثم خلق القلم من نور ، وجعل طوله من السماء الى الأرض ، فخرّ لله ساجداً .

ثم خلق اللوح المحفوظ ، فخرّ أيضاً ساجداً .

ثم قال لهما : ارفعا رؤسكما ، وخلق ثلاثمائة وستين سناً للقلم يستمد كل سنٍ من ثلاثمائة وستين بحراً من العلوم .

واللوح من زمرّدة خضراء له دّفتان من ياقوتة فقال للقلم: اكتب، فقال: ماذا اكتب يا ربي ؟ قال : اكتب في اللوح ، فالقلم يكتبُ والحق يملي ما هو كائن الى يوم القيمة .

وفي حديث مجاهد ، عن ابن عباس ان اللوح من درّة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض ، وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، حافتاه الدرّ والياقوت ، ودّفتاه ياقوتة حمراء . واللوح في حجر ملك اسمه ماطريون . ولله في كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة .

ومن حديث اسحاق أيضاً ، عن ابي بكر الهذلي ، عن الحسن : ليس شيء عند ربكم من الخلق أقرب اليه من إسرافيل ، وبينه وبين ربه سبعة حجب :

حجاب العزّة ، ثم حجاب الجبروت ، ثم حجاب من نار ، ثم حجابٌ من غمام ، ثم حجاب من ياقوت، ثم حجاب من ماء ، ثم حجاب من دخان.

غلظ كل حجاب خمسمائة عام . وإسرافيل دونها يراه بين منكبيه كذا كذا سنة ، ورأسه من تحت العرش ، ورجلاه في تخوم الثرى ، له جناح بالمشرق ، وجناح بالمغرب ، وجناح من تحته ، وجناح من فوقه ، قد غشى رأسه ، وغطى وجهه ، وليس شيء أقرب الى الله عزّ وجل بعد إسرافيل من ثلاثة :

الرحمة ، وأم الكتاب ، والحكمة .

فالرحمة عن يمينه ، وأم الكتاب عن اليمين الاخرى .

فإن كلتي يدي الله يمين مباركة طيبة والحكمة فيما بين ذلك فإذا أراد الله أن يقضي قضاءً قضاه بعلمه ، ولا يشهده من خلقه احدٌ حين يحكمه .

خبر قصيّ لما اسنّ وما صنع مع اولاده :

روينا من حديث ابي الوليد ، عن جدّه عن سعيد، عن عثمان بن جريج، وعن ابن إسحاق، وكل يزيد على صاحبه في حديثه : فلما كبر قصيّ بن كلاب وكان اوّل ولده عبد الدار ، وكان ولده عبد مناف قد شرف في زمن ابيه ، ذهب شرفه كل مذهب . وعبد الدّار ، وعبد العزّى ، وبنو قصيّ ، بها لم يبلغوا ولا احدٌ من فوقهم من قريش ما بلغ عبد مناف من الذكر، والشرف والعزّ ، وكان قصيّ وحبيّ بنت حُليل يحبان عبد الدّار ، ويرقان عليه ، لما يريان من شرف عبد مناف عليه وهو أصغر منه . فقالت له حبيّ : لا والله لا أرضى حتى تخصّ عبد الدار بشيء يلحقه بأخيه . فقال قصيّ : لا والله لا لحقته به ، ولأحبونه بذروة الشرف حتى لا يدخل احدٌ من قريش وغيرها الكعبة إلا بإذنه . ولا يقضون امراً ، ولا يعقدون لواءً إلا عنده . وكان ينظر في العواقب . فأجمع قصيّ على أن يقسم امور مكة الستة التي

فيها الذكر، والشرف، والعزّ بين ابنيه، فأعطى عبد الدار السدانة وهي الحجابة، ودار الندوة، واللواء. وأعطى عبد مناف السقاية، والرّفادة، والقيادة، وكانت الرفادة خرجاً تخرجه قريش في كل موسم من اموالها الى قصيّ بن كلاب، فيصنع به طعاماً للحجاج [1]، فيأكله من لم تكن له سعة ولا زاد، وكان قصي هو الذي فرضه على قريش. قال لهم: يا معشر قريش انكم جيران الله، وأهل بيته، وأهل الحرم، وان الحجاج ضيف الله، وزوّار بيته، وهم أحق ضيف الله بالكرامة فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً ايام الحج حتى يصدروا عنكم. ففعلوا، فكانوا يخرجون لذلك كل عام خرجاً، فيدفعون اليه، فيصنعه طعاماً ايام منى، فاستمر ذلك الى اليوم.

فلما هلك قصي أقيم امره في قومه بعد وفاته، على ما كان عليه في ايام حياته. ووليّ عبد الدار، فلم يزل على اثر [2] ابيه حتى هلك. وجعل عبد الدار الحجابة بعده الى ابنه عثمان بن عبد الدار. وجعل دار الندوة الى ابنه عبد مناف بن عبد الدار. فلم يزل بنو عبد مناف بن عبد الدار يلون الندوة دون ولد عبد الدار. فكانت قريش إذا أرادت أن تشاور في أمر فتحها لهم عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، او بعض ولده، او ولد اخيه. وكانت الجارية إذا حاضت ادخلت دار الندوة، ثم يشق عليها بعض ولد عبد مناف بن عبد الدار درعها، ثم درّعها إياه، وانقلب بها اهلها فحجبوها. فكان عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار يسمى محيضاً. ولم يزل بنو عثمان بن عبد الدار يلون الحجابة دون ولد عبد الدار.

---

(١) نسخة: للحاج.

(٢) نسخة: عهد.

ثم وليها عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار . ثم وليها ولده ابو طلحة عبد الله ابن عبد العزّى بن عبد الدار . ثم وليها ولده من بعده حتى كان فتح مكة ، فقبضها رسول الله ﷺ مـــن ايديهم ، وفتح الكعبة ، ودخلها . ثم خرج رسول الله ﷺ من الكعبة مشتملاً على المفتاح، فقال له العباس بن عبد المطلب بأبي انت وأمي يا رسول الله اعطنا الحجابة مع السقاية ، فأنزل الله تعالى على نبيّه « إن الله يأمركم أن تؤدّوا الامانات الى اهلها » قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : فما سمعتها [1] من رسول الله ﷺ قبل تلك الساعة . فتلاها ثم دعـــا عثمان بن طلحة ، فدفع اليه المفتاح ، وقال : غيّبوه . ثم قال : خذوها يا بني ابي طلحة بأمانـة الله ، فاعملوا فيها بالمعروف خالدة وتالدة لا ينزعها من ايديكم إلا ظالم . فخرج عثمان بن طلحة الى هجرته مع النبي ﷺ ، وأقام ابن عمه شيبة بن عثمان بن ابي طلحة ، فـلم يزل يحجب هو وولد اخيه وهب بن عثمان حتى قـدم ولد عثمان بن طلحة بن ابي طلحة ، وولده شافع بن طلحة بن ابي طلحه في المدينة . وكانوا بها دهراً طويلاً . فلما قدموا حجبوا مع بني عمهم ، فولد ابي طلحة يحجبون جميعاً .

وأمـــا اللواء فكان في ايدي عبد الدار كلهم ، يليه منهم ذو السن ، والشرف ، في الجاهلية حتى كان يوم احد ، فقتل عليه من قتل منهم .

وأما السقاية ، والرفادة ، والقيادة ، فـلم تزل لعبد مناف بن قصي يقوم بهـا حتى توفي . فولى بعده هاشم بن عبد مناف بن قصي السقاية ، والرفادة . وولى عبد شمس بن عبد مناف القيادة . فكان هاشم بن عبد مناف يطعم

---

(١) نسخة : سمعناها .

الناس في كل موسم بما يجتمع عنده من ترافد قريش ، كان يشتري بما يجتمع عنده رقيقاً ، ويأخذ من كل ذبيحة من بدنة او بقرة او شاة ، ثم يجمع ذلك كله ، فيحرر به الدقيق ، ثم يطعمه الحاج . فلم يزل ذلك من أمره حتى أصاب الناس سنةٌ وجدبٌ شديد ، فخرج هاشم بن عبد مناف الى الشام ، فاشترى بما اجتمع عنده ومن ماله دقيقاً وكعكاً ، فقدم به مكة في الموسم، فهشم ذلك الكعك ، ونحر الجزر ، وطبخه ، وجعله ثريداً ، وأطعم الناس ، وكانوا في مجاعة شديدة ، حتى أشبعهم . فسمّي بذلك هاشم ، وكان اسمه عمرو .

وفي ذلك يقول ابن الزبعريّ السهمي :

كانت قريش بيضة فتفلّقتْ ... فالمخّ خالصُها لعبد منافِ
الرائشين وليس يوجد رائش ... والقائلين هلمّ للأضياف
والخالطين غنيّهم بفقيرهم ... حتى يعود فقيرهم كالكاف
والضاربين الكبش بيرق بيضة ... والمانعين البيض بالأسياف
عمرو العلا هشمَ الثريد لمعشر ... كانوا بمكة مسنتين عجاف

يعني بعمرو العلا هاشماً ، فلم يزل هاشم على ذلك حتى توفي . وكان عبد المطلب يفعل ذلك ، فلما توفي عبد المطلب قام بذلك ابو طالب . وكان عبد المطلب في السقاية يسقي لبن النوق بالعسل في حوض من ادم، ويشتري الزبيب فينبذه بماء زمزم . وقام بأمر السقاية بعده العباس .

ومما نظم في معنى قول عمر بن ابي ربيعة :

لبثوا ثلاث مِنىً بمنزل قلعةٍ ... فهمُ على غرضٍ لعمْرُك ما هُمُ
متجاورين بغير دار إقامةٍ ... لو قدّ اجدر حبلهم لم يندموا

ولهن بالبيت العتيق لبانة | والبيت يعرفهنّ لو يتكلمُ
لو كان حياً قبلهن ظعائناً | حيّا الحطيمُ وجوههن وزمزمُ

ولنا في هذا المعنى :

يا خليليّ ألِمّا بالحمى | واطلبا نجداً وذاك العلَما
ورِدا ماءً بخيمات اللّوا | واستظلا ظِلها والسَّلما
واذا ما جئتما وادي منىً | فالذي قلبي به قد جئتما
أبلغا عني تحيات الهوى | كل من حل به او اسلما
واسمعا ماذا يجيبون به | وأخبرا عن دنف القلب بما
يشتكيه من صبابات الهوى | معلناً مستخبراً مستفهما

ومن قول العرجيّ في منى :

الشهر تمّ الحوْل يتبَعُه | ما الدّهرُ إلا الحول والشهرُ

حدثنا يونس بن يحيى ، نبأ ابو بكر بن ابي منصور ، نبأ احمد بن محمد البخاري ، انبأ ابو محمد الجوهري ، نبأ ابو حبويه ، نبأ محمد بن خلف، قال: قال ابو عمر الشيباني : لما ظهر بقيس من الجنون ما ظهر ، ورأى قومه ما ابتلى به اجتمعوا الى ابيه وقالوا له : لو خرجت به الى مكة فطاف ببيت الله عز وجل ، وزار قبر رسول الله ﷺ ، رجونا ان يرجع عليه عقله ، فخرج به ابوه حتى أتى مكة ، فجعل ابوه يطوف به ، ويدعو الله له بالعافية ، وقيس يقول :

دعا المحرمون الله يستغفرونه | بمكةَ وهناً ان تمحّى ذنوبها
وناديتُ أي يا رب اوّل سؤلتي | لنفسيَ ليلى ثم انتَ حسيبها
فإن اعط ليلى في حياتي لم يتبْ | الى الله خلق توبة لا اتوبُها

حتى اذا كان بمنى نادى منادٍ من بعض تلك الخيام : يا ليلى ، فخرَّ قيس مغشياً عليه ، واجتمع الناس حوله ، ونضحوا على وجهه المـاء ، وأبوه يبكي عند رأسه . ثم أفاق وهو يقول :

وداعٍ دعا إذ نحنُ بالخيف من منىً فهيّجَ اطرابَ الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلى غيرهـا فكأنما اطار بليلى طائراً كان في صدري

أخبرني بعض الادباء في تلطف محبته، ورقّة معناها [١] ، أنه قربَ يوماً من حيّ ليلى في وادٍ كثير الثلج ، في زمن البرد ، وهو يأخـذ الجليد فيلقيه على فؤاده ، فتذيبه حرارة الفؤاد . فرآه نسوة من الحي ، فجاء بعض فتيات الحي الى ليلى فأخبرنها بما رأين من أمر قيس ، فخرجت مسرعة معهن حتى أشرفت عليه، وهو على تلك الحالة، وهو ينادي: ليلى ليلى، فرمت بنفسها ، وعانقته ، وضمته ، وقـالت : انا بغيتك ، انا مطلوبك ، انا قرّة عينـك . فنظر اليها وتأوه ، فكادت الزفرة تحرقها ، وقال لها : إليك عني ، فإن حبكِ شغلني عنكِ . وأخذ في ولهه ينادي : ليلى ليلى .

ولنا في هذا المعنى :

شغِل المحبُّ عن الحبيب بحبه هذا يعلّ وذاك ليس يُعلّلُ
لولا الخيال له وبرد وصالهِ أضحى بنيران الهوى يتحللُ

ولبعض الناس في ذلك :

اذا وجدتُ اوارَ الحبّ في كبدي اقبلتُ نحو سِقاء القوم ابتردُ
هذا يبرّد بَرْد المـاء ظاهره فمنْ لحرّ على الاحشاء يتقـدُ

---

(١) نسخة ٢ : معناه .

ثم ولّت في أترابها تطلبُ الحي خوفاً من اهلها ، وهي تقول :

تنفّست الغداة وقد تولّت ... وعيسُهمُ معـارضة الطريق
فنادوا بالحريق ففاض دمعي ... فعـادوا بالحريق وبالغريق

ومن باب كتمان الهوى قوله هـ :

باح مجنون عامرٍ بهواهُ ... وكتمتُ الهوى فمتُّ بوجدي
فإذا كان في القيامة نودي ... مَن قتيل الهوى تقدمت وحدي

ومن باب النّفر من منىً :

غدا النفرُ فانظر ما يكون من النفر ... غدا فرقة الأحباب هل لي من صبرْ
غدا يرحل الظبيُ الغرير بمهجتي ... وتبقى قلوب العاشقين على الجمر
فقومٌ الى بغداد شدّوا رحيلهم ... وقوم الى الشام وقوم الى مصر
فإن طلبوا بغداد كنت زميلهم ... وان طلبوا مصراً فيا حبّذا مصر
وان طلبوا شاماً تعللت بالبكا ... لعلّهم في الحبّ ان يقبلوا عذري

ومن باب النسيب ، وله وجه في الاعتبار لطيف قوله :

يا ذا الذي حجّ في عهـد الصبا فمضى ... عنا هـلالاً ووافى نحونا قمرا
صف المناسك لي كيف انتقلت بها ... فلم أقلّب لبدرٍ بعـدك البصرا
أمّا الجمار فمن قلبي رميت بهـا ... كا بآخر عمري كنت معتمرا
عن بئر زمزم خبّرني على ظمأ ... وان في فيك منه الريّ والخصرا
وشفع الحجة الاولى بثانيـة ... لكي أقبّل ثغراً قبّل الحجرا

ومن قول ابن المعتزّ :

لله درّ منىً وما جمعت | وبكا الأحبّة ليلة النّفْرِ
ثم اغتدوا فرقاً هنا وهنا | يتلاحظون بأعين الذكر
ما للمضاجع لا تلايمني | وكأن قلبي ليس في صدري

ومن باب النسيب في الطائفات :

قلتُ لها في الطواف معترضاً | لا تستحلّي بالله سفك دمي
فكان من قولها وقد جعلت | تستر ذاك الشقيق بالعَتَم
نحن ظباءٌ ولا يحلّ لكم | في الدين صيد الظباء في الحرم

حدّثنا موسى بن محمد قال : حجّ رجل أعجمي فيه خير وديانة . فبينما هو في الطواف عن الركن اليماني ، وصوت خلخال من قدم بعض الحسان الطائفات قد وقع في أذنه ، فأثر في قلبه ، فالتفت الى الشخص ، فخرجت يد من ركن البيت فضربته على عينه التي التفت بها ، فألقتها على خده، وسمع عند الضربة صوتاً من جدار البيت قائلاً يقول : تطوف الى بيتنا ، وتنظر الى غيرنا ، هذه نظرة بلطمة أفقدناك فيها عينك . وان زدت زدنا . قال : وكانت له امرأة يحبها فتوفيت . قال موسى : ربما لو اعتنى بتاريخ موتها لوجد في تلك الساعة التي نظر فيها . فعوقب ضعفين : فقد عينه ، وأهله . قلت لموسى بن محمد : رأيت انت الرجل ؟ فأظنه قال : نعم رأيته .

وقال الشريف الرضي :

أعاد لي عيد الصفا | جيراننا على مِنى
كم كبدٍ معقورةٍ | للعاقرين البدنا
تخفي تباريح الجوى | وقد عنانا ما عنا

وبارق أشيمُهُ كالطـّرف أغنى ورَنا
ذكـّرني الأحباب والذ كرى تهيج الحزنا
من بطن مرٍّ والسوى نور عسفان بنـا
وبالعراق وطوى يا بعـد ما لاح لنا

وأنشد ابن هلال :

الى كم تعدني ليلةً بعـد ليلة بخيف منىً اذ نام اهل المنازل
قتيل بأرض الشام من غير علـّةٍ تواطت على خديه أيدي الرواحل
يقولون مَن هذا القتيل الذي نرى وينظر شذراً من حلال المحامل
ولو عاينوا ما حل في مضمر الحشا رأوا شخص مقتول يلوذ بقاتل

وقال مهيار الديلمي :

وما بنـا إلا هوى حيٌّ على خيفِ منى
يا حسن ذاك موقفاً ان كان شيئاً حسنا
منى لعيني ان ترى تلك الثلاث من منى

ومن ريحانة العاشق :

خرس اللسان ولا دموعٌ تنطق إن الهوى بحشاشتي متعلقُ
لمـا رأيت احبـّتي يوم النوى شط الرحيل ببينهم فتفرّقوا
سلطتُ طوفان الدموع عليهم وبعثتُ أنفاسي لكي لا يغرقوا
فتأوّه الحادي وقال لهم قفوا فبآثركم لا شك من يتعشقُ
فأجبتهم من تحت صوت باهتاً قامت قيامـة عبدكم فترفقوا
ردّوا الصباح لناظريّ فما أرى إلا سيوف الموت حولي تبرق

ومن بستان الوامق :

يا قلبُ من مواطن — لم يرض منها وطنا
ويوم سلعٍ لم يكن — يومي بسلعٍ هيّنا
وقفتُ استسقي الظما — فيه واستشفي الضّنا
وفضحت سرَّ الهوى — عيني فصار علنـــا
ويوم ذي ألبان تبا — يعنـا فحزتُ الغبنا
كان الغرام المشتري — وكان قلبي الثمنا

وقال جميل بن معمر العدوي :

الحبّ اول ما يكون الحاجةِ — تأتي بــه وتسوقه الاقدارُ
حتى إذا اقتحم الفتى لجج الهوى — جاءت أمورٌ لا تطاق كبار

وقال الآخر :

الحبُّ اوله حـلو وأوسطه — مرٌّ وآخره التوديعُ والأجل

ومن باب نوح الحمام :

حمـامَ الأراكِ ألا خـبّرينا — بمـن تهتفين ومن تندبينا
لقد شقتِ ويحكِ منّا قلوباً — وأذرفت ويحكِ منـا عيونا
تعالي نُقمْ مأتمـا للفراق — ونندُبُ أحبابنا الظاعنينا
وأسعدكِ النوح كي تسعدينا — كذاك الحزينُ يوالي الحزينا

وروينا من حديث ابن باكويه ، عن ابي زرعة الطبري ، عن ابي زرعة ، الدمشقي ، قال : خرج علي بن الفتح الحلبي يومـا فرأى الناس يتقرّبون الى

الله تعالى فقال: يا رب أرى الناس يتقرّبون اليك بألوان الذبائح وإني تقرّبت اليك بحزني ، ثم غشي عليه ، فأفـاق ثم قال : إلهي الى متى تردّدي في دار الدنيا محزوناً فأقبضني اليك . فوقع من ساعته ميتاً .

ولبعضهم في هذا المعنى :

للنــاس حجّ ولي حج الى سكني تهدي الاضاحي وأهدي مهجتي ودمي

ولنا فيه غير إني زدتُ فيه معنى عرفانياً :

وأهدي عن الغربان نفساً معيبــــةً وهــــل ريء خلقٌ بالعيوب تقرّبا

وروينا من حديث ابي بكر احمد بن الحسن البيهقي، عن ابي سعيدٍ الماليني عن ابي بكر محمد بن محمد بن يعقوب ، عن محمـد بن يوسف قال : سمعتُ أبا ثابتٍ الخطاب يقول : سمعتُ ابراهيم بن موسى يقول : رأيتُ فتىً صلى يوم عيد الاضحى وقـد شمّ روائح اللحوم ، فدخل الى زقاق ، فسمعته يقول : تقرب المتقرّبون اليك بقربانهم ، وأنا أتقربُ اليك بطول حزني . يا محبوبي . كم تتركني في ازقة الدنيا محزوناً ؟ ثم غشي عليه ، وحمل الى منزله ، فدفنّاه بعد ثلاثٍ . هذا هو فتح بن شرف الموصلي من سادات القوم ، شعر :

ضحى الحبيبُ بقلبي يوم عيدهم والناس ضحوا بمثل الشاء والغنم
إن الحبيب الذي يرضيه سفك دمي دمي حلالٌ له في الحلّ والحرم
للناس حجّ ولي حجّ الى سكني تهدى الاضاحي وأهدي مهجتي ودمي
يطوف بالبيت قومٌ لا بجارحـةٍ بالحب طافوا فأغناهم عـن الحرم
يا لائمي لا تلمني في هواه فــلو عاينت منه الذي عاينتُ لم تـلم

ذكر ما رثى به عمات النبي ﷺ اباهن عبد المطلب :

روينا من حديث محمد بن اسحاق قال : حدثني العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس ، عن بعض اهله ان عبد المطلب توفي ، ورسول الله ﷺ ابن ثمان سنين . قال ابن اسحاق : عن محمد بن سعيد ابن المسيب ان عبد المطلب لما حضرته الوفاة وعلم انــــه يموت جمع بناته ، وكنّ ستّ نسوة : صفية ، وبرّة ، وعاتكة ، وأم حكيم البيضاء ، وأميمة ، وأروى . فقــال لهن : أبكين عليّ حتى اسمع ما تقلن قبل ان اموت . قال ابن هشام: ولمّ أر احداً من اهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر إلا انه لما رواه عن محمــــد بن سعيد ابن المسيّب كتبناه .

فقالت صفية ابنته تبكيه هـ :

أرقتُ لصوت نائحةٍ بليل ... على رجل بقارعــة الصّعيدِ
ففاضت عند ذلكمُ دموعي ... على خدي كمنحدر الفريــد
على رجل كريمٍ غير وغل ... له الفضل المبين على العبيد
على الفياض شيبةَ ذي المعالي ... أبيك الخير وارث كل جود
صدوق في المواطن غير نكسٍ ... ولا شخب المقام ولا سنيد
طويل الباع أروع سَبطميّ ... مطاع في عشيرتــــه حميد
رفيع البيت ابلج ذي فضول ... وغيث الناس في الزمن الجرود
كريم الجد ليس بذي وصُومٍ ... يروق على المسَوّد والمسُود
عظيم الحلم من نفر كرام ... خضارمة ملاوثـــة اسُود
فلو خلد امرءٌ لقديم مجدٍ ... ولكن لا سبيل الى الخــلود
لكان مخلداً اخرى الليــالي ... لفضل المجــد والحسب التليد

وقالت ابنته برّه تبكيه هـ :

أعينيّ جودا بدمعٍ درر ... على طيّب الخِيمِ والمعتصَرْ
على ماجد الجد وارى الزناد ... جميل المحيّـــا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذي المكرمات ... وذي المجد والعزّ والمفتخر
وذي الحلم والفضل في النائبات ... كثير المكارم جَمّ الفخر
له فضل مجدٍ على قومـــه ... منـير يلوح كضوء القمر
أتته المنـــايا فـلم تشوه ... بصرف الليالي وريب القدر

وقالت ابنته عاتكة تبكيه :

أعينيّ جودا ولا تبخلا ... بدمعكما بعـــد نوم النيام
أعينيّ واستعبرا واسكبا ... وشوبا بكاءكما بالسّدام
أعينيّ واستخرطا واسجما ... على رجل غير نكسٍ كهام
على الجحفل الغمر في النائبات ... كريم المساعي وفيّ الذمـام
على شيبة الحمد وارى الزناد ... وذي مصدق بعد ثبت المقام
وسيف لدى الحرب صمصامة ... ومردى المخاصم عند الخصام
وسهل الخليقة طلق اليدين ... وفٍ عدملي صمصم لهـــام
تنبّك (١) في باذخٍ بيته هـ ... رفيع الذؤابـة صعب المرام

وقالت أم حكيم البيضاء ابنته تبكيه :

ألا يا عين جودي واستهلـّي ... وابكي ذا الندى والمكرماتِ
ألا يا عين ويحـك اسعديني ... بدمعٍ من دمـوع هاطلات

---

(١) أي : ترفع .

وابكي خير مَن رَكِب المطايا	أباك الخير ثيّـار الفرات
طويل الباع شيبة ذا المعالي	كريم الخيم محمود الحبـات
وَصُولاً للقرابـة هبرزياً	وغيثـاً في السنين الممحلات
وليثـاً حين تشتجر العوالي	تروق لـه عيون الناظرات
عقيل بني كنانة والمرجى	اذا مـا الدهرُ اقبل بالهنات
ومفزعها اذا ما هاج هيجٌ	بداهيـة خصيم المعضلات
فابكيه ولا تسمى لحزن	وابكي مـا بقيت الباكيات

وقالت أميمة ابنته تبكيه :

ألا هلك الداعي العشيرة ذوالعقد	وساقي الحجيج والحامي عن المجدِ
ومَن يألف الضيف الغريب بيوته	اذا ما سماءُ الناس تبخلُ بالرعد
أبو الحارث الفياض خلّى مكانه	فلا تبعدنّ فكل حيّ الى بُعد
فأنى لباكٍ ما بقيت وموجع	وكان له اهلاً لما كان من وجد
سقاك وليّ الناس في القبر ممطراً	وسوف أبكيه وإن كنت في اللحد
وقد كان زينـاً للعشيرة كلها	وكان حميداً حيث ما كان من حمد

وقالت ابنته اروى تبكيه هـ :

بكت عينيّ وحق لها البكاء	على سمحٍ سجيّته الحيـاءُ
على سهل الخليقـة أبطحيٌّ	كريم الخيم نيتـه العلاء
على الفيّاض شيبة ذي المعالي	أبيك الخير ليس له كفاء
طويل الباع أملس شيظميّ	أغرّ كأن غرّته ضياء
أقبّ الكشح أروع ذي فضول	له المجـد المقـدّم والثناء
أبيّ الضيم أبلج هبرزيّ	قديم المجـد ليس له خفاء

ومعقل مالكٍ وربيع فهرٍ | وفاصلها اذا التمس القضاء
وكان هو الفتى كرماً وجوداً | وبأساً حين تنسكب الدماء
اذا هاب الكماة الموت حتى | كأن قلوب أكثرهم هواء
مضى قِدماً بذي رأي حسيب | عليــــه حين تبصره البهاء

قال: فزعم لي محمد بن سعيد بن المسيّب انه أشار برأسه وقد أصمت ان هكذا فأبكيتني.

وقال حذيفة بن غانم اخو بني عدي بن كعب بن لؤي: يبكي عبد المطلب ابن هاشم، ويذكر فضله، وفضل قصي على قريش، وفضل ولده من بعــده عليهم. وذلك انه اخذ يغرم اربعة آلاف درهم بمكة، فوثق بها، فمرّ به ابو لهب عبد العزّى بن عبد المطلب فافتكّه:

أعينيّ جودا بالدموع على الصدر | ولا تسأما أسقيتما وابل القطرِ
وجودا بدمع واسفحا كل شارق | بكاء امرءٍ لم يسوه نائب الدهر
وسحّا وُجمّا واسجُما ما بقيتما | على ذي حياء من قريش وذي ستر
على رجل جَلد القوى ذي حفيظةٍ | جميل المحيّا غير نكس ولا هذر
على الماجد البهلول ذي الباع واللها | ربيع لؤي في القحوط وفي العسر
على خير حاف من مَعدّ وناعل | كريم المساعي طيّب الخير والنحر
وخيرهم أصلاً وفرعاً ومعدناً | وأحظاهم بالمكرمات وبالذكر
وأولاهم بالجد والحلم والنهى | وبالفضل عند المجحفات من العبر
على شيبة الحمد الذي كان وجهه | يضيء سواد الليل كالقمر البدر
وساقي الحجيج ثمّ للخبز هاشم | وعبد مناف ذلك السيّد الفهر
طوى زمزماً عند المقام فأصبحت | سقايته فخراً على كل ذي فخر

لِيبكِ عليه كل غادٍ بكربة ... وآل قصيّ من مقلّ وذي وَفر
بنوه سراة كلهم وشبابهم ... تفلـّق عنهم بيضة الطائر الصّقر
قصيٌّ الذي عادى كنانة كلها ... ورابط بيتِ الله في العسر واليسر
فإن تك غالته المنايا وصرفها ... فقد عاش ميمون النقيبة والامر
وأبقى رجالاً سادةً غير عزّل ... مصاليت أمثال الرّدينية السمر
ابو عتبــة الملقى اليّ حباؤه ... أعزّ هجان اللون من فِقرٍ غرّ
وحمزة مثل البدر يهتزّ للندى ... نقيّ الثيــاب والذّمام من القذر
وعبد مناف ماجدٌ ذو حفيظةٍ ... وصُول لذي القربى رحيم بذي الصهر
كهولهم خير الكهول ونسلهم ... كنسل ملوكٍ لا تبورُ ولا تجري
متى ما تلاقى منهم الدهر ناشئاً ... تجــــده بأجرياً أوائله تجري
هُمُ ملأوا البطحاء فخراً وعزةً ... اذا استبق الخيرات في سالف العصر
وفيهم ثبــات للعلا وعمارة ... وعبد منافٍ جدّهم جابر الكسر
بانكاح عوفٍ بنته فكّ أسرنا ... من أعدائنا اذ أسلمتنا بنو فهر
فسرنا بها غور البلاد ونجدها ... بأمنة حتى خاضت العير في البحر
وهم حضروا والناس بادٍ فريقهم ... وليس بها إلا شيوخ بني عمرو
بنوا هادياتٍ جمّةٍ وطووا بها ... بياراً لسحّ الماء من تبحّ بحر
لكي يشرب الحجاج منها وغيرهم ... اذا ابتدروها صبح تابعة النحر
ثلاثــــة أيام تظلّ رِكابهم ... مخيّسة بين الأخاشب والحجر
وقدماً غنينا قبل ذلك حقبة ... ولا يستقي إلا بجمٍّ او الحفر
هُمُ يغفرون الذنب ينقم دونــه ... ويعفون عن قول السفاهة والهجر
فخارج إما أهلكنّ فلا تزل ... لهم شاكراً حتى تغيب في القبر
ولا تنسَ ما أسدى ابن لُبنى فإنه ... قد أسدى يداً محفوفة منك بالشكر
فأنت ابن لبنى من قصيٍّ اذا انتموا ... بحيث انتهى قصد الفؤاد من الصدر

فأنت تناولتَ العُلى فجمعتها
الى محتدٍ للمجد ذي نتحٍ حبر

سقيتَ وفقتَ القوم بذلاً ونائلا
وسُدت وليداً كل ذي سؤدد غمر

وأمك سر من خزاعة جوهر
إذا حصل الاحسان يوماً ذوو الخبر

الى سائر الابطال تنمي وتنتمي
واكرم بها منسوبة في ذرى الدهر

ابو سمر منهم وعمرو بن مالك
وذو جدنٍ من قومها وابو الجبر

وأسعد فاز الناس عشرين حجة
يؤيد في تلك المواطن بالنصر

وقال مطرود بن كعب الخزاعي يبكيه :

يا أيها الرجل المحول رحله
هلَّا سألت عن آل[1] عبد منافِ

هبلتك امك لو حللت بدارهم
ضمنوك من جرم ومن اقراف

المنعمين إذا النجوم تغيّرت
والظاعنين لرحلة الايلاف

والمطعمين إذا الرياح تناوحت
حتى تغيب الشمس في الرجاف

اما هلكت أبا الفعال فما جرى
من فوق مثلك عقد ذات نطاف

إلا[2] أبيك اخي المكارم وحده
والفيض مطلبه ابي الاضياف

ومما سُمع من بكاء الجن على عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

روينا من حديث احمد بن عبد الله ، عن سليمان بن احمد ، عن محمد بن عثمان بن ابي شيبة ، نبأ عمي ابو بكر ، نبأ عبد الله بن ادريس ، عن ليث ، عن معروف بن ابي معروف قال : لما أصيب عمر رضي الله عنه سمعت صوتاً يقول :

---

(١) بدرج الهمزة : آل .
(٢) هكذا في النسخ .

ليبك على الاسلام من كان باكياً فقد اوشكوا هلكي وما قدم العهد
وأدبرت الدنيا وأدبر خيرهـا وقد ملها من كان يؤمن بالوعد

قال احمد بن عبد الله : وحدثنا أيضاً ابو حامد بن جبلة ، نبـأ محمد بن اسحاق ، نبـأ الجوهري حاتم بن الليث ، حدثني سلمة بن حفص السعدي ، نبأ ابو عامر الاسدي ، عن المطلب بن زياد بسنده قـال : رثت الجن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين مات وكان فيما قالوا :

ستبكيك نساء الحي تبكين الشجيات
وتخمس وجوهاً كالد نانـير النقيات
ويلبس ثيـاب السو د بعـد القصبيات

وقال الجن تبكيه :

ابعد قتيل بالمدينة اصبحت له الارض تهتز العُضاة بأسوق
جزى الله خيراً من أمير وباركت يد الله في ذاك الأديم الممزق
فمن يسع او يركب جناح نعامة ليدرك ما سريت بالأمس يسلبق
قضيت اموراً ثم غادرت بعدها بوائق في اكامها لم تفتق
وما كنت اخشى أن تكون وفاته بكفي سبتني أزرق العين مطرق
فلقاك ربي في الجنان تحيـة ومن كسوة الفردوس لا تتمزّق

حدثنا بهـذه الأبيات ، عن ابي نعيم ، عن الحسن بن علي الوراق ، عن عبد الله بن محمد البغوي ، عن شجاع ، عن مخـلد ، عن محمد بن بشر ، عن مسعر ، عن عبد الملك بن عمير ، عن الصقر بن عبد الله ، عن عروة ، عـن عائشة رضي الله عنها قال : بكت الجن على عمر بعد ثلاث، وذكرت الأبيات

مـــا عدا البيت الأخير ، فإنه من حديث انس بن مالك . وقال : الإهاب بدل الأديم .

ومن حديث ابن ابي مليكة (عليك سلامٌ من أمــير باركت) بدل ، جزى الله خيراً من أمير وباركت .

ومما بكت الجن به عثمان بن عفان رضي الله عنه :

وروينا أيضاً من حديث احمد بن عبد الله ، عن ابي احمد بن محمد بن احمد، عن محمد بن ابراهيم الغازي ، نبأ عبد الرحمن بن عمر بن سنة ، نبأ ابو عاصم ، نبأ عثمان بن مرّة ، عن امه قالت : سمعت الجن تنوح على عثمان فوق مسجد رسول الله ﷺ ثلاث ليال . قال : فكانت تنشد لنا بعض ما قالوا :

ليـلة الحصبة إذ ير ... مون بالصخر الصلاب
ثم جاؤا بكرة ينـ ... عون صقراً كالشهاب
زينهم في الحي والمجـ ... لس فكاك الرقـاب

قال احمد بن عبد الله ، وحدثني ابراهيم بن عبد الله وإبن جبلة ، قـالا : نبأ محمد بن اسحاق ، عن قتيبة بن سعد ، عن الليث بن سعد ، عـن الزهري إن رجلاً رأى في زمن عثمان كأن آتٍ أتاه في منامه ، فقال له عِ عني مـــا أقول لك :

لعمرُ أبيك وآبائـــه ... لقد ذهب الخير إلا قليلا
لقد سفِه الناس في دينهم ... وخلى ابن عفان شراً طويلا

قال : فأتاه مخلياً به ، فقال : والله مــا أنا بشاعر ، ولا راوية للشعر ، وقد أتيت الليلة فألقي عليّ هذان البيتان. فقال له عثمان: اسكت عن هذا .

فلما كان العام المقبل أتاه ذلك الرجل ايضاً فقال : والله مـا انا بشاعر ، ولا أروي الشعر ، وقد ألقي عليّ بيتان :

لعمري لقد نغصتمونا معيشة تقرّ بها عينُ التقيّ المهاجر
فياليت هذا اشترى العين قبله وليتَ فلاناً غيّبته المقـابر

فقال له عثمان : اسكت من ذكرها ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى قتل عثمان رضي الله عنه .

وقال جدّي عديّ بن حاتم ، وكان يقال له مقبل الظعن لطوله : سمعت صوتاً يوم قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو :

ألا ابشر يا ابن عفان ، بروح وريحان ، ورب غير غضبان .

ألا ابشر يا ابن عفان ، برضوان وغفران .

روينا من حديث ابي نعيم ، عن محمد بن احمد بن الحسن ، عن الحسن بن علي بن الوليد ، عن احمد بن عمران الاخنسي ، عن خـــالد بن عيسى ، عن الاعمش ، عن خيثمة ، عن عدي بن حاتم ، ممـــا ناحت به الجن على الحسين ابن علي رضي الله عنهما :

مسَحَ النبيُّ جبينه فله بريقٌ في الخدود
أبواه في عليا قريشٍ وجَدّه خيرُ الجدود

روينا من حديث احمد بن عبد الله ، عن ابي حامد بن جبلة ، عن محمد بن الحسين ، عن ابي بكر بن خلف ، عن محمـــد بن الحجاج ، عن معروف بن واصل ، عن حبيب بن ابي ثابت ، قـــال : سمعت الجن تنوح على الحسين رضي الله عنه ، وذكر البيتين .

ومن حديثه ايضاً ، عن سليمان بن احمد ، عن القاسم بن عبّاد، عن سويد ابن سعيد ، عن عمرو بن ثابت ، عن حبيب ، عن ابي ثابت ، قــال : قالت أم سلمة رضي الله عنها: ما سمعت نوح الجن مذ قبض رسول الله ﷺ إلا ليلة، وما أرى الحسين إلا قتل، فأخرجت جاريتها تسأل، فأخبرت بقتل الحسين ، فإذا جنّية تنوح :

ألا يا عين فاحتفلي بجهـدِ ... ومن يبكي على الشهداء بعدي[1]
على رهط تقودُهمُ المنـايا ... الى متجبّر في ملك عبـدِ

ومن حديثه ، عن سليمان بن احمـد ، عن زكريا بن يحيى الساجيّ ، عن محمد بن يحيى بن صالح الازديّ ، عن السريّ بن منصور بن عبّاد، عن ابيه ، عن ابي لهيعة ، عن ابي قبيل ، قال : لما قتل الحسين رضي الله عنـه احتزّوا رأسه ، وقعدوا في اول مرحلة يشربون النبيذ ، ويتحيّون بالرأس . فخرج عليهم قلم من حديد من حائط فكتب سطراً بدم شعر :

أترجو أمةٌ قتلت حسيناً ... شفاعةَ جدّه يوم الحساب ؟

قال : فهربوا وتركوا الرأس ثم رجعوا .

وقال جـابر الحضرميّ ، عن أمه ، قال : سمعت الجن تنوح على الحسين وهي تقول :

أنعي حسيناً هبـلا ... كان حسينٌ رجلا[2]

---

(١) نسخة : الشهداء بجهد .
(٢) نسخة : جبلا .

لسان كريم :

روينا من حديث المالكي ، عن عبد الله بن عمرو الوراق ، نبـــأ أبي ، عن يحيى بن خليفة الجاشعي ، نبـأ ادريس ، عن مروان بن ابي حفصة يعني عن ابيه ، قال : انشدت معن بن زائدة اربعة ابيـات فأعطاني اربعة آلاف دينار ، فبلغت أبا جعفر فقـــال : ويلي على الاعرابي الجلف . فاعتذر اليه وقال له : يا امير المؤمنين إنما أعطيته على جودك ، فسوّغه اياها . فلما مات معن بن زائدة رثاه مروان فقال :

أَلِمّا على معن وقولا لقبـره ... سُقيتَ الغوادي مربعاً ثم مربعا
فيا قبرَ معن كنت اول حفرة ... من الارض خطت للمكارم مضجعا
ويا قبر معن كيف واريتَ جودَه ... وقد كان منه البحر والبرّ مترعا
ولكن ضممت الجود والجود ميت ... ولو كان حياً ضقتَ حتى تصدعا
ولما مضى معنٌ مضى الجود والندى ... وأصبح عرنينُ المكارم اجدعا
وما كان إلا الجود صورة خُلقه ... فعاش زماناً ثم مات وودّعا
فتىً عيش من معروفه قبل موته ... كما كان قبل السيل مجراه مرتعا
تعَزَّ أبا العباس عنه ولا تكن ... ثوابك من معن بأن يتضعضعا
تمنّى رجالٌ شأوَه من ضلالهم ... فأضحوا على الاذقان صرعى وظلما

وحدّثني المهدي عبد الكريم بن يوسف بالموصل، عن الحسن بن عمار قال: قـدم علينا نور الهدى الواعظ الاسكندراني الموصلي ، وكان بينه وبين اخي صحبة جميلة ، وكان اخي قد توفي فسألني ان أزور معه قبره ، فزرنا قبره ، وترحّمنا عليه ساعة ، وذكر ما كان بينهما من جميل العشرة ، وخلوص الولاء، وإيثار الصحبة . ثم عدنا الى المنزل قـال : فرأيت اخي في النوم ، فذكرت

له ما كان من نور الهدى ومنى في زيارة قبره ، من ذكر ليال سلفت بينهما في الله ولله . فقال الميت : رأيته عندما زارني، وأنست بجميل طلعته ، وتذكار عهده ، وسررت بترحمه ، ودعائه ، واستقللت زمان وقوفه ، فما اشتفيت من سماع لفظه الشهي ، وبديع منطقه البهي .

وقد قلت في ذلك شعراً . قال ابن عمار : فأنشدني :

أهـــلا بزائرنا الذي ... أهـــدى تحيته الينا
فشفتْ أوامَ الاشتياق ... وجدّدت روحاً علينا
لمـــا التقت أرواحنا ... عجل الفراق وما اشتفينا

قال : فاستيقظت وقد حفظتها من قبله فذكرتها لنور الهدى ، فأوردها على المنبر في مجلسه. فلم أرَ احسن من مجلس ذلك اليوم،ولا أكثر باكياً منه:

وقال مهيار الديلمي في الإشتياق :

ألا فتىً يسأل قلبي ما له ... ينزو اذا برقُ الحمى بدا له
فهبّ يرجو خبراً من الغضا ... يسنده عنه فما روى له
أراد نجــداً معه ببابلٍ ... ارادةً هاجت له بلباله
وابتسم الريح الصبا ومن له ... بنفحة من الصبا طوبى له
ويوم ذي البان وما أشار من ... ذي البان إلا ان اقول ما له

المعرفة أشرف من صفة :

قال ابو عبد الله البراثي : بالمعرفة هانت على العالمين العبادة ، والرضى عن الله عزّ وجل في تدبيره . زهدوا في الدنيا ، ورضوا منها لأنفسهم بتقديره .

رويناه من حديث ابن مروان ، عن اسحاق بن ابراهيم ، عن حكيم بن جعفر ، عن البراثي ، ومن حديثه ايضاً ، عن محمد بن عيسى البغدادي قال : ما لك من عمرك إلا ما أطعت الله عز وجل فيه ، فأما ما عصيت الله فيه فلا تعده عمراً .

ومن الشعر الذي هو برسول الله ﷺ أولى اذ ذاك النعت له حقيقة ، قول ابي نواس :

أوجده الله فما مثله　　لطالبٍ ذاك ولا ناشدِ
وما على الله بمستنكر　　ان يجمع العالم في واحد

ومن باب مطارحة العشاق :

دعوني ونعمانَ الأراك أروده　　يجاوب صوتي طيره المتناوحا
عسى سارحٌ من دار ميّة آمن　　يقيّض لي عن شائم طار بارحا

ومن باب حنين الابل وسيرها :

يقودها الحادي الى مراده　　وهمها أحرى اليها لم تقدْ
وانما يتمّها بحاجرٍ　　أيامها بحاجر لم تسترد
لو كان لي على الزمان إمرة　　مُطاعة قلت أعدها لي أعِد
فكم على وادي الغضا من كبدٍ　　يحكم فيها بسوى العدل والكبد

ومنه :

متى رفعت لها بالغور نار　　وقرّ بذي الأراك لها قرارُ
فكل دمٍ أراق العين منها　　بحكم الشوق مطلول جبار

ومنه :

أثرها على حبّ الوفاء وحسنه تصعّبُ في أسطانها وتلينُ
جوافل من طرد الرماح قريبة عليها فجاج الارض وهي شطون
لها وهي خرسى تحت عفر رحالها تشكّ اذا شدّ الثرى وأنين

حدّثنا يونس بن يحيى بن منصور ، أنا هبة الله بن احمد الموصلي ، انا عبد الملك بن احمد بن بشران ، نبأ ابو سهل احمد بن محمد القطّان ، انا محمد بن يونس الشامي ، انا محمد بن عبيد الله العتبي قال : حدّثني ابي ، عن المسيب ابن شريك عن عبد الوهاب بن عبيد الله بن ابي بكرة قال: وقف إعرابي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال :

يا عمَر الخير جُزيتَ الجنه اكسُ بُنيّاتي وأمّهُنّه
أقسم بالله لتفعلنه

قال عمر رضي الله عنه فإن لم افعل يكون ماذا ؟ قال :

تكون عن حالي لتسئلنه يوم تكون الأعطيات ثَمّهْ
والواقف المسؤل بينهُنه إما الى نارٍ وإما جَنّه

فبكى عمر رضي الله عنه حتى اخضلت لحيته . وقال لغلامه : يا غـــلام أعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره . قال : امـــا والله لا املك غيره . فكان عمر يدني يده من النار ، ثم يقول : يا ابن الخطاب هل لك على هـذا صبر ؟ وبكى حتى كان بوجهه خطان اسودان من البكاء . وكان يقول : ألا من يأخذها بما فيها يعني الخلافة ليتني لم أخلق . ليت امي لم تلدني . ليتني لم اكن شيئاً . ليتني كنت نسياً منسياً .

ورويناه من حديث ابن ابي الوليد ، عن ابي الحسن ، عـن ابن جعدوية ، عن اسمعيل بن ابي حكيم ، عن سعيد بن المسيب قـال : حج عمر رضي الله عنه فلما كان بصحبات قال : لا إله إلا الله العظيم المعطي ما شاء لمن يشاء . كنت أرعى ابل الخطاب بهـذا الوادي في مدرعة صوف ، وكان فظاً يتعبني إذا عملت ، ويضربني إذا قصّرت ، وقد أمسيت ليس بيني وبين الله احد : ثم تمثل :

لا شيء فيما ترى تبقى بشاشته — يبقى الإله ويودي المال والولد
لم تغن عن هرمٍ يوماً خزائنه — والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح له — والأنس والجن فيما بينها ترد
أين الملوك التي كانت نوافلها — من كل اوب اليها راكب يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب — لا بد من ورده يوماً كما وردوا

هذا كان لباسه وهو يرعى الغنم . وخطب الناس وهو خليفة وعليه أزار فيه اثني عشرة رقعة رضي الله عنه .

خطبة سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين :

روينا من حديث ابن ابي الدنيا قال : حدثنا محمد بن اسماعيل ، عن جابر ابن عوف قال: اول كلام تكلم به سليمان بن عبد الملك ان قال يعني في خلافته الحمد لله الذي ما شاء صنع ، وما شاء رفع، وما شاء وضع، وما شاء اعطى، ومـا شاء منع ان الدنيا دار غرور ، ومنزل باطل وزينة ، تضحك باكياً ، وتبكي ضاحكاً ، وتخيف آمناً ، وتؤمن خائفاً ، وتفقر مثريهـا ، وتثري فقيرها ، ميالة لاعبة بأهلها .

يا عباد الله : اتخذوا كتاب الله إماماً ، وارضوا به حكماً ، واجعلوه لكم قائداً . فإنه ناسخ لمـا كان قبله ، ولا ينسخه كتابٌ بعده . فاعلموا عباد الله ان القرآن يجلو كيد الشيطان كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفس وأدبار الليل إذا عسعس .

خبر خولة بنت حكيم مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

روينا عن قتادة قـال : خرج عمر بن الخطاب من المسجد ، والجارود العبدي معه ، فبينما هما خارجان إذا بإمرأة على ظهر الطريق فسلم عليها عمر فردّت عليه السلام ، ثم قالت : رويدك يا عمر حـتى اكلمك كلماتٍ قليلة ، قال لها : قولي، قالت : يا عمر عهدي بك وأنت تسمّى عميراً في سوق عكاظ تصارع الصبيان ، فـلم تذهب الأيام حتى سميت عمر ، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين . فاتق الله في الرعية ، واعلم إنه من خاف الموت خشي الفوت . فبكى عمر رضي الله عنه . فقال الجارود : هيه ، قد اجترأت على امير المؤمنين وابكيتيه . فقال عمر : دعا ، اما تعرف هذه يا جارود ؟ هذه خوله بنت حكيم التي سمع الله قولها من فوق سمائه . فعُمرُ والله أحرى أن يسمع كلامها . أراد بذلك ؟ قوله تعالى قـد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله .

ومن خطب الحجاج :

مـا روينا من حديث ابن ابي الدنيا قال : حدثني محمد بن الحسين قال : حدثنا خلف بن تميم ، نبأ ابو رجاء الهروي ، عن ابي بكر الهذلي قـال : رأيت الحجاج يخطب على المنبر ، فسمعته يقول :

أيها الناس إنكم غداً موقوفون بـــين يدي الله عزّ وجل ، ومسؤلون . فليتق الله امرؤ ، ولينظر ما يعـدّ لذلك الموقف ، فإنـه موقف يخسرُ فيه المبطلون ، وتذهل فيه العقول ، ويرجع الأمر فيه الى الله « لتجزى كل نفس بما كسبت ان الله سريع الحساب » .

بادروا آجالكم بأعمالكم قبل أن تخترموا دون آمالكم . قـال : ثم بكى وانتحب وهو على المنبر ، فرأيت دموعه تنحدر على لحيته .

حديث ابي ذرّ مع عبد الله بن عامر :

حدّثنا محمد بن محمد ، نبأ ابو القاسم الحريري ، انا ابو طالب العشاري ، انا ابو بكر البرقاني ، نبأ ابراهيم بن محمد المزكي ، انا محمد بن محمد بن اسحاق الثقفي ، نبأ هارون بن عبد الله ، نبأ سيار ، نبأ جعفر ، نبأ ابو عمران الجوني ، عن نافع الطاحي قال : مررت بأبي ذرّ فقال لي : ممن انت؟ قلت: من اهل العراق . قـــال : أتعرف عبد الله بن عامر ؟ قلت : نعم . قال : فانه كان يتقرا معي ويلزمني ، ثم طلب الامارة ، فاذا قدمت البصرة فترايا له . فانه سيقول لك حاجة فقل: اخلني . فقل له: انا رسول ابي ذرّ اليك ، وهو يقرئك السلام . فلما قلتها خشع لهـا قلبه . ويقول لك : انا نأكل من التمر ، ونروى من الماء ، ونعيش كما تعيش . قال : فحلّ إزاره ، ثم أدخل رأسه في جيبه ، ثم بكى حتى ملأ جيبه بالبكاء .

روينا من حديث احمد بن حنبل قال: حدّثنا عبد الله ، نبأ سعيد بن ابي ايوب عبد الله بن الوليد وقـال : سمعت عبد الرحمن بن حجيرة يحدّث عن ابيه ، عن ابن مسعود انه كان يقول :

أما بعد انكم في ممرّ الليل والنهار في آجال منقوصة ، وأعمال محفوظة ، والموت يأتي بغتة . فمن زرع خيراً يوشك ان يحشد رغبة ، ومن زرع شراً يوشك ان يحصد ندامة ، ولكل زارع ما زرع ، لا يسبق بطيء بحظة ، ولا يدرك حريص ما لا يقدر له .

حديث ملك متقدم :

حدثنا يونس ، عن محمد بن ناصر ، انا محفوظ بن احمـــد ، انا محمد بن الحسين ، نبأ المعافي ، انا عبد الله بن محمـد بن جعفر ، نبأ ابو بكر بن ابي الدنيا ، عن القاسم ، عن هاشم ، نبأ الحكيم بن هاشم ، عن صفوان بن عمر ابن عبد الرحمن بن عبد الله الخزاعي ، أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس في أيديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم ، قـد احتفروا قبوراً ، فاذا اصبحوا تعاهدوا تلك القبور، فكنسوها ، وصلوا عندها ، ورعوا البقل كما ترعى البهائم . وقـد قيّض الله لهم من ذلك معاشاً من نبات الارض . فأرسل ذو القرنين الى ملكهم ، فقـال الرسول : أجب الملك ذا القرنين ، فقال : مالي اليه حاجة ، فأقبل اليه ذو القرنين فقـــال : اني أرسلت اليك لتأتيني فأبيت، فها انا ذا قد أتيتك. فقال : لو كانت لي اليك حاجة لأتيتك. فقال له ذو القرنين : مالي أراكم على الحالة التي رأيت لم أرَ احـداً من الأمم عليها . قالوا : وما ذاك ؟ قال : ليس لكم دنيا ، ولا شيء ، أفـــلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمعتم بها ؟ قالوا : انما كرهناها ، لأن احداً لم يُعطَ منها شيئاً إلا تاقت نفسه الى افضل منه . فقال : ما بالكم قد احتفرتم قبوراً فاذا أصبحتم تعهّدتموها وكنستموها وصليتم عندها ؟ قالوا : أردنا اذا نظرنا اليها ، وأملنا الدنيا ، منعتنا قبورنا من الامل. قال : وأراكم لا طعام لكم إلا البقل

من الارض ، أفلا اتخذتم البهائم من الأنعام فاحتلبتموها وذبحتموها واستمتعتم بها ؟ فقالوا : إنا رأينا ان في نبات الارض بلاغاً . ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذي القرنين ، فتناول جمجمة ، فقال : يا ذا القرنين أتدري مَن هذا ؟ قال : لا ، مَن هو ؟ قال : هذا ملك من ملوك الارض ، أعطاه الله سلطاناً على اهل الارض ، فغشم ، وظلم ، وعتا . فلما رأى ذلك منه جسّمه بالموت فصار كالحجر الملقى، قد أحصى الله عمله عليه ، حتى يجزيه في آخرته. ثم تناول جمجمة اخرى بالية ، فقال : يا ذا القرنين أتدري من هذا ؟ قال : ومن هذا ؟ قال : ملك ملّكه الله بعده ، قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الظلم ، والظلم ، والتجبّر ، فتواضع وخشع لله عز وجل ، وعمل بالعدل في مملكته ، فصار كما ترى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه في آخرته . ثم أهوى الى جمجمة ذي القرنين فقال :

وهذه الجمجمة كان قد كانت كهاتين ، فانظر يا ذا القرنين ما انت صانع . فقال له ذو القرنين : هل لك في صحبتي فاتخذك وزيراً ، وشريكاً ، فيما اتاني من هذا المال ؟ فقال : ما اصلح أنا وأنت في مكان ، قال : ولِمَ ؟ قال : من اجل ان الناس كلهم لك عدو ، ولي صديق ، قال : ولِمَ ذلك ؟ قال : يعادونك لما في يديك من المال ، والملك . ولا اجد احداً يعاديني لرفضي في ذلك . فانصرف عنه ذو القرنين ، هو ذو القرنين الاكبر ، وقيل : هو المذكور في القرآن .

قال بعض المؤرخين : هو اول القياصرة ، وهو ابن سام بن نوح . يقال : انه لقي ابراهيم عليه السلام ، فطاف البلاد ، وسدّ على يأجوج ومأجوج ، واختلف في تسميته ذو القرنين ، لأنه لقبٌ له، واسمه عبد الله بن الضحاك . روي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما . وقال بعضهم : كان بعد نمرود

ابن كنعان ، وهو الذي بنى الاسكندرية . وقد ذكرنا في هـذا الكتاب من اخباره بعض ما وصل الينا . قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه :كان عبداً صالحاً ، ولم يكن نبياً بعثه الله في قومه ، فضربوه على قرنه فقتلوه ، ثم بعثه الله اخرى ، فضربوه على قرنــه فقتلوه ، ثم بعثــه الله اخرى ، فضربوه على قرنه فمات .

قال غيره : كان له شبه القرنين نابتين في رأسه ، وقيل : لبلوغه قطري الارض ، ومات بأرض بابل .

وأما ذو القرنين الاصغر فهو الاسكندر بن فيلسوف اليوناني ، قتل دارا ، وسلبه ملكه ، وتزوج ابنته ، وكانت من اجمل الناس . فلما اجتمع له ملك الروم ، وملك فارس سمي هذا ذو القرنين لهما . وقيل : انه رأى في منامه كأنه اخذ بقرني الشمس ، فسمي بذلك . ثم رجع الى العراق بعد طلبه عين الخلد ، ومات بشهرزور ، وقيل : بميافارقين . وحمل الى أمــه في تابوت من ذهب الى الاسكندرية ، وكان عمره ستة وثلاثين سنة ، ومــدة ملكه اربــع عشرة سنة . وكان قبل المسيح بثلاثمائة وثلاث سنين . وقيل : تسع عشرة سنة . وقد روي انه هو الذي سدّ على يأجوج ومأجوج .

روي من حديث أسلم ، انه قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلاً ، حتى اذا كنا بموضع اذا نارٌ فقال : يا أسلم اني لأرى هنـــا ركباً قصّر بهم الليل والبرد ، فانطلق بنا ، فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم ، فإذا بأمراة معها صبيان صغار ، واذا بقدرٍ منصوبة على نار ، وصبيانها يتضاعفون ، فقال عمر : السلام عليكم يا اصحاب الضوء ، وكره ان يقول : يا اصحاب النار ، فقالت : وعليكم السلام ، فقال : أدنو ؟ فقالت : ادن بخير ، او دع ،

قال : فدنا ، فقال : ما بالكم ؟ قالت : قصّر بنا الليل والبرد ، قال : وما بال هذه الصبية يتضاعفون ؟ قالت : من الجوع ، قال : فأي شيء في هـذا القدر ؟ قالت : ماء ، اسكتهم حتى يناموا ، والله بيننا وبين عمر . قـال : أي رحمك الله ، وما يدري عمر بكم ؟ قالت : يتولى امرنا ، ثم يتغافل عنا . قال : فأقبل عليّ فقال : انطلق بنا ، فخرجنا حتى اتينـــا دار الدقيق ، فأخرجنا عِدلاً من دقيق ، وكبة من شحم ، فقـال : أحمله عليّ ، فقلت : انا أحمله عنك ، فقـــال : انت تحمل وزري ؟ لا أمّ لك ، فحمّلته عليه ، فانطلق ، وانطلقت معه اليها اهرول ، فألقى ذلك عندهـــا ، وأخرج من الدقيق شيئاً ، وجعل يقول لها : درّي عليّ ، وأنا أحرّك لك . وجعل ينفخ تحت القدر ، ثم افرغهـا في صفحة ، وقال : أطعميه للصبية ، ولم يزل حتى شبعوا . وترك عندها فضل ذلك . فجعلت تقول : جزاك الله خيراً . كنت اولى بهذا الأمر من امير المؤمنين. فيقول : قولي خيراً إذا جئت امير المؤمنين وجدتني هناك . ثم تنحّى ناحية و فربض كالأسد . فقلت : لك شأن غـير هذا ؟ فلم يكلمني حتى رأيت الصبية يصطرخون ، ثم ناموا ، وهدوا . فقال: يا اسلم ان الجوع أسهرهم ، وأبكاهم . فأحببت ان لا انصرف حتى أرى مـا رأيت .

سؤال معاوية لضرار أن يصف علياً رضي الله عنهم :

روينا من حديث ابن باكويه قال : نبأ عبد الله بن فهد بن ابراهيم الساجي قال : نبأ محمد بن زكريا بن دينار ، نبـأ العباس بن بكار ، نبأ عبد الواحد ابن ابي عمرو الاسدي ، عن الكلبي ، عن ابي صالح قال : قال معاوية بن ابي سفيان لضرار بن ضمرة .

صف لي علياً قال : او تعفيني ؟ قال : لا اعفيك . قال : اما إذ لا بد إنه والله كان بعيد المدى ، شديد القوى . يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته . كان والله غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه . يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما خشب. كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه ويتجنى . والله مع تقريبه لنا ، وقربه هنا، لا نكلمه هيبة، ولا نبتديه لعظمته عندنا . ان تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم. يعظم اهل الدين. ويحب المساكين . لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف في عدله . فأشهد بالله لرأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سجوفه ، وغارت نجومه، وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين . فكأني أسمعه ويقول :

يا دنيا يا دنيا ، اليّ تعرّضت ، ام اليّ تشوفت [1] ؟ هيهات هيهات ، غرّي غيري ، قد ابنتُكِ ثلاثاً ، لا رجعة لي فيك ، فعمرُكِ قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك كثير . آه من قلّة الزاد ، وبُعد السفر ، ووحشة الطريق .

قال : فذرفت دموع معاوية ، فما ملكها وهو ينشفّها بكمّه . وقد اختنق القوم بالبكاء . ثم قال معاوية : رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذبح ولدها في حجرها ، فلا ترقأ عبرتها ، ولا يسكن حزنها :

---

(١) نسخة : بالقاف .

روي ان عليـــاً رضي الله عنه رأى رجلاً من قريش يمشي ويخطر بيده تكبراً فقال :

يا موثر الدنيـــا على دينه هـ والتـــائه الحيران في قصده ِ
اصبحت ترجو الخلد فيها وقد ابرز ناب الموت عن حـدّه
هيهات ان الموت ذو اسهم من يرمِهِ يوماً بهـــا يُردِهِ
لا يشرح الواعظ صدر امرءٍ لم يعـزم الله على رشده هـ

وروينا من حديث ابن حنبل قال : نبأ وهب بن اسماعيل ، قال : نبـأ محمد بن قيس ، عن علي بن ابي ربيعة ، عن علي بن ابي طالب ، قال : جاءه ابن التياح فقال: يا امير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء ، وبيضاء ، قال: الله اكبر ، فقام متوكأ على ابن التياح حتى قام على بيت المال فقال :

هذا جناء وخياره فيه وكل جان يده الى فيه

قال : ثم نادى في الناس فأعطى جميع ما في بيت المـــال للمسلمين وهو يقول: يا صفراء ، يا بيضاء ، غرّي غيري . ها وها حتى ما بقي فيه دينار، ولا درهم . ثم أمر بنضحه ، وصلى فيه ركعتين .

حدثنا يونس بن يحيى بمكة ، عن محمد بن ناصر، عن جعفر بن احمد ، عن ابي علي التميمي ، عن ابي بكر بن جعفر ، عن عبد الله بن احمد ، عن ابيـه احمد بن حنبل ، بالاسناد .

ومن كلام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه :

ما حدثنا يوسف بن علي ، ويونس بن يحيى ، قال يونس: أنا عبدالوهاب، أنا عبد الله بن احمد السكري ، قال : أنا احمد بن محمد بن الصلت ، قـال :

حدثنا حمزة بن قاسم الهاشمي قال : نبأ حنبل بن اسحاق قال : نبـــأ داود ابن سبيب ، نبأ حمّاد بن سلمة ، عن عمرو ان عمر بن عبد العزيز قال لعنبسة ابن سعيد : يا عنبسة اكثر ذكر الموت ، فـإنك لا تكون في ضيق من امر معيشتك ، فتذكر الموت إلا وسّع ذلك عليك .

كلام ابي بكرة لمعاوية رضي الله عنه :

حدثنا يونس انا عبد الوهاب ، انا المبارك بن عبد الجبار ، انا احمد بن علي الثوري ، انا عمر بن ثابت ، انا علي بن قيس، انا ابو بكر القرشي ، انا العباس ابن هشام بن محمد ، عن ابيه ، عن شيخ من الازد ، أن أبا بكرة دخل على معاوية فقال : اتق الله يا معاوية ، واعلم انك في كل يوم يخرج عنك ، وفي كل ليلة تأتي عليك لا تزداد من الدنيا إلا بعداً ، ومن الآخرة إلا قربـاً ، وإن على أثرك طالباً لا تفوته، وقد نصب لك علماً لا تجوزه ، فما اسرع ما تبلغ ، وما اوشك ان يلحقك الطالب . وإنا وما نحن فيه وأنت زائل ، والذي نحن اليه صائرون باق ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشرّ .

ما كلم به ابو مسلم الخولاني معاوية :

وبالاسناد الى ابي بكر القرشي قال: نبّأ شجاع بن الأشرس،عن اسماعيل ابن عيّاش ، عن ابي بكر بن عبد الله ، عن عطية بن قيس ان ابا مسلم أتى معاوية ، فقام بين السّماطين ، فقال : السلام عليك أيها الاجير ، فقال : من عنده : السلام عليك ايها الامير ، فقال ابو مسلم : السلام عليك أيها الاجير ، فقال معاوية : دعوا ابا مسلم ، فانه أعلم بما يريد . فقال : اعلم انه ليس من احد استرعى رعيةً إلا ربّ الرعية سائله عنها ، فان كان داوى مرضاها ،

وجبر كسراها ، وهنا جرباها ، وردّ أولاها على أخراها ووضعها في انف من الكلأ وصفو من الماء وفاهُ أجره ، وان كان لم يداوِ مرضاها ، ولم يهنا جرباها ، ولم يجبر كسراها، ولم يردّ أولاها على أخراها، ولم يضعها في أنُفِ من الكلأ ، وصفو من الماء ، لم يؤته اجرها . فانظر أين انت يا معاوية من ذلك ؟ فقال معاوية : يرحمك الله يا ابا مسلم .

ودخل عليه مرة فقال له :

ما اسمك ؟ قال : اسمي معاوية . قال : لا ، بل أحدوثة . فإن جئت بشيء فلك شيء ، وان لم تأتِ بشيء فلا شيء لك . يا معاوية انك لو عدلت بين جميع قبائل العرب ، ثم ملت الى أقلّها قبيلة ، مال جورك بعد ذلك . يا معاوية إنا لا نبالي بكدر الأنهار اذا صفى لنا رأس العين .

حدّثنا بهذا محمد بن اسماعيل ، عن عبد الرحمن بن علي ، عن اسماعيل بن احمد ، عن عمر بن عبد الله، عن ابي الحسين بن بشران، عن عثمان بن احمد ، عن حنبل ، عن جفر بن ميمون ، عن ابيه ، عن عبد الله بن يوسف ، عن خالد بن يزيد ، عن ابي عيلة ان ابا مسلم الخولاني دخل على معاوية فذكره .

آية بيّنة لقوم يعقلون :

روينا من حديث ابن قتيبة قال : ثنا اسحاق بن ابراهيم بن حبيب قال: نبأ قريش بن انس ، عن كليب بن وائل ان رجلاً من الصالحين قال : ببلاد الهند شجر له ورد احمر فيه بياض مكتوب : محمد رسول الله ﷺ .

وأنشدني عبد الله بن مسلم بن قتيبة لبعض الشعراء في النبي ﷺ :

لو لم تكن فيه آياتٌ مبيّنةٌ كانت بديهته تنبيك بالخبرِ

بلاغة أبانت عن حقيقة :

روينا من حديث محمد بن يونس قال : حدّثنا الاصمعي قال : مررت بأعرابية وبين يديها شاب في السياق ، ثم رجعت وبين يديها قدح من سويق تشربه ، فقلت لها : ما فعل الشاب ؟ قالت : وارينناه ، قلت : ما هذا فقالت :

على كل حال يأكل القوم زادهم على البؤس والنعما وفي الحدثانِ

ومن روايتنا . قال محمد بن عبد الرحمن الحنفي : أنشدنا ابي لغيره :

اصبر لكل مصيبة وتجلّدِ واعلم بأن المرء غير مخلّدِ
واذا ذكرت مصيبة تشجى بها فاذكر مصابك بالنبي محمد

من حسن اسلام المرء ترك ما لا يعنيه :

روينا من حديث يعقوب بن يوسف المطوعي ، نبأ ابو الربيع الزهراني ، عن محمد ، عن حمّاد بن زيد قال : قيل للأحنف بن قيس : بمَ سدت قومك وأراد عيبه ؟ فقال الاحنف : بتركي من امرك ما لا يعنيني ، كما عناك من امري ما لا يعنيك .

تأديب حكيم وتعليم عاقل عليم :

وروينا منه بحديث محمد بن يونس، انا الاصمعي، عن ابي عمرو بن العلاء ، وعن ابيه قالا : قال الاحنف بن قيس : ما دخلت بين اثنين قط حتى يكونا هما يدخلاني في امرهما ، ولا أقمت من مجلس قط ، ولا حجبت عن باب قط، ولا رددت عن حاجة قط . قيل له : ولِمَ ؟ قال : لأني لا أطلب المحال .

استمالة حكيم عفو سلطان حليم :

وروينا من حديث عبد الله بن مسلم بن قتيبة قال : حدّثنا الرياشي قال: أخذ بعض الامراء رجلا فقال له: ان عاقبت جازيت، وان عفوت أحسنت، والعفو أقرب .

وصية محكمة وموعظة منظمة :

وروينا من حديث ابراهيم الشيعي قال :

وأنشدني الرياشي لأبي العتاهية :

ألا إن خيرَ الدهر خيراً تنيله	وشرّ كلام القائلين فضولهُ
ألم ترَ ان المرء في دار بُلغةٍ	الى غيرها والموت فيها سبيله
وأي بلاغٍ يكتفي بكثيره	اذا كان لا يكفيك منه قليله
مضاجعُ سكان القبورِ مضاجعٌ	يُفارق فيهنّ الخليل خليله
تزوّد من الدنيا بزادٍ من التقى	فكلٌ بها ضيف وشيكٌ رحيله
وخذ المنايا لا أبا لك عدّةً	فانّ المنايا من أتت لا تقيله
وما حادثات الدهر إلا لعزّةٍ	تبثُّ قُواها او لمُلكٍ تُزيله

ومن ذلك بالاسناد لأبي العتاهية :

عيبُ ابن آدم ما علمتُ كثيرُ	ومجيئه وذهابه تغريرُ
غرّتك نفسُك للحياة محبّة	والموتُ حقٌّ والبقاء يسير
لا تغبط الدنيا فإن جميع ما	فيها يسيرٌ لو علمتَ حقير
يا ساكن الدنيا ألم ترَ زهرة الدنيا	على الايام كيف تصير

بل ما بدا لك ان تنال من الغنى | إن أنت لم تقنع فأنت فقير
يا جامع المال الكثير لغيره | إن الصغير من الذنوب كبير
هل في يديك من الحوداث قوة | أم هل عليك من المنون خفير
ماذا تقول اذا رحلت الى البلا | واذا خلا بك منكر ونكير

خلق كريم مع ذي ذمة ذميم :

روينا من حديث ابي حصين ، قال : نزل يهودي بأعرابي فمات عنده ، فقام الاعرابي ، فصلى عليه ، وقال : اللهم ضيف، وقد علمت حق الضيف ، فامهلنا الى ان يقضي زمامه ، ثم شأنك به .

نفس أبية وهمة علية :

روينا من حديث اسمعيل بن يونس، قال: أنشدنا الرياشي للخليل بن احمد الفراهيدي :

أبلغ سليمان اني عنه في سعةٍ | ولي غنىً غير اني لستُ ذا مالِ
أسخو بنفسي لأني لا أرى أحداً | يموتُ هزلاً ولا يبقى على حال
الرزق عن قدرٍ لا الضعف يمنعه | ولا يزيدك فيه حول محتال

ومن ذلك وصية سنية :

روينا من حديث محمد بن موسى القطان عن المازني لأعرابي :

أيها الرائبُ الحريص المعنّى | لك رزق فسوف تستوفيهِ هـ
قبّح اللهُ نائلاً ترتجيهِ هـ | من يَدَي من يريدُ أن يقتضيهِ
إنما الجودُ والسماحُ لمن يُعـ | طيك عفواً وماءُ وجهك فيه

لا ينال الحريصُ شيئاً فيكفيـ ـه وان كان فوق مـا يكفيه
فاسأل الله وحـده ودع النا س واسخطهم بمـا يرضيـه

حكمة :

قال : أنشدنا محمد بن صالح الانماطيّ لبعضهم :

يخيب الفتى من حيث يرزق غيره ويعطى الفتى من حيث يحرم صاحبه

ولبعضهم :

لا تضرعنّ لمخلوق على طمعٍ فإن ذاك مضرّ منك بالدين
واسترزق الله رزقاً من خزائنه فإنما هي بين الكاف والنون

صفة حميدة وحالة سعيدة :

روينا من حديث عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، قال : حدثنا محمد بن عبيد ، قال : نبأ ابن عيينة ، قال بعض الخلفاء لأبي حازم يعني الأعرج : ما مالك ؟ فقال : الرضى عن الله ، والغنى عن الناس .

ثم أنشد ابن قتيبة في معناها لبعضهم :

للناس مال ولي مالان ما لهما اذا تحارسَ أهل المال حراسُ
مالي الرضى بالذي اصبحت املكه ومالي البأس فيما يملك الناس

وهذا ابو حازم هو الذي قال له هشام ، لما ولـّي البحرين واجتمع به : ما طعامك ؟ قال : الخبز والزيت . فقال له : أفلا تسئمها ؟ قال ابو حازم : اذا سئمتها تركتها حتى اشتهيتها .

قوله تعالى: وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت:

روينا من حديث محمد بن سلام ابياتاً لأعرابي وهي :

وما هذه الايام إلا معارةٌ	فما اسطعتَ من معروفها فتزودِ
فإنك لا تدري بـأية بلدةٍ	تموتُ ولا ما يُحدثُ الله في غد
يقولون لا تبعد ومن يك بعدُه	ذراعين من قرب الأحبة يبعُدُ

عبرة بنفوذ قضاء على يد كاره له :

روينا من حديث ابن ابي الدنيا ، عن ابي زيد ، قال : حدثنا الاصمعي، قـال : أتى يزيد بن مسلم رجلٌ برقعة وسأله ان يرفعها الى الحجاج ، فنظر فيها يزيد ، فقال : ليس هذه من الحوائج التي ترفع للأمير. فقال له الرجل : فإني اسئلك ان ترفعها فلعلها ان توافق قدراً فيقضيها وهو كاره . فأدخلها ، وأخبره بمقالة الرجل . فنظر الحجاج في الرقعة فقال ليزيد : قل للرجل انها قد وافقت قدراً ، وقد قضيناها ونحن كارهون .

حكمة من امرأة :

روينا من حديث احمد بن مروان قال: أنشدنا الحسين (١) بن علي لامرأة من ولد حسان بن ثابت شعر :

سَل الخيرَ اهل الخير قِدماً ولا تسل	فتىً ذاق طعمَ العيش منذ قريب

---

(١) نسخة ٢ : الحسن .

خبر الخضر في مسجد النبي ﷺ :

حدّثنا عبد الله بن عبد الرحمن قال : ثنا المبارك بن علي بن الحسين ، ثنا عبيد الله بن محمد ، ثنا احمد بن الحسين ، ثنا ابو سعيد الماليني ، ثنا ابو احمد ابن عديّ الحافظ، ثنا محمد بن يوسف بن عاصم، ثنا احمد بن اسماعيل القرشي، ثنا عبد الله بن نافع ، عن كثير بن عبد الله ، عن ابيه ، عن جده ان رسول الله ﷺ كان في المسجد ، فسمع كلاماً من زاوية، فاذا هو قائل : أللهم أعنّي على ما ينجيني مما خوّفتني . فقال رسول الله ﷺ حين سمع ذلك : ألا تضم اليها اختها ؟ فقال الرجل : أللهم ارزقني شوق الصادقين الى ما شوّقتهم اليه. قال رسول الله ﷺ لانس بن مالك وكان معه: اذهب يا انس اليه ، فقل له: يقول لك رسول الله : استغفر لي . فجاءه انس فبلّغه . فقال الرجل : يا انس انت رسول رسول الله لي ؟ فقال : كما انت ، فرجع ، واستثبته ، فقال رسول الله ﷺ : قل له نعم . فقال له : اذهب فقل لرسول الله ﷺ : فضلك على الأنبياء بمثل ما فضل به رمضان على الشهور . وفضل أمّتك على الامم بمثل ما فضل يوم الجمعة على سائر الايام . فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضر عليه السلام .

موعظة منظومة :

روينا من حديث احمد بن مُحرز الهروي قال : وجد على ميل في طريق مكة مكتوب :

ألا يا طالب الدنيا دع الدنيا لشانيكا
الى كم تطلب الدنيا وظلّ الميل يكفيكا

هذه الأبيات لبهلول المجنون ، وعظ بها أمير المؤمنين هارون الرشيد ، في طريق مكة ، لما حجّ راجلاً من اجل يمينه ، فقعد يستريح في ظل الميل ، فرآه بهلول ، فأنشده الأبيات ، وفيها من الزيادة في غير هذه الرواية :

هب الدنيا تؤاتيكا ... أليس الموت يأتيكا

ما ينبغي ان يكون عليه الخليل :

روينا من حديث ابراهيم الحربي قال : نبأ ابو نصر ، عن الاصمعي قال : قيل لخالد بن صفوان ، أيّ الاخوان أحب اليك ؟ قال : الذي يغفر زللي ، ويسدّ خللي ، ويقبل عللي .

مكاتبة استلطاف :

روينا من حديث ابن قتيبة قال : كتب رجل الى صديق له : وجدت المودّة مُنقطعة ، ما كانت الحشمة منبسطة . وليس يزيل سلطان الحشمة إلا المؤانسة ، ولا تقع المؤانسة إلا بالبرّ والملاطفة .

إيقاظ وعبر واتعاظ :

روينا من حديث الحسن بن علي قال : أنشدنا محمد بن سلام لبعضهم :

نعي نفسي الى مرّ الليالي ... تصرّفهُنّ حالاً بعد حالِ
فمالي لستُ مشغولاً بنفسي ... ومالي لا أبالي الموت مالي
لقد أيقنت أني غيرُ باقٍ ... ولكني أراني ما أبالي
أما لي عبرة في ذكر قومي ... تفانوا ربما خطروا ببالي
كأن ممرّضي قد قام يسعى ... بنعشي بين أربعة عجال

ولو أني قنعت لكنت حراً ولم أطلب مكاثرةً بمالي
هب الدنيا تساق اليك عفواً أليس مصير ذاك الى زوال
فما ترجو بشيء ليس يبقى وشيكاً ما تغيّره الليـالي

ومن هذا الباب ما روينا من حديث احمد بن عباد قال : أنشدنا الرياشي :

حصنت بيتك جاهــداً ولعلّ غيرك صاحب البيت

وروينا من حديث محمد بن يونس ، عن الاصمعي قال : قيل للأحنف انك تطيل الصيام ، قال : إني أعدّه لسفر طويل .

تحريض على الدعاء وتحضيض :

ومن روايتنا ما أنشده ابن قتيبة لبعضهم :

واني لأدعو الله والأمر ضيّق عليّ فما ينفكّ ان يتفرّجا
وربّ فتىً سُدّت عليه وجوهه أصاب له في دعوة الله مخرجا

شروط الايمان أخلاق حسان :

حدّثنا محمد بن قاسم ، نبأ هبة الله بن علي ، نبأ محمد بن بركات ، نبأ محمد ابن سلامة ، أنا ابو محمد عبد الرحمن بن عمر الصفار قال : انا احمد بن ابراهيم ابن جامع بن علي بن عبد العزيز ، نبأ حجاج ، نبأ حمّاد بن سلمة ، عن عاصم ابن بهدلة ، عن ابي بهدلة ، عن ابي هريرة ان رسول الله ﷺ قال :

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً او ليصمت .

افصاح لسان الزمان بما هو عليه الانسان :

وروينا من حديث ابن مروان احمد المالكي قـــال : أنشدنا ابو صالح الهمداني لبعض الشعراء :

خذ من الدهر ما كفا	ومن العيش ما صفا
لا تلحّن بالبكا	ء على منزل عفـــا
خلّ عنك العتاب ان	خان ذو الودّ او هفا
عين منْ لا يحبّ وصـ	لك تبدى لك الجفا

تصاريف الزمان وتقلب الحدثان :

روينا من حديث الحارث الرياشي، عن الاصمعي قال: قال خال الفرزدق:

إذا ما الدّهر ذلّ على أناسٍ	حوادثـــه أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنـــا افيقوا	سيلقى الشامتون كما لقينا

ايمان وحسن عشرة اخوان :

روينا من حديث عبيد بن مرداس ، نبأ سليمان بن حرب ، نبــأ حمّاد بن زيد قال : دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم فقال له : أتيتك في حاجةٍ رفعتها الى الله قبلك ، فـــإن قضيتها حمدنا الله ، وشكرناك . وإن لم تقضها حمدنا الله وعذرناك . قال : فأمر له بحاجته .

استعطاف كريم واستمالة لئيم :

روينا من حديث ابراهيم الحربي قال : حدثني ابو نصر ، عن الاصمعي ، عن ابي الاشهب قال : لزم بعض الحكماء باب كسرى في حاجة له دهراً ، فلم

يصل اليه ، فتلطف بالحاجب في إيصال رقعة له ، ففعل ، وكان فيها اربعة اسطر :

السطر الاول : الضرورة والأمل اقدماني عليك .

الثاني : العدم لا يكون معه صبر على المطالبة .

والثالث : الانصراف بلا فائدة شماتة الاعداء .

والرابع : فأما نعم مثمرة ، وأما لا مريحة .

فلما قرأه وقع في كل سطر بأربعة آلاف . فأعطى ستة عشر ألفاً من المثاقيل .

إفصاح بغالب الاحوال ممن يعد من الابدال :

روينا من حديث ابراهيم بن ابي اليسع الشيعي ، عن احمد بن الحارث الخرّاز ، عن المدائني قال : قال الحسن يعني البصري : ما اعطى رجل شيئاً من الدنيا إلا قيل خذه ، ومثله من الحرص .

ومن ذلك ما رويناه من حديث احمد بن علي المقري قال : نبأ الاصمعي قال : العيال ارضنة المال .

وبالاسناد الاول وهو من باب التذكير ، قال الحسن : أشد الناس صراخاً يوم القيمة رجل سنّ ضلالاً فاتبع عليه ، ورجل سيء الملكة ، ورجل فادع استعان بنعم الله على معاصيه .

حكمة بالغة :

روينا من حديث ابراهيم بن حبيب ، حدثنا نعيم بن حماد ، نبأ ابن

المبارك ، نبأ حبيب بن حجر قال : كان يقال : ما احسن الايمان بزينة العلم وأحسن العلم بزينة العمل ، وأحسن العمل بزينة الرفق . ومـا أضيف شيء الى شيء أزين من حلم الى علم .

تذكرة حكيم :

روينا من حديث يوسف بن عبد الله ، عن سهل بن محمد ، عن الاصمعي، عن عبد الله بن دينار ، عن عبد الله بن بكر المزني . قال : جاء رجل فشتم الأحنف بن قيس ، فسكت عنه فأعاد عليه ، وألح ، والأحنف ساكتٌ . فقال : والهفاه ، ما يمنعه عن جوابي إلا هواني عليه ؟

ملاطفة وحلم :

روينا من حديث محمد بن يونس ، نبأ الاصمعي قال : اسمع رجل الشعبي كلاماً فقال له الشعبي : إن كنت صادقاً فغفر الله لي ، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك .

ثم أنشأ يقول :

هنيئاً مريئاً غير داء مخامرٍ　　　لعزّة من اعراضنا ما استحلت

نفسٌ أبيّة :

روينا من حديث احمد بن موسى البصري ، عن ابي زيد ، عن الاصمعي، عن ابي سفيان بن العلاء قال : إني لأرفع نفسي أن يكون ذنبٌ ، اوزن من حلمي ، وإذا قال : هذا خلق حقير ، فعفوا لله أسمح ، وحلمه أرجح .

ومن هذا الباب :

ما رويناه من حديث محمد بن عبد العزيز ، عن ابن عائشة قال : ذكر اعرابي رجلاً ، فقال : كان أحلم من فرخ طائر . شعر :

إني لأعرض عن أشياء أسمعها ... حتى يظن رجالٌ إن بي حمقا
أخشى جواب سفيه لا حياء له ... فسلٌ يظنُّ أناسٌ إنه صدقا

ومن هذا الباب ما رويناه من حديث ابن مرون قال : نبأ احمد بن داود ، عن الرياشي ، عن الاصمعي قال : بلغني إن رجلاً قال لآخر : والله إن قلت لي واحدة لتسمعن عشراً . قال : لكنك لو قلت عشراً لم تسمع واحدة .

وأنشدني لبعض الشعراء ابو بكر بن خلف :

اذا نطق السفيه فلا تجبه ... فخيرٌ من إجابته السكوتُ
سكتُّ عن السفيه فظنّ أني ... عييتُ عن الجواب وما عييت
ولكني اكتسيتُ بثوب حلمٍ ... وجُنّبت السفاهة ما بقيت

ومن هذا الباب ما رويناه من حديث احمد بن داود قال : نبّأ الرياشي قال : أنبأ الاصمعي قال : كان الاحنف بن قيس يقول :

من لم يصبر على كلمة سمع كلمات . وربّ غيظ قد تجرّعته مخافة ما هو أشدّ منه .

وأنشد لبعض الشعراء :

وان الله ذو حلم ولكن ... بقدر الحلم ينتقم الحليمُ
لقد ولّت بدولتك الليالي ... وأنت ملعنٌ فيها ذميم

وزالت لم يعش فيها كريم ولا استغنى بثروتهـا عديم
فبُعداً لا انقضاء له وسحقاً فغير حسابك الجدث العظيم

وروينا من حديث جعفر بن شاكر، عن معاوية بن عمرو، عن ابي اسحاق الاوزاعي ، ان عمر بن عبد العزيز كان اذا اراد ان يعاقب رجلاً حبسه ثلاثة ايام ، ثم عاقبه كراهة ان يعجل في اول غضبه . أرى ذلك ، والله أعلم في اقامة الحدود التي ليس له ان يعفو عنها . والتعزيز الذي فيه المصلحة للناس . وأما فيما كان يرجع اليه . فالعفو كان سيمته .

وأسمعه رجل كلاماً فقال : اردت ان يستفزني الشيطان فأتاك منك بمـا تناله انت مني في يوم القيمة . انصرف عني عافاك الله .

خبر الشجرة التي سلمت على رسول الله ﷺ وإتيانها اليه :

روينا من حديث احمد بن عبد الله ، عن سليمان بن احمد ، نبأ محمـد بن عثمان بن ابي شيبة ، نبأ عبادة بن زياد الأسدي قال : حدّثنا حبّان بن علي، عن صالح بن حبان ، عن ابن بزيد ، عن ابيه ، قال : جاء اعرابي الى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله قد أسلمت ، فأرني شيئاً أزدد به يقيناً . فقال : ما الذي تريد ؟ فقال : ادعُ تلك الشجرة ، فلتأتك . قال : اذهب فادعها . فأتاها الاعرابي قال : فأجيبي رسول الله ﷺ . قال : فمالت على جانب من جوانبها قطعت عروقها ، ثم مالت على الجانب الآخر قطعت عروقها ، حتى أتت النبي ﷺ ، فقالت : السلام عليك يا رسول الله . فقـال الاعرابي : حسبي حسبي . فقال لهـا النبي ﷺ : ارجعي ، فرجعت ، فجلست على عروقها ، وفروجها [١] . فقال الاعرابي : ائذن لي يا رسول الله ان أقبّل

---

(١) أي شقوقها .

رأسك ، ورجليك ، ففعل . ثم قال : ائذن لي ان اسجد لك . فقال : لا يسجد احد لأحد . ولو أمرت احـــداً ان يسجد لأحد ، لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها لعظيم حقه عليها .

مرافقة المتقين الاخيار في الاسفار :

حدّثنا عبد الرحمن بن علي ، نبأ عبـد الوهاب الحافظ ، انا المبارك بن عبد الجبار ، نبأ علي بن احمد الملطي ، نبأ ابن دوست ، نبأ ابن صفوان ، نبأ القرشي ، نبأ محمد بن الحسين ، حدّثنا بعض اصحابي ، قال : جاءني بهيم العجلي فقال : تعلم لي رجلاً من جيرانك واخوانك يريد الحج ترضاه لمرافقتي؟ قلت : نعم ، فذهبت به الى رجل به صلاح ودين ، فجمعت بينهما ، وتواطآ على المرافقة ، ثم انطلق بهيم الى اهله ، فلما كان بعد أتاني الرجل فقال : أريد ان تزوي عني صاحبك ، ويطلب رفيقاً غيري . فقلت : ولِمَ ؟ فوالله ما أعلم بالكوفة له نظيراً في حسن الاخلاق والاحتمال . قـال : حدّثت انه طويل البكاء لا يكاد يفترّ ، فهذا ينغص علينا العيش . فقلت له : انمـــا يكون البكاء احياناً عند التذكرة ، أوما تبكي انت ؟ قـال : بلى . ولكنه بلغني انه امر عظيم من كثرة بكائه . قلت : اصحبه فلعلك ان تنتفع به . قال : أستخير الله . فلما كان اليوم الذي أرادا ان يخرجا فيه جيء بالإبل ، فوطىء لها ، فجلس بهيم يبكي في ظل حائط ، فوضع يـــده تحت لحيته ، وجعلت دموعه تسيل على خدّيه ، ثم على لحيته ، ثم على صدره ، حتى والله رأيت دموعه على خديه ، ثم على الارض . فقال لي صاحبي : يا مخول قـــد ابتدأ صاحبك ، ليس هذا لي برفيق . فقلت له : ارفق لعله ذكر عياله، ومفارقته إياهم . فسمعها بهيم فقال : يا اخي والله ما هو ذاك ، وما هو إلا اني ذكرت بها الرحلة الى الآخرة ، وعلا صوته بالنحيب ، فقال لي صاحبي : مـــا هذا

بأول عداوتك لي ، ما لي ولبهم ؟ إنمـا كان ينبغي ان ترافقوا بين بهم وبين داود الطائي، وسلام ابي الأخوص، حتى يبكي بعضهم الى بعض، فيستشفون، او يموتون . فلم أزل أرفق به ، وأقول له : لعلها خير سفرة سافرتها ، وكل ذلك لا يعلم به بهم ، ولو يعلم مـــا صاحبه ، فخرجا ، وحجّا ، ورجعا . فلما جئت أسلم على جاري قال لي : جزاك الله عني يا أخي خيراً ، ما ظننت ان في هذا الخلق مثل ابي بكر،كان والله يتفضل عليّ في النفقة وهو معدوم، وأنا موسر ، وفي الخدمـة وأنا شابٌ ، وهو شيخ ، ويطبخ لي وأنا مفطر ، وهو صائم . قلت : كيف كان امرك معه في الذي تكرهه من طول البكاء ؟ قـــال : والله ألفتُ ذلك البكاء ، وسرَّ قلبي حتى كنت اساعده عليه حتى تأذي بنا الرفقة ، ثم ألفوا ذلك ، فجعلوا اذا سمعونا نبكي يبكون ، وجعل بعضهم يقول لبعض : ما الذي جعلهم أولى بالبكاء منـــا ، والمصير واحد ؟ فيبكون ، ونبكي . ثم خرجت من عنده وأتيت بهيماً ، وقلت: كيف رأيت صاحبك ؟ قال : خير صاحب ، كثير الذكر لله عز وجل ، طويل التلاوة ، سريع الدمعة ، جزاك الله عني خيراً .

شوق وانزعاج عند وداع الحاج :

حدثنا ابو الثنا محمود بن المظفر اللبان ، عن محمد بن نصر ، نبأ الحميدي ، نبأ ابو بكر ، عن السلميّ ، قال بعضهم : خرجت أم أيمن ببنت عليّ امرأة ابي علي الروذباريّ من مصر ، لما برز الحجاج الى الصحراء ، فكانت الجمـال تمرُّ بها وهي تبكي وتقول : واضعفاه ، وتنشد على أثر قولها :

فقلتُ دعوني وأتباعي ركابكم ... أكن طوع ايديكم كما يفعلُ العبدُ
وما بال عني لا يهون عليهمُ ... وقد علموا ان ليس لي منهم بُدُّ

وتقول : هذه حسرة من انقطع عن الوصول الى البيت ، فكيف حسرة من انقطع عن رب البيت ؟

ولمهيار الديلمي في الاشتياق :

وما اتبعتُ ظعنَ الحيّ طرفي لإغـــنم نظرةً فتكونُ زادي
ولكني بَعثتُ بلحظ عيـــني وراء الركب يسأل عن فؤادي

وله أيضاً :

سَل ابْرق الحنان واحسن به أين ليالينـــا على الأبرَقِ
وكيف باناتٌ بسقط اللوى ما لم يجدها الدمعُ لم تورقِ
هل حمَلتْ لا حمَلتْ بَعدنا عنك الصبا عرفـاً لمستنشق
أغناك صوبُ الدمع عن منة أحملهـــا للمُرعد المـــبرق
دمعي على الخيف جنى ما جنى بكاءُ حسّانٍ على جُلّق
لله دهرٌ لـك يومَ النقّى لولا وفـاء الحب لم يعلَق
يا سائقَ الاضعان رفقاً وإن لم يُغن قولي للعسوف أرفق
لولا زفيري خلف اجمـالهم وحرٌ انفـــاسي لم تنسَق
لا تبردوا بالعدل قلبي فمـــا استنجد الدمـــع على محرق
سميت لي نجداً على بعدهـــا يا ولـــه المشئم بالمعْـرق
داوِ بهـــا حبي فها مهجتي اول مجنون بنجدٍ رُقي

وفي المعنى لبعضهم :

يا سائق العيس ترفق واستمع مني وبلـّغ ان وصلتَ عني
وقف بأكناف الحجاز ناشداً قلبي فقد ضاع الغداةَ مني

وقل اذا وصلت نحو ارضهم ذاك الاسيرُ موثقٌ بالحزن
عرّض بذكري عندهم عسام ان سمعوك سايلوك عني
قل ذلك المحبوس عن قصدكم معذّبُ القلب بكل فن
اقول قد أمّلتُ ان ازورَكم في جملة الوفد فخابَ ظني
أقعُدُ في الجدلان عن قصدكم ورُمتُ أن أسعى فلم يَدَعني

ومن وقائع بعض الفقراء :

ما حدثنا به عبد الله بن الاستاذ المروزي ، قال : رأى بعض المريدين في الواقعة شيخنا أبا مدين ، وجملة من الصوفية قد احدقوا به ، فقال بعضهم لأبي مدين : ما معنى سر السر وحقيقة الحقيقة ؟ فقال : هو محل الاسرار ، وعند حقيقته عجزت الاوهام ، والأفكار ، وطاشت عقول ذوي الأبصار ، إذ العقول لا تعدو طورها ، ولا تعرف حدها ، جهل ذلك من جهله ، وعلمه من علمه ، فلا يدرك الحق إلا الحق، ولا يعرف الحق إلا بالحق . فهذه خلقي وخليقي . وعلى هذا انطوت حقيقتي . فالتشوّق الى هذا مما لا يدرك ، والخوض فيه واجب ان يترك .

فقال له السائل : أسألك عن التوحيد ما هو ؟ فقال : التوحيد همتي ، وهو شريعتي ، وسنتي . التوحيد هو الغاية القصوى ، والملجأ والمأوى . هو الاساس الذي هو قام به الوجود ، وعليه فترة كل مولود . لكن الناس فيه على مراتب ، فمنهم القريب ، ومنهم الصاحب . فالرتبة العليا هي الترقي من الاسماء والصفات الى توحيد الذات . هناك أفنيتُ عمري ، وأتعبت خاطري وفكري ، الى أن نلتُ منه المعنى ، ولاحظت ذاك الجمال الاسنى . وذلك بمن الله سبحانه ابتداء وانتهاء « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها »

ثم قال : عمرت سرّي بك فأحييتني، ومما سواك أبعدتني، وبك عن الكونين أثنيتني ، وبالفضل منك ألهمتني . فأنا الفقير وأنت الغني . ثم قال للسائل : إسمع مخلوقاته بعزّ كبريائه مذلولة. والأشياء كلها من العرش الى الثرى معلولة، إذ هو سبحانه مذلها بالقهر . وقاهرها بالأمر . ومصرّفها بقدرته فيما نفع وضرّ . قدرته في الثرى كقدرته في العرش والسما . وهو معكم اينما كنتم احاط بكل شيء علماً . وأحصى كل شيء عدداً هو الاول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن ، وهو بكل شيء عليم . على العرش استوى. وهو خالق العرش والثرى ، وما بينهما . فالكل قائم به ، وممسوك بقدرته واطفه . وما من ذرّة فما فوقها إلا وهو معها ، معية ليست بحلول وانتقال ، ولا تغير، ولا زوال، فالمخلوقات بأسرها ظل. وهو سبحانه وتعالى حقيقة الكل.

ومن باب محاسن الكلام :

ما قال الفضل بن سهل للمأمون ، وقد سأله حاجة لبعض بيوتات سمرقند ، وكان وعده تعجيل نفاذها ، فتأخر عن ذلك ، فقال له : يا امير المؤمنين هب لوعدك مذكراً من نفسك . وهب سائلك حلاوة نعمتك . واجعل ميلك الى ذلك في الكرم. وحاثا على اصطفاء شكر الطالبين، تشهد لك القلوب بحقائق الكرم . والألسن بنهاية الجود .

فقال المأمون : قد جعلت اليك إجابة سؤالي عني بما ترى [١] فيهم ، وأخذك بالتقصير فيما يلزم لهم من غير استئمار ولا معاودة .

---

(١) نسخة : تريد .

وقال الفضل بن سهل للمأمون : يا امـــير المؤمنين اجعل نعمتك صائنة لوجوه خدمك عن اراقة مائها في غضاضة السؤال .

فقال المأمون : والله لا كان ذلك إلا كذلك .

وصية بخلق كريم :

روينا من حديث ابن مروان قال : أنشدنا المبرّد :

إذا اعتذر الصديق اليك يوماً   من التقصير عذر أخٍ مقرِ
فصنه عن عتابك وأعف عنه   فـإن العفو سيمة كل حر

حدثنا يونس بن يحيى ، نبـأ محمد بن ناصر ، عن الحسن بن احمد ، عن محمد بن احمد ، عن محمد الوراق ، عن خالد بن محمد ، عن محمد بن علي ، عن بشر بن الحارث قال : رأيت على جبل عرفـة رجلاً قد حكم عليه الوله وهو يقول :

سبحان من لو سجدنا بالعيون له   على سنا الشوك والمحمى من الابر
لم نبلغ العشر من معشار نعمته   ولا العشير ولا عشر من العشر
هو الرفيـع فلا الابصار تدركه   سبحانه من مليك نافذ القدر
سبحان من هو أنسي إذ خلوت به   في جوف ليلي وفي الظلما وفي السحر
انت الحبيب وأنت الحب يا املي   من لي سواك ومن ارجوه يا ذخري

ومن باب من عمل من حيث العبودية :

حدثنا عبد الواحد بن اسمعيل ، نبأ عمر بن عبد المجيد قال : ابو الحسن ابن شمعون الواعظ قـال : وصف لي رجل من العباد فسرت اليه ، فرأيت

من فضله ما ملأ عيني ، وسمعي ، وقلبي . فبتّ متعجباً من امره ، فرأيت في النوم كأن القيامة قد قامت، وكأن الناس يحاسبون، فيؤمر بقوم الى الجنة وبقوم الى النار ، فنودي بالشيخ فأمر به الى النار . فرأيت ذلك ثلاث ليال متوالية . فعرّفت الشيخ بذلك ، فقلت له : خفف يرحمك الله من تعبك ، واقصر من تعبدك . فنظر اليّ وقال لي : يا ابن شمعون هـذا وأنت واعظ العارفين ، تأمرني ان اخفف من خدمة مولاي لما رأيت أني من اهل النار . انما انا عبد من جملة عبيده ان شاء نعّمني ، وإن شاء عذّبني. امرني فامتثلت، ونهاني فانتهيت ، فأمري بعـد ذلك مصروف اليه . فانصرفت من عنده ، وقد عظم تعجّبي من امره . فلمـا كان الليل رأيت المنام بعينه ، فنودي بالشيخ وبين عينيه مكتوب بالنور « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنـده امّ الكتاب » ثم أُمر به الى الجنة . فبكرت الى الشيخ مبشراً له، فقال : يا ابن شمعون انما أُدّبت بمـا رأيت لتعلم ان لله عبيداً لا يقطعهم عن خدمته عذاب ولا نعيم .

شعر :

سبحان مَن ذكره عزٌ لذاكره	وان تحفـّل في الاقوال واجتهدا
لم يتخذ سكناً في قـدم عزّته	ولم يلده أبٌ حقاً ولا ولدا
ولا استعان بشيء في حقيقته	ولم يزل بعظيم العزّ منفردا
لا يبلغ الخلق من تعظيمه طرفاً	ولو أقاموا على تعظيمه ابدا
سبحانه وتعـالى في جلالته	هو المهيمن لا أشرك بـه احدا

حكمة :

روينا من حديث ابن مروان ، عن الحربي ، عن مسلم بن ابراهيم ، عن

الحسن بن ابي جعفر قال: قال أكثم بن صيفي: الافراط في الانس مكسب[1]

ومن حديثه ، عن يوسف بن عبد الله الحلواني ، عن عثمان بن الهيثم ، عن ابيه قال : قال بزرجمهر الحكيم : احذروا اسطورة الكريم اذا شبع ، وصولة اللئيم اذا جاع . وبه قال ايضاً : ارهب تحذر ، وانعم تشكر ، ولا تمزح فتحقر .

خبر مناة :

روينا من حديث ابي الوليد ، عن جده احمد بن محمد ، عن سعيد بن سالم القداح ، عن عثمان بن ساج ، عن محمد بن اسحاق ان عمر بن لحيّ نصب مناة على ساحل البحر مما يلي قديد ، وهي التي كانت الأزود ، وغسان ، يحجّونها، ويُعظّمونها ، فاذا أطافوا بالبيت، وأفاضوا من عرفات ، وفرغوا من منىً لم يحلّوا إلا عند مناة ، وكانوا يهلّون لها ، ومن أهلّ لها لم يطف بين الصفا والمروة لمكان الصنمين اللذين عليهما نهيك مجاود الريح ، ومطعم الطير . وكان هذا الحيّ من الانصار يهلّون لمناة وكانوا اذا هلّوا بحجّ او او عمرة لم يظلّ احدهم سقف بيتٍ حتى يفرغ من حجّه او عمرته . وكان الرجل اذا أحرم لم يدخل بيته وان كان له فيه حاجة ، تسوّر من ظهر بيته لا يحز رتاج الباب رأسه ، فلما جاء الله بالإسلام وهدم امر الجاهلية أنزل الله عزّ وجلّ في ذلك : « وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البرَّ من اتقي وأتوا البيوت من أبوابها » .

---

(١) نسخة : يكسب .

وكانت مناة للأوس ، والخزرج ، وغسان من الازد ، ومن كان بدينهم من اهل يثرب وأهل الشام . ومناة صخرة لهذيل .

موعظة :

حدثنا محمد بن محمد، نبأ الحريري، نبأ ابو بكر الخياط ، نبأ ابن دوست ، نبأ ابن صفوان ، عن ابي بكر بن ابي الدنيا ، عن ابي جعفر مولى بني هاشم ، عن عمرو بن الحصين ، عن يحيى بن العلاء ، عن زيد العمي قال : شهدت جنازة هشام بن عبد الملك فسمعت كاتبه يقول :

وما سالمٌ عما قليلٍ بسالمٍ　　ولو كثرت أحراسه وكتائبهْ
ومن يك ذا باب شديد وحجب　　فعما قليل يهجر الباب حاجبه
وتصبح بعد الحجب للناس عبرة　　رهينة بيتٍ لم تسيّر جوانبه
فما كان إلا الدفن حتى تحوّلت　　الى غيره أجناده ومواكبه
وأصبح مسروراً به كل كاشحٍ　　وأسلمه جيرانه وأقاربه

ووقف الفضل الرّقاشي على المقبرة فقال :

يا أهل الديار الموحشة والمحالّ المقفرة التي نطق بالخراب فناؤها ، وشيّد بالتراب بناؤها ، فمحلّها مقترب ، وساكنها مغترب ، لا يتواصلون تواصل الاخوان ، ولا يتزاورون تزاور الجيران ، قد طحنهم بكلكله البلا ، وأكلهم الجندل والثرى . عليكم منا السلام . وأنشد :

سلامٌ على اهل القبور الدوارس　　كأنكم لم تجلسوا في المجالسِ
ولم تشربوا من بارد الماء شربةً　　ولم تأكلوا ما بين رطبٍ ويابس
ألا خبّروني اين قبر ذليلكم　　وقبر العزيز الباذخ المتشاوس

ورأيت على قبر باذخ لسيده مكتوباً شعر :

أرى اهل القبور [1] اذا توافوا ... بنوا تلك المقابر بالصخورِ
أبَوا إلا مباهـــاةً وفخراً ... على الفقراء حتى في القبور
لعمر أبيهـــم لو أبرزوهم ... لمـــا علموا الغنيَّ من الفقير
ولا عرفوا العبيد من الموالي ... ولا عرفوا الاناث من الذكور
ولا البدَن الملبسُ ثوب صوفٍ ... ولا البدَن المنعّمُ في الحرير
اذا مـــا مات هذا ثم هذا ... فمـــا فضل الغنيّ على الفقير

وقام الحسنُ على قبر فقال : إن امرءاً هذا آخره لحقيق ان يزهد في اوله ، وأن امرءاً هذا اوله لحقيق ان يخاف آخره .

شعر :

تناجيك أجداث وهنّ صموت ... وأجسامهم تحت التراب خفوتُ
أيا جامع الدنيـــا لغير بلاغة ... لمن تجمع الدنيـــا وأنتَ تموت

ما يقول القبر في كل يوم وليلة :

حدثنا المكين بن رستم إمام مقـــام ابراهيم عليه السلام ، عن الكرخيّ ، عن العورجيّ ، عن المحبوبي ، عن ابي عيسى الترمذي ، نبأ محمد بن احمد ، وهو ابن مدوية ، نبأ القاسم بن الحكم العرقيّ ، نبأ عبيد الله ، قال ابن الوليد الوصافي ، عن عطية ، عن ابي سعيد، قال : دخل رسول الله ﷺ مصلاّه ،

---

(١) نسخة : القصور .

فرأى اناساً كأنهم يكتشرون فقال : أمــا انكم لو اكثرتم ذكر هادم اللذات اشغلكم عما أرى ، فأكثروا ذكر هـــادم اللذات ، الموت ، فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيقول: انا بيت الغربة، انا بيت الوحدة ، انا بيت التراب، انا بيت الدود . فإذا دُفن العبد المؤمن قال له القبر : مرحبــاً وأهلاً ، انك كنتَ لأحب من يمشي على ظهري إليّ ، فإذا وليتك اليوم ، وصرت إليّ ، فسترى صنيعي بك ؛ فيتسع مدّ بصره، ويفتح له باب الى الجنة . واذا دُفن العبد الفاجر الكافر قال له القبر : لا مرحباً ولا اهلاً ، أما انك كنت لأبغض من يمشي على ظهري إليّ ، فإذا أوليتكَ اليوم ، وصرت إليّ فسترى صنيعي بك . قال : فيلتئم عليه حتى يلتقي وتختلف أضلاعه .

وقال رسول الله ﷺ : بأصابعه ، فأدخل بعضها في جوف بعض، قال : ويقبض له تسعون تنيناً ، لو أن واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئاً ما بقيت الدنيا ، فتنهشه وتخدشه حتى يقضى به الى الحساب .

قــــال رسول الله ﷺ : إنما القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار .

وأنشد بعضهم :

كأني بأصحابي على حافتيْ قبري ... يهيلون من فوقي وأعينهم تجري
ستنسون أيامي اذا مــا رجَعتم ... وغادرتموني رهن دورية قفري
ألا أيهــا المذري عليّ دموعَهُ ... ستقصرُ في يومين عني وعن ذكري
عفا الله عني حين (١) أصبحُ ثاوياً ... أُزارُ فلا ادري وأُجفى فلا ادري

---

(١) نسخه ٢ : يوم .

قال عبيد الله بن عمير : ليس من ميت يموت إلا نادته حفرته التي يُدفن فيها : انا بيت الظلمة والوحدة ، فإن كنت في حياتك لله مطيعاً كنت اليوم عليك رحمة ، وإن كنت لربك في حياتك عاصياً فأنا اليوم عليك نقمة ، انا بيتُ الذي من دخلني مطيعاً خرج مني مسروراً ، ومن دخلني عاصياً خرج مني مثبوراً .

وخرج عطاء السلميّ الى المقبرة ذات ليلة ،فلما توسطها نادى بأعلى صوته ه:

أهل المقابر قد تساوى بينكم   أين الوضيعُ من الكريم السيدِ
أين الملوك بني الملوك وأين من   قد كان في الدنيا قليل المحفد
أين الحسان ذوو النضارة والنهى   أين المليحُ من القبيح الأسود
أين الذين تجبروا وتعظموا   وعتوا عتوّاً لم يكن بالمرشد

فأجابه من قبرٍ مجيبٌ ينشد شعراً :

إن المنيَّة عاصَفتهم بغتةً   فهمُ خمودٌ جوْف قبر مُلحد
قد دبّتِ الديدان في اجسامهم   وسَعت هوامُ الأرض في الوجه الندي
كم من وجوهٍ قد تناثر لحمها   ومفاصل بانت وبانَ منَ اليَد

بات بعض الصالحين المنقطعين من اهل الخلوات في المقابر ليلة ، فبينما هو يفكر في شأنها إذ هتف به هاتف ينشد :

وقف بالقصور على دُخلة   حزيناً وقل اين اربابها
وأين الملوك ولاة العهود   رقاة المنابر غلاّبها
تجيبك آثارهم عنهم   اليك فقد مات اصحابها

الدخلة : بالضم باطن الأمر . يقال : هو عالم بدخلته ، أي بباطن امره انتهى .

رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك :

كتب بعض أدباء المغرب الى بعض اخوانه بمكة :

اخي الأعز الاكرم الأفضل ، الأبرّ الأوفى الأوصل ، الذي استوحشُ لفراقه ، أذوبُ أسىً وكمداً ان لم اجتمع به في تلك المشاهد الكريمة ، وإلا قد بلغك الله المنى . وأحلك عن قريبٍ بعرفات ومنى . رسمته اليك من فاس والأشواق بعدك تصعد الانفاس ، فـإلى الله الكريم اشكو بينك ، واليه سبحانه أتوسل وله أسأل أن يجمع بحرمه الكريم آخراً كما جمع اولاً بيني وبينك فلقد فارقت وودّعت . وأودعت الجوانح من تباريح الشوق مـا اودعت ، وفطرب الافئدة بحسب مقصدك المبارك المحرس ، وصعدت فيسرّ الله الى تلك المثابة الامنية عودة وصولك ، وبلغك من لقائها غـاية سولك ، وسنى في ذلـك الحرم الشريف المنيف بغية حصولك ، وأجرى فلكك بريح السلامة حـين ينتهي إن شاء الله عن كل ولي من اولئك الى تلك المشاهد المعظمة ، والمعاهد المكرّمة ، تحيته العاطرة وسلامه ، وتذكرة عند مباشرتك تقبيل الحجر الاسود واستلامه ، بحول الله عزّ وجل ، فإذا بدأت على بركة الله تعالى بأول المناسك ، فاشعر نفسك لبؤس المحبة أيهـا الناسك ، ومن أي مواقيت الحج احرمت ، وقد أشعلت بعد الاغتسال نار شوق الوقادة في قلبك واضرمت ، فاغتبط أيها الوافد على حرم الله تعالى فقد استكرمت ، فارفع صوتك بالاهلال ، ملبياً دعوة ذي الجلال ، حتى إذا شارفت مكة الغرّاء ، وأن تجتلي في منصتها العروس الزهراء ، فادخل على اسم الله وسنّة نبيّه من باب بني شيبة ، وقل اللهم صن من لفح نارك هـــذه الشيبة ، فإذا اكتحلت عيناك بسناء الكعبة البيت الحرام وذهلت ، فهناك استهونت كل مشقة لقيتها في طريقك ، واستسهلت ودنوت حتى وقفت خلف الحجر الاسود ، وجعلته

على يسارك وكبرت ، وقبّلت حيث قبّل المصطفى ﷺ ، واستعبرت . وأخذت في الاشواط الثلاثة بالرمل ، وقـــد ايقنت ببلوغ اقصى الأمل ، ثم اكملت بالسعي مأمولك بقية اسبوعك ، فحينئذ تجد برد السلوة عن اوطانك وربوعك ، ثم اركع ركعتي الطواف خلف المقام ، وأدع لمن بعدك بالمقـام ، وتعلق بالاستار داعياً عند الملتزم ، وتضلع عند شربك من مـــاء زمزم ، وأنوفيه نيّة من أخلص لله عمله ، فماء زمزم لما شرب له، ثم اجعل خروجك على باب الصفا والمروة ، وقف على درجاتها ، وأدع بخلاص نفسك ونجاتها ، ثم انحدر في وادي ابراهيم عليه السلام ، فإذا بلغت الميل الاخضر ، فخذ في الرمل اخذ الجد إذا احضر ، فـــإذا أتممت السعي فبادر بالحلاق ، وتجنب التقضير ، فللمحلقين وجبت الدعوة النبوية وجوب استحقاق ، فـإن لم تكن معرفـاً فاخرج متى شئت للتنعيم ، وأحرم من مسجد عائشة رضي الله عنها بعمرة ، وقل : طوبى لمن أفنى في هذه الاحوال السنيّة ، والمشاعر المرضية، عمرة ، ولازم الحجر الكريم ، وقف داعياً تحت ميزابـه ، وتذكر اخوانك بالدعاء ، وكلما اسلفت من خير تجزى به ، وصل على الرخامتين الخضرواتين فهما علامتا قبري اسمعيل وأمه هاجر ، وقـــل : الحمد لله الذي جعلني ممن انقطع الى حرمـــه المعظم وهاجر ، وإذا فتح باب الكعبة المعظمة المكرّمة فكن فيها اول داخل ، وأول خارج ، وهنىء قدميك تربيهما في تلك المدارج وتوخ مصلى النبي ﷺ متوسلاً الى الله ذي المعارج ، واستدع معاينة المقـام الكريم عند باب الرحمة وقيل فيه ، واشرب مـــاء زمزم في أثر القدمين المباركين ، فطوبى لمن باشرهما بغية . وفي أثناء مقامك تعهد المعاهد الشريفة والآثار ، وحرّك فيها شوقك المثـار ، وزر المولد المقدّس المبارك ، واجعل فيه نظرك واعتبارك ، والمم بـدار الخيزران ، وسائر تلك المنازل الشريفة والمواطن .

وصل بما أمكنك من الصدقة كل ثاوٍ فيها وقاطن . وزر القبور الطاهرة بالمعلّى . واعلِ على جبل ابي قبيس ، وقيقعان ، فحقّ ان يشرف عليهما ويعلى . واقصد جبل حراء ، واصعد في ذروته ، ففيه رأى النبي ﷺ اول علامات نبوّته . وارقأ جبل ثور ، ولج الغار ، وتذكر ثاني اثنين إذ هما فيه، فنفس كل جبل عليه وغار . حتى اذا ظلّ شهر ذي الحجة ، وأحرم وفود الله لهلاله ، وبدا كل احـــد باهلاله ، وارتفعت بالتلبية الاصوات في اعقاب الصلوات ، وأقاموا على التلبيه، متأهبين ليوم التروية ، فيا لك من يوم تسابق فيه الى منىً بالصعود . واستبشروا بمطالع السعود . فتعدّوا منى الى عرفات. موقنين برحمة الله عزّ وجلّ ومنازل الآمن في الغُرفات ، مرتفعين عن بطن عرفة ، علماً بأن مَن وقف فيه فقـــد ذهب حجة عامه ذلك وفات . ثم اصبحوا يوم عرفة وقد جلّلت الارض فساطيط اهل العراق، وسائر الآفاق، كأنها قطع أزهار ذات ألوان ، صنوان وغير صنوان . تخال البسيطة منها في بستان . فارتقوا جبل الرحمـــة ، ثم نزلوا الى دار آدم يسألون ربهم المغفرة والرحمة . وفي أثناء ذلك ابتاعوا قرابينهم المتقبّلة ، ليأكلوا منها ، ويجعلوا بقاياها على البائس الفقير مسبلة ، فـــإذا اغتسلوا وتطهروا للجمع بين الظهر والعصر في مسجد ابراهيم ، فهم أيها الأخ الأكرم في تلك المسالك المباركة وَجداً وشوقاً فحقّ أن تهيم . وهنالك لا تنسَ اخاك، وحاشاك ان تنساه ، وواسِه بدعوة ، فمثلك من واساه . ثم اجتمعوا مـــع العشيّ بأزاء موقف النبي ﷺ عند الصخرات، وقد ارتفعت بالتهليل والتكبير والتلبية الأصوات، وأسيلت العبرات ، وصعدت الزفرات ، وأثيرت بازدحام الركائب الغبرات ، وقـد واجهوا الكعبة المقدسة واستقبلوها ، ورجوا الرحمة من الله عز وجل وأملوها ، واقفين شعثاً غُبراً ، لا يُرى منهم إلا ذو مقلة عبراً ، يتذكرون بذلك الموقف العظيم موقف الحشر فمـــا يستطيعون صبراً ، باسطوا ايديهم

لمولاهم الكريم الكفيل بارتقابهم ، يتضرعون اليــه في فكاك رقابهم ، وحط أوزارهم التي حملوها باحتقابهم ، يباهي بهم الله عز وجل ملائكة السماء .

ويقول : اشهدوا بأني قد رحمتهم فأنا ارحم الرحماء .

وقد غصّت بذلك الجمع الأرض الأريضة، والشمس تجنح للغروب مريضة، حتى اذا وجبَت ، حلت الافاضة ووجبت ، فوصلوا مع الليل جمعاً ، وقرنوا به بين المغرب والعشاء جمعاً ، ومسجده المبارك قــد استنار مشاعل وشمعاً ، ولكثرة الضجيج والعجيج لا يستطيع احد سمعاً ، ولا تملك العيون دمعاً ، وباتوا يتلفظون ويكسرون حصا الجمار ، وكلٌ مسرورٌ بسميره تلك الليلة ، فيـــا شرف تلك الأسمار ، وعند الأسفار وقفوا داعين ، ثم افاضوا الى منى مسرعين ، وأجازوا وادي محسِّر بالنـّظّ والرَّمَل ، فائزين من الله عز وجل بالصنع الأجمل ، مقتدين بمـــا ورد في ذلك عن رسول الله ﷺ من العمل ، فرموا جمرة العقبـــة المحللة ، ونفوسهم منبهجة متهللة ، ثم انقلبوا للحلاق ، والتقرب بالدم المهراق ، الى المهيمن الخلاق ، وبعـــد ذلك ساروا الطواف الافاضة ، لابسين من التقوى خير مفاضة ، ثم عادوا محلـّين قـد أتموا الحج ، وقضوا الثجّ والعجّ ، وأقاموا متنعمين أيام منىً بالأكل والشرب ، وكل منهم قـد اصبح آمن السِّرب ، يرمون في كل يوم في محصّب الجمار الثلاث احـدى وعشرين جمرة ، والشوق يلهب في احشائهم جمرة ، وأكثر الناس مع ذلك في بيعهم وشرائهم في غمرة ، وأهل الانقطاع الى الله ، وتجار الآخرة في مسجد الخيف مَقيلهم ، وذِكر الله قِيلهم ، يسألون ربهم الإقـالة ، والرب بكرمه يقيلهم ، مثابرين على التهليل والتسبيح ، ظافرين بالمتجر الربّيح، ملمّين بزيارة موضع الذبّيح ، ثم تعجّلوا في يومين بالنفر ، فهنيئاً لك أيهـا الاخ الكريم كونك في اولئك السفر ، فإذا تأهبت الزيارة الطيبة ، وطفت طواف الوداع،

فاستودع الله دينك ، وأمانتك ، فهو اهل الايـداع ، وسِر على بركة الله ، فـــإذا اجتزت بقبر أم المؤمنين ميمونة بسرف ، فامسك عنانك وقف ، واسكب دمعك فيه رحمةً واذرف ، ففي ذلك الموضع كاتبها ، وابتنى رسول الله ﷺ بها ، وفيه قضيت وفاتها ، ومنه تجيء زمرتها الطاهرة ورفاتها ، ثم عج في طريقك على خيمة أم معبد ، فقد حازت بحلول الرفيقين الكريمين فيها شرف الذكر آخر الأبد . وإذا جئت بدراً فحيّ شهداءه بالسلام ، فهو اول مشهد نصر الله فيه الاسلام . حتى إذا بدت لـــك اعلام المدينة ، فابشر باحتلالك البلد الذي اظهر الله فيه دينه ، فـــإذا مررت بمسجد ذي الخليفة فعرّج عليه ولا تعرج عنه ، وحيّه بركعتين فهو المسجد المبارك الذي احرم رسول الله ﷺ منه ، حـتى إذا جزت وادي العقيق فهنالك أنزل ، وامش كرامة لمن حل في ذلك المنزل ، وادخل على اسم الله ، وعليك الوقـــار والسكينة ، واكس الخضوع والخشوع نفسك المسكينة ، فإذا دخلت مسجد الشفيع الرفيع فاقصد بعـد ركعتي التحية روضة سيد دار السلام بالسلام ، وامثل قبالة وجهه الكريم ، وحيّه ﷺ بأفضل التسليم ، وألزم هنالك أدب التوقير والتعظيم ، وقف ، وإياك أن تلمس الجدار وتلثم ، فقد نهى عن ذلك، ولعلّ فاعله أن يأثم ، وسلم على الصديق ، والفاروق ، وزيريـه وصاحبيه ، وقم كالمسين بين الكريمتين يديه ، فغدا ترجو الشفاعة لديه ، وإنه سلام اولئك اليه ، ﷺ ، وحافظ على الصلاة بين قبره ومنبره عليه السلام ، فبينهما روضة من رياض الجنة ، وألمس الدرجة المباركة الباقيـــة من المنبر الكريم موقف القدمين المقدّستين ، واتخـــذ التبرّك بلمسها جنة ، وطف على تلك المنازل الكريمة والديار ، واستقر مواطن البررة الأخيار ، وزر قبور أمهات المؤمنين وروضة العباس ، والحسن ، رضوان الله عليهم أجمعين ببقيع الفرقـد ، وإن أضرم الوجدُ عليهم نار الحزن بين جوانحك وأوقد ، وحدّث نفسك باللحاق

السريع بهم فكان قد ، وعرّج في آخر البقيع على روضة ذي النورين عثمان ابن عفان ، ومل الى روضة فاطمة بنت اسد أم علي السابق الى الايمان ، ولا تنس عن يسارك إذا خرجت على باب البقيع قبر العمة الطاهرة صفية ، ام الزبير الذي كان حواري الرسول ﷺ وصفية، وامش الى قباء مظهر الاسوة برسول الله ﷺ والاقتداء ، وزر بأحدٍ عم المصطفى حمزة والشهداء ، فإذا أذن بالارتحال ، فأمل أن تجمع في الزيارة بين المساجد الثلاثة التي لا تشدّ إلا اليها الرحال ، موثراً سلوك المحجة البيضاء من السنّة ، ملتمساً بركة الحديث المأثور ، من زارني وزار ابي ابراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة ، والضامن ملي ، وهو ﷺ بالمؤمنين ولي ، فاعمل ركابك الى المسجد الاقصى ، واستقصى الطواف بجميع آثاره المقدسة ، فمثلك من استقصى ، وإن استطعت الاحرام منه اولاً ، فهو افضل عمل صالح يدخر ، وقد ورد فيه حديثٌ بمغفرة ما تقدم من الذنب وما تأخر ، حيث اختص المصطفى ﷺ بالاسراء، وعرج به الى السماء ، بعد أن صلى فيه بجميع الانبياء ، وتبرّك بالصخرة المقدسة ، فمنها كان معراج سيد البشر ، وصلى ، خلفها ، فهي المكان القريب الذي ينادي المنادي منه للمنشر والمحشر ، وادخل قبة السلسلة واركع فيها ، وادع لنفسك ونفوس اخوانك بتداركها بالتوبة وتلافيها ، وصل في محراب زكريا ، وإياك والريا ، وفي محراب مريم حيث دخل عليها ، فوجد الرزق من الله لديها ، وأرق في محراب داود حيث كان تسوّر الخصم ، وصلّ فيه متوسلاً الى الله بشرف ذلك الاسم ، وواصل بالزيارة مبدئاً لها ومعيداً ، موضع نزول المائدة التي كانت لبني إسرائيل آيةً وعيداً ، واسمعوا على الكفر بعد نزولها وعيداً ، ولا تمش في جميع تلك الارض المقدسة إلا بانكسار واستحياء ، فإنك لا تخطو فيها خطوةً إلا على مواطىء اقدام الانبياء ، ولا تنس أن تتطهر في عين سلوان ، واذكر فيه من لم يحدّث نفسه عنك بسلوان،

ثم اخذت للخليل في الرحيل ، فابدأ في اول طريقك بقبر راحيل ، ثم بمولد المسيح ، وموضع مهده ، وسل من الله قبول مساعيك ، واستعنه واستهده ، واعطف على موضع جذع النخلة الذي هزّت بـــه مريم فأساقط عليها رطباً جنيّاً ، « فناداها من تحتها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريّاً » ثم امض في طريقك ، وحق لك الالمام ، بقبر يونس ، ولوط ، عليهما السلام ، فـإذا انتهيت الى قبر الخليل ، وقـبر اسحاق ، ويعقوب ، وقد حننت اليهم حنين الرقوب ، فهنالك تقبل مزارك ، وتحط إن شاء الله اوزارك ، وخارج ذلك الحرم الخليلي على ما يذكر قبر يوسف الصديق ، والله أعلم بالتحقيق ، فـإذا قضيت بحول الله عزّ وجل وقوته من زيارة جميع تلك الآثار المقدسة أربك، فـلا تذكر بعدها مغربك ، فقد من الله عليك بتجديد عهد الوفادة عليها ، والنظر اليها ، وما ذكرتها لك على هذا النسق إلا تبرّكاً بذكراها ، وتشوّقاً للعودة الثالثة عسى نجدد العهد الكريم بها وأراها ، واستطابة للحديث معك فيها لأنـــك تعرف بالمعاينة معناها ، وليس من درى حقيقة الشيء كمن لا يدريـه ، وأين شوق آدم للجنة من شوق بنيه ؟ فعد الى حرم الله العظيم ، وألقِ فيه عصا تسيارك ، وقر عيناً بـآل اختيارك ، وأقم بقية عمرك فيه مستوطناً ، والنية الصادقة الخالصة لله عزّ وجل مستبطناً ، وقل رب تركت من اخواني عبيداً مشتاقين للعودة الى حرمك ، متوسلين اليك في ذلـــك بفضلك وكرمك ، فسهّل بعزّتك وقدرتـك مرامهم ، وسكّن بالوصول الى كعبتك المقدسة المشرّفة غرامهم ، وعرّفهم معاهدهم الكريـــة بعرفات ، والمشعر الحرام ، وشرّفهم بالمثول فيها قبل أن تقضي على مدتهم بالانصرام ، وتفجا اعمارهم قواطع الاخترام ، انك سبحانك مولى المنن الجسام ، ومقدّر الحظوظ السنيّة لعباده والأقسام ، وإقرأ عليك أيها الأخ الأسنى ، المختوم له إن شاء الله بالحسنى ، سلاماً أعطر من الزهر عند الابتسام ، يتلقاه مسك

دارين بالتنشق والإبتسام ، ورحمة الله وبركاته .

وصية نبوية :

روينا من حديث الهاشمي فيما يرويه من حديث ابي ذرٍ عن رسول الله ﷺ إنه قال لرجل يوصيه :

أقلل من الشهوات يسهل عليك الفقر ، وأقلل من الذنوب يسهل عليك الموت ، وقدم مالك أمامك يسرُّك اللحاق به ، وأقنع بما اوتيته يخف عليك الحساب ، ولا تتشاغل عما فرض عليك بما قد ضمن لك ، إنه ليس بفائتك ما قسم لك ، ولست بلاحق ما زوي عنك ، فلا تك جاهداً فيما يصبح نافداً واسع لملك لا زوال له في منزل لا انتقال عنه .

ومن حديثه ايضاً عن ابن عباس قال :

قال رسول الله ﷺ :

ما سكن حبُّ الدنيا قلب عبدٍ إلا التاط منها بثلاثٍ : شغلٌ لا ينفك عناه ، وفقر لا يدرك غناه ، وأمل لا ينال منتهاه ، إن الدنيا والآخرة طالبتان ، ومطلوبتان ، فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل رزقه ، وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يأخذ الموت بعنقه ، ألا وإن السعيد من اختار باقيةً يدوم نعيمها على فانية لا ينفد عذابها ، وقدم لما يقدم عليه فيما هو الآن في يديه ، قبل أن يخلفه لمن سعد بإنفاقه ، وقد شقي هو بجمعه واحتكاره .

روينا من حديث محمد بن العماد قال : كنا يوماً عند اسحاق بن نجيح

وعنده جارية يقال لهـا شادن موصوفة بجودة ضرب العود ، وشجو صوت ، وحسن خلق ، وظرف مجلس ، وحلاوة وجه .

فأخذت العود وغنت :

ظبيٌ تكامل في نهـــاية حسنه فزهـــا ببهجته وتاه بصده
والشمس تطلعُ من فرند جبينه والبدر يغرب في شقائق خده
ملك الجمــال بأسره فكأنما حسن البرية كلها من عنده
يا رب هب لي وصله وبقاءه ابداً فلستُ بعائشٍ من بعده

فطارت عقولنا وذهبت البابنا من حسن غنائهـــا ، وظرفها فقلتُ : يا سيدتي من هذا الذي تكامل في الحسن والنشّهى سواك ؟ فقالت:

فإن بحت نالتني عيون كثيرة وأضعف عن كتمانه حين اكتم

يحكى عن الخنساء إنها دخلت على عائشة وعليها صدار من شعر ، فقالت لها عائشة رضي الله عنها : أتتخذين الصدار وقد نهى عنه رسول الله ﷺ ؟ فقالت : يا ام المؤمنين إن زوجي كان متلافاً منفقاً ، فقال لي : لو أتيت معاوية فاستعنت بـه ، فخرجت ، فلقيني صخر ، فأخبرته ، فشاطرني ماله ثلاث مرات ، فقالت امرأته : لو أعطيتها من شرارها يعني الإبل ، فقال :

والله لو أمنحهــا شرارها وهي حصان قد كفتني عارها
وإن هلكتُ مزّقت خمارها واتخــذت من شعر صدارها

فلما هلك صخرٌ اتخذت هذا الصدار ونذرت أن لا اضعه حتى اموت .

حدثنا بعض مشايخنا من اهـل الأدب قال عمرو : قال بعضهم : رأيت

أعرابية بالتياح ، فقلتُ لهـــا : أنشديني ، قالت : نعم ، ورب الكعبة ، قلتُ : فانشديني ، فانشأت :

لا بارك الله فيمن كان يخبرني ... أن المحب إذا ما شاء ينصرف
وجد المحب إذا ما بان صاحبه ... وجدُ الصبيّ بثدي امه الكلف

فقلتُ : فانشديني من قولك ، فقالت :

بنفسي من هواه على التنائي ... وطول الدهر مؤتلفٌ جديدُ
ومن هو في الصلاة حديث نفسي ... وعدل الروح عندي بل يزيد

فقلتُ لها : إن هذا الكلام ممن قـــد عشق ، فقالت : وهل يعرى من ذلك من له سمع او قلب ؟ ثم أنشدتني :

ألا بأبي والله من ليس شافعي ... بشيءٍ ومن قلبي على النأي ذاكره
له خفقان يرفع الجنب كالشجا ... ويقطع ازرار الجريان ثائره

وروينا من حديث عمر بن يزيد الاسدي قال: مررت بخرقاء صاحبة ذي الرّمة ، فقلتُ له : هــل حججت قط ؟ فقالت : أما علمت أني منسك من مناسك الحج ؟ مـــا منعك أن تسلم عليّ ؟ أما سمعت قول عمك ذي الرمة وهو ينشد :

تمام الحج أن تقف المطايا ... على خرقـــاء واضعة اللثام

فقلت لها : قد أثر فيك الدهر ، قالت : أما سمعت قول عمك العجيف العقيلي ؟ :

وخرقـاء لا تزداد إلا ملاحة ... ولو عمّرت تعمير نوحٍ وحلت

قال : ورأيتها وإن فيها المباشرة ، وإن ديباحة وجهها لطريّة ، كأنها فتاة، وإنها لتزيد يومئذ على المائة. وشبب بها ذو الرمة وهي ابنة ثمانين سنة.

حدثني ابو ذرّ بأشبيلية ان سبب ان سميت الخرقاء ، وهي ميّ ، وسمي ذو الرمة ، وهو غيلان ، ان رآها يوماً فتعرّض اليها ، وبيده حبلٌ بالٍ لتعمل له نعله ، وكان قد انتقض ، وأراد بذلك الكلام معها ، فقالت له : اني خرقاء يا ذا الرمة ، أي لا احسن العمل ، والخرقاء التي لا تحسن العمل والصناع ضدها . والرمة : الحبل البالي . فجرى عليهما هذان الإسمان الى هذا اليوم .

وروينا من حديث الهاشمي يبلغ به النبي ﷺ انه قال :

كن في الدنيا كأنك غريب ، او عابر سبيل . واعدد نفسك في الموتى . وإذا اصبحت نفسك فلا تحدثها بالمساء ، وإذا أمسيت فلا تحدثها بالصباح . وخذ من صحتك لسقمك . ومن شبابك لهرمك ، ومن فراغك لشغلك ، ومن حياتك لوفاتك ، فإنك لا تدري ما اسمك غداً .

قال بعض الاعراب : الموت يقتحم على ابن آدم كإقتحام الشيب على الشباب ، ومن عرف الدنيا لم يفرح بها ، ولا بزخارفها ، ولم يحزن فيها على بلوى ، ولا طالب اغشم من الموت ، ومن عطف عليه الليل والنهار أردياه ، ومن وكل به الموت أفناه .

أصيب الحجاج بمصيبة وعنده رسول لعبد الملك بن مروان فقال : ليت اني وجدت انساناً يخفف مصيبتي ، فقال له الرسول : أأقول ؟ قال : قل ، قال : كل انسان مفارق صاحبه بموت او بصلب او بنار تقع عليه من فوق

البيت ، او يقع البيت عليه ، او يقع (١) في بئر ، او يغشى عليه ، او يكون شيء لا يعرفه . فضحك الحجاج وقال : مصيبتي في امير المؤمنين أعظم حين وجه مثلك رسولاً .

قال عبد الله بن المعتز : اهـل الدنيا كصور في صحيفة كلما نشر بعضها طوى بعضها . وقال ايضاً : اهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام ، ينظر هذا الى قول الآخر :

فسيرك يا هـذا كسير سفينة بقوم جلوس والقـلاع تطير

وقال الآخر : طلاق الدنيا مهر الجنـة . وسُئل اعرابي عن حال الدنيا فقال : هي جمة المصائب ، رتقة المشارب ، لا تمتع صاحباً بصاحب .

قال ابو الدرداء : ما أنصف الدنيا ، ذمّت بإساءة المسيء فيها ، ولم تحمد باحسان المحسن فيها . غير انه قـــال يوماً : من هوان الدنيا على الله انه لا يُعصى إلا فيها ، ولا ينال ما عنده إلا بتركها ، وهو الذي يقول فيها ايضاً : اذا أقبلت الدنيا على امرء أعارته محاسن غيره ، واذا أدبرت عنـــه سلبته محاسن نفسه .

وروينا من حديث الطفيل بن عامر العامري قـال : خرجت يوماً أريد الغارة ، وكنت رجلاً أحب الوحدة ، فبينما انا أسير اذ ضللت الطريق الذي أردت ، فسرت أياماً لا ادري أين التوجه حتى نفـذ زادي ، فجعلت آكل الحشيش ، وورق الشجر ، حتى أشرفت على الهلاك ، ويئست من الحيـاة ،

---

(١) نسخة : يسقط .

فبينما انا اسير ، اذ بصرت بقطيع غنم في ناحية من الطريق ، فملت اليها فاذ انا بشاب حسن الوجه فقال : يا ابن العم أين تريد ؟ فقلت : أردت حاجة في بعض المدن ، وما أحسست بنفسي إلا وقد ضللت عن الطريق . قال : اجل ، ان بينك وبين الطريق مسيرة ايام ، فانزل حتى تستريح ، وتطمئن وتريح نفسك ، وفرسك . فنزلت ، ورمى لدابتي حشيشاً ، وجاءني بتريد كثير ، ولبن ، ثم قام الى كبش فذبحه ، وأجّج ناراً ، وجعل يكبّب لي ، ويطعمني حتى اكتفيت . فلما جنّ الليل قام وفرش لي . ثم قال : قم فأرح نفسك ، فإن النوم أذهب لتعبك ، وأرجع لنفسك . فقمت ووضعت رأسي ، فبينما انا نائم اذ أقبلت جارية لم تر عيناي مثلها قط حسناً وجمالاً ، فقعدت الى الفتى ، وجعل كل واحد منهما يشكو الى صاحبه ما يلقى من الوجد به ، فامتنع عليّ النوم بحسن حديثهما . فلما كان في وقت السحر قامت ورجعت الى منزلها . فلما اصبحتُ دنوت منه ، فقلت له : من الرجل ؟ قال : انا فلان بن فلان فانتسب لي فعرفته ، فقلت : ويحك ان أباك لسيّد قومك ، وما حملك على وضع نفسك في هذا المكان ؟ فقال : أنا والله أخبرك ، كنت عاشقاً لابنة عمي هذه التي رأيتها ، وكانت هي ايضاً لي وامقة ، فشاع خبرنا في الناس ، فأتيت عمي ان يزوّجنيها ، فقال : والله يا بني ما سالت شططاً ، وما هي بأبرّ عنك ، ولكن الناس قد تحدثوا بشيء ، وعمك يكره المقالة القبيحة ، ولكن انظر غيرها في قومك حتى يقوم عمك بالواجب لك. فقلت : لا حاجة لي فيما ذكرت ، وتحمّلت عليه بجماعة من قومي فردّهم . وزوّجها رجلاً من ثقيف له رياسة ، وقدر ، فحملها الى ههنا ، وأشار بيده الى خيم كثيرة بالقرب منا ، فضاقت عليّ الارض برحبها ، وخرجت في اثرها ، فلما رأتني فرحت فرحاً شديداً ، فقلت لها : لا تخبري احداً بي منك بسبيل . ثم أتيت زوجها ، فقلت : انا رجل من الازد ، أصبت دماً ، واني خائف ،

وقد قصدتك لما يُعرف من رغبتك في اصطناع المعروف . ولي بصر بالغنم ، فإن رأيت ان تعطيني من غنمك فأكون في جوارك وكنفك فافعل . قال : نعم ، وكرامة ، فأعطاني مائة شاة ، وقال لي : لا تبعد بهـــا عن الحي ، وكانت ابنة عمي تخرج في كل ليلة في الوقت الذي رأيت ، وتنصرف ، فلما رأى حسن حال الغنم اعطاني هذه ، فرضيب من الدنيا بمـــا ترى . قال : فأقمت عنده اياماً، فبينما انا نائم اذ نبّهني وقال : يا اخا بني عامر ، قلت له: ما شأنك ؟ قال : ابنة عمي قد أبطأت ولم تكن هذه عادتها . وما أظن ذلك إلا لأمر حادث وأنشأ يقول :

ما بال ميّة لا تأتي لعـادتها هل هاجها طربٌ او صدّها شغلُ
لكن قلبي لا يغنيه غيركم حتى الممات ولا لي غيركم أمل
او تعلمين الذي بي من فراقكمُ لما اعتذرتِ ولا طالك بكِ العِلل
نفسي فداؤكِ قد أحللتِ بي حرقاً تكاد من حرّها الأنفاس تنفصل
لو كان غادية مني على جبل لزلّ وانهدّ من أركانه الجبل

قال الطفيل : فوالله ما اكتحل بغمض حتى انفجر عمود الصبح ، وقـام ومرّ نحو الحي ، فأبطأ عني ساعة ، ثم اقبل ومعه شيء يحمله ، وجعل يبكي عليه ، فقلت له : ما هذا ؟ فقال : هـذه ابنة عمي افترسها السبع ، فأكل بعضها ووضعها بالقرب مني فأوجع والله قلبي ، ثم تناول سيفه ، ومرّ نحو الحي فأبطأ هنيهة ، ثم اقبل اليّ وعلى عاتقه ليث كأنه حمار ، فقلت : ما هذا ؟ قال : صاحبي ، قلت : وكيف عملت به ؟ قال : اني قصدت الموضع الذي اصابها فيه ، وعلمت انـه سيعود الى ما فضل منها ، فجاء قاصداً الى ذلك الموضع، فعلمت انه هو فحملت عليه، فقتلته . ثم قام فحفر في الارض، فأمعن وأخرج ثوباً جديداً ، وقال : يا اخا بني عامر ، اذا انا مت فادرجني

معها في هذا الثوب . ثم ضعنا في هذه الحفرة ، وهلّ التراب علينا ، واكتب هذين البيتين على قبرنا :

كنا على ظهرها والعيش في مهل والدهر يجمعنا والدار والوطنُ
فخاننا الدهر في تفريق إلفتِنا فاليوم يجمعنا في بطنها الكفنُ

ثم التفتَ الى الاسد فقال :

ألا أيهـا الليثُ المدلّ بنفسه هُبلتَ لقد جرّت يداك لنا حزنا
وغادرتني فرداً وقد كنت آلفاً وصيّرت آفاق البلاد لنـا سجنا
أأصحب دهراً خانني بفراقهـا معاذ إلهي ان اكون له خدنا

وقال : يا أخا بني عامر ، اذا فرغت من شأننا ، فصح في إدبار هـذه الغنم ، فردّها الى صاحبها . ثم قام الى شجرة فاختنق حتى مات ، فقمت ، فأدرجتها في ذلك الثوب ، ووضعتهما في تلك الحفيرة ، وكتبت البيتـين على قبرهمـا ، ورددت الغنم على صاحبها . وسألني القوم عن الرجل ، فأخبرتهم الخبر، فخرج جماعة منهم فقالوا : والله لننحرنّ عليه تعظيماً له . فخرجوا ، وأخرجنا مائة ناقة ، وتسامع بنا الناس ، فاجتمعوا اليـنـا فنحرنا ثلاثمائة ناقة ، وانصرفنا .

كتب جعفر بن محمـد الأشعث الى يحيى بن خالد يستعفيه من العمل : شكري لك على ما اريد الخروج منه شكر من سأل الدخول فيه .

وحدثنا بعض الأدباء ، قال : كتب علي بن هشام الى اسحاق بن ابراهيم الموصلي : ما ادري كيف اصنع ؟ أغيبُ فاشتاق ، وألقى فـلا اشتفي . ثم يحدث لي اللقاء الذي طلبت منه الشفاء نوعاً من الحرقة للوعة الفرقة .

وحدثنا محمد بن سعيد: قال رجل من قريش لخالد بن صفوان: ما اسمك؟ قال : خالد بن صفوان بن الاهتم ، قال : ان اسمك لكذب ، ما انت بخالد ، وأن اباك لصفوان ، وهو حجر ، وأن جـــدك الاهتم ، والصحيح خير من الاهتم . قال له خالد : من أي قريش انت ؟ قـال : من عبد الدار بن قصي ابن كلاب ، قال : لقد هشمتك هاشم ، وأمتك أميّة ، وجمحت بك جمح ، وخزمتك مخزوم، واقتصتك قصيّ ، فجعلتك عبد دارها ، تفتح اذا دخلوا، وتغلق اذا خرجوا .

وحكي عن شهرام المروزي انه جرى بينـه وبين ابي مسلم صاحب الدولة كلام ، فما زال ابو مسلم يحاوره الى ان قال شهرام : يا لقطة .

فصمت ابو مسلم ، وندم شهرام على ما سبق به لسانه ، وأقبل معتذراً ، وخاضعاً، ومتنصلاً . فلما رأى ذلك ابو مسلم قال: لسان سبق، ووهم أخطأ، وإنمـــا الغضب شيطان ، والذنب لي ، لأني جرأتك على نفسي بطول احتمالي منك، فإن كنت متعمداً للذنب فقد شركتك فيه، وإن كنت مغلوباً فالعذر سبقك ، وقد غفرنا لك على كل حال .

قال شهرام : ايها الملك عفو مثلك لا يكون غروراً . قـــال : اجل . قال : وإن عظيم ذنبي ان تدع قلبي يسكن . وألحّ في الاعتذار . فقـال ابو مسلم : فيا عجباً كنت تسيء وأنا أحسن اليك ، فإذا أحسنت أسأت .

روينا عن بعض اخواننا من اهل الادب أن سليمان بنعبدالملك كان سبب موته أن استدعى يوماً الجارية التي كانت على خزانة ملابسه فقال لها : ائتيني اليوم بثياب صفر . فأتته بحلـّة صفراء ، وعمامة صفراء ، وطيلسان اصفر ،

من احسن ما يكون . فتنظّف ، ولبس ، وتطيّب ، واستدعى صاحبة الوجه، واستدعى بالمرآة ، فرأى وجهه وما عليه من البزّة الفاخرة ونضرة الملك ، فأعجبته نفسه ، وقال : والله لأخرجن اليوم على الناس، واصعد على المنبر ، واتكلم من احسن الكلام ، ما يليق بهذه الحالة .

وخرج يتبختر في مشيته زهواً وعجباً بنفسه ، فتعرضت له جارية يعرفها من جواريه ، فخدمت ، وسلمت ، وقالت : ما احسن هذه الحالة التي انت فيها ، لو تمّ ، ثم أنشدت :

ليس فيما بدا لنا منك عيبٌ عابَه الناسُ غير انك فانِ
أنتَ نعم المتاعُ لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للانسانِ

فقال لها سليمان : يا فلانة ، ما حملك على هذا في هذا الوقت ؟ وتغيّر عليه الحال . ثم انه اكذب نفسه ، وتحامل على عقله بهواه ، ومضى لوجهه ، حتى خرج على قومه في زينته، فأعجب الناس به ، وصعد المنبر، فحمد الله ، وأثنى عليه بصوت يستوي في سماعه اقصى من في المجلس ، وأدناه ، وأبلغ ، وأسهب فأعجب ، وأوجز فأعجز . فبينما هو في اطيب ما يكون من الكلام اخذته الحمى، فتحامل عليها ، فما زالت تخفض من صوته الى ان سقط مغشياً عليه . ثم أفاق ، فحمل الى منزله ورجلاه تخطّ في الارض ضعفاً ، وقوة من مرض. فلما دخل منزله استدعى الجارية التي تعرّضت له عند خروجه بالبيتين في صحن الدار، فحضرت بين يديه، فقال لها : يا فلانة أعيدي عليّ ما قلت عند خروجي . فقالت له : يا سيدي ما أعرف ما تقول ، والله ما تعرضت اليك ، وكيف اجرأ على التعرض اليك في صحن الدار وليست مرتبتي ؟ فعلم سليمان ان نفسه نعيت له ، فأوصى ، ولبث اياماً ومات .

مثل سائر :

أوفى من أمّ جميل ، وهي دوسية من قبيلة أبي هريرة رضي الله عنـه ، فذكر اهل الأدب من وفائهـا أن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ ، قتل رجلاً من الأزد ، فبلغ ذلك قومه بالسّراة ، فوثبوا على ضرار بن الخطاب الفهريّ ليقتلوه ، فعدا حتى دخل بيت أم جميل وعاذ بهـا ، فقامت في وجوههم ، ودَعَت قومها فمنعوه لها . فلمـا ولـّي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ظنت أم جميل انه أخو ضرار بن الخطاب ، فأتته بالمدينة . فلما انتسبت عرف القصة ، فقال : يا أم جميل لست بأخيه إلا في الإسلام ، وقد عرفنـا منـّتك عليه . فأعطاها على انها ابنة سبيل .

وأما وفاء السموءل بن عاديا ، فذكر اهل الأدب من وفائه ان امرء القيس ابن حجر لما اراد الخروج الى قيصر ، استودع السموءل دروعاً له ، فلما مات امرءُ القيس بابقرة ، غزا السموءل ملك من ملوك الشام ، فتخوّر منه السموءل ، فأخذ الملك ابناً له وصاح بـه : يا سموءل هذا ابنك في يدي ، وقـد علمت ان امرءَ القيس ابن عمي ، وأنا احق بميراثه ، فإن دفعت إليّ الدروع ، وإلا ذبحت ابنك ، قال : أجـّلني ، فأجـّله . فجمع أهل بيته ، فشاورهم ، فكلهم اشاروا بدفع الدروع ، وأن يستنقذ ابنه . فلما اصبح اشرف فقـال : ليس الى دفع الدروع سبيل ، فاصنع ما انت صانع . فذبح الملك ابنه وهو ينظر اليه ، وكان يهوديـاً . وانصرف الملك ، ووافى السموءل بالدروع الموسم ، فدفعها الى ورثة امرء القيس . وقال في ذلك شعراً :

وفيتُ بأدرع الكنديّ إني ... اذا ما خان أقوامٌ وفيتُ
وقالوا عنده كنز وعيبٌ ... ولا وأبيك اعذر ما مشيت
بنى لي عاديـاً حصناً حصيناً ... وبشراً كلما شئتُ استقيت

وفي ذلك يقول الأعشي :

كن كالسموأل إذ طاف الهمام به في عسكر كسواد الليل جرّارِ
خيّره خطّتا خسفٍ فقال له اخترْ وما فيهما حظ لمختار
فشكٌ غير بعيدٍ ثم قال له اذبح اسيرك اني مانعٌ جاري

وروينا من حديث الشعبي ، قال : قالت أم البنين ابنة عبد العزيز، وهي اخت امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، وكانت تحت الوليد ابن عبد الملك : لو كان البخل قميصاً ما لبسته ، او طريقاً ما سلكته . وكانت تعتق في كل يوم رقبة، وتحمل على فرسٍ في سبيل الله. وكانت تقول: البخل كل البخل من بخل على نفسه بالجنة .

أخبرني ابو القاسم البخاري ، قال : اخبرني ابو عبد الله الغزّال بالمرية ، قال : سمعت أبا العباس بن العريف الصنهاجيّ عارف وقته يقول : ليس السخي من يسخى بماله ، إنما السخي من يسخى بنفسه على العلم .

في الحكمة :

ثواب الجود : خلف ، ومحبة ، ومكافأة . وثواب البخل : حرمان ، وإتلاف ، ومذمة .

سئل الاسكندر : ما اكبر ما شيّدت به ملكك ؟ قال : ابتداري الى اصطناع الرجال ، والإحسان اليهم .

وكتب ارسطاطاليس : يا اسكندر اعلم ان الايام تأتي على كل شيء فتخلقه ، وتخلق آثاره ، وتميت الافعال ، إلا ما رسخ في قلوب الناس .

فأودع قلوبهم محبة أبدية تبقي بها حسن ذكرك ، وكريم أفعالك ، وشرف آثارك .

جاء الشاعر السبتي من قرطبة الينـا الى اشبيلية ، وكان صاحب الديوان بهـا ابو عبد الله بن تاكفت رحمه الله فلم يجد من ينزله ، فكتب الى صاحب الديوان أبياتاً :

أتجعـل بالفرزدق والكميتِ وفي قيد الحيا شعرُ السبتي
يُروّعني بشعرهمـا أناسٌ وجهلاً روّعوا حياً بميتِ
لئن أسكنتني بيتاً رفيعاً لتسكن من ثنائي الف بيت

فأمر له صاحب الديوان بمنزله ، ونزل وأخصب عليه . فلقيته فسألته فشكر حاله .

حكمة :

قال ابراهيم عليه السلام : « واجعل لي لسان صدقٍ في الآخرين » قالوا : الثناء الحسن .

لما قُدّم بزرجمهر الى القتل قيل له : انك في آخر وقت من اوقات الدنيا ، وأول وقت من اوقات الآخرة ، فتكلم بكلام تُذكر به . فقال : أي شيء اقول ؟ الكلام كثير ، ولكن ان امكنك ان تكون حديثاً حسناً فافعل .

وأنشدنا بعض اخواننا قـال : أنشدنا ابو القاسم بن فيرة الشاطبي قـال : انشدنا ابو العباس احمد بن مسعود القيسي قال : انشدنا ابو عامر بن حبيب ، عن ابي الحسن بن مفوز ، عن ابي عمر بن عبد البرّ ، عن عبيدالله بن عبدالرحمن ابن الفرضي لنفسه :

ما يشتهي قربَ السلاطين ... غير ضعيف العقل مغبونِ
لا تكذبن عنهم فما َصحبهمُ ... منهم على دنيـا ولا دين
دنياهمُ بالِخزي موصولةٌ ... فـلا تسل عن دين مفتون
لا رأي لي في نيل ُدنياهم ... حسبي بأن يسلم لي ديني

أخبرني بعض الحكماء قـال : شكى رجل الى أياس بن معاوية كثرة ما يهب ، ويصل به الناس ، وينفق . فقـال : ان النفقة داعية الرزق . وكان جالساً على باب فقال للرجل : اغلق هذا الباب ، فأغلقه، فقال : هل يدخل فيه الريح ؟ قـال : لا . قال : فافتحه ، ففتحه ، فجعلت الرياح تخترق في البيت . فقـــال : هكذا الرزق ، أغلقت فلم يدخل الريح ، فكذلك اذا أمسكت لم يأتك الرزق .

حدثنا بعض شيوخنا قال : تنازع في الضيافة رجل عربي وآخر فارسي ، فقال الاعرابي : نحن أقرى للضيف . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأن احدنا لا يملك إلا بعيراً ، فاذا حلّ بـــه ضيف نحره له . فقال الفارسي : فنحن احسن مذهباً في القرى منكم . قال : وما ذاك ؟ قال : نحن نسمي الضيف مِهمان ومعناه انه اكبر من في المنزل والمكان .

اخبرنا عبد الرحمن بن ميمون ، انا ابو القاسم الرعيني قـال : كان شيخنا ابو محمد عليم بن هانىء العُمري من أشدّ النـــاس انقباضاً عن اهل الدنيا ، وكان كثيراً ما ينشد الأبيات المنسوبة الى الفقيه الامام يونس بن مغيث :

أقرُّ اليك من ظلمي لنفسي ... وسلـّمني العبيد وأنت أنسي
لقاؤك مأملي وبك افتخاري ... وذكرك في الدُّجى قمري وشمسي

قصدت اليك منقطعاً غريباً لتؤنس وحدتي في قعر رمسي
وللعُظمى من الحاجات عندي قصدت وأنت تعلم سرّ نفسي

قال الشاطبي : ودخلتُ عليه رضي الله عنه عقيب عيد الفطر فقال لي : مرَّ عليّ أمس بعض الامراء في مركب فاخر وملبس باهر والنـاس يغبطونه بذلك . فقلت أبياتاً وهي :

محالاتٌ تجرُّ الى محـالِ وأحوال تحول بكل حـالِ
ملابس قـد تُبدّل ثم تُبلى وأجسامٌ تؤول الى اضمحال
فناءٌ عاجل لو يقض مرّت وكل اقامة تالي ارتحـال
فما المغبوط من ركب المطايا بعزّ او تسربل في الجمـال
ولكنّ المغبّط من تردّى بثوب الذلّ رهبة ذي الجلال
فإن شئت البقـاء بلا نفادٍ وعزٍّ لا يكدّر بالزوال
فمُتْ حياً تعش حياً وميتاً وتنعم بالكواعب في الظلال
وقم في الليل ويحك مستكنـاً وقل يا سيّدي اسمع مقالي
حيـاتي في الذي تدري وموتي وجود الهجر من بعـد الوصال
فنائي في بقائي لي بقـاء وأن يفنى فنائي لا ابالي
اجرني أن أرى نفسي أعذني حبيبي أن يخيّل لي خيالي
وجد بالجدّ ويحك في جهاد وبع ما شئت مبخوساً بغالي

قال الشاطبي : كان سبب موت هـذا السيد انه اضطرّ الى الاجتماع بالسلطان في نازلة نزلت به ، فسار اليه ، فلما جاء البلد الذي السلطان فيه ، خلا بنفسه في ليلة جمعة ، فصلى بسورة فيها سجدة ، فلما سجد سأل ربـه الموت ، ولا يجتمع بالسلطان ، فانقطع كلامه وهو ساجد، فرفع وهو كذلك

فلبث يومين وهو لا يتكلم ، ومات . وكان هذا الشيخ قد نهبت داره، فجعل يبكي ، فاجتمع اليه الفقهاء ، والادباء ، يصبرونه ، ويهوّنون عليه ما جرى . فقال لهم : ما ابكي لما جرى من ذهاب الدنيا، لكن فيما رويت عن النبي ﷺ انه قال :

ما استخف قومٌ بعالمهم وانتهكوا حرمته إلا سُلط عليهم العدو . وتوفي الشيخ من عامــــه كما ذكرنا ، وسُلط العدو على البلد في العام الذي بعده ، فأخذهم شر أخذه ، وبقوا حديثاً شنيعاً على وجه الدهور . على انه كان لهم عدد عظيم ، ومدد جسيم ، فلم يغن عنهم ذلك شيئاً ، وظهر فيهم ما ذكره الشيخ رضي الله عنه .

ما جاء في صورة جبريل التي خلق عليها :

قالت عائشة رضي الله عنها : في قوله تعالى « ولقــد رآه نزلة اخرى » قالت : رأى جبريل في الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح .

روينا من حديث اسحاق بن بشر القرشي، عن ابن جريج، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام :

إني أحب أن أراك في صورتك التي تكون عليها في السماء . قــال : لن تقوى على ذلك. قال : بلى. قال : فأين تشاء أن أتمثل لك ؟ قال : بالابطح. قال : لا يسعني ، قال : بمنىً . قال : لا تسعني ، قال : بعرفات ، فواعد ، فخرج النبي عليه السلام للوقت ، فإذا هو بجبريل قد أقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملأ ما بين المشرق والمغرب، ورأسه في السماء ، ورجلاه في الارض . فلما رآه النبي عليه السلام خرّ مغشياً عليه قال: فتحوّل جبريل

في صورته التي عهده عليها ، فضمه الى صدره وقال له : يا محمد لا تخف أنا اخوك جبريل . فلما افاق قال : يا جبريل مـا ظننت ان الله في السماء خلقاً يشبهك . فقال : يا محمد فكيف لو رأيت إسرافيل ورأسه من تحت العرش ، ورجلاه في التخوم السابعة ، وإن العرش على كاهله ، وإنـه ليتضاءل احياداً من مخافـة الله تعالى حتى يصير مثل الوضع ، حتى لا يحمل عرش ربك إلا عظمته تبارك وتعـالى لوضع الطير الصغير الذي يصبح في القائلة ، وتسميه العامة الاغزال ، والجفالة ؟

انتشار ولد اسمعيل وعبادتهم الحجارة :

روينا من حديث ابي الوليد عن جده ، عن ابي سالم ، عـن ابن اسحاق إن بني اسمعيل وجرهم من ساكني مكة ضاقت عليهم مكة ، فتفسحوا في البلاد ، والتمسوا المعاش ، فيزعمون ان اول مـا كانت عبادة الحجارة في بني اسمعيل، انه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم إلا احتملوا معهم من حجارة الحرم ، تعظمياً للحرم ، وصيانة بمكة ، وبالكعبة . حيثما حـلوا وضعوه ، فطافوا به كالطواف، حتى سُلخ ذلك بهم الى ان كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة . وأعجبهم من حجارة الحرم خاصة حتى خلفت الخلوف بعـد الخلوف ، ونسوا مـا كانوا عليه ، واستبدلوا بدين ابراهيم ، واسمعيل عليهما السلام غيره . فعبدوا الاوثان ، وصاروا الى مـا كانت عليه الامم من قبلهم من الضلالة ، وانتحوا ما كان يعبد قوم نوح منها ، على أثر ما كان بقي فيهم من ذكرها وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم ، واسمعيل ، يتمسكون بها من تعظيم البيت ، والطواف بـه ، والحج ، والعمرة ، والوقوف على عرفة والمزدلفة ، وهدى البدن ، والاهلال بالحج ، والعمرة ، مع ادخالهم فيه مـا ليس منه .

ومن منظومات الشبلي في يوم عيد ، مـــا رويناه من حديث ابن باكوية قال : أنشدني ابو عمرة الحسن الحنظلي قال : سمعت الشبلي ينشد يوم العيد :

ليس عيد المحب قصد المصلى وانتظار الجيوش والسلطان
إنمـــا العيدُ ان تكون لذي الحب كريماً مُقرّباً في الأمانِ

وله في ذلك :

عيدي مقيمٌ وعيد الناس منصرف والقلب مني عن اللذات منحرفُ
ولي قرينان مالي منهما خلفٌ طول الحنين وعيني دمعها يكف

وله في ذلك :

اذا ما كنتَ لي عيداً فمـــا أصنع بالعيدِ
جرى حبُّك في قلبي كجري الماء في العود

وحدّثنا يونس بن يحيى قـال : انا ابن منصور ، عن الحميدي ، عن ابي بكر الاردستاني ، عن السلمي قال : سمعت عبد الله بن محمد الدمشقي يقول : سمعت الشبلي ينشد يوم عيد ، ولا ادري لنفسه ام لغيره :

الناس في العيد قد سرّوا وقد فرحوا وما سررت به والواحـد الصمدِ
لمـــا تيقنتُ أنيّ لا أعاينكم غمّضت طرفي فلم أنظر الى أحد

وحدّثنا عبد الرحمن بن محمد بن عبد الباقي ، نبأ هنّـا قال : سمعت محمد ابن القاسم يقول : كان الشبلي ينوح يوم العيد ، ويصيح ، وعليه ثياب سود ، وزرق ، فاجتمع الناس اليه ، فسألوه عن حاله فقال :

تزين الناس يوم العيد للعيدِ وقد لبستُ ثياب الزرق والسودِ
وأصبح الكل مسروراً بعيدهم ورحتُ فيكم على نوح وتعديد
والناس في فرحٍ والقلب في ترحٍ شتّان بيني وبين الناس في العيد

وحدثنا يونس بن يحيى قال : انا ابن ناصر ، حدثنا ابو الثناء محمود بن ابي المظفّر قال : حدثنا ابن خميس قال: انا الحميدي قال: انا ابو بكر الاردستاني قال : انا السلمي قال : سمعت عبد الله بن ابراهيم بن العلاء يقول : قال رجل لأبي علي الروذبادي : غداً العيد ، فعيّر من زينتك ، فأنشد [1] يقول :

قالوا غداً العيدُ ما أنت لابسه فقلت خلعة ساق حبّه جزعا
فقر وضرّهما ثوبان تحتهما قلب يرى إلفه الاعياد والجمعا
أحرى الملابس ان تلقى الحبيب بها يوم التزاور في الثوب الذي خلعا
الدهر لي مأتم ان غبت يا أملي والعيد ما كنت لي مرأى ومستمعا

خبر هبل الصنم الذي كان بالكعبة :

روينا من حديث هشام ، وابن اسحاق ، ان عمرو بن لحيّ خرج من مكة الى الشام في بعض امور ،فلما قدم مأت من ارض البلقا ، وبها يومئذ العماليق ، رآهم يعبدون الأصنام . فقال لهم : ما هــذه الأصنام التي أراكم تعبدون ؟ قالوا : هذه اصنام نعبدها ، فنستمطرها ، فتمطرنا ، ونستنصرها ، فتنصرنا، فقال لهم : أفـلا تعطوني منها صنماً فأسير به الى ارض المغرب فيعبدونه ؟

---

(١) نسخة : فأنشا .

فأعطوه صنماً يقال له : هبل ، بفتح الهـاء ، فقدم به مكة اه. حديث ابن هشام قال ابن اسحاق : فقدم بصنم يقال له هُبل بضم الهاء من هيت من ارض الجزيرة لم يكن من اهل البلقـاء ، وهو أصح . وكان هبل من اعظم اصنام قريش عندها . فنصبه على البئر التي كانت في بطن الكعبة ، وأمر النـاس بعبادته . وكانت هذه البئر في جوف الكعبة على يمين مَن دخلها ، عمقها ثلاثة أذرع ، حفرها ابراهيم ، واسماعيل ، عليهما السلام ، ليكون فيها ما يهدى الى الكعبة ، وكانت تسمى الاخسف . وكان عنـد هبل في الكعبة سبعة قِداح ، كل قدح منها ، فيه كتاب ، قدح فيه العقل اذا اختلفوا في العقل ، من يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة عليهم ، فعلى من خرج حمله ، وقدح فيه نعم الامر الذي أرادوه يضرب بـه في القداح ، فإن خرج قدح فيه ، نعم عملوا ، وقدح فيه لا . فاذا أرادوا الامر ضربوا به في القداح ، فاذا خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الامر . وقـدح فيه منكم ، وقـدح فيه ملصق ، وقدح فيه من غيركم ، وقدح فيه المياه . فاذا أرادوا ان يحفروا المياه ضربوا بالقداح ، وفيها ذلك القدح ، فحيث ما خرجوا به عملوا بـه . وكانوا اذا أرادوا ان يختتنوا غلاماً ، وينكحوا جارية ، ويدفنوا ميتاً ، او شكّوا في نسب احد منهم ، ذهبوا به الى هبل ، ومائة درهم جزر ، فأعطوها صاحب القداح الذي يضرب بها . ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون . ثم قالوا : يا إلهنا هذا فلان أردنا به كذا وكذا فأخرج الحق فيه . ثم يقولون لصاحب القداح : اضرب فان خرج منكم كان منهم وسطاً ، وان خرج عليه من غيركم كان حليفاً ، وان خرج عليه ملصق كان ملصقاً على منزلته فيهم لا بسبب له ولا حلف . وان خرج عليه شيء مما سوى هذا مما يعملون به نعم ، عملوا به ، وان خرج لا . أخّروه عامه ذلك ، حتى يأتوا به مرة اخرى ، ينتهون في امرهم ذلك الى ما خرجت به القداح .

قال ابن اسحاق : وكان هبل من خرز العقيق على صورة انسان . وكانت يده اليمنى مكسورة ، فأدركته قريش، فجعلت له يداً من ذهب . وكانت له خزانة للقربات . وكانت له سبعة قداح يضربُ بهـا على الميت ، والعذرة ، والنكاح . وكان قربانه مائة بعير . وكان له حاجب . وكانوا اذا جـاؤا هبل بالقربان ضربوا بالقداح وقالوا :

إنا اختلفنا فهب السَّراحا   ثلاثـة يا هبل فصاحا
الميتُ والعُذرة والنكاحا   والمبرىء المريض والصحاحا
إن لم تقله فمن القداحا

روينا من حديث احمد بن مروان ، عن محمـد بن عبد العزيز الدينوري ، عن احمد بن ابي الحواريّ ، عن ابي سليمان الداراني ، قال : قلت لراهب : يا راهب ، أي يوم أسرّ اليك ؟ قال : يومٌ لا أعصى الله عز وجل فيه .

روينـا من حديث ابي ابن الدنيا ، عن محمد بن عمرو المالكي ، عن سفيان ابن عيينة ، عن ادريس بن يزيد ، عن سعيد بن ابي بردة بن ابي موسى ، عن ابيه ، قـال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : مَن خلصت نيته ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس .

وروينا من حديثه أيضاً عن يحيى بن يوسف ، عن ابي معـاوية ، عن عبد الرحمن بن زيد ، قال : كان ابي يقول : يا بنيّ انوفي كل شيء تريد الخير، حتى خروجك الى الكناسة في حاجة .

وروينا من حديث الدينوري في كفارة الغيبة . قال : نبـأ ابو جعفر حمدان بن علي ، نبأ محمد بن علي الخزاعي، نبأ عنبسة بن عبدالرحمن القرشيّ ،

عن خالد بن يزيد المدني ، عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال : كفارة الاغتياب أن تستغفر لمن اغتبته .

وروينا من حديثه ايضاً في أحب العباد الى الله تعالى ، قال : حدثنا محمد ابن غالب، حدثني اسحاق بن كعب مولى ابن هشام ، نبأ عبد الحميد بن سليمان الازرق ، عن سكين بن أبي سراج ، عن عبد الله بن دينار ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس ان رجلاً أتى رسول الله ﷺ ، فقال : أي العباد أحبهم الى الله عز وجل ؟ قال : أنصفهم للناس ، وأن من أحب الأعمال الى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم ، او تكشف عنه كربة ، او تقضي عنه ديناً ، او تسدّ عنه جوعة ، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من اعتكاف شهرين في المسجد ، ومَن كفّ غضبه سَتر الله عورته ، ومن كظم غيظه ولو شاء ان يُمضيه لأمضاه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً ، ومن مشى مع أخ له في حاجة حتى يُثبتها ثبّت الله قدمه يوم تزلّ الأقدام .

وروينا من حديثه ايضاً ، قال: نبأ احمد بن محمد البراء ، نبأ عبد المنعم، عن ابيه ، عن وهب بن منبّه ، قال : لما ضربت الدراهم ، والدنانير ، حملها ابليس ، وقال : سلاحي ، وقرّة عيني ، وثمرة قلبي ، بكما أطغي ، وبكما اكفـّر بني آدم ، وبكما تستوجب النار بنو آدم حسبي .

قال وهب : فالويل ثم الويل لمن آثرهما على طاعة الله عز وجل .

حدثنا عبد الرحمن بن علي، نبأ أبو المعتز الانصاري، أن جعفر بن احمد، نبأ ابو محمد الخلال ، نبأ احمد بن محمد بن القاسم الرازي ، نبأ احمد بن محمد الجوهري ، نبأ ابراهيم بن سهل المدائني ، حدثني سيف بن جابر القاضي ، عن وكيع ، قال : قال لي أبو حنيفة النعمان بن ثابت : أخطأت في خمسة

ابواب من المناسك ، فعلمنيها حجّام ، وذلك اني حين اردت ان احلق رأسي وقفتُ على حجّام ، فقلت : بكم تحلق رأسي؟ فقال : أعراقيّ انت ؟ قلت : نعم . قال : النسُك لا تشارُط عليه، اجلس . فجلست منحرفاً عن القبلة . فقال لي : حوّل وجهك الى القبلة ، فحوّلته ، وأردت ان احلق رأسي من الجانب الأيسر، فقال : أدر الشقّ الأيمن من رأسك ، فأدرته ، فجعل يحلق وأنا ساكت ، فقال لي : كبّر ، فجعلت اكبر حتى قمت لأذهب ، فقال لي : أين تريد ؟ قلت : رحلي ، قال لي : صلّ ركعتين ، ثم امض ، قلت : ما ينبغي أن يكون ما رأيت من عقل هذا الحجام إلا ومعه علم ، فقلت له: من أين لك ما امرتني به ؟ فقال : رأيت عطاء بن رباح يفعل هذا .

ومن باب الاجواد والهمم العالية :

ما حدثنا محمد بن اسمعيل ، نبأ ابو الفرج ، نبأ عبد الله ، أنا المبارك بن عبد الجبار ، نبأ الحسين بن محمد ، أنا ابن سويد ، نبأ ابن الانباري ، حدثني ابي ، عن المغيرة بن محمد بن عبد الرحمن ، عن سحيم بن حفص ، عن ابيه قال : حج يزيد بن المهلب ، فطلب حلّاقاً يحلق رأسه ، فجاء فحلق رأسه ، فأمر له بألف درهم ، فتحير الحلّاق ، ودهش ، وقال : هذه الألف لي امضي الى امي فلانة ابشرها . فقال : اعطوه ألفاً اخرى . قال الحلاق : امرأته طالق ان حلق رأس احدٍ بعدك . فقال : اعطوه الفين آخرين .

حدثنا يونس بن يحيى قال : حدثنا ابن ناصر ، نبأ المبارك بن عبد الجبار نبأ ابو طالب العشاري ، نبأ ابن اخي تيمي ، نبأ ابو بكر القرشي ، نبأ عيسى بن عبد الله التميمي ، نبأ ابن ادريس ، حدثني ابي، عن وهب بن سنبه قال : كان يلتقي هو والحسن البصري في الموسم كل عام في مسجد الخيف ،

إذا هدأت الرجل ، ونامت العين ، ومعهما جلّاس لهما يتحدثون معهما . فبينما همـــا يتحدثان ذات ليلة مع جلسائهما إذ أقبل طائر له خفيق حتى وقع الى جانب وهب في الحلقة ، فسلم فردّ عليه السلام ، وعلم إنـــه من الجن فقال وهب : من الرجل ؟ قال : من الجن من مسلميهم قال : فما حاجتك ؟ قال : وتنكر أن نجالسكم ، ونحمل عنكم ، ان لكم فينا رواة كثيرة . وإنا لحاضركم في اشياء كثيرة من صلاة ، وجهاد ، وحج وعمرة ، ونحمل عنكم العلم . قـــال وهب : فأي رواة الجن عندكم أفضل ؟ قال : رواة الشيخ وأشار الى الحسن رضي الله عنه .

ومن شعر علي بن افلح في الخيف :

هــذه الخيف وهاتيك منى	فترفق أيهـــا الحادي بنا
وأحبس الركب علينا ساعة	نندبُ الركب[1] ونبكي الدمنا
فـــلذا الموقف اعددنا البكا	ولذا اليـــوم دموع تقتنا
زمناً كان وكنا جـــيرة	يا اعـــاد الله ذاك الزمنا
بيننا يوم اثيلات النقـــا	كان من غـــير تراضٍ بيننا

واقعة لبعض الفقراء :

حدثني عبدالله بن الاستاذ المروزي بأشبيلية بالخفاقين بدار محمد اليشكري الناسخ قال : كنت بجـــاية في خدمة شيخنا ابي مدين فقال له ابو طالب : اخبرني عن سر حياتك . فقال ابو مدين : بسر حياته ظهرت حياتي . وبنور

---

(١) نسخة : الربـع .

صفاته استنارت صفاتي . وفي توحيده أفنيت همت . وبديمومته دامت محبتي فسر التوحيد في قوله : لا إله إلا الله . أنا والوجود بأسره حرف جاء لمعنى. فبالمعاني ظهرت الحروف . وبصفاته اتصف كل موصوف ، وبائتلافـه ائتلف كل مألوف ، فمصنوعاته محكمة ، ومخلوقاته مسلمة ، لأنه صانعها ، ومظهرها منه مبدأها ، واليه مرجعها كما اظهرها ذرّاً ، ثم تلى «الست بربكم قالوا بلى» هو يا ابا طالب لوجوده المحرك ، والناطق الممسك ، ان نظرت يا أبا طالب بالحقيقة تلاشت الخليقة ، الوجود به قائم ، وأمره في مملكته دائم ، وحكمه في وجوده عام . حكم الارواح في الاجسام ، فالحواس بـه بانت على اختلاف أنواعها ، اللسان منها للبيان ، وهو مع ذلك لا يشغله شأن عن شأن .

يا أبا طالب لمـا امدني بسره ، غرف فؤادي من بحره ، فامتلأ وجودي نوراً ، وأثمر غيبة وحضوراً ، وسقيتُ شراباً طهوراً ، ففني مـا كان باطلا وزوراً ، فغشيت أنواره اخلاقي ، ونظرت الى الباقي بالباقي .

ثم قال : هو الموصوف بالقدم ، ومخترع الوجود من العدم ، بنور جـلاله أشرقت الظلم ، وهو ولي الكرم « الذي عـلّم بالقلم عـلّم الانسان مـا لم يعلم » وصلى الله على سيدنا محمد سراج الظلم .

وروينا من حديث ابن باكوية ، عن احمـد بن عبد الله بن عبد المؤمن ، نبأ اسمعيل بن القاسم ، نبأ عبد الله بن مبيوية ، عن عبد الرحيم الدبيلي ، عن عثمان بن عمارة قال : وردت الحجر مرة فإذا انا بمحمد بن ثوبان ، وابراهيم بن أدهم ، وعبّاد المنفري ، وهم يتكلمون بكلام لا أعقله ، فقلت لهم : رحمـكم الله ، بي شأن كما تروني ، اصوم النهار ، واقوم الليل ، وأحجّ سنة ، وأغزو سنة ، ما أرى في نفسي زيادة ، فشغل القوم عني، حتى ظننت انهم لم يفهموا

كلامي . ثم كانت من واحد منهم التفاتة فقال : يا غلام ان هم القوم لم يكن في كثرة الصلاة والصوم ، وإنما كان هم القوم في نفاذ الابصار حتى ابصروا .

وروينا من حديث ابن باكوية أيضاً ، عن عيسى بن عمر ، عن احمد بن محمد القرشي ، عن ابراهيم بن عيسى ، عن موسى بن عبد الملك المروزي قال: قال مالك بن دينار : بينما انا اطوف بالبيت إذا أنا بإمرأة في الحجر قد رفعت صوتها ، واستغرقت في حالها ، مناجية ربها، وهي تقول : اتيتك من شقة بعيدة ، مؤملة لمعروفك ، فأنلني معروفاً من معروفك تغنيني به عن معروف من سواك ، يا معروفاً بالمعروف ، فعرفت ايوب السختياني فسألنا عن منزلها ، وقصدناها وسلمنا عليها ، فقال لها ايوب : قولي خيراً يرحمك الله ، قالت : وما اقول ؟ اشكو الى الله قلبي ، وهواي ، قد اضرّا بي ، وشغلاني عن عبادة ربي . قوماً فإني ابادر طي صحيفتي . قال ايوب : فما حدّثت نفسي بإمرأة قبلها، فقلت لها : لو تزوجت رجلاً يعينك على ما انت فيه . قالت : لو كان مالك بن دينار، وايوب السختياني، ما اردته . فقلت: أنا مالك بن دينار ، وهذا ايوب السختياني. فقالت : أفٍ لكما ، لقد ظننت انه يشغلكما ذكر الله عن محادثة النساء . وأقبلت على صلاتها ، فسألنا عنها ، فقالوا : هذه ملكية بنت المنكدر .

ومن حسن الخطاب :

ما قال ابو وجرة الاسلمي حين قدم على المهلب ابي صفرة : اصلح الله الامير اني قطعت اليك الدهناء ، وضربت اليك آباط الإبل من يثرب . قال له المهلب: فهل أتيتنا بوسيلة او عشيرة ، او قرابة ؟ قال: لا، ولكني رأيتك

لحاجتي اهلاً ، فإن قمت بها ، فأنت اهل لذلك ، وأن يحل دونها حائل ، لم أذمم يومك ، ولم إيأس من غدك .

قال المهلب : يعطى ما في بيت المال، فوجد فيه مائة الف درهم، فدفعت اليه ، فأخذها وقال :

يا من على الجود صاغ الله راحته فليس يحسن غير البذل والجودِ
عمت عطاياك من بالشرق قاطبة فأنت والجود منحوتان من عود

وفي هذا المجرى قوله :

تشبّ لمقرورين يصطليانها وبات على النـار الندى والمحلق
رضيعيّ لبان ثديٍ ام تحالفا باسجم داج عوض لا يتفرق

روينا من حديث عمرو قال :

دخل ابو علقمة النحوي على أعـين الطبيب ، وكان يستعمل الحواشي من الكلام ، فقال له : اني اجـد معمعة في قلبي ، وقرقرة في بطني ، فقال له الطبيب : أما المعمعة فلا اعرفها ، وأما القرقرة فهي ضراط غير نضيج .

وروينا من حديثه قال : قـال كعب القيسي لعروة بن الزبير ، اذنبت ذنباً للوليد بن عبد الملك ، فاكتب اليه : لو لم يكن لكعب من قديم حرمة ما يغفر له عظيم جريرته ، لوجب أن لا تحرمه التفيؤ بظل عفوك الذي تأمله القلوب ، ولا تتعلق به الذنوب ، وقد استشفع بي اليك ، فوثقت له منك ، بعفو لا يخلطه سخط ، فحقق امـله فيّ ، وصدق نفسي فيك ، تجد الشكر وافياً بالنعمة .

فكتب الوليد : قد شكرت رغبته اليك ، وعفوت عنه لمموله عليك ، وله عندي ما يحب ، فلا تقطع كتبك عني في امثاله في سائر امورك .

روينا من حديث ابي ودعان، قال: نبأ علي بن محمد، عن علي بن القاسم، عن اسماعيل بن محمد ، عن عبد الله بن روح ، عن شبابة ، عن بزرجر ، عن القاسم بن عبد الرحمن، قال : سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنمـا انتم خلفُ ماضين ، وبقية متقدّمين ، كانوا اكثر منكم بسطة ، وأعظم سطوة ، ازعجوا عنها ، اسكن مـا كانوا اليها ، وغدرت بهم اوثق ما كانوا بها ، فلم تغنِ عنهم قوة عشيرة ، ولا ُقبل منهم بدل فدية ، فارحلوا انفسكم بزاد مبلغ قبل أن تؤخَذوا على فجأة ، وقـد غفلتم عن الاستعداد ، ولا يغني الندم ، وقد جفّ القلم .

قال ابو حازم :

طالبة ، ومطلوبة : طالب الدنيا ، يطلبه الموت حتى يخرجه . وطالب الآخرة ، تطلبه الدنيا حتى توفيه رزقه .

روينا عن الحسن البصري انه قال: بينا انا أطوف إذ انا بعجوز متعبدة، فقلت : من انتِ ؟ قالت: من بنات ملوك غسان . قلت: فمن أين طعامك؟ قالت : اذا كان آخر النهار جاءتني امرأة مزيّنة فتضع بين يديّ كوزاً من ماء ورغيفين . قلت لها: أتعرفينها ؟ قالت: اللهم لا. قلت لها : هي الدنيا، خدمتِ ربك عز ذكره ، فبعثها اليك لتخدمك .

وحدثني بعض العارفين ، عن الشيخ العـارف الكبير أبي عبد الله الغزالي الذي كان بالمرية من أقران أبي مدين ، وأبي عبد الله الهواري ، وأبي يَعزى ،

وأبي شعيب السارية ، وأبي الفضل السكري ، وأبي النجار ، وتلك الطبقة ، قال أبو عبد الله: كان يحضر مجلس شيخنا أبي العباس بن العريف الصنهاجي، وهو آخر من ظهر من المؤدبين في هذه الطريقة رجل لا يتكلم ، فـإذا فرغ الشيخ، خرج، فوقع في قلبي منه شيء احببتُ ان اعرفه، وأعرف موضعه ، وتبعته عشية يوم بعد انفصالنا من مجلس الشيخ من حيث لا يشعر بي . فلما كان في بعض سكك المدينة، يعني المرية ، واذا بشخص قد تلقاه من الهواء، وانقضّ عليه انقضاض الطائر، بيده رغيف حسنٌ ، فتناوله منه ، وانصرف عنـه ، فجذبته من خلفه وقلت له : السلام عليك ، فعرفني فردّ السلام ، فقلت له : مَن هـذا الشخص عافاك الله الذي ناولك الرغيف ؟ فتوقف ، فأقسمت عليه ، فقال : يا هذا ، هذا ملك الأرزاق يأتيني كل يوم بما قدّر لي من الرزق حيث كنت من ارضَ ربي .

ومرّ زياد بن أمية مع أبيه بالحيرة ، فنظر الى دير ، فقال لخادمه : لمن هـذا ؟ فقال : دير حرقة بنت النعمان بن المنذر ، فقال : ميلوا بنـا اليه لنسمع كلامها . فجاءت ، فوقفت خلف الباب ، فكلمها الخادم ، فقال لها : كلمي الامير . قالت : اوجز أم اطيل ؟ قال : بل اوجزي . قالت : كنا اهل بيتٍ طلعت الشمس علينا ، وما على الارض احد اعزّ منا ، فما غابت تلك الشمس حتى رحمنا عدوّنا . قال : فأمر لها بأوساق من شعير، فقالت : اطعمتك يد شبعاء جاعت ، ولا اطعمتك يد جوعاء شبعت . فسرّ زيـاد بكلامها . فقال لشاعر معه : قيّد هذا الكلام ، لايدرس . فقال :

سَل الخيرَ اهل الخير قدماً ولا تسل فتىً ذاق طعْمَ الخير منذ قريبِ

قيل للخنساء : صفي لنـا صخراً . قالت : كان قطر السّنة الغبراء ،

ودعاف الكتيبة الحمراء . قيل : فمعاوية ؟ قالت : كان حيًا الجدب اذا نزل، وقرى الضيف اذا حلّ . قيل : فأيها كان عليك أحنى ؟ قالت : اما صخر فسقام الجسد ، وأما معاوية فجمرة الكبد ، وأنشدت :

أسدان محمرّا المخالبِ نجـدة غيثان في الزمن الغضوب الأعسرِ
قمران في النادي رفيعا محتدٍ في المجد فرعا سؤددٍ متخيّرِ

عرض رجلٌ بليلى الاخيليّة من قومها ، فقال :

ألا حيّيا ليلى وقولا لهـا هلا فقد ركبَتْ طرفاً أغرَّ محجّلا

فأجابته هـ :

تعيّرني داءً بأمّك مثـلهُ وأي جوادٍ لا يقالُ له هلا

روى لنا ابو عبد الله محمد بن زرقون أن ليلى الاخيلية دخلت يومـاً على عبد الملك بن مروان ، فقال لها : يا ليلى ، هل بقي في قلبك من حب ثوبة فتى الفتيان شيء ؟ قالت : يا امير المؤمنين وكيف انساه وهو الذي يقول :

ولو أن ليلى في ذرى متمنّع بنجران لالتفّتْ على قصورها
حمـامة يطن الواديين ترنمي سقاكِ من الغرّ الغوادي مطيرها
أبيني لنا لا زال ريشكِ ناعمـاً وبيضك في خضراء غض نضيرها
تقول رجـال لا يَضرُّك نأيها بلى كل ما شفّ النفوس يضيرها
أيذهبُ ريعان الشباب ولم أزرْ كواعب في همدان بيض نحُورُها

قال : عمرُكِ الله ان تذكريه .

روينا ، عن بعض الادباء ببلادنا ، ان غانمة بنت عامر بلغها في زمان معاوية ثلب بني أمية بني هاشم وهي بمكة ، فقالت لأهل مكة :

أيها الناس ان بني هاشم سادت فجادت ، وملكت وُملكت ، وفصلت وُفصلت ، واصطفت واصطفيت ، ليس فيها كدر عيب ، ولا أقلّ ريب ، ولا خسروا طاغين ، ولا خازين ، ولا نادمين ، ولا من المغضوب عليهم ، ولا الضّالين .

ان بني هاشم اطول الناس باعاً ، وأمجد الناس اصلاً ، وأعظم الناس حلماً ، وأكثر الناس علماً ، وعطاء .

منا عبد مناف الذي يقول الشاعر فيه :

كانت قريشٌ بيضة فتفلـّقت فالمخّ خالصها لعبد منافِ

وولده هاشم الذي هشم الثريد لقومه ، وفيه يقول الشاعر :

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجافِ

ومنا عبد المطلب الذي سقينا به الغيث ، وفيه يقول الشاعر :

ونحن سنيّ المحل قام شفيعنا بمكة يدعو الميــــاه تفورُ

ومنا ابنه ابو طالب عظيم قريش وسيّدها ، وفيه يقول الشاعر :

أتيته مَلكاً فقام بحاجتي

ومنا العباس بن عبد المطلب ، أردفه رسول ﷺ ، وأعطاه ماله ، وفيه يقول الشاعر :

رديف رسول الله لم ترَ مثله ولا مثله حتى القيامة يولدُ

ومنا حمزة سيّد الشهداء ، وفيه يقول الشاعر :

أبا يعلى بك الأركان هُدّت وأنت الماجد البرّ الوصولُ

ومنا جعفر ذو الجناحين ، أحسن الناس جمـالاً ، وأكملهم كمالاً ، ليس بغدّار ، ولا جبّار ، بدله الله بكلتا يديه جناحاً يطير بـه في الجنة ، وفيه يقول الشاعر :

هاتوا كجعفرنا ومثل عليّنا   إنا أعزّ الناس عند الخالقِ

ومنا ابو الحسن علي بن ابي طالب رضي الله عنه أفرس بني هاشم، وأكرم من احتفى ، وانتعل . وفيه يقول الشاعر :

عليٌّ ألـّف الفرقان صحفاً   ووالى المصطفى طفلاً صبيّا

ومنا الحسن بن علي سبط رسول الله ﷺ سيّد شباب اهل الجنة ، وفيه يقول الشاعر :

يا أجلّ الأنام يا ابن الوصيّ   أنتَ سبط النبي وابن عليّ

ومنا الحسين بن علي ، حمله جبريل عليه السلام على عاتقه ، وكفى بذلك فخراً . وفيه يقول الشاعر :

حُبُّ الحسين ذخيرة لجنـّةٍ   يا ربّ فاحشرني غداً في حزبه

يا معشر قريش : إني والله آتية معاوية ، وقائلة له في بني أمية ما يعرق منه . فتوجهت ، فلما سمع بقدومها أمر بدار ضيافة ، فنـُظـّفت ، وألقى فيها فرش ، فلما قربت من المدينة استقبلها يزيد في حشمه ، ومماليكه ، فلما دخلت المدينة أتت داراً فيها عمرو بن غانم. فقال لها يزيد: ان أبا عبدالرحمن يأمرك ان تنتقلي الى دار ضيافته ، وكانت لا تعرفه ، فقالت : من أنت كلاك الله ؟ قال : انا يزيد بن معاوية . قالت : لا رعاك الله يا ناقص ، لست بزائد،

فتغيّر لون يزيد ، وأتى أباه فأخبره ، فقال : هي أسنُّ قريش ، وأعظمهم حلماً . قال يزيد : كم تعدّ لها ؟ قال : كانت تعدّ على عهد رسول الله ﷺ اربعمائة عام ، وهي من بقية الكرام .

فلما كان من الغد أتاها معاوية فسلم عليها ، فقالت : على امير المؤمنين السلام ، وعلى الكافرين الهوان والملام ، ثم قالت : أفيكم عمرو بن العاص ؟ قال عمرو : ها أنذا ، فأسمعته ما يكره ، وأسمعت معاوية كذلك . فقال معاوية : أيتها الكبيرة انا كافٌ عن بني هاشم . قالت : فاني أكتب عليك كتاباً ، فقد كان رسول الله ﷺ دعا ربه ان يستجيب خمس دعوات ، فلئن لم تنته جعلتها كلها فيك . فخاف معاوية ، فحلف ان لا يعود لمثل ما بلغها ابداً . فهذا آخر ما كان بين معاوية وبين بني هاشم من المفاخرة .

حدثنا ابو جعفر بن يحيى قال :

لما استوثق امر العراق لعبد الله بن الزبير ، وجّه اليه مصعب وفداً ، فلما قدموا عليه ، قال : وددت ان لي بكل خمسة منكم رجلاً من اهل الشام ، فقال رجل من اهل العراق : يا امير المؤمنين علقناك ، وعلقت بأهل الشام ، وعلق اهل الشام الى مروان ، فما اعرف لنا مثلاً إلا قول الأعشى :

علقتُها عرضاً وعلقت رجلاً غيري وعلق أخرى غيرها الرجل

فما وجدنا جواباً احسن من هذا . ينظر ايضاً الى هذا قول الآخر :

جننتُ بليلى وهي جُنّت بغيرنا وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

وروينا من حديث ابن مروان قال : نبأ الحربي قال : أوصى بعض اهل العلم ابنه وكان له حظوة من السلطان :

يا بني إياك ان تلبس من الثيـاب ما يديم النظر اليك ، وعليك بالبياض الناعم ، واجتنب الوشي ، قلما يلبسه إلا ملك ، او غني ، وإياك أن يجد منك احدٌ خلوقاً ، وعليك بالزنجبيل واللبان ، فإنـه يطيب خلوف فمك ، ويصلح عليك بدنك ، ويحدّ لك ذهنك، وإياك وحاشية الملوك ، أن تتعرض لهم ، فإنهم يرضيهم منك اليسير مـا لم يروا منك تحاملا لبعض على بعض ، وكن من العامة قريباً يكثر دعاؤهم لـك ، ولا تنسب الى دناءة ، فإنك لا تستقيلها ، والسلام .

حدثنا احمد بن يحيى بقرطبة قال : اجتمع عند رسول الله ﷺ الزبرقان ابن بدر ، وعمرو بن اهتم ، فذكر عمرو الزبرقان قال :

بأبي انت وأمي يا رسول الله ، انه لمطعام، جواد الكف مطاع في ادانيه شديد العارضة ، مانع لما وراء ظهره . فقال الزبرقان :

بأبي وأمي يا رسول الله، انه ليعرف مني اكثر من هذا ، ولكنه يحسدني فقال عمرو : والله يا نبيّ الله ان هذا لذ المروءه ، ضيق العطن ، لئيم العم ، احمق الخال ، والله يا نبي الله ما كذبت في الاول ، ولقد صدقت في الآخر . رضيت ، فقلت بأحسن ما أعلم ، وسخطت ، فقلت بأسوء ما أعلم .

فقال رسول الله ﷺ :

ان من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكما .

قال قسام بن زهير :

يا معشر الناس ان كلامكم اكثر من صمتكم فاستعينوا على الكلام بالصمت ، وعلى الصواب بالفكرة .

يقال : ينبغي للعاقل أن يحفظ لسانه كما يحفظ موضع قدمه . ومن لم يحفظ لسانه فقد سلطه على هلاكه .

قال الشاعر :

عليك حفظ اللسان مجتهداً فإن جلّ الهلاك في زلله

وأنشدنا ابو بكر بن خلف اللخمي في مجلسه :

يموت الفتى من عثرةٍ بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل

ولأبي بكر الصديق رضي الله عنه في ذلك :

احزن لسانك أن تقول فتبتلى ان البلاء موكل بالمنطق

كان عندنا شاب صالح ، سأل أباه أن يتركه يمشي الى خدمة ابي مدين بجباية ، ونحن بأشبيلية ، فأبى عليه والده ، وكان له اخ صغير ، فرأى النبي ﷺ ، وهو يقول لأبيه :

دع محمداً يمشي حيث سأل ، فإني سأبشره بالساحل . فقصّ عليه ، وعلى ابيه ، فدعا بولده السائل ، وخلّاه لوجهه ، فأخذ الولد يبكي فقلت له : ما أبكاك مع هذه البشارة ؟ فقال : أخاف من قوله تعالى :

« فبشرهم بعذاب أليم » فقلت : لا جزاك الله عن نفسك خيراً ، ولا عن جهلك في تأويلك ، هو ما قلت ، وسافر عنا ، فلحق بأبي مدين ، فأكرمه مدة ، ثم هجره ، وطرده من عنده ، فلما كان بعد عشر سنين ، اجتمعت به بمنزله بأشبيلية ، وقد بدل الله حالة الموافقة منه بالمخالفة ، والطاعة ، بالمعصية ، والايمان ، بالزندقة ، ففارقته ، وخرج ما عبر به رؤيا اخيه .

فنسأل الله العافية من كلمة تؤدي الى الهلكة في دين او دنيا .

ولبعضهم :

وجرح السيف تأسوه فيبرا وجرح الدهر ما جرح اللسان
جراحات السنان لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان

حدّث محمد بن قاسم روايةً قال :

تكلم اربعة من الملوك بأربع كلمات ، كأنما رميت عن قوس واحدة .

قال كسرى : أنا على ردّ ما لم أقل اقدر مني على ردّ ما قلت :

وقال ملك الهند : اذا تكلمت بكلمة ملكتني وكنت املكها .

وقال قيصر : لم اندم على ما لم اقل وقد ندمت على ما قلت .

وقال ملك الصين : عاقبة ما قد جرى به القول أشد من الندم على ترك القول .

ولبعضهم في المعنى :

لعمرك ما شيء علمت مكانه احق بسجن من لسانٍ مدلل
على فيك مما ليس يعنيك قوله بقفل شديد حيث ما كنت اقفل

روينا من حديث المالكي قال :

حدثنا ابو صالح ، نبأ علي بن حجر قال : قال بعض الحكماء : من طاب ريحه زاد عقله ، ومن نظفت ثيابه قل همه .

روينا من حديث ابن ابي الدنيا ، نبأ محمد بن الحارث ، عن المدايني قال :

قالت عائشة رضي الله عنها : خلال المكارم عشرة ، تكون في الرجل ، ولا تكون في ابنه . وتكون في العبد ، ولا تكون في سيده .

صدق الحديث . وصدق الناس . وإعطاء السائل . والمكافأة بالصنائع . والتذمم للجار، والصاحب . وصلة الرحم . وقري الضيف . وإداء الأمانة . ورأسهن الحياء .

وقال بعضهم : كتمان سرّك يُعقبك السلامة . وإفشاؤك سرك يعقبك الندامة . والصبر على كتمان السر أيسر من الندم على إفشائه .

وفي الحكمة : ما اقبح بالانسان ان يخاف على ما كان في يده ، اللصوص فيخفيه . ويمكّن عدوّه من نفسه ، بإظهار ما في قلبه من سرّ نفسه ، او سرّ اخيه .

قال معاوية رضي الله عنه : ما افشيت سرّي الى احد إلا اعقبني طول الندامة، وشدة الأسف، ولا أودعته جوانح صدري ، فحكّمته بين اضلاعي إلا أكسبني مجداً ، وذكراً ، وثناء ، ورفعة . فقيل: ولا ابن العاص؟ فقال: ولا ابن العاص .

وكان يقول : ما كنت كاتمه عن عدوّك فلا تظهر عليه صديقك . يريد ، والله اعلم ، ما سمعت أبا بكر بن خلف بن منـاف استاذنا ينشده في مجلسه مراراً . وفي وصيته أبياتاً ويقول :

احـذَر عـدوّك مرةً   واحذر صديقك الف مرة
فلربمـا هجر الصديـ   ـقُ فكان أعلم بالمضرّة

في الخبر المروي عن رسول الله ﷺ : من كتم سرّه كانت الخيرة في يده .

ومَن عرّض نفسه للتهمة فلا يلومنّ مَن اساء به الظن . وضعْ أمرَ اخيكَ على احسنه . ولا تظنن بكلمة خرجت منه سُوءاً . وما كافات من عصى الله فيك بأفضل من ان تطيعَ الله جل اسمه فيه . وعليك بإخوان الصدق . فإنهم زينة عند الرخاء ، عصمة عند البلاء .

روينا من حديث الدينوري ، عن الاصمعي، على ما حدّث عنه الرياشي . قال : كان يقول أبا الأسود : العمامة جنة في الحرب . ومُكنّة في الحر ، والقر . وزيادة في القامة .

انشدني بعض الأدباء ، وكان الى جانبه من يحبّه ، فعتبه بعض الحاضرين فيه بما لم يحسن وجهه عند العاتب . فالتفت الى المحب ، فقال ، وهو يسمعه :

رأى وجه مَن اهوى عدوي فقال لي أجلتّك عن وجه اراه كريها
فقلت له وجه الحبيب مرآةٌ وأنت ترى تمثال وجهك فيها

وذلك بقرطبة، وكان الحبيب سعيد بن كرز، والمحب ابو بكر الزهري .

وأنشدنا بعض الأدباء مما انشده المازني لبعضهم :

لئن كنتُ محتاجاً الى العلم انني الى الجهل في بعض الاحايين احوجُ
ولي فرسٌ للحلم بالحلم ملجمٌ ولي فرس للجهل بالجهل مسرَجُ
فمن شاء تقويمي فإني مقوّمٌ ومن شاء تعويجي فإني معوّج
وما كنت ارضى الجهل خدناً ولا اخاً ولكنني ارضى به حين أحوَجَ
ألا ربما ضاق الفضاء بأهله وأمكن من بين الأسنّة مخرَجَ

روينا من حديث ابن ودعان ، قال : نبأ ابو عبد الله الصيرفي ، عن محمد

ابن القاسم ، عن ابي منصور ، عن الحجبي ، عن حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن انس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يا معشر المسلمين شمّروا ، فإن الأمر جد . وتأهبوا ، فإن الرحيل قريب . وتزودوا ، فإن السفر بعيد. وخففوا اثقالكم، فإن وراءكم عقبة كؤُد لا يقطعها إلا المخفّون. أيها الناس ان بين يدي الساعة اموراً شداداً، وأهوالاً عظاماً، وزماناً صعباً، يتملك فيه الظلمة ، ويتصدر فيه الفسقة ، فيضطهد الآمرون بالمعروف ، ويضام الناهون عن المنكر . فأعدوا لذلك الايمان ، وعضّوا عليه بالنواجذ ، والجأوا الى العمل الصالح ، واكرهوا عليه النفوس . واصبروا على الضرّاء ، تفضوا الى النعيم الدائم .

أنشد الحطيئة عمر رضي الله عنه ، وكعب الأحبار عنده ، فقال :

مَن يفعل الخير لا يعدم جوائزه　　لا يذهبُ العرفُ بين الله والناسِ

فقال كعب : يا امير المؤمنين هـذا الذي قاله ، مكتوب في التوراة . فقال عمر: كيف ذلك ؟ قال: في التوراة مكتوب : من يصنع الخير لا يضيع عندي ، ولا يذهب بيني ، وبين عبدي .

نسيان النعمة اول درجات الكفر :

شعر :

يدُ المعروفِ غنم حيث كانت　　تحمّلها كفورٌ أم شكورُ
فعنـد الشاكرين له جزاءٌ　　وعند الله مـا كفر الكفور

مثل سائر :

جزاء سنار : وكان سنارٌ هذا رُجلاً بناء، فبنى للنعمان بن المنذر الخورنق

فأعجبه ، وكره ان يبنى مثله لغيره ، فقعد النعمان في اعـــلاه ، واستدعى سناراً ، وأخذ يحدّثه ، وغمز بعض خدامه أن يدفعه من اعـــلاه ، فسقط فمات ، فقيل فيه :

جزونا بني سعدٍ بحسن بلائنا جزاء سنار وما كان ذا ذنبِ

مثل سمّن كلبك يأكلك :

اخذه بعضهم فقال :

هم سمّنوا كلباً ليأكل بعضهم ولو ظفروا بالحزم ما سمنوا كلباً

وقال الآخر :

وإني وقيساً كالسمن كلبــه فخدّشه أنيابـــه وأظافره

مثل في عي باقل :

وكان باقل هذا اشترى عنزاً بأحد عشر درهماً . فقيل له : بكم اشتريت العنز ؟ ففتح كفيه ، وفرّق أصابعه ، وأخرج لسانه ، يريـــد احد عشر ، فعـيّروه بذلك ، فقال القائل :

يلومونــ في حمقه باقلاً كأن الحماقـــة لم تخلق
فلا تكثروا العذل في عيّه فللصمت اجمـــل بالاموق
خروج اللسان وفتح البنان أحبّ الينا من المنطق

خبر الظبية التي كلمت رسول الله ﷺ :

روينا من حديث احمد بن عبد الله ، نبأ ابو احمد محمد بن احمد الغطريف، نبأ احمـــد بن موسى ، عن انس بن ابي نصر بن عبد الله بن محمد بن سيرين

بالبصرة ، نبأ زكريا بن يحيى بن خلاّد بن حسان بن اغلب بن تميم ، حدثني ابي عن هشام بن حسان ، عن الحسن ، عن ضبة بن محصن ، عن ام سلمة زوج النبي ﷺ قالت :

بينما النبي ﷺ في صحراء اذا هاتف يهتف : يا رسول الله ، فالتفتّ ، فلم أرَ احداً . فمضيتُ غير بعيد ، فإذا الهاتف يهتف : يا رسول الله ، فالتفت ، فلم أرَ احداً . فمضيت غير بعيد ، فإذا الهاتف يهتف : يا رسول الله ، فاتبعت الصوت ، فهجمت على ظبية مشدودة في وثاق ، واذا اعرابي منجدل في شمله ، نائم في الشمس . فقالت الظبية : يا رسول الله ان هذا الاعرابي صادني قبيلاً ، ولي خشفان في هذا الجبل ، فان رأيت ان تطلقني حتى أرضعهما ، ثم أعود الى وثاقي . قال : او تفعلين ؟ قالت : عذّبني الله عذاب العشار إن لم افعل . فأطلقها رسول الله ﷺ ، فمضت ، فأرضعت الخشفين ، ثم عادت . فبينما رسول الله ﷺ يوثقها اذ انتبه الاعرابي فقال : بأبي وأمي انت اني أصبتها قبيلاً ، فلك فيها من حاجة ؟ قال رسول ﷺ : قلت : نعم ، قال : هي لك ، فأطلقها ، فخرجت تعدو في الصحراء فرحاً ، وهي تضرب برجلها الارض ، وتقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله .

ولاية بني اسماعيل الكعبة وأمر جُرهم :

روينا من حديث ابي الوليد حدثني جدي ، نبأ سعيد بن سالم ، عن عثمان ابن ساج قال: أخبرني ابن اسحاق قال: ولد لاسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام اثنا عشر رجلاً وأمهم اسيدة [١] بنت مضاض بن عمرو الجرهمي ، فولدت له

(١) سيأتي انها دعلة فانظره .

ثابت ، وقيدار ، وأصل ، وقياس ، وآزر ، وذابل ، ومنشى ، ومشنى ، وطيا ، وقطوار ، وقبس ، وقيدمان ، ومسمع ، وماشي ، ورما .

وكان عمرُ اسماعيل عليه السلام فيما يذكرون مائة وثلاثين سنة. فمن ثابت ابن اسماعيل وقيدار نشر الله العرب . وكان أكبرهم قيدار ، وثابت ، ابنا اسماعيل . وكان من حديث جرهم ، وبني اسماعيل ، ان اسماعيل لما توفي دفن في الحجر مع امه ، فولي البيت ثابت بن اسماعيل ما شاء الله ان يليه . ثم توفي ثابت بن اسماعيل . فولي البيت بعده مضاض بن عمرو الجرهمي وهو جدّ ثابت بن اسماعيل ابو امه ، وضمّ بني ثابت بن اسماعيل ، وبني اسماعيل اليه، فصاروا مع جدهم مضاض، ومع أخوالهم من جرهم، وجرهم، وقطورا، يومئذ اهل مكة ، وعلى جرهم مضاض بن عمرو ملكاً عليهم ، وعلى قطورا رجل منهم يقال له : السميدع ملكاً عليهم . وكانا حين ظعنا من اليمن أقبلا سيّارة ، وكانوا اذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا إلا ولهم ملك يقيم أمرهم . فلما نزلا مكة ، رأيا بلداً طيباً ، واذا ماء ، وشجر ، فأعجبهما ، فنزلا به ، فنزل مضاض بن عمرو بمن معه من جرهم أعلى مكة ، وقيقعان ، فحاز ذلك. ونزل السميدع أجيادين وأسفل مكة. وكان مضاض بن عمرو يعشر من دخل مكة من أسفلها ، ومن كدى ، وكل في قومه على جباله لا يدخل واحد منهما على صاحبه في ملكه . ثم ان جرهم ، وقطورا ، بغى بعضهم على بعض ، وتنافسوا الملك بهـا ، واقتتلوا بها ، حتى نشبت او شبّت الحرب بينهم . وولاة الامر بمكة مضاض بن عمرو ، وبنو ثابت بن اسماعيل ، وبنو اسماعيل واليه ولاية البيت دون السميدع . فلم يزل بهم البغي حتى سار بعضهم الى بعض ، فخرج مضاض بن عمرو من قيقعان في كتيبة سائراً الى السميدع ، ومعه كتيبة عدّتها من الرماح ، والدرق ، والسيوف ، والجعاب ، تقعقع

بذلك . ويقال : ما سُمّيت قيقعان إلا بذلك . وخرج السميدع بقطورا من أجياد معه الخيل والرجال . ويقال : ما سُمي أجياد إلا لخروج الخيل الجياد مع السميدع حتى التقوا بفاضح . فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتـل السميدع ، وفضحت قطورا . ويقـال : ما سمي فاضح فاضحاً إلا لذلك . ثم ان القوم تداعوا الى الصلح ، فساروا حتى دخلوا المطابخ شعباً بأعلى مكة ، يقـال له شعبُ عبدالله بن عامر بن كرين بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس. فاصطلحوا بذلك الشعب ، وأسلموا الأمر الى مضاض بن عمرو . فلما جمـع عمرو اهل مكة ، وصار ملكها دون السميدع . نحر للناس ، وأطعمهم ، فأطبخ للناس فأكلوا . فيقال : ما سمي المطابخ إلا لذلك . قـال : فكان الذي كان بين مضاض بن عمرو والجرهمي في ذلك الحرب بذكر السميدع ، وقتله ، وبغيه ، والتماسه ما ليس له :

ونحن قتلنـا سيد القوم عنوة   فأصبح فيها وهو حيرانُ موجعُ
وما كان يبقى أن يكون سُواءنا   بهـا ملكٌ حتى اتانا السميدع
فذاق وبالاً حين جاول ملكنا   وعـالج منـا غصّة تتجرع
فنحن عمّرنا البيت كنا ولاته   نحامي عنـه من اتانا وندفع
وكنا ملوكاً في الدهور التي مضت   ورثنا ملوكاً لا ترام فتوضع

قال ابو الوليد : قال ابن اسحاق ، وقد زعم بعض اهل العلم، انما سمّيت المطابخ لما كان تبّع نحر بها ، وأطعم بها ، وكانت منزله . قال : ثم نشر الله بني اسماعيل بمكة ، واخوالهم جرهم ، إذ ذاك الحكام بهـا ، وولاة البيت ، كانوا كذلك ، بعد ثابت بن اسماعيل . فلما ضاقت عليهم مكة ، وانتشروا بها ، انبسطوا في الارض ، وابتغوا المعاش ، والتفسح في الارض . ولا يأتون قومـاً ، ولا ينزلون بلداً إلا اظفرهم الله عليهم بدينهم ، فوطئوهم ، وغلبوهم

عليها ، حتى ملكوا البلاد ، ونفوا عنهـا العماليق ، ومن كان ساكناً بلادهم التي كانوا اصطلحوا عليهـا من غيرهم . وجرهم على ذلك بمكة ولاة البيت لا ينازعهم إياه بنو اسماعيل لخؤلتهم ، وقرابتهم ، وإعظام الحرم ان يكون فيه بغيٌ ، وقتال .

قال ابو الوليد : وحدثني بعض اهل العلم ، قالوا : كانت العماليق هم ولاة الحكم بمكة ، فضيّعوا حرمة الحرم ، واستحلوا منه اموراً عظاماً ، ونالوا ما لم يكونوا ينالوا . فقام رجل منهم يقال له عمُوق فقـال : يا قوم اتقوا الله على انفسكم ، فقد رأيتم وسمعتم من اهلك من صدر الأمم قبلكم ، قوم صالح ، وهود ، وشعيب ، فلا تفعلوا ، وتواصلوا ، فلا تستخفوا بحرمـة حرم الله ، وموضع بيته ، وإياكم والظلم فيه ، والإلحاد ، فإنه مـا سكنه احد قط ، فظلم فيه ، وألحد ، إلا قطع الله دابرهم ، واستأصل شأفتهم ، وبدّل أرضها غيرهم ، حتى لا يبقى لهم باقية . فلم يقبلوا منـه ذلك ، وتمادوا في هلكة أنفسهم .

قالوا : ثم أن جرهماً ، وقطوراً ، خرجوا سيّارة من اليمن ، فأجدبت عليهم ، فساروا بذراريهم ، وأنفسهم ، وأموالهم ، وقـالوا : نطلب مكاناً فيه مرعى نسمّن فيه ماشيتنا ، فإن اعجبنا اقمنا به ، فإن كل بلد نزل بـه احد ومعه ذرّيته ، وماله ، فهو وطنه ، وإلا رجعنا الى بلادنا .

فلمـا قدموا مكة وجدوا ماء معيناً ، وعظاها ملتفة من وسلم ، وسمر ، ونباتاً ، يسمّن مواشيهم ، وسعة من البلاد ، ودفاء من البرد في الشتاء .

فقالوا : إن هذا الموضع يجمع لنا ما نريد . فأقاموا مع العماليق ، فكان لا يخرج من اليمن قومٌ إلا ولهم ملك يقيم امرهم ، وكان ذلـك سنّة فيهم ، ولو كانوا نفراً يسيراً .

وكان مضاض بن عمرو ملك جرهم ، والمطاع فيهم .

وكان السميدع ملك قطورا ، فـنزل مضاض بن عمرو على مكة ، فكان يعشر من دخلها من اعلاهـا ، وكان ناحيتهم وجه الكعبة ، الركن الاسود ، والمقام ، وموضع زمزم ، مصعداً يميناً ، وشمالاً ، وقيقعان الى أعلى الوادي، ونزل السميدع اسفل مكة ، والى اجيادين ، وكان يعشر من دخل مكة من اسفلها . فكان حوزهم المسفلة ظهر الكعبة ، والركن اليماني ، والغربي ، وأجيادين ، والثنية الى الرمضة ، فبنيا فيهـا البيوت ، واتسعا في المنازل ، وكثروا على العماليق ، فنازعتهم العماليق ، فمنعتهم جرهم ، وأخرجوهم من الحرم كلـه ، فكانوا في اطرافه لا يدخلونه . فقال لهم صاحبهم عموق : ألم أقل لكم لا تستخفوا بحرمة الحرم فغلبتموني ؟

فجعل مضاض والسميدع يقطعان المنـــازل لمن ورد عليهما من قومهما ، وكثروا ، وأعجبهم البلاد ، وكانوا قوماً عرباً ، وكان اللسان عربياً .

وكان ابراهيم خليل الله يزور اسمعيل ، فلمـا سمع بلسانهم ، واعرابهم ، سمع كلاماً حسناً ، ورأى قوماً عرباً ، وكان اسمعيل قد اخذ بلسانهم .

امر اسمعيل أن ينكح فيهم ، فخطب الى مضاض بن عمرو بنته دعـلة ، فزوّجه إياهـــا ، فولدت له عشر ذكور ، وهي زوجته التي غسلت رأس ابراهيم حين وضع رجله على المقام .

قال : وتوفي اسمعيل ، وترك ولداً من دعلة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي فقام مضاض بأمر ولد اسمعيل ، وكفلهم ، لأنهم بنوا بنته ، فـــلم يزل امر جرهم يعظم بمكة ، فكانوا ولاة البيت ، وحجابه ، وولاة الاحكام بها ، ثم

ان جرهماً استخفت بأمر البيت والحرم ، وارتكبت اموراً عظاماً وأحدثو إحداثاً لم تكن ، فقام مضاض بن عمرو بن الحرث بن مضاض فيهم فقال :

يا قوم احذروا البغي ، فإنه لا بقاء لأهله ، قد رأيتم من كان قبلكم من العماليق ، استخفوا بأمر الحرم فسلطكم الله عليهم فأخرجتموهم ، فلا تستخفوا بحق الحرم ، وحرمة بيت الله ولا تظلموا من دخله وجاءه معظماً ، او جاء بائعاً ، او مترغباً في جواركم ، فإنكم ان فعلتم ذلك تخوفت أن تخرجوا منه خروج ذلٍ وصغار ، فقال له مجدع : من الذي يخرجنا منه ؟ ألسنا أعز العرب ، وأكثرهم رجالاً وسلاحاً ؟ فقال له مضاض :

إذا جاء الأمر بطل ما تقولون ، فلم يقصروا عن شيء مما كانوا يصنعون وكانت لهم خزانة بئر في بطن البيت يلقي فيه الحلي ، والمتاع الذي يهدى له وهو يومئذٍ لا سقف له ، فتواعد له خمسة نفر من جرهم أن يسرقوا ما فيه . فقام على كل زاوية من البيت رجل منهم ، واقتحم الخامس ، فجعل الله اعلاه اسفله ، وسقط منكساً فهلك ، وفرّ الاربعة الآخرون . ومن ذلك الوقت بعث الله حية سوداء الظهر ، بيضاء البطن ، رأسها مثل رأس الجدي ، فحرست البيت خمسمائة سنة .

كتاب حكيم الى حكيم :

روينا من حديث الدينوري عن محمد بن اسحاق ، نبأ هارون بن معروف قال : كتب حكيم الى حكيم :

أما بعد ، فقد اصبحنا وبنا من نعم الله ما لا نحصيه ، ولا ندري أيما اشكر ، اشكر جميل ما ينشر ؟ ام قبيح ما يستر ؟

وحدثنيه أيضاً عن محمد بن يونس ، عن الاصمعي قـــال : قيل لمحمد بن واسع : كيف اصبحت ؟ قال : اصبحت موفوراً بالنعم ، وربنا يتحبب الينا وهو غني عنا ، ونتبغض اليه بالمعاصي ، ونحن اليه فقراء .

ألا لو سمعت البدر بن المختار يقول : وقـد رأى عليّ ثوباً احمر : الحمرة اجمل ، والخضرة انبل ، والسواد اهول ، والبياض افضل .

حدثنا يونس بن يحيى ، نبأ محمد بن عمر بن يوسف ، نبأ ابو بكر بن ثابت عن احمد بن محمد بن ابراهيم ، عن ابي عصمة محمد بن احمد بن عباد العبادي ، عن ابي علي الحسين بن محمد بن مصعب ، عن محمد بن عبد الله الواسطي ، عن العلاء بن عبد الجبار ، عن نافع بن الجمحي قـال : قالت ام محمد بن المنكدر لإبنها : يا بنيّ اني اشتهي أن أراك نائمـاً . قال : يا أمه إن الليل لمهجم عليّ فيهولني ، فيدركني الصبح ولم اقضِ منه وطري .

حدثنا محمد بن محمد ، عـن هبة الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الكريم ، قال : أنشدني عبد الكريم ابن هوازن القشيري إملاء لنفسه :

المرء مَن هذّب احواله ... وكان عن دعواه أقوالهُ
تصاغُرُ الانسان في نفسه ... أوفى لمعنـاه وأقوى له
وأن من يحمد افعــاله ... أخافُ أن ترجع افعى له

وبه قال : انشدني القشيريّ لنفسه ه :

يا نسيمَ الشمال بلّغ خطابي ... واشفِ مني الجوى بحمل الجوابِ
طفْ بساحاتِ ذلك الربع واحمل ... ذرّةً من تراب ذاك البـابِ
واهدهـــا من متيّم مستهامٍ ... دائم الكرب ذائب الأتراب

قل لمولاي والذي ـِملءُ نفسي والذي فيـه ذلـّتي وانتحـابي
كنتُ أخشى الوشاة فيك ولكن جفوة الحب لم تكن في حسابي

روينا من حديث ابن مروان قال : حدثنا علي بن الحسن ، حدثني ابي ، قال : جاء اعرابي الى ابن طاهر وهو راكب فأنشده ه :

سألتُ عن المكارم أينَ صارت فكل النـاس أرشدني إليكا
فجدْ لي يا ابنَ طاهر أن فعلي سَيُثني بالذي تولى عليـكا

فقال له : كم ثمن هذين البيتين ؟ قال : الفا درهم ، قال : لقـد ارخصت يا غلام ، أعطه اربعة آلاف درهم ، ثم انشد :

صدقت ظني وظن الناس كلهم فأنت اكرمهم نفساً وأجدادا
لا زلت في روضة خضراء واسعةٍ فأنت أخضرها روضاً وأعوادا

فقال : يا غلام أعطه اربعة آلاف أخرى . فقال :

لو كان قولي بهذا الشعر مستمعاً لكنت احوى خراج الشرق والغرب
أنتَ الكريم الذي يعطي بلا نكدٍ وأنتَ تحيي الفتى قد مات من جدب

فقال ابن طاهر للغلام: أعطه اربعة آلاف درهم اخرى . فلما قبضها قال: ايها الامير، فملـّني شعري ، ولم يضق صدرك .

همة شريفة وزهد كريم :

قلت : دخلت مسجد العماد بن الحدوس بالموصل على المهذب ثابت بن عنبر الحلويّ ، وكان رفيع الهمة من ازهد الناس ، وكان يغلب عليه الأدب ، فاستنشدته في حاله ، فأنشدني ونحن في جماعة ، وهو من التجنيس :

اذا قنعنا بأدام بَقلنا ... وخلنا من الخلّ فخلنا

من ذكر لذّات الوجود ... من التّرك خلنا

ففقرنا بخلنا على ... ثراء من الخلة خلنا

من آثر آخرته على دنياه وغلب عقله على هواه :

حدثنا عبد الرحمن ، نبأ عمر بن ظفر، نبأ جعفر بن احمد ، نبأ عبدالعزيز ابن علي ، نبأ ابو الحسن الصوفي ، قال : سمعت محمد بن داود ، قال : حدثني ابو الحسن اللؤلؤي ، قال : كنت في البحر ، فانكسر المركب ، وغرق كل ما فيه . وكان في وطائي لؤلؤ، قيمته اربعة آلاف دينار. وقربت ايام الحج، وخفت الفوات . فلما سلّم الله روحي ، ونجّاني من الغرق ، مشيت . فقال لي جماعة كانوا في المركب : لو توقفت عسى ان يجيء من يخرج شيئاً فيخرج لك من رحلك شيئاً . فقلت : قد علم الله عز وجل ما مرّ مني، وفي وطائي شيء قيمته اربعة آلاف دينار ، وما كنت بالذي أؤثره على وقفتي بعرفة . فقالوا : وما الذي ورثك هذا ؟ فقلت: انا رجل مولع بالحج، اطلب الربح، والثواب ، فحججت في بعض السنين ، وعطشت عطشاً شديداً ، فأجلست عديلي في وسط محملي ، ونزلت اطلب الماء ، والناس قد عطشوا ، فلم أزل أسأل رجلاً رجلاً ، ومحملاً محملاً : معكم ماء ؟ واذا الناس شرع واحد ، حتى صرت في ساقة القابلة بميل أو ميلين ، فمررت بمصنع ، وصهريج، واذا رجل فقير جالس في ارض المصنع والماء ينبع من موضع العصا ، وهو يشرب ، فنزلت اليه ، وشربت حتى رويت ، وجئت الى القافلة والناس قد نزلوا ، فأخرجت قربة ومضيت فملأتها ، فرآني الناس ، فتبادروا بالقِرب ، فرووا عن آخرهم ، فلما روي الناس ، وسارت القافلة ، جئت لأنظر ، واذا البركة مُلِئت تلتطم امواجها ، فموسم يحضره مثل هؤلاء يقولون :

أللهم اغفر لمن حضر هذا الموقف ولجماعة المسلمين ، أوثر عليه الدنيا ، لا والله ، وترك اللؤلؤ ، وجميع قماشه . قال الشيخ : فبلغني ان قيمة ما كان غرق له خمسين الف دينار .

ومما تضمنه الأشواق قول بعض العشاق: يصرفه الصالحون في التخلف عن السياق ، المسارعين الى مرضات الله ومغفرته .

شيّعتهم فاسترابوني فقلت لهم ... اني بعثت مع الأجمال أحدوها
قالوا فما نفسٌ يعلوا كذا صعداً ... وما لعينك لا ترقا مآقيها
قلت التنفس من أدمان سيركم ... والعين تذرف دمعاً من قذى فيها
روحي تسير اذا سارت ركائبكم ... فان عزمتم على قتلي فحثّوها

حدثنا عبد الرحمن بن علي الجوزي كتابة قال : وصلني كتاب من بعض اخواني من الحاج يتضمن الاستيحاش لي في طريق مكة ، فهيّج شوقي الى تلك الأماكن . قال : فكتبت اليه أبياتاً منها :

أتراكم فالنقا فالمنحنا ... يوم سلعٍ تذكرونا ذكرنا
انقطعنا ووصلتم فاعلموا ... واشكروا المنعم يا اهل منى
قد ربحتم وخسرنا فصلوا ... بفضول الربح من قد غبنا
يا سقى الله الحمى أنتم به ... ورعى تلك الربى والدمنا
سار قلبي خلف أجمالكم ... غير ان الوهن عاق البدنا
ما قطعتم وادياً إلا وقد ... جئته أسعى باقدام المنى
ان سقيتم ديمةٌ هاطلة ... فدموعي قد جرت لي أعينا
وأنادي كلما لبّيتمُ ... في فؤادي أسفاً واحزنا
بدني نضوٌ لأبدانكم ... والذي أقلقني اني هنا

آه واشوقي الى ذاك الحمى | شوق محزون حليف شجنا
سلّموا مني على أربابــه | أخبروهم انني حلف الضنا
أنا مُذ غبتم على تذكاركم | أتراكم عندكم ما عنــدنا
عَرْفكم تعرفه ريح الصبا | كلما مرّت [1] به مرّ بنا
درّ درّ الوصل ما أعذبــه | ليته يرضى بروحي ثمنا
زمناً مذ زال أولى زمناً | فأعــاد الله ذاك الزمنا

روينا من حديث ابن مروان ، نبأ محمد بن عمرو ، نبأ محبوب بن المكرم قال : قال يوسف بن اسباط :

تخليص النية من فسادها أشدّ على العاملين من طول الاجتهاد .

روينا عن محمد بن يونس ، عن الاصمعي ، عن ابي الأشهب ، عن الحسن انه قيل له : ما الايمان ؟ قال : الصبر والسماحة . فقيل ما الصبر والسماحة ؟ قال : الصبر عن محارم الله ، والسماحة بفرائض الله .

مجنون وعظ عاقلاً فما ظنك بعاقلهم :

قال ابن حبيب : قال عبد الله بن خالد الطوسي : لمــا خرج الرشيد الى مكة ماشياً من اجل يمينه فرش له من العراق الى الحجاز اللبُود، والمرعزي ، فاستند يوماً وقد تعب الى ميل ، فاذا بسعدون المجنون قد عارضه فقال :

هب الدنيا تواتيكا | أليس الموت يأتيكا
فما تصنع بالدنيا | وظلّ الميل يكفيكا

---

(١) نسخة : هبت .

ألا يا طالب الدنيا دع الدنيـا لشانيكا
كما أضحكك الدهر كذاك الدهر يُبكيكا

فشهق الرشيد شهقة وخرّ مغشياً عليـه ، حتى فاتته ثلاث صلوات . ثم قال :

الحمـد لله ثم الحمـد لله ماذا على الارض من ساهٍ ولا لاهِ
ماذا يعاين ذو عينين من عجبٍ يوم الخروج من الدنيـا الى الله

ومن شعر المهدي محمد بن عبد الله بن تونارت في عبدالمؤمن بن علي يقول:

تكاملت فيك أخلاق خصصت بها فكلّنا بك مسرور ومغتبطُ
السنّ ضاحكةٌ والكفّ مانحة والصدر متّسع والوجه منبسط

خبر رويناه في مواقف يوم القيامة في يوم كان مقداره خمسين الف سنة :

حدثنا يونس بن يحيى بمكة تجاه الكعبة المعظمة سنة تسع وتسعين وخمسمائة قال : انا ابو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأرموي ، انا ابو بكر محمد بن علي بن محمد بن موسى بن جعفر المعروف بابن الخياط المقرىء قال :

قرأ عليّ ابن سهل محمود بن عمر بن اسحاق العكبري ، وأنا أسمع ، قيل له : حدثكم ابو بكر محمد بن الحسن النقاش ، نبأ ابو بكر احمد بن الحسين ابن علي الطبري البروزي ، ثنا محمد بن حميد الرازي ابو عبد الله ، نبأ سلمة ابن صالح ، أنا القاسم بن الحكم عن سلام الطويل ، عن غياث بن المسيب ، عن عبد الرحمن بن غنم ، وزيد بن وهب ، عن عبد الله بن مسعود قال :

كنت جالساً عند علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، وعنده ابن عباس ، وحوله عدة جماعة من اصحاب رسول الله ﷺ ، فقال علي :

قال رسول الله ﷺ : إن في القيمة لخمسين موقفاً ، كل موقف منها الف سنة :

فـأول موقف ، إذا خرج الناس من قبورهم ، يقومون على ابواب قبورهم الف سنة ، عراة ، حفاتاً ، جياعاً ، عطاشاً ، فمن خرج من قـبره ، مؤمناً بربه ، مؤمناً بنبيّه ، مؤمناً بجنته وناره ، مؤمناً بالبعث ، والقيمة ، مؤمناً بالقضاء والقدر ، خيره وشره من الله ، مصدّقاً بما جاء به محمد ﷺ من عند ربه نجا ، وفاز ، وغنم ، وسعد .

ومن شك في شيء من هذا بقي في جوعه وعطشه ، وغمّه ، وكربه الف سنة ، حتى يقضي الله فيه بمـا يشاء . ثم يساقون من ذلك المقام الى المحشر ، فيقفون على ارجلهم الف عام في سُرادقات النيران ، في حر الشمس ، والنار عن إيمانهم ، والنار عن شمائلهم ، والنار من بين ايديهم ، والنار من خلفهم ، والشمس من فوق رؤسهم ، ولا ظل إلا ظل العرش .

فمن لقي الله تبارك وتعالى ، شاهداً له بالاخلاص ، مقرّاً بنبيّه ﷺ ، بريئاً من الشرك ، ومن السحر ، وبريئاً من اهراق دمـاء المسلمين ، ناصحاً لله ورسوله ، محباً لمن أطاع الله ورسوله ، مبغضاً لمن عصى الله ورسوله، استظل تحت ظل عرش الرحمن عز وجل ، ونجا من غمّه .

ومن حاد عن ذلك ، ووقع في شيء من هذه الذنوب بكلمة واحدة ، او تغير قلبـه ، او شك في شيء من دينه ، بقي الف سنة في الحر والهم ، والعذاب ، حتى يقضي الله فيه بما يشاء ، ثم تساق الخلق من النور الى الظلمة فيقومون في تلك الظلمة الف عام .

فمن لقي الله تبارك وتعالى لم يشرك بـه شيئاً ، ولم يدخل في قلبه شيء من النفاق ، ولم يشك في شيء من أمر دينه، وأعطى الحق من نفسه . وقال الحق ، وأنصف الناس ، من نفسه . وأطاع الله عزّ وجل في السر والعلانية ورضي بقضاء الله ، وقنع بما أعطاه الله ، خرج من الظلمة الى النور في مقدار طرفة عين مبيضاً وجهه . وقد نجا من الغموم كلها .

ومن خالف في شيء منها بقي في الغم والعذاب الف سنة ، ثم خرج منه مسودّاً وجهه ، وهو في مشيئة الله يفعل بـه ما يشاء . ثم يساق الخلق الى سُرادقات الحساب ، وهو عشر سرادقات ، يقفون في كل سُرادق منها الف سنة . فيسأل ابن آدم عند اول سُرادق منها عن المحارم . فإن لم يكن وقع في شيء منها جاز الى السرادق الثاني ، فيسأل عن الاهواء ، فـإن كان نجا منها جاز الى السرادق الثالث ، فيسأل عن عقوق الوالدين . فـإن لم يكن عاقاً جاز الى السرادق الرابع ، فيسأل عن حقوق من فوض الله امرهم اليه ، وعن تعليمهم القرآن ، وعن امر دينهم ، وتأديبهم . فإن كان قد فعل جاز الى السرادق الخامس ، فيسأل عما ملكت يمينه ، فإن كان محسناً اليهم جاز الى السرادق السادس ، فيسأل عن حق قرابته ، فإن كان قد أدى حقوقهم جاز الى السرادق السابع ، فيسأل عن صلة الرحم . فإن كان وصولاً لرحمه ، جاز الى السرادق الثامن ، فيسأل عن الحسد . فـإن كان لم يكن حاسداً . جاز الى السرادق التاسع ، فيسأل عن المكر . فإن لم يكن مكر بأحدٍ جاز الى السرادق العاشر ، فيسأل عن الخديعة . فـإن لم يكن خدع احداً نجا ، فنزل في ظل عرش الله عزّ وجل ، مقرّة عينه ، فرحاً قلبه ، ضاحكاً فاه. وإن كان قد وقع في شيء من هذه الخصال بقي في كل موقف منها الف عام جائعاً ، عطشاً ، باكياً ، حزيناً ، مهموماً مغموماً ، لا تنفعه شفاعة شافع .

ثم يحشرون الى اخذ كتبهم بإيمانهم وشمائلهم ، فيحبسون عن ذلك في خمسة عشر موقفاً :

كل موقف منها الف سنة . فيسألون في اول موقفٍ منهـا عن الصدقات ومـا فرض الله عليهم في اموالهم . فمن أداها كاملة جاز الى الموقف الثاني . فيسأل عن قول الحق والعفو عن الناس ، فمن عفا عفي عنه ، وجـاز الى الموقف الثالث . فيسأل عن الأمر بالمعروف ، فإن كان امر بالمعروف ، جاز الى الموقف الرابع . فيسأل عن النهي عن المنكر ، فإن كان ناهياً عن المنكر جاز الى الموقف الخامس . فيسأل عن حسن الخلق ، فإن كان حسن الخلق ، جاز الى الموقف السادس . فيسأل عن الحب في الله ، والبغض في الله ، فـإن كان محباً في الله ، مبغضاً في الله عزّ وجل جاز الى الموقف السابع . فيسأل عن المال الحرام ، فـإن لم يكن اخذ شيئاً جاز الى الموقف الثامن . فيسأل عن شرب الخمر ، فإن لم يكن شرب من الخمور شيئاً جاز الى الموقف التاسع. فيسأل عن الفروج الحرام، فإن لم يكن أتاها جاز الى الموقف العاشر . فيسأل عن قول الزور، فإن لم يكن قالها جاز الى الموقف الحادي عشر . فيسأل عن الإيمان الكاذبة ، فإن لم يكن حلفها جاز الى الموقف الثاني عشر . فيسأل عن اكل الربا ، فإن لم يكن اكله جاز الى الموقف الثالث عشر. فيسأل عن قذف المحصنات، فإن لم يكن قذف المحصنات جاز الى الموقف الرابع عشر . فيسأل عن شهادة الزور ، فـإن لم يكن شهدها جاز الى الموقف الخامس عشر . فيسأل عن البهتان ، فإن لم يكن بهت مسلماً نزل تحت لواء الحمـد ، وأعطى كتابه بيمينه ، ونجا من همّ الكتاب ، وهوله ، وحوسب حساباً يسيراً .

وإن كان قد وقع في شيء من هذه الذنوب الكبائر ، ثم خرج من الدنيـا غير تائب من ذلك ، بقي في كل موقف من هذه الخمسة عشر موقفاً الف سنة

في الهمّ ، والغمّ ، والهول ، والحزن ، والجوع ، والعطش ، حتى يقضي الله عز وجل فيه بما يشاء .

ثم يقام الناس في قراءة كتبهم الف عام ، فمن كان سخياً ، قدم ماله ليوم فقره ، وحاجته ، وفاقته ، قرأ كتابه ، وهوّن عليه قراءته وكسِيَ من ثياب الجنة ، وتوّج من تيجان الجنة ، وأقعد تحت ظل العرش عز وجل آمناً ، مطمئناً .

وإن كان بخيلاً لم يقدّم ماله ليوم فقره وفاقته ، أعطي كتابه بشماله ، ويقطعُ له من مقطعات النيران ، ويقام على رؤس الخلائق الف عام في الجوع ، والعطش ، والعري ، والهمّ ، والغم ، والحزن ، والفضيحة ، حتى يقضي الله عز وجل فيه بما يشاء ، ثم يحشر الناس الى الميزان ، فيقومون عند الميزان الف عام ، فمن رجح ميزانه بحسناته فاز ونجا في طرفة عين . ومن خفّ ميزانه من حسناته ، وثقلت سيئاته ، حبس عند الميزان الف عام في الهمّ ، والغم ، والحزن ، والعذاب ، والجوع ، والعطش ، حتى يقضي الله فيه بما يشاء .

ثم يدعى بالخلق الى الموقف بين يدي الله تبارك وتعالى في اثني عشر موقفاً ؛ كل موقف منها مقدار الف عام ، فيسأل في أول موقف عن عتق الرقاب ، فإن كان أعتق رقبة ، أعتق الله رقبته من النار ، وجاز الى الموقف الثاني ، فيسأل عن القرآن ، وحقه ، وقراءته ، فإن أتى بذلك تاماً جاز الى الموقف الثالث ، فيسأل عن الجهاد ، فإن جاهد في سبيل الله محتسباً جاز الى الموقف الرابع ، فيسأل عن الغيبة ، فإن لم يكن اغتاب ، جاز الى الموقف الخامس . فيسأل عن النميمة ، فإن لم يكن نماماً جاز الى الموقف السادس ، فيسأل عن الكذب ، فإن لم يكن كذاباً جاز الى الموقف السابع ، فيسأل عن طلب العلم ، فإن كان طلب العلم وعمل به جاز الى الموقف الثامن ،

فيسأل عن العجب، فإن لم يكن معجباً بنفسه في دينه او دنياه ، او في شيء من عمله ، جـاز الى الموقف التاسع ، فيسأل عن الكِبر ، فإن لم يكن تكبر على أحد جاز الموقف العاشر ، فيسأل عن القنوت من رحمة الله عز وجل ، فإن لم يكن قنت من رحمة الله عز وجل جـــاز الى الموقف الحادي عشر ، فيسأل عن الأمن من مكر الله ، فإن لم يكن آمن من مكر الله عز وجل جاز الى الموقف الثاني عشر ، فيسأل عن حق جاره ، فإن كان أدى حق جاره ، اقيم بين يدي الله عز وجل قريراً عينه ، فرحاً قلبه ، مبيضاً وجهه، كاسياً ، ضاحكاً ، فرحاً ، مستبشراً . فيرحب به ربه تبارك وتعالى، ويبشره برضاه عنه ، فيفرح عند ذلك فرحاً لا يعلمه احد إلا الله عز وجل .

فإن لم يأت واحدة منهن تامة ، ومات غير تائب ، حبس عند كل موقف الف عام ، حتى يقضي الله عز وجل فيه بما يشاء .

ثم يؤمر بالخلائق الى الصراط ، وقد ضربت عليه الجسور على جهنم أرقّ من الشعرة ، وأحدّ من السيف ، وقد غابت الجسور في جهنم مقدار اربعين الف عـــام ، ولهيب جهنم بجانبهـا يلتهب ، وعليها حسك ، وكلاليب ، وخطاطيف. وهي سبع جسور يحشر العباد كلهم عليها . وعلى كل جسر منها عقبة ، مسيرة ثلاثة آلاف عام: الف عام صعود ، والف عام استواء ، والف عام هبوط . وذلك قول الله عز وجل : « إن ربك لبالمرصاد » يعني على تلك الجسور ، وملائكة يرصدون الخلق عليها لتسأل العباد عن الايمـان بالله عز وجل ، فإن جاء به مؤمناً مخلصاً لا شك فيـه ، ولا ريب ، ولا زيغ ، جاز الى الجسر الثاني ، فيسأل عن الصلاة ، فإن جاء بها تامة جاز الى الجسر الثالث ، فيسأل عن الزكاة ، فإن جاء بها تامة جاز الى الجسر الرابع، فيسأل عن الصيام ، فإن جاء به تامـــاً جاز الى الجسر الخامس ، فيسأل عن حجة

الإسلام ، فإن جاء بها تامة جاز الى الجسر السادس ،فيسأل عن الطهر فإن جاء به تاماً جاز الى الجسر السابع ، فيسأل عن المظالم فإن لم يكن ظلم احداً جاز الى الجنة ، وإن كان قصّر في واحدة منهن جلس على كل جسر منها الف سنة ، حتى يقضي الله فيه بما يشاء .

فقال عبد الرحمن بن غنم ، قال عبد الله بن مسعود ، فقال رجل من اصحاب رسول الله ﷺ : ألسنا يا رسول الله نراك يوم القيامة في هذه المواطن كلها ، ولا تغيب عنا ولا نغيب عنك حتى يفترق الناس الى الجنة والى النار ؟ فقال رسول الله ﷺ : الشأن يومئذ اعظم من ذلك ، والحوائج الى الله عز وجل يومئذ اكثر من ذلك ، ولكن اذا لم تروني في بعض هذه الحالات فأنا بين يدي الله عز وجل أشفع الى الله عز وجل وأطلب ، او عند ابواب الجنة استفتحها ، فيفتح لي فأدخلها ، فأبشر خدمكم وغلمانكم وأزواجكم بأنكم على أثري ، وآمرهم ان يعدّوا لكم فيستعدوا ، فيا لها من بشارات ويا لها من اصوات الجواري ، يدعو بعضها بعضاً ، والغلمان يسعى بعضهم الى بعض ، والمجامير تسطع في كل ناحية ، والأزواج على الأرائك ينظرون ، والرجال والنساء يساقون الى الجنة زمرة زمرة ، والى الله يضحكون ، ولمثل هذا فليعمل العاملون ، وفي مثل هذا فليتنافس المتنافسون ، فهنيئاً مريئاً لعباد الله الصالحين ، عباد رب العالمين . والذي نفس محمد بيده إن الرجل منهم ليستقبله من حين يدخل الجنة من بين وليد ووليدة ، وغلام ، وجارية ، وقهرمان ، وملك من الملائكة ، كلٌ معه تحفة ، وطرفة ، وهدية يتحفونه بها ، ويسعون حواليه ، وبين يديه اكثر من ثلاثة آلاف كاللؤلؤ والمرجان ، ويتلقاه سبعون الف ملك مع كل ملك منهم فرس ونجيب [1] من ياقوت احمر

(١) نسخة ٢ : ونجيبة .

وأصفر ومرجان . للخيل صهيل ، وللابل رغاء ، ولا يعرقن، ولا يرثن، ولا يبلن ، ولا يمرضن ولا يهزلن . ولهن اجنحة اذا شاؤا طارت بهم في الجنة . وهن في السرعة اسرع من الطيور . وأن في الجنة طيوراً [1] لا تؤكل لهـا رؤس مثل الجبال ، احسنُ مـا خلق الله خلقاً وريشاً ، وأصواتاً وكلاماً ، لكل طير منها سبعون جناحاً في منكبه ، وأن الطير الواحد منهـا ليظل الدنيا كلهـا بجناحه اذا نشره وبسطه ، يكونون على غرفهم قياماً صفوفاً ، يسبّحون الله عز وجل ويحمدونه ، ويقدسونه [2] العزيز الجبـار بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها ، فيطرب اولياء الله بذلك طرباً لم يطربوا قبله بشيء مما سمعوا ، ما خلا كلام الرحمن الملك الجبار ، فـإنه يسمعهم كلامه ، ويكلمهم ويناديهم ، ويقول لهم : سلامٌ عليكم عبادي ، ومرحبـاً بكم ، حيّاكم الله ، سلام عليكم من الرحمن الرحيم الحي القيوم . طبتم فادخلوها خالدين . طابت لكم الجنة ، فطيّبوا انفسكم بالنعيم المقيم، والثواب من الكريم والخلود الدائم. أنتم المؤمنون الآمنون ، وأنا الله المؤمنُ المهيمنُ ، شققت لـكم اسمـاً من اسمـائي ، لا خوفٌ عليكم ، ولا انتم تحزنون . أنتم اوليائي ، وجيراني ، وأصفيائي ، وخاصتي ، وأهل محبتي . وفي داري سلام عليكم يا معشر عبادي المسلمين . انتم المسلمون ، وأنا السلامُ ، وداري دار السلام . سأريكم وجهي ، كما سمعتم كلامي ، فإذا تجلّيت لـكم وكشفتُ عن وجهي الحجب فاحمدوني ، وادخلوا الى داري غير محجوبين عني بسلام آمنين ، فاقدموا عليّ ، واجلسوا حولي حتى تنظروا إليّ ، وتروني من قريب ، فاتحفـكم بتحفتي ، وأجيزكم

---

(١) نسخة ٢ : طيراً .
(٢) هكذا في النسخ .

بجوائزي ، وأخصّكم بنوري ، وأغشيكم بجمالي ، وأهبُ لكم من ملكي . وأفاكهكم بضحكي ، وأغلفكم بيدي ، وأشممكم روحي .

انا ربكم الذي كنتم تعبدوني ولم تروني ، وتدعوني ، وتحبوني ، وتخافوني . فوعزّتي ، وجلالي ، وكبريائي ، وعُلوّي ، وبهائي ، وسنائي ، اني عنكم راض ، وأحبّ ما تحبون ، ولكم عندي ما تشتهي انفسكم ، وتلذّ أعينكم . ولكم عندي ما تدّعون ، وما شئتم ، وكلما شئتم ، أشاء . فسلوني ، ولا تحتشوا ، ولا تستحيوا ، ولا تستوحشوا ، واني انا الله ، الجواد ، الغني ، المليء ، الوفيّ الصادق .

وهذه داري ، وقد أسكنتموها ، وجنّتي ، قد أبحتكموها ، ونفسي ، قد أريتكموها . وهذه يدي ذات الندى ، والظلّ ، مبسوطة ممتدة عليكم ، لا أقبضها عنكم ، وأنا انظر اليكم ، لا اصرف بصري عنكم ، فاسألوني ما شئتم ، واشتهيتم ، فقد آنستكم بنفسي ، وانا لكم جليس وأنيس . فلا حاجة ، ولا فاقة ، بعد هـــذا ، ولا بؤس ، ولا مسكنة ، ولا ضعف ، ولا هرم ، ولا سخط ، ولا حرج ، ولا تحويل ابداً سرمداً . نعيمكم نعيم الأبد ، وأنتم الآمنون ، المقيمون ، الماكثون ، المكرمون ، المنعمون . وأنتم السادة الأشراف الذين أطعتموني ، واجتنبتم محارمي ، فارفعوا اليّ حوائجكم ، اقضيها لكم ، وكرامة ، ونعمة .

قال : فيقولون : ربنا ما كان هذا املنا ، ولا امنيّتنا ، ولكن حاجتنا اليك النظر الى وجهك الكريم ابداً ابداً ، ورضاء نفسك عنا .

فيقول لهم العليّ الأعلى ، مالك الملك ، السخي الكريم ، تبارك وتعالى :

فهذا وجهي بارز اليكم ابداً سرمداً ، فانظروا اليــــه ، وابشروا ، فإن

نفسي عنكم راضية ، فتمتعوا ، وقوموا الى ازواجكم ، فعانقوا ، وانكحوا . والى ولائدكم ، ففاكهوا ، والى غرفكم ، فادخلوا ، والى بساتينكم ، فتنزّهوا ، والى دوابكم ، فاركبوا ، والى فرشكم ، فاتكئوا ، والى جواريكم ، وسراريكم ، في الجنـــان ، فاستأنسوا . والى هداياكم من ربكم فاقبلوا . والى كسوتكم ، فالبسوا ، والى مجالسكم ، فتحدثوا . ثم قيلوا قائلةً لا نوم فيها ، ولا غائلة في ظلّ ظليل ، وأمن مقيل ، ومجاورة الجليل ، ثم روحوا الى نهر الكوثر ، والكافور ، والماء المطهّر ، والتسنيم ، والسلسبيل ، والزنجبيل ، فاغتسلوا ، وتنعّموا ، طوبى لكم وحسن مآب . ثم روحوا ، فاتكئوا على الرفارف الخضر ، والعبقري الحسان ، والفرش المرفوعة ، والظلّ الممدود ، والمـــاء المسكوب ، والفاكهة الكثيرة ، لا مقطوعة ، ولا ممنوعة .

ثم تلا رسول الله ﷺ : « ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الآرائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدّعون سلامٌ قولاً من ربّ رحيم » .

ثم تلا هذه الآية : « اصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا » .

ومن انشاء المولى مدّ الله ظله :

يوم المعارج من خمسين الف سنه	يطير عن كلّ نوّام به وسنهْ
والارض من جزر عليـه شاهدة	لا يأخذنهـا لمـا يقضي الإله سنه
فكن غريباً ولا تركن لطائفة	من الخوارج اهل الألسن اللسِّـنه
وان رأيت امرءاً يسعى لمفسدة	فخذ على يـده تجزى بـه حسنه
ولتعتصم حذراً بالكهف من رجل	تريك فتنته يوماً كمثـل سنه
قـــد مدّ خطوته في غير طاعته	ولم يزل في هواه خالعاً رسنه

ولنا ايضاً من قصيدة :

مواقف الناس في القيامة مواقف الحزن والندامه
وتلك خمسون لا خلافٌ فيها ولكن لها علامه
خمسون الفاً لها زمانٌ من عامنا ما أمدٌ عامه

وروينا من حديث ابن ابي الدنيا قال : نبأ هرون بن ابي سفيان ، نبأ عبد الله بن بكير السهمي ، عن عبادة بن شيبة الحيطي ، عن سعيد بن انس ، عن انس قال :

بينما رسول الله ﷺ جالس اذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه ، فقال عمر : ما اضحكك يا رسول الله بأبي انت وأمي ؟ قال : رجلان من أمتي جيثا بين يدي رب العالمين فقال احدهما : يا رب خذلي مظلمتي من اخي . فقال : اعطِ اخاك مظلمته . فقال : يا رب لم يبق لي من حسناتي شيء . قال : يا رب فليحمل عني من اوزاري. وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء . ثم قال : ان ذلك ليوم عظيم ، يحتاج الناس فيه ان يحمل من اوزارهم . قال : فقال الله عزّ وجل للطالب : ارفع رأسك فانظر الى الجنان ، فرفع رأسه فقال : يا رب أرى مدائن من فضة ، وقصوراً من ذهب ، مكللة باللؤلؤ . لأي نبيٍّ هذا ؟ لأي شهيدٍ هذا ؟ قال : هذا لمن اعطاني ثمنه . قال : يا رب ومن يملك ذلك ؟ قال : انت تملكه . قال : بماذا يا رب ؟ قال : بعفوك عن اخيك . قال : يا رب قد عفوت عنه . قال الله تعالى : خذ بيد اخيك ، وأدخله الجنة. ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك : « فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم » فإن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيمة .

قلب تأثر من صادق مؤثر :

حدثنا ابو العباس احمد بن مسعود بن شداد سنة إحدى وستمائة قال : نبأ ابو جعفر بن العاص قال : نبأ يوسف بن القاسم الديار بكري ، نبأ جمال الاسلام ابو الحسن علي بن احمد القرشي الهكاري ، نبأ ابو الحسن الكرخي ، نبأ ابو العباس احمد بن محمد بن الفضل النهاوندي قال : سمعت شيخي جعفر بن محمد الخلدي يقول :

كنت مع الجنيد رحمه الله في طريق الحجاز حتى صرنا الى جبل طورسيناء فصعد الجنيد ، وصعدنا معه ، فلما وقفنا في الموضع الذي وقف فيه موسى عليه السلام ، وقع علينا هيبة المكان ، وكان معنا قوال فأشار اليه الجنيد ان يقول شيئاً فقال :

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى   برقٌ تألق موهناً لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه   صعب الذرى متمنعاً اركانه
فبدا لينظر كيف لاح فلم يطق   نظراً اليه وصدّه سبحانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه   والماء ما سمحت (١) به اجفانه

قال : فتواجد الجنيد ، وتواجدنا ، فلم يدر احد منا ، أفي السماء او في الأرض ؟ وكان بالقرب منا دير فيه راهب، فنادانا : يا امة محمدٍ بالله أجيبوني فلم يلتفت اليه احد لطيب الوقت. فنادانا الثانية: بدين الحنيفية ألا أجبتموني فلم يجبه احدٌ فنادى الثالثة : بمعبودكم ألا أجبتموني فلم يردّ عليه احد جواباً. فلما فترنا من السماع وهم الجنيد بالنزول قلنا له : إن هذا الراهب نادانا وأقسم

---

(١) لعلها سحت .

علينا ولم يردّ عليه احد . فقال الجنيد : ارجعوا بنا اليه لعل الله يهديه الى الاسلام . وناديناه ، فنزل الينا ، وسلم علينا . وقال : ايما منكم الاستاذ ؟ فقال الجنيد : هؤلاء كلهم سادات وأساتذة . فقال : لا بدّ أن يكون واحد هو اكبركم . فأشاروا الى الجنيد . فقال : اخبرني عن هذا الذي فعلتموه ، هو مخصوص في دينكم ، او معموم . فقال : بل مخصوص . فقال: لأ قوام مخصوصين ، او معمومين ؟ قال : بل لأ قوام مخصوصين . فقال : بأي نية تقومون ؟ فقال بنية الرجاء والفرح بالله عزّ وجل . فقال بأي نية تسمعون . قال بنيّة السماع من الله تعالى . فقال بأي نية تصيحون ؟ قال : بنية أجابة العبودية للربوبية ، لما قال الله تعال للأرواح في الذر : ألستُ بربكم قالوا بلى شهدنا . قال : فما هذا الصوت ؟ قال : نداء ربي . فقال : بأي نية تقعدون ؟ قال : بنيّة الخوف من الله تعالى . قال : صدقت . ثم قال الراهب للجنيد : مد يدك فأنا أشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإن محمداً ﷺ عبده ورسوله . وأسلم الراهب وحسن اسلامه . فقال الجنيد : بم عرفت اني صادق؟ قال : لأني قرأت في الانجيل المنزل على المسيح ابن مريم . ان خواص امة محمد ﷺ يلبسون الخرقة ، ويأكلون الكسرة ، ويرضون بالبلغة ، ويقومون في صفاء اوقاتهم بالله يفرحون ، واليه يشتاقون وفيه يتواجدون ، واليه يرغبون ، ومنه يرهبون . فبقي الراهب معنا على الاسلام ثلاثة أيام،ثم مات رحمه الله تعالى .

ليس يعني بقوله يلبسون الخرقة هذه الخرقة المعروفة بين هؤلاء الصوفية ، وإنما يعني بلباس الخرقة لباس المرقعات لا المشهرات ، وخلقات الثياب ، أي لا همّ لهم في ملابسهم ، إنما تهممهم في لباس التقوى الذي هو خير . ولذلك قال : ويأكلون الكسرة ، أي لا يهتمون بما يجعلون في بطونهم من ملذوذات

الاطعمة ، وإنما طعامهم ما تيسر حسابه ، وتيسر لهم لا غير ذلك .

من زعم ان ذا القرنين حميري :

روينا من حديث ابن الواسطي . قال : نبأ عمر بن الفضل بن المهاجر ، عن ابيه ، عن الوليد بن حماد الرملي ، عن محمد بن العباس ، عن عمران بن موسى البغدادي ، نبأ السلام بن داود ، نبأ احمد بن نباته عن سلمة بن ابي سلمة الابرش ، عن محمد بن اسحاق ، عن ابي مالك بن ثعلبة بن ابي مالك القرظي . قال : سمعت ابراهيم بن طلحة بن عبيد الله يحدث ، عن ابيه ، عن جده يرفعه ، قال :

إن ذا القرنين كان ابن رجل من ِحميَر ، وكان قد وفد الى الروم ، فأقام فيهم . وكان ابوه يسمى : الفيلسوف ، لعقله وأدبه . فتزوج في الروم امرأة من غسان، وكانت على دين الروم، فولدت ذا القرنين، فسمّاه ابوه الاسكندر. فهو الاسكندر بن الفيلسوف الحميري ، وأمه رومية غسانية .

قال ابن اسحاق ، قال ابو مالك بن ثعلبة بن ابي مالك القرظي : ولذلك يقول تبّع الحميري لما فخرنا بأجداده في قصيدة يفخر بذي القرنين ، جده الأكبر :

قد كان ذو القرنين جدي مسلماً ملكٌ تدينُ له الملوك وتحشدُ
بلغ المشارق والمغارب يبتغي أسباب أمرٍ من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها في عين ذي خلب وثاط حدمد

حدثنا محمد بن العباس ، قال عمران بن موسى ، قال السّام بن داود : وليس كل الناس يعلم انه من ِحميَر ، ولا يعرف أباه ، وإنما نسبته الروم الى

أمه ، لأن أباه مات وهو صغير ، وخلّفه في حجر أمه . ولقد كان أبوه من اهل الملك والثروة .

ولنا في باب الفخر :

اذا فلّ سيفي لم تفلّ عزائمي   فلي عزَمات شاحدات صوارمي
وإلا فسلْ عنا الغنى هل وفتْ لنا   وأسيافنا يومــاً بقدر عزائمي
لنا الجودُ إن كنا سلالة حاتمٍ   ومــا زال مذ قلدته في تمائمي

ومن باب الحياء من الله تعالى والتصديق :

ما رويناه من حديث الخرائطي قال : حدثنا علي بن حرب ، نبأ محمد بن فضيل ، نبــأ عمارة بن القعقاع ، عن ابي ذرعــة بن عمرو بن جرير ، عن ابي هريرة قــال : قال رجل : يا رسول الله أي الصداقة افضل وأعظم اجراً ؟ قال: إن تتصدق وأنت صحيح شحيح، تأمل الغنى وتخشى الفقر، ولا تهمل، حتى اذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا ، وقد كان لفلان كذا .

أنشدنا اسماعيل ، انشدنا محمد بن يوسف ، انشدنا محمد بن جعفر ، سمعت محمد بن يزيد المبرّد ينشد :

أُمهد لنفسك في الحياة فإنما   يبقى اغناكَ لمصلحٍ او مفسدِ
فإذا جمعتَ لمفسدٍ لم يبقِهِ   وأخو الفَلاح قليـله يتزيّد

ومن حديثه عن علي بن حرب ، عن خــالد بن يزيد العدَوي بمكة ، عن اسماعيل بن ابراهيم بن ابي حبيبة الاشبلي، عن مسلم بن ابي مريم، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: بينما رسول الله ﷺ على المنبر والناس حوله،

وأنا في حجرتي ، سمعته يقول : استحيوا من الله حق الحياء ، حتى ردّدها مراراً . فقال رجل : إنا لنستحي من الله يا رسول الله . قال : من كان يستحي من الله فليحفظ الرأس وما حوى ، والبطن وما وعى . وليذكر القبور ، والبلى . فما زال يردد ذلك حتى سمعتهم يبكون حول المنبر .

ومن باب الغربة عن الوطن :

شرود الغريب عن الوطن كالفرس الذي زايل ارضه ، وفقد شربه . وهو ذاوٍ لا ينمي ، وذابل لا يبصر [1] . عسرك في بلدك أعز من يسرك في غربتك :

لقرب الدار في الإقتار خير   من العيش الموسّع في اغترابِ

ولبعضهم :

ألا هل الى شمّ الخزامى ونظرةٍ   الى قرقرى قبلَ المماتِ سبيلُ
فاشربُ من باب الحجيلاء شربة   يُداوى بها قبل الممات عليل
فيا اثلات القاع من بطن يوضحٍ   حنيني الى اطلالكن طويل
ويا اثلات القاع قلبي موكلٌ   بكنّ ووجدي خيركنّ قليل
ويا اثلات القاع قد ملّ صحبتي   مسيري فهل في ظلكنّ مقيل
أريد انحداراً نحوها فيرُدّني   ويمنعني دَينٌ عليّ ثقيل
أحدّث نفسي عنكِ ان لستُ راجعاً   اليكِ فحزني في الفؤاد دخيل

---

(١) لعلها : لا يثمر .

ومما نظمنا في الربيع وازهاره وما حباه الرفيع بأزهاره :

أما ترى الروضة الغناء تضحك إذ جادت على الارض بالازهار انوا
تبسم الارض إذ تبكي السماء فهل بين السماء وبين الارض شحناء
لا والذي بضروب الزهر اضحكها مـــا ثم شحناء لكن ثم أشياء
إن السماء تقول الزهر من زهري والأرض تأبى الذي قالته والماء

وقفت على نظم حسن الترصيع،ونثر في الربيع،وزهر بديع، لأبي علي بن شبل الشاعر :

عرائس الأرض تجلى في غلائلها وفي حلىّ عليها صاغها الديمُ
تستنّ في حلل الانواء مذهبة في كل حاشيةٍ من نسجها علم
درّ من الاقحوان الغضّ زينه حمرُ اليواقيت في المنثور ينتظم
كأنمـــا بالسماء الارض شامتة تبكي السماء وثغر الارض يبتسم

ركز بهـا الصيف اعلامه وضرب سرادقاته وخيامه . وأظهر على الدنيا إنعامه ، حين جـــاء يعزل الشتاء البريد ، وسلم الى الصيف كتاب التقليد ، فبعث جيوشه وسراياه ، ولاطف بتحفه وهـــداياه ، فصنائعه الى الارض مشكورة ، وآلاؤه على الروض منثورة ، إذ لبست ارديته ومطارفـــه ، وحليت وشيه وزخارفه، وألقت نصيفها المعنبر(١)،وتخمّرت بخمارها الاخضر، بين ثرىً مصندل ، ونـدٍ مكفـّر ، ونسيم معطر ، وفضاء مفضّض ، وجو مخلق، وترابيع ميادين من الآس والرياحين مستمنة الطوارق، مصفوفة النمارق، مفروز بالنوار بساطها ، معلمة بالازهار :

---

(١) أغماطها :

فكأنما ترنو العيون الى ملحٍ من الديباج في الزهر
وكأنما تطأ اللحاظ على وشيٍ نمته أناملُ القطرِ
وكأنما لبس النسيمُ بهـــا نشر الخزامى وحقة العطر

حلّى بها القطر عقوده، ونشر بها ملاءه وبروده، وكتب في رؤس الشقاق عهوده، وشياً، ووشماً، ورقماً :

كأن عهد الربيع يهواها فقد كساها وشياً وحلّاها
فهي كبكرٍ تزف في خلعٍ شتى يحوز الجمال معناها

كأنما حبتها الجنة بزخارفها، والفراديس بطرائفها، وغذّاها السلسبيل ماء النعيم، وجرت في بروجها عــين التسنيم، والتحقت بزرابها ونمارقها، واشتملت بسندسها واستبرقهـا، فهي تباري السماء في استدارة افلاكها، والنجوم في انتظامها واشتباكها :

غير ان النجوم تطلع في الليـ ـل وهذي تضيء في الاصباح
زاهراتٌ لهــا نسائم نشرٍ ناميات الجسوم في الارواح
وكأن الانواء إذ نيمتّها قـــلدت كل روضةٍ بوشاح

حط فيها الاقحوان لثامه، ونثر منها المنثور نظامه، فتبدّدت جمانه، وتغـيّرت ألوانـــه، فاكذبا مشبهها بالثغور المبتسمة، واليواقيت المنظمة، وهبّ النسيم على سننه، فنبّه السوسن من وسنه، ولاح البنفسج خنيق الاوداج، لازوردي التاج، واسترد الورد من الخدود حمرتـه، والسرو من القدود قامته، واستحال لون العشاق في النهار، وانتقل صبغ الوجنات الى الجلنار، وذاب العقيق على الشقيق، فانقض منـه شرر كالحريق، وسالت

سرح القطارب ، كأنها زبانات العقارب ، وفتح النرجس من الذهب عيونا ، وأدار لها من اللؤلؤ الرطب جفونا ، ومدّ من الزمرد الاخضر متونا ، كغصون زبرجد اثمرت درّا ، واثمر درّها تبرا ، كأنمــا استعار الزعفران من احداقه ألوانا ، والكافور من جفونها بياضاً ولمعانا ، فهي قضيب من زمرّد بحــــدق ذهب ، وسط فضّة بيضاء ، واستدارت شرف اللينوفر على خوط املود لين العمود ، كأنما خرط من الجزع اليماني ، موذناً بالفرح والتهاني ، تارة يشخص الى السماء شخوص الباهت الحيران ، وتارة يعوم في الماء عوم الظمآن ، وتفتح الادريون كالعيون الناظرة ، والنجوم الزاهرة ، كأنما توّجته الشمس بأصائلها فهو شعر :

مجوسيّ الصلاة فكل وجهٍ بدور إذ ضياء الشمس دارا
دنانير لطبع النقش فيهـــا سوادٌ حول سكتها استدارا
تريك قلانِس الديباجِ ليـــلا وتيجاناً مشبّكةً نهـــارا

وخطرت القبول على الاغصان ، فتمايلت كتمايـــل النشوان ، وتناوحت أشجارها ، وتجاوبت أطيارها، وهرجت بأصواتها ، وترنمت بلغاتها ، فملأت الاسماع زجلا ، وأخرست العيدان خجلا ، فكأنها قينات الاوراق سائرها ، او خطباء الاغصان منابرها ، من هزارات مغرّدات ، ووراشين مطربات ، بأفانين معجبات ، وورق من حمامات صادحات ، بأطواق الملوك مقلدات ، تترنم في فروع الايـك شجواً فتلهى عن سماع المسمعات ، بإرجاء فدران ، مفعمة الجدران ، غمرة الجداول جمـــة المناهل ينقض ماؤها انقضاض الفضة المسبوكة . ويطرد حبابها اطراد الزرد المحبوكة ، كفرند سيوف مصلتات ، او كبطون حيات على الرمضاء ملتويات ، شعر :

وكأن السماء تنثر درّاً فوق ارض من سندس خضراء

وعبير يثير مـــن عبرات السّحبِ مسكاً يفوح في الفيحاء
شغلتنا الأطيار حـين تغنّت في ذراها عن اطيب ذاك الغناء

والحمد الله الذي دلّ بظواهر صنعته ، على دقائق حكمته ، « فتبارك الله احسن الخالقين » .

ومن منثور الحكم وميسور الكلم :

من اكتفى باليسير استغنى عن الكثير ، من صحّ دينه صحّ يقينه ، مـن استغنى عن الناس آمن مـن عوارض الافلاس ، الدين أقوى عصمة ، والأمن أغنى نعمة ، الصبر عند المصايب من أعظم المواهب ، عيشك مـا عشت في ظلّ يقيك ، وقوتٍ يكفيك ، البخيل حارس نعمة ، وخازن ورثـة ، من لزم الطمع عـدم الورع ، الحسد شرّ عرض ، والطمع اضرّ عرض ، الرضا بالكفاف خير من السعي للاسراف ، افضل الاعمال مـــا اوجب الشكر ، وأنفع الاموال مـــا اعقب الأجر ، لا تثق بالدولة ، فإنها ظلّ زائل ، ولا تعتمد على النعمة ، فإنها ضيف راحل ، مالك ما رجى يوميك ، وتوفر اجره عليك ، الكريم من كفّ اذاه ، والقوي من غلب هواه ، من ركب الهوى ادرك العمى ، من غالب الحق لان ، ومن تهاون بالدين هـان ، المؤمن عزيز كريم ، والمنافق خب لئيم ، إذا ذهب الحياء يحـل البلاء ، كل انسان طالب أمنية ، ومطلوب منيّة ، علم لا ينفع كدواء لا ينجع ، احسن العلم مـا كان مع العمل ، وأحسن الصمت ما كان عن الخطل ، اعصِ الجاهل تسلم ، وأطع العاقل تغنم ، من صبر على شهوته بالغ في مروءته ، من اكثر ابتهاجه بالمواهب اشتد انزعاجه للمصايب ، مـن تمسك بالدين عزّ نصره ، ومن استظهر بالحق ظهر قدره ، من استقصر بقاه وأجله قصر رجاه وأمله ، لا تبت على غـــير

وصية . وإن كنت من جسمك في صحة ، ومن عمرك في فسحة، فإن الدهر خائن ، وما هو كائن كائن ، لا تخلّ لنفسك من فكرة ، تزيدك حكمة ، او تفيدك عصمة ، من جعل ملكه خادماً لدينه انقـــاد له كل سلطان ، ومن جعل دينه خادماً لملكه طمع فيــــه كل انسان ، من سلك سبل الرشاد بلغ كنه المراد ، من لزم العافية سلم ، ومن عدم [1] النصيحة ندم ، انتهى .

وقال : ليس من عادة الكرام سرعة الانتقـام ، ولا من شرط الكرام إزالة النِعم . فلا تأخذ بالسهو ولا تزهد في العفو ، وارحم من دونك يرحمك من فوقك . واحسن الى مَن تملك يحسن اليـك من يملكك . وقس سهوه في معصيتك بعمـدك في معصيته ، وفقره الى رحمتك بفقرك الى رحمته . اغتنم صنائع الاحسان ، وارع ذمـة الاخوان . فمن منع برّاً منـع شكراً ، ومن ضيّع ذمة اكتسب مذمـة . بالراعي تصلح الرعية وبالعدل تملك البرية . مَن عدل في سلطانه استغنَ عن أعوانه . الظلم مسلبة للنعم، والبغي مجلبة للنقم. اقرب الأشياء صرعة الظلوم، وأنفذ السهام دعوة المظلوم . من أكثر العدوان لم يأمن حـلول النقم ، ومن آثر الإحسان لم يعدم موائد النِعم . من ساءت سيرته لم يأمن ابداً ، ومن حسُنت سيرته لم يخف احداً . من طال عدوانـه زال سلطانه . من ظلم عق اولاده ، ومن بغى نصر اضداده . من ساء عزمه رجع عليه سهمه . من ساءت سيرته سرت منيّته . من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلكه وفنـاؤه . من ظلم نفسه ظلم غيره . ومن ظلم لغيره ظلم نفسه . من أساء اجتلب البلاء ، ومن أحسن اكتسب الثناء . لأن تحسن وتكفر خير من ان تسيء وتشكر. من أحسن فبنفسه بدا، ومن أساء فعلى نفسه اعتدى.

---

(١) قبل النصيحة غنم .

من طال تعدّيه كثر اعاديه . من قبح ملكه حسن هلكه . شر النـاس من ينصر الظلوم ، ويخذل المظلوم . من مال الى الحق مال اليه الخلق . مَن أسوأ الاختيار أساء الجوار. من سلّ سيف العدوان سُلب عن السلطان . مَن أساء النية منع الأمنية .

وصية من زاهد تحتوي على فوائد :

روينا من حديث ثابت قال : نبـأ محمد بن علي الاصبهاني قـال : سمعت أبا حامد الطبري يقول : سمعت أبا بكر الشبلي يقول في وصيته : إن اردت ان تنظر الى الدنيا بحذافيرها فانظر الى مزبلة ، فهي الدنيا . واذا اردت ان تنظر الى نفسك فخذ كفاً من تراب ، فإنك منها خلقت وفيها تعود . ومتى أردت أن تنظر ما انت فانظر ما يخرج منك في دخولك الخـلاء ، فمن كان حاله كذلك فلا يجوز ان يتطاول ، او يتكبر على من هو مثله .

احسن ما قيل في المرحاض وهو مما يلحق بهذا الباب :

كنا بإشبيلية في تربة ابي القاسم بن وافد ، ومعنا ابو بكر بن حجـاج الشاعر ، والنقـّاش ينقش باب المرحاض من التربة ، فقلت لابن حجـاج : يا ابا بكر لو علمتَ شيئاً ينقشه النقاش على باب هـذا المرحاض . فارتجل على البديهة يقول على لسان حال المرحاض :

أنا سيّد الدار يا سيدي ... على أن حقي لا ينكرُ
أعرف للنـاس اقدارَهم ... ويأبون إلا بأن يفخروا
فمن قـال عني مستقذرٌ ... فلولاه ما كنت استقذر

وليس على ذكري من الابيات إلا ما ذكرنا وجملتها ستة ابيات .

ولنا في النحول من باب النسيب :

صيّرني حبك معقولاً بحكمه وكنتُ محسوسا
لطُفْتُ حتى لا يراني الهوى فلم يجــد عندي تعْريسا
فقلتُ لُمْ نفسك انت الذي ألبستني الضرّاء والبوسا
حتى تحيرتَ وحيرتني بيسَ الذي فعلتــه بيسا
أفنيتني عنك وعني فــلمْ تجد مقيلاً فيــه تنفيسا
قد كنتُ ليثاً كاسراً نابه وكانت احشاي لـكم خيسا
جارَ الهوى واعتلّ في نفسه فهل سمعتم بالهـوى بوسا
فأين جالينوس يـأسوه او يحيي العبدّا بيننـا عيسى

ولنا في اتحاد الحب في الهوى :

إن الهوى ما أنا للحب حامله والحكمُ للحبّ في الاشخاص ليس لنا
مثل الصفات لدى قومٍ اشاعرةٍ فلا الهوى هو غيري لا ولا هو انا
إن الهوى وأنا بالعين متحدٌ فإن أمُت فيه وجداً او أعش فبنا
لو ْلا الجمال الذي بالحب كلّفنا لم يهلك الوجد قلبَ الصبّ والبدنا
إن النظام لتدري مـا أفوه بـه وقد أشرتُ اليهـا مرةً بنى

ولنا في معاتبة القلب والبصر :

تقول عيني لقلبي ان فكرك قد رمى الجفون بدمع الوجد والسهرِ
فقال قلبي لطرفي لا تقول كذا بل انت عرّضتني للفكر بالنظر
لولا الجمـال الذي القت نواظركم هواه في خـلدي لم نبل بالفكر
فالعتبُ للقلب جورٌ من معاتبةٍ وإنما العتب في التحقيق للبصر
وهـا أنا حكمٌ بالعدل بينهما لعلمنا بالذي فيـه من الخبر

ولنا من باب منازلات الحب :

لما تحكَّم عينُ الشمس في بصري	تمكن الحبُّ بالسلطان في خلدي
وأنزل الجنــد في نفسي منازلهم	كالوجد والشوق والتبريح والكمد
فعندمـــا اخذوا مني منازلهم	ناديتُ من لهب الأشواق في كبدي
الحبُّ أرّقـني والحبُّ أقلقني	والحب يقتلني ظلماً وليس يدي
والحب حمّلني مـا لست احمله	حتى بقيت له روحاً بلا جسد

ولنا من باب القلب والبصر :

زعمت يا أيهـا المفتون بالحور	ان الفؤاد له دعوى على البصر
ألا ترى القلب محصوراً بقلعته	وقد أحاطت بهمن عسكر الفكر
فقلتُ يحضر خصمُ القلب ان له	عليه دعوى من اجل الدمع والسهر
فعندما حضرا في الحين قام لنا	عند الشهودِ بأن الذنب للنظر

ولبعضهم في باب النسيب :

اقول لأصحابي وقد طلبوا الصّلى	ألا فاصطلوا ان خفتم القرّ من صدري
فإن لهيب النار بين جوانحي	إذا ذكرت ليلى أحرُّ من الهجر
فقالوا نريد الماء نسقي ونستقي	فقلت تعالوا فاستقوا الماء من نهري
فقالوا فأين النهرُ قلتُ مدامعي	سيغنيكم فيضُ الدموع عن الحفر
فقالوا ولم هذا فقلتُ من الهوى	فقالوا لحاك الله قلت اسمعوا عذري

ولابن المعتز :

يا سائق الذود ردهنّه	ومن دموعي فروّهنّه
واقتدح النار من فؤادي	فإنهـــا فيه مستكنّه

ولغيره :

يا قادح النار بالزناد وطالب الجمر في الرّمادِ
دع عنك شكاً وخذ يقيناً واقتدح النار من فؤادي

حكاية :

حدثنا ابو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن قال : لما مشى ابو عمرو بن المرتين الى الديار المصرية من الاندلس ، اجتمع هو والقاضي عبد الرحيم المعروف بالفاضل في مجلس السلطان ، فتذاكروا الاقاليم ، فأخذ القاضي عبد الرحيم يعرّض بصاحبنا ابي عمرو بن مرتين ، لما قدم المغرب، بما رويناه من حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم قال : نبأ محمد بن اسمعيل الكعبي قال : حدثني ابي ، عن حرملة بن عمران النجيبي ، عن ابي قبيل ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص . قال : خلقت الدنيا على خمس صور :

على صورة الطير برأسه ، وصدره ، وجناحيه ، وذنبه . فالرأس : مكة والمدينة ، واليمن ، والصدر : الشام ، ومصر . والجناح الايمن . العراق ، وخلف العراق امة يقال لها واق . وخلف واق امة يقال لها واق واق . وخلف ذلك من الامم ما لا يعلمه إلا الله عزّ وجل، والجناح الايسر : السند وخلف السند الهند ، وخلف الهند امة يقال لها ناسك ، وخلف ناسك امة يقال لها منسك ، وخلف ذلك من الامم ما لا يعلمه إلا الله عزّ وجل . والذنب : من ذات الحمام الى مغرب الشمس . ثم قال : وشرّ ما في الطير الذنب . فقال له ابو عمرو المغربي : ويكون الطير الطاوس ؟ فأخجله بين يدي السلطان ، فقال له السلطان : ما كان اغناك عن هذا ؟

مشورة ابي بكر الصديق رضي الله عنه الصحابة في قتال اهل الردة :

روينا من حديث الرملي قـال : حدثنا الحسين بن زياد الرملي ، حدثنا محمد بن عبد الله بن اسمعيل الازدي البصري قال :

لمـا توفي رسول الله ﷺ ، وطلب ابو بكر الزكاة كفر بها قوم وقالوا : قد كنا ندفع اموالنا الى محمد، فما بالُ ابن ابي قحافة يسألنا ، والله لا نعطيه منها شيئاً ابـداً ، فاستشار ابو بكر اصحاب رسول الله ﷺ فيهم . فأجمع القوم على التمسك بدينهم في انفسهم ، وأن يتركوا الناس مع مـــا اختاروه لأنفسهم ، وتخيّلوا انهم لا يقدروا على من ارتدّ من المسلمين . فقال ابو بكر رضي الله عنه : لو لم اجد احداً يوازرني لجاهدتهم بنفسي وحدي حتى اموت او يرجعوا الى الاسلام . ولو منعوني عقالاً ممـا كانوا يعطونه رسول الله ﷺ لجاهدتهم حق الحق بالله ، فـلم يزل ابو بكر يجاهد بأصحاب رسول الله ﷺ بالمقبل من المسلمين مدبرهم حتى عادوا جميعاً الى الاسلام ، ودخلوا فـيما كانوا خرجوا منه .

شيب رسول الله ﷺ :

روينا من حديث ابن حبان قـــال : حدثنا محمد بن يحيى المروزي ، حدثنا عاصم بن علي ، حدثنا محمد بن راشد ، عن مكحول ، عن موسى بن انس ، عن ابيه قال : لم يبلغ رسول الله ﷺ من الشيب مـا يخضبه ولكن ابو بكر كان يخضب رأسه ولحيته ورأسه بالحناء والكتم حـتى يقنؤ شعره . وبه قال : حدثنا ابن الظهراني ، حدثنا محمد بن عمر الوليد الكندي، حدثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر قال :

كان شيب رسول الله ﷺ نحو من عشرين شعرة ، وبه قال : حدثنا محمد ابن العباس بن ايوب ، حدثنا محمد بن اسماعيل الواسطي ، عن الاوزاعي ، عن محمد بن عمرو، عن ابي سلمة، عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : اختضبوا ، فإن اليهود لا تختضب ، فخالفوهم . وبه قال : حدثنا ابن رشيد، حدثنا ابراهيم بن المنذر الخزامي ، حدثنا ابو عمار هاشم بن غطفان يعني ابن عمارة بن مهران ، حدثنا عبد الله بن هدّاج من بني عديّ بن حنيفة ، عن ابيه، وكان ابوه قد ادرك الجاهلية ، قال: جاء رجل الى النبي ﷺ قد صَفر فقال : خضاب الإسلام . وجاءه رجل قد حمر فقال : خضاب الايمان .

ما جاء في زهده عليه الصلاة والسلام :

روينا من حديث ابن حبّان ، حدثنا احمد بن جعفر الجمال ، حدثنا عبد الواحد محمد بن محمد البجلي، ثنا يزيد بن هارون، ثنا الجراح بن منهال ، عن الزهري ، عن العطاء ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان الأنصار، فجعل يلتقط من التمر. فقال : يا ابن عمر مالك لا تأكل ؟ قلت : لا اشتهيه يا رسول الله . قال : لكني اشتهيه ، وهذه صبح رابعة لم أذق طعاماً ، ولو شئت لدعوت ربي عز وجل فأعطاني مثل ملك كسرى ، وقيصر، فكيف يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخبون رزق سنتهم ؟ ويضعف اليقين . فوالله ما برحنا حتى نزلت : « وكاين من دابة لا تحمل رزقها ، الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم » . فقال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل لا يأمرني بكنز الدنيا ، ولا باتباع الشهوات، فمن كنز ديناراً يريد به حياة باقية فإن الحياة بيد الله عز وجل . ألا واني لا اكنز ديناراً ولا درهماً ولا اخبأ رزقاً لغد .

الزهري هو عبد الرحمن بن عطاء .

وقالت عائشة رضي الله عنها : ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمة ولا شاة ولا بعيراً .

وفي رواية : ولا بقرة ، ولا أوصى .

روينا ذلك من حديث ابن حبّان ، عن اسحاق ، عن احمد بن الصباح ، عن اسحاق الازرق ، عن سفيان ، عن عاصم بن ابي النجود ، عن ذر ، عن عائشة رضي الله عنها .

إسلام خزيم بن فاتك :

روينا من حديث ابن اسحاق ، وحديث ابي عبد الله الحاكم ، اما الحاكم فقال : حدثنا ابو القاسم الحسن بن محمد السكوني ، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، ثنا محمد بن شيم الحضرمي ، ثنا محمد بن خليفة الاسدي ، ثنا الحسين بن محمد بن علي ، عن ابيه قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ذات يوم لابن عباس: حدثني بحديث يعجبني. فقال: حدثني خزيم بن فاتك. وقال ابن اسحاق: حدثني سعيد المقبريّ ، عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال خزيم بن فاتك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا امير المؤمنون ألا أخبرك كيف كان بدء إسلامي ؟ قال : بلى . قال: بينما انا في طلب إبل لي، قال ابن عباس : قال : إذ وجدتها فعقلتها ، وتوسدت ذراع بعير منها . قال ابن اسحاق : وناديت بأعلى صوتي : أعوذ بعزيز هذا الوادي من سفهاء قومه . قال الحاكم : وكذلك كانوا يصنعون في الجاهلية ؟ قال : واذا هاتف يهتف بي فقال :

ويحك ُعذْ بالله ذي الجلال		والمجد والأنعام والأفضالِ
منزّل الحرامِ والحـلالِ		ووحّـد الله ولا تبالي
ما هول ذي الجن من الأهوال		إذ تذكر الله على الأميال
وفي سهول الارض والجبال		وصار كيد الجن في سفال
إلا التقي وصالح الأعمالِ

قال ابن اسحاق : فذعرت ذعراً شديداً . فلما رجعت لي نفسي قلت :

يا أيها الهاتفُ ما تقولُ		أرشدٌ عندك أم تضليلُ
بيّن لنا هديتَ ما الحـُويلُ

قال الحاكم : قال فقال :

هذا رسولُ اللهِ ذو الخيراتِ		بيَثربٍ يدعو الى النجاةِ
جاء بياسينٍ وحاميماتِ		في سُوَرٍ بعدُ مفصلات
محرمـــاتٍ ومحلــلاتِ		يــأمرُ بالصوم وبالصلاة
ويزجرُ الناسَ عن الهناتِ

قـــال : فقلت : من انت يرحمك الله ؟ فقال : مالك بن مالك ، بعثني رسول الله ﷺ على ارض نجد . قال : فقلتُ : لو كان ما يكفيني ابلى هذه لأتيته حتى اؤمن به . فقال : انا اكفيكها حتى اؤديها الى اهلك سالمـــة ان شاء الله تعالى .

قال : فركبت بعيراً . قال ابن اسحاق : قال : فاتبعني وهو يقول :

صاحبك الله وسلم نفسك		وبلغ الأهل وردّ رحلك
آمن به أفلح ربي حقك		وانصره عزّ الإله نصرك

قال الحاكم : ثم اتيت المدينة ، فوافيت الناس يوم الجمعة، وهم في الصلاة. فقلت : يقضون صلاتهم ، ثم ادخل ، فإني ذالـــك ، إذ خرج اليّ ابو ذرّ فقال : يقول لك رسول الله ﷺ : ادخل ، فدخلت ، فلما رآني قال : ما فعل الشيخ الذي ضمن لك أن يؤدي إبلك الى اهلك سالمة ؟

أما انه قد أدّاها الى اهلك سالمة ؟ قلت : رحمة الله . فقال ﷺ : اجل رحمه الله . فقال خزيم : اشهد أن لا إله إلا الله وحسن اسلامه .

خبر إلهي :

حدثنا صاحبنا المسعودي عبد الله بدر بن عبد الله الحبشي الاستاذ ، ثنــا يونس بن يحيى ، ثنا ابو الوقت عبد الاول بن عيسى السجزي، ثنا عبد الأعلى ابن عبد الواحد المليحي، ثنا اسمعيل بن ابراهيم الهروي، عن محمد بن عبد الله عن احمد بن نجدة ، عن يحيى بن عبد الحميد ، عن ابن المبارك ، عن يحيى بن ايوب ، عن عبيد الله بن زحر ، عن علي بن زيد ، عـــن القاسم ، عن ابي امامة ، عن النبي ﷺ قال :

قال الله عزّ وجل ان اغبط اوليائي عند المؤمن خفيف الحاذ ، ذو حظٍ من صلاة احسن عبادة ربــه . وأطاعه في السر والعلانية ، وكان غامضاً في الناس لا يشار اليه بالأصابع ، وكان رزقه كفافاً ، فصبر على ذلك . ثم نقر بيده ثم قال : عجلت منيته ، وقلت بواكيه ، وقلّ تراثه .

وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

روينا من حديث ابن عيينة قــال : حدثنا عمرو بن دينار ، ثنا ابن عمر قال : كان رأس عمر في حجري لما طعن ، فقال : ضع رأسي بالأرض. قال:

فظننت ان ذلك تبرّماً ، فلم افعل ، فقال : ضع رأسي بالأرض، لا امّ لك ، ويلي ، وويل امي ، إن لم يغفر الله لي .

وروينا من حديث محمد بن جعفر قال : حدثنا احمد بن بديل الأيامي ، ثنا ابو معاوية الضرير ، ثنا داود بن هند ، عن الشعبي قال : لما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء ابن عباس فقال :

يا امير المؤمنين اسلمت حين كفر الناس ، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس . وقتلت شهيداً ولم يختلف عليك اثنان . وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض ، فقال : اعد عليّ ، فأعاد عليه . فقال : المغرور من غررتموه . والله لو أن لي ما طلعت عليه الشمس او غربت لافتديتُ به من هول المطلع .

في الخوف من الله تعالى :

روينا من حديث ابن ثابت قال : حدثنا الحسن بن ابي بكر البزار ، عن عبد الله بن جعفر بن دستورية النحوي عن يعقوب بن سفيان ، عن احمد بن ابي الحواري قال : سمعت اباه سليان بن عبد الرحمن بن احمد بن عطية العبسي يقول :

مفتاح الدنيا الشبع ، ومفتاح الآخرة الجوع . وأصل كل شيء في الدنيا والآخرة الخوف من الله عزّ وجل. وإن الله عزّ وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب . وإن الجوع عنده في خزائن مدخورة فلا يعطي إلا لمن يحب خاصة . ولأن أدع من عشائي لقمة احب اليّ من ان اكلها، وأقوم من اول الليل الى آخره .

ولنا شعر :

إلهـي لا تؤاخذني على مـا كان من زللي
ولا تنظر الى فعلي فـإني سيء العمل
وما لي غير حسن الظن يا ثقتي ويا امـلي

عجائب بيت المقدس التي صنعها الضحاك بن قيس الازدي وقيل الغساني :

حدثنا غير واحدٍ عن القاسم بن علي، عن ابي القاسم السومي، عن ابراهيم ابن يونس ، عن عبد العزيز النصيبي ، عن محمد بن احمد الخطيب ، عن عمر بن الفضل فيما حدّث ، عن ابيه ، عن حمـاد الرملي ، عن محمد بن العباس ، عن عمران بن موسى عن السام بن داود ، عن احمد بن نباته ، عن سلمة الابرش، عن ابن اسحاق ، عن ابي مالـك القرطبي ، عن ابراهيم وقيل : هو موقوف على السام ابن داود ، قال :

لما توجه ذو القرنين الى بيت المقدس ، وقد خضعت له الملوك رأى تلك العجائب التي وضعها الضحاك بن قيس في الزمان بحركات هندسية، وطلسمات موضوعة .

فمن ذلـك نار عظيمة اللهب ، فمن لم يطع الله في ليلته ، ثم نظر اليها احرقته . فإن كان قد اطاع الله ، ونظر اليها لم تضرّه .

ومن العجائب انه : من رمى بيت المقدس بسهم رجع اليه سهمه .

ومنها انه : وضع كلباً من خشب على باب بيت المقدس ، فمن كان عنده شيء من السحر ، اذا مرّ بذلك الكلب نبح عليـه ، فاذا نبح عليه نسي ما عنده من السحر .

ومنها انه : وضع باباً فاذا دخـــل الظالم من اليهود والنصارى على ذلك الباب ضغطه ذلك الباب حتى يعترف بظلمه .

ومنها انه : وضع عصاً في محراب المسجد ، فما يقدر احـد ان يمس تلك العصا ، إلا من كان من ولد الأنبياء ، فإن مسّها من ليس من اولاد الانبياء احترقت يده .

ومنها انهم : كانوا يحبسون اولاد الملوك في محراب بيت المقدس، فمن كان من اهل المملكة اذا أصبح وجد يده مطليّة بالدهن .

وجعل سليمان بن داود عليهما السلام سلسلة معلقة من السماء الى الارض يقضي بها بين الخصمين ، فالصادق تتدلى اليه حتى يمسكها، والكاذب لا ينالها حتى وقع المكر بين الناس ، فكان سبب رفعها ، ان رجلاً استودع رجلاً مالاً ، ثم غاب عنه حيناً ، ثم جاء يطلب وديعته ، فأنكره ذلك ، فأتى الى سليمان ، فقصّ عليه القصة ، فحكم عليه سليمان بالحكم ، وبعث معه الأمناء الى الموضع ، وأخذ الرجل الذي أُودِع المال قناةً ، فشقّها ، وصبّ المال فيها وأطبقها ، ثم أخذ يتوكأ عليها شبيهاً بالعليل ، وقال لصاحب المـال : خذ أنت هـذه العصا حتى أمدّ يدي وأنال السلسلة ، فأخـذ الرجل صاحب المال منه العصا ، وقال : أللهم انك تعلم ان هـــذا الرجل ، أودعني مالاً ، واني قد رددت ماله اليه . والمال في يد الرجل ، ولا يعلم ، أللهم ان كنت صادقاً في مقالتي فأنلني السلسلة بقدرتك فنال السلسلة . ثم قـال : ردّ عليّ عصايّ ، فردّ عليه عصاه ، وارتفعت السلسلة من ذلك اليوم . ونزل الوحي على سليمان ، فأخبره بالمكر ، وكان موضعها القبة التي على يسار الصخرة ، بناها عبد الملك بن مروان وفي ذلـك الموضع لقي النبي ﷺ الحور العين ليلة

الإسراء . وجعل سليمان بن داود ايضاً تحت الارض مجلساً وبركة ، وجعل فيها ماء ، وكان على وجه الماء بساط ، فمن كان على الباطل اذا وقع في ذلك الماء غرق ، ومن كان على الحق لم يغرق . فلما رأى ذو القرنين هذه العجائب أوحى الله اليه :

انك ميّت ، وان أجلك قد حضر . وكان ذو القرنين قد أوسع اهل الارض عدلاً ، وكان آخر ملوك الارض من اهل الخير . وقد كان كبر ودقّ عظمه ، ونحل جسمه ، وطعن في السن . فمات رحمه الله ببيت المقدس .

وزعم اهل العلم : انه بدومة الجندل ، رجع اليها من بيت المقدس ، وقبره بها اليوم ، قيل عاش خمسمائة عام .

ومن باب التقوى في الهوى :

فلما التقينا قالت الحكم بيننا   سوى خصلة هيهات منك مرامها
فقلتُ معاذ الله أطلب خصلة   تموت ويبقى بعد ذاك أثامها

ولعمرو بن ابي ربيعة في هذا الباب :

لعمرُ أبيها ما صبوتُ ولا صبتْ   اليّ واني عن صباً لحليمُ
سوى قبلةٍ استغفر الله ذنبها   سأطعم مسكيناً بها وأصوم

وللفرزدق من هذا الباب :

شمسٌ اذا بلغ الحديث خيانةً   أمسكن عنه غرائرٌ أقمارُ
وحديثهن كأنها مرفوعةٌ   من دينهنّ اذا جهرن سرار

وله ايضاً ويُعزى لغيره :

ويوم كإبهام الحبارى قطعته بنعمة والواشون فيه تحرفُ
بلا محرم إلا كلام مودّةٍ علينا رقيبان التقى والتطرف
اذا ما هممنا صدّت النفس دونها كما صدّ من بعد التهمّم يوسف

ومن نظمنا في هذا الباب ارتجالاً :

علينا من التقوى رقيبٌ مسلّط اذا ما خلونا والهوى زائد البلوى
ولكن وقانا الله شرّ بلائه بما جعل الرحمن فينا من التقوى
ولو لم يكن تقوى لكان اشتغالنا اذا ما خلونا بالعتاب وبالشكوى
ويأبى الهوى القتال إلا صيانةً عن اللثم لما كان سلطانه أقوى
فحسبي أن أفنى اذا ما لقيتُه وحسبي ما يلقى عن السمع في النجوى
حديث كزهر الروض عطّره الندى وفي الطعم طعمُ المنّ فيه مع السلوى

مثل نبوي :

من حديث الخليل بن احمد قال: حدثنا ابو العباس محمد بن اسحاق السراج، أنبأ ابن منيع ، ثنا عبد الأعلى بن حماد القرشي ، ثنا حماد بن سلمة ، عن علي ابن زيد، عن اوس بن خالد، عن ابي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال : مثل الذي يجلس يستمع الحكمة ثم لا يحدّث إلا بسوء ما يسمع ، كمثل رجل أتى راعياً فقال : يا راعي اجزر لي شاةً من غنمك، فقال له : اذهب فخذ بأذنِ خيرها شاةً ، فأخذ بأذن كلب الغنم .

شعر :

لعمرُك ما للعبد كالرب حافظ ولا مثل عقل المرءِ للمرءِ واعظُ
لسانك لا يلقيك في الغيّ لفظه فإنك مأخوذ بما انت لافظُ

وروينا من حديث عبد العزيز بن عمر قـــال : حدثنا أبو محمد بن محمد القطواني ، ثنا عبد الجبار بن الحسن الخشنيّ ، ثنا محمد بن علي ، حدثنا محمـد ابن سليمان الحضرمي ، ثنا محمد بن العلاء ، ثنا معاوية بن سنان ، عن منصور ابن سعيد الحمصي ، عن يونس بن حبّان العسكري ، عن ابي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : يأتي على أمتي زمان تكثر فيه الآراء ، وتتبعُ فيـه الأهواء ، ويتخـــذ القرآن مزامير ، ويوضع على ألحان الأغاني ، يقرأ بغير خشية ، لا يأجرهم الله على قراءته ، بل يلعنهم . عند ذلك تهشّ النفوس الى طيب الألحان ، فتذهب حـلاوة القرآن . اولئك لا نصيب لهم في الآخرة . ويكثر الهرج والمرج ، وتخلعُ العرب أعنتّها ، وتكتفي الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ، ويتخذون ضرب القضيب فيما بينهم فـلا ينكره منكر ، ويتراضون بـــه ، وهو من احدى الكبائر الخفية . فويل لهم من ديان يوم الدين ، لا تنالهم شفاعتي ، فمن رضي بذلك منهم ، ولم ينههم ندم بذلك يوم القيمة ، وأنا منه بريء ، وعندها تتخذ النساء مجالس ويكون الجموع الكثيرة حتى ان المرأة لتتكلم فيها مثل الرجال ، ويكون جموعهن لهواً ولعباً ، وفي غير مرضاة الله ، وهي من عجائب ذلك الزمان ، فإذا رأيتموهم فباينوهم ، وأحذروهم في الله ، فإنهم حربٌ لله ولرسوله ، والله ورسوله منهم بري .

ومن شذور الحكم :

افضل المعروف معونة الملهوف ، من تمام الكرم ان تذكر الخدمة لك . وتنسى النعمة منك ، وتفطن للرغبـــة اليك ، وتتعامى عن الجناية عليك ، ومن تمام المروءة ان تنسى الحق لـــك ، وتذكر الحق عليك . وتستكثر الاساءة منك ، وتستصغر الاساءة من غيرك اليك ، من احسن المكارم عفو

المقتدر وجود المفتقر ، احسن الادب ما كفك عن المحارم وأحسن الاخلاق ما حثك على المكارم ، الكريم يكرم عن السؤال ، ويحلم عن الجهال .

ومن وصايا الله تعالى لنبيّة داود عليه السلام :

ما رويناه من حديث ابن ثابت ، قال : انبأ ابو الحسن احمد بن محمد بن احمد بن الصلت الاهوازي ، حدثنا ابو عبد الله محمد بن مخلد العطار ، ثنـ موسى بن هارون ، ثنا محمد يعني ابن نعيم بن هضيم قال : سمعت بشراً عن ابن الحارث المشهور بالحافي يقول :

اوحى الله تعالى الى نبيّه داود عليه السلام: يا داود لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً فيصدّك بمكره عن طريق محبتي ، اولئك قطاع طريق عبادي .

حكمة بالغة وحجة دامغة :

روينا من حديث ابن ثابت قال : ثنا عبد الرحمن بن فضالة ، ثنا احمد بن محمد بن اسمعيل ، ثنا ابو مطيع مكحول بن الفضل النسفي قال : قال يحيى بن معاذ الرازي : مصيبتان للعبد لم يسمع الاولون والآخرون بمثلها في ماله عند موته. قال له : ما هي؟ قال : يؤخذ منه كله، ويسئل عنه كله .

وصية ابي بكر الصديق رضي الله عنه :

روينا من حديث ابي بكر احمد بن محمد المارورزي، حدثنا محمد بن عباس السامري ، ثنا مؤمن بن اسمعيل ، ثنا عبد الله بن ابي حميد ، عن ابي المليح ان ابا بكر رضوان الله عليه لما حضرته الوفاة ارسل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال :

اني أوصيك بوصية ان انت قبلتها عني : إن لله عزّ وجلّ حقاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وإن لله حقاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وانـه عز وجل لا يقبل النافلة حتى تؤدي الفريضة . واعلم ان الله عز وجل ذكر اهل الجنة بأحسن اعمالهم . فيقول القائل: أين يقع عملي في عمل هؤلاء؟ وذلك ان الله عز وجل تجاوز عن سيء اعمالهم ولم يثر به . واعلم ان الله عز وجل ذكر اهل النـار بأسوأ اعمالهم . ويقول قائل : انا خير من هؤلاء عملاً وذلك ان الله عز وجل ردّ عليهم احسن اعمالهم،فلم يقبله. ألم ترَ انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه في الآخرة في اتباعهم الحق في الدنيا ؟ وثقل ذلـك عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا حق ان يثقل . ألم ترَ انما خفّت موازين مَن خفت موازينه في الآخرة في اتباعهم الباطل في الدنيا ، وخفّ ذلـك عليهم ؟ وحق لميزان لا يوضع فيه إلا باطلاً ان يخف . ألم ترَ ان الله عز وجل أنزل آية الرخاء عنـد آية الشدة ، وآية الشدة عند آية الرخاء ، لكي يكون العبد راغباً راهباً ، لا يلقي بيـــده الى التهلكه ، ولا يتمنى على الله غير الحق . فإن انت حفظت وصيتي ، فلا يكونن غائب احب اليك من الموت ، ولا بد لك منه . وان انت ضيّعت وصيتي هـــذه فلا يكونن غائب ابغض اليك من الموت ، ولن تعجزه .

وروينا من حديث محمد بن يوسف بن بشر ، حدثنا الفضل بن العباس بن ابي العباس الزيّات،ثنا زكريا بن يحيى بن صبيح، ثنا ابو بكر محمد الواسطي، ثنا الهيثم بن محفوظ ابو سعد النهدي ، ثنا هشام بن عروة ، عن ابيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت :

كتب ابو بكر رضي الله عنه وصية :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أوصى به ابو بكر بن ابي قحافة ، عند

خروجه من الدنيا ، حين يؤول الكافر ، ويتقي الفاجر ، ويصدق الكاذب ، اني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن يعدل فذلك ظني بــه ، ورجائي فيه ، وان يجر ويبدّل فــلا أعلم الغيب ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

قال ابو سليمان : والذي كتب وصية ابي بكر عثمان بن عفّان رضوان الله عليهم اجمعين .

غزوة عبد الله بن جحش الاسدى :

قال الله تعالى : « يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه » .

روينا من حديث الواحدي ، قــال : أنبأ ابو اسحق احمد بن محمد بن ابراهيم ، أنبأ محمد بن عبد الله بن زكريا ، أنبأ محمد بن عبد الرحمن ، أنبأ ابو بكر بن ابي خيثمة ، أنبأ ابراهيم بن المنذر ، أنبأ محمد بن فليح ، عن موسى ابن عقبة ، عن ابن شهاب ، قال : هـذا كتاب مغازي رسول الله ﷺ التي قاتل فيها يوم بدر في رمضان سنة اثنين .

ثم قاتل يوم أُحد في شوال سنة ثلاثٍ .

ثم قاتل يوم الخندق في شعبان سنة خمسٍ .

ثم قاتل يوم خيبر في سنة ستٍ .

ثم قاتل يوم الفتح في رمضان سنة ثمانٍ .

وقاتل يوم حنين .

وحصر اهل الطائف في شوال سنة ثمان

قال الواحدي: أول قتال كان بين المسلمين والمشركين كان في غزوة عبدالله ابن جحش التي نزل فيها قوله : « يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه الآية » وذلك ان رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمته في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهراً من مقدمة المدينة . وبعث معه ثمانيـــة رهط من المهاجرين : سعد بن ابي وقاص ، وعكاشة بن محصن ، وعيينة بن غزوان ، وأبا حذيفـة بن عتبة بن ربيعة ، وسهيل بن بيضاء ، وعامر بن ربيعة ، وواقد بن عبد الله ، وخالد بن بكر .

وكتب لأميرهم عبد الله بن جحش كتاباً ، وقال: سر على اسم الله ، ولا تنظر في الكتــاب حتى تسير يومين ، فاذا نزلت ، فافتح الكتاب ، واقرأه على اصحابك ، ثم امض لمـا أمرتك ، ولا تستكرهن احداً من اصحابك على السير معك .

فسار عبد الله يومين ، ثم نزل ، وفتح الكتاب ، فاذا فيـــه : بسم الله الرحمن الرحيم :

أما بعـــد ، فسر على بركة الله بمن تبعك من اصحابك حتى تنزل ببطن نخلة ، فترصد بها عير قريش ، لعلك ان تأتينا منه بخير .

فلما نظر عبد الله في الكتاب وقال : سمعاً وطاعة ، ثم قـــال لأصحابه ذلك ، وقال : انه قد نهاني ان أستكره احداً منكم ، فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فاني ماضٍ لأمر رسول الله ﷺ .

ثم مضى ومعه اصحابه لم يتخلف عنه احد منهم ، حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع يقول نجران أضلّ سعد بن ابي وقاص ، وعيينة بن غزوان ، بعيراً

لما كانا يتعقبانه . واستأذنا أن يتخلفا في طلب بعيرهما ، فأذن لهما ، فتخلف في طلبه ، ومضى عبد الله يتبعه اصحابه حتى نزلوا ببطن نخلة ، بين مكة والطائف . فبينا هم كذلك إذ مرّت بهم عيرُ قريش تحمل زبيباً وأدماً وتجارة الطائف ، فيهم عمرو بن الحضرمي ، والحكم بن كيسان ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، ونوفل بن عبد الله المخزومي . فلما رأوا اصحاب رسول الله ﷺ هابوهم . فقال عبد الله بن جحش : إن القوم قد ذعروا منكم ، فاحلقوا رأس رجل منكم فليعرض لهم ، فإذا رأوه محلوقاً آمنوا . وقالوا : قوم عمّار لا بأس عليكم ، فحلقوا رأس عكاشة ، ثم أشرف عليهم ، فقالوا : قوم عمّار لا بأس عليكم ، فأمنوهم . وكان ذلك في آخر يوم من جمادي الآخرة . وكانوا يريدون انه من جمادي الآخرة . وكانوا يرون انه من جمادي وهو رجب . فتشاور القوم فيهم وقالوا : لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم ، وليمتنعنّ منكم . فأجمعوا أمرهم في مواقفة القوم . فرمى واقد بن عبدالله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ،وكان اول قتيل من المشركين. واستأثر الحَكَم ، وعثمان ، فكانا أول اسيرين في الإسلام . وأفلت نوفل فأعجزهم، واستاق المسلمون العِيَر والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ ، فقال المشركون [1] : قد استحلّ محمد الشهر الحرام، فشهر يأمن فيه الخائف، ويندعر فيه الناس لمعاشهم ، فسفك فيه الدماء وأحلّ فيه الحرام . وعيّر بذلك اهل مكة من كان فيها من المسلمين ، وقالوا : يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام ، وقاتلتم فيه . وتفاءلت اليهود بذلك ، وقالوا : واقد وقدت الحرب ، وعمرو عمرت الحرب ، والحضرمي حضرت الحرب . فبلغ ذلك

---

(١) نسخة ٢ : فقالت قريش .

رسول الله ﷺ ، فقال لابن جحش وأصحابه : ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام . ووقف العير ، والأسيرين ، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً ، وعظم ذلك على اصحاب السريّة، وظنوا أن قد هلكوا، وسقط في ايديهم . فقالوا: يا رسول الله إنا قتلنا ابن الحضرمي، ثم أمسينا فرأينا الهلال ، فإذا هو هلال رجب ، فلا ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادي ، وأكثر الناس في ذلك . فأنزل الله هــــذه الآية : « يسئلونك عن الشهر الحرام قتــال فيه » الآية ، فأخذ ﷺ العِيَر ، فعزل منها الخمس ، فكان اول خمس في الإسلام ، وقسم الباقي بين اصحاب السرية ، فكان اول غنيمة في الإسلام . وبعث اهل مكة في فداء اسيريهم ، فقال ﷺ : بل نقفهم حتى يقدم سعد بن ابي وقــاص ، وعتبة ، فإن لم يقدما قتلناهما . فلما قدما فداهما .

فأما الحكَم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول الله ﷺ بالمدينة ، فقتل يوم بئر معاوية شهيداً .

وأما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافراً .

وأما نوفل فضربَ فرسه يوم الأحزاب ليدخل الخندق فتحطم فيه فمات. وطلب المشركون جثته بالثمن . فقال رسول الله ﷺ : خذوه، فإنه خبيث الجيفة ، خبيث الدم . اه والحمد لله وحده .

حكم :

مَن حفر لأخيه كان حتفه فيــــه . ومَن حفر لأخيه بئراً اوقعه الله في بئره . ومن أساء عليه تدبيراً جعل هلاكه في تدبيره . ومن أبدى سرّ أخيه أبدى الله اسرار مساويه . ومن جــــار حكمه أهلكه ظلمه . ومن جارت قضيته ، ومن ساء اختياره قبحت آثاره . من قلّ اعتباره قلّ استظهاره .

من بغى على أخيه قتله بغيه . ومن جرى في مساويه كبا جريه . من خادع الله خُدع . ومن صارع الحق صُرع . من ساء عقده سرّ فقده . من امكن من مظلوم زال إمكانه . ومن أحسن الى ظلوم بَطل إحسانه . من جار في سلطانه صغّره . ومن منّ في إحسانه كدرّه . من تعدّى على ذويه تناهى في ظلمه وتعديه . من بخل على اهله لم يتصل به تأميل . ومن أساء الى نفسه لم يتوقع منه جميل . من احسن الملكة آمن الهلكة . من أشفق على سلطانه أقصر عن عدوانه . من ظلم يتيماً ظلم اولاده . ومن أفسد امرأة [١] أفسد معاده . من أحب نفسه اجتنب الآثام . ومن رحم ولده رحم الايتام . افضل الملوك من احسن في فعله ونيته ، وعدل في جنده ورعيته . اعظم الملوك مَن ملك نفسه وبسط عدله . من سلّ سيف البغي أغمده في رأسه . ومن استنّ اساس الشر أسسه على نفسه . أقبح الأشياء سخف الولاة ، وظلم القضاة، وغفلة الساسة، وحسد السادة. ومَن جانب الأخيار أساء الاختيار . ومن ركب البغي لم يأمن مغبّته . ومن نكب عن الحق لم تحمد عاقبته . النميمة دناءة ، والسعاية رداءة ، وهما أُسّ الغدر ، وأساس الشر ، فجنّب سُبُلها ، وتجنب اهلها . مَن لم يرحم العبرة ، منع الرحمة . ومن لم يقل العثرة ، سلب القدرة .

بناء عبد الملك بن مروان قبة الصخرة :

روينا من حديث الواسطي قال : نبأ عمر بن الفضل بن المهاجر ، عن ابيه ، عن الوليد بن حماد الرملي ، نبأ ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن

---

(١) نسخة ٢ : امره .

منصور بن ثابت بن الاستاذ ، نبأ ابو محمد بن منصور ، عن جده ثابت ، عن رجاء بن حَيوَة ويزيد بن سلام مولى عبد الملك بن مروان من اهل بيت المقدس : ان عبد الملك بن مروان حين همّ ببناء الصخرة ، ومسجد بيت المقدس ، قدم من دمشق الى بيت المقدس ، وبث الكتب في جميع عمله كله الى جميع الامصار : ان عبد الملك أراد ان يبني قبة على الصخرة ، صخرة بيت المقدس تكنُّ المسلمين من الحر والبرد ، والمسجد . فكره ان يفعل ذلك دون رأي رعيته ، فلتكتب الرعية برأيهم ، وما هم عليه . فوردت الكتب عليه : ان امير المؤمنين رأيه موفق رشيد ، نسأل الله ان يتم له ما نوى من بناء بيته وصخرته ومسجده ، ويجري ذلك على يديه ، ويجعله مكرمة ، ولمن مضى من سلفه . فجمع الصنّاع من جميع عمله كله . وأمر ان يصنعوا له صفة القبة وسمتها من قبل ان يبنيها . فعُملت له في صحن المسجد ، وأمر ان يبني بيتاً للمال في شرقي الصخرة ، وهو الذي فوق حرف الصخرة ، فأشحن بالأموال، ووكل على ذلك رجاء بن حَيوة، ويزيد بن سلام على النفقة عليها ، وأمرهم ان يفرغوا المال عليها افراغاً ، دون ان ينفقوه انفاقاً . فأخذوا في البناء والعمارة حتى أحكم وفرغ من البناء ، ولم يبق لمتكلم فيها كلام . كتب اليه بدمشق :

قد أتم الله ما أمر به امير المؤمنين من بناء صخرته ، والمسجد الاقصى . ولم يبق لمتكلم فيها كلام ، وقد تبقى مما امر به امير المؤمنين من النفقة عليها بعد ان فرغ من البناء ، وأحكم مائه الف دينار ، فيصرفها امير المؤمنين في أحب الأشياء اليه .

فكتب اليهما : قد امر امير المؤمنين لكما جائزة لما وليتما من عمارة ذلك البيت الشريف المبارك .

فكتبا : نحن أولى ان نزيده من حليّ نسائنا، فضلاً عن أموالنا، فاصرفها في أحبّ الأشياء اليك .

فكتب اليهما : تسبك، وتفرغ على القبة، فما كان احد يقدر ان يتأملها ، مما عليها من الذهب . وهيأ لها جلالين : جلال من لبود ، وجلال من اديم ، من فوقه . فاذا كان الشتاء ألبسته ليكنّها من الامطار، والرياح ، والثلوج .

وكان رجاء بن حيوة ، ويزيد بن سلام قـــد حفوا الحجر [1] بدرابزين ساسم ، وخلف الدرابزين ستور ديباج مرخاة بين العُمد . وكان في كل اثنين، وخميس ، يأمرون بالزعفران ان يدق ويطحن ، ثم يعمل من الليل بالمسك ، والعنبر ، والمـاء الورد الجوري ، ويخمّر من الليل ، ثم يأمر الخدّام بالغداة فيدخلون حمام سليمان بن عبد الملك ، يغتسلون ، ويتطهرون ، ثم يأتون الخزانة التي فيها الخلوف ، فتلقى أثوابهم عنهم ، ثم يخرجون بأثواب جدد من الخزانة ، مروي ، وفوهي ، وشيء ، يقـــال له العصب ، ويخرجون منها مناطق محلّاة ، ويشدون بهـــا اوساطهم ، ثم يأخذون الخلوف ، ويأتون الصخرة، فيلطخون ما قدروا ان تناله أيديهم حتى يغمروها كلها . وما لم تنله ايديهم ، غسلوا اقدامهم ، ثم يصعدون على الحجر [2] حتى يلطّخون ما بقي ، ثم ترفع آنية الخلوف ، ويؤتى بمجامر الذهب ، والفضة ، والندّ ، والعود القماري المطرى بالمسك ، والعنبر ، فترخى الستور حول العمُد كلها . ثم يأخذون في البخور حولها يدورون حتى يحول البخور بينهم وبين القبة من

---

(١) نسخة : الصخرة .

(٢) نسخة : الصخرة .

كثرته ، ثم تشمر الستور ، فيخرج البخور يفوح من كثرته حتى يبلغ رأس السوق ، فيشمّ الريح من ثمّ ، فيقطع البخور من عندهم . ثم ينادي منادي في صفّ البزازين وغيرهم : ألا أن الصخرة قد فتحت للناس، فمن اراد الصلاة فيها فليأت . فيقبل الناس مبادرين للصلاة في الصخرة . فأكثر من يدرك أن يصلي ركعتين ، وأكثره اربعاً .

ثم يخرج الناس ، فمن شمّوا رائحته قـــالوا : هذا ممن دخل الصخرة . ويغسل أثر اقدامهم بالمـــاء ، ويمسحُ بالآس الأخضر ، وينشف بالشبابي ، والمناديل ، وتغلق الابواب، وعلى كل باب عشرة من الحجبة ، ولا يدخل إلا يوم الاثنين ، والخميس ، ولا يدخلها إلا الخدام . قال : فكنت اسرجهـا في خلافة عبد الملك كلها باللبـــان المدنيّ ، والزيبق الرصاصي ، فكان الحجبة يقولون له : يا ابا بكر مرْ لنا بقنديل ندهنُ به، ونطيّب به . وكان يجيبهم الى ذلك . فهذا ما كان يفعل بها في خلافة عبد الملك كلها . وكانت الأبواب ملبسةً ذهباً ، وفضة ، صفائح الأبواب .

فلما قدم ابو جعفر ، وكان شرقيّ المسجد وغربيّه ، قد وقع، فرفع اليه : يا امير المؤمنين ، قد وقع شرقيّ هذا المسجد وغربيّه . وكانت الرجفة سنة ثلاثين ومائة . فقالوا له : لو أمرت ببناء هذا المسجد وعمارته . فقـــال : ما عندي شيء من المال. فأمر بقلع الصفائح الذهب والفضة التي على الابواب. فضربت دنانير ودراهم ، وأنفق عليها . فلما فرغ منه كانت الرجفة الثانية ، فوقع البناء الذي أمر به ابو جعفر .

فلما قدم المهدي من بغداد ، وهو خراب ، فأمر ببنائه وقـال : انقصوا من طوله وزيدوا في عرضه ، فتمّ البناء في خلافته . وأمر ببناء الكنيسة التي تهدمت الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، بأمر المهدي .

هكذا روينا من حديث الرملي ، عن عبد الرحمن بن محمد بن منصور بن ثابت، وكان بين القبتين ، من القبة الى القبة كلاليب حديد، وعوارض حديد، فقلعها ابي لابن ابي يحيى . قال : وكانت الصخرة ايام سليمان بن داود ارتفعها اثنا عشر ذراعاً ، كل ذراع ذراعٌ وشبرٌ وقبضة . وكان عليها قبة من العود اليلنجوج ، عود منديلّ ، وارتفاع القبة ثمانية عشر ميلاً ، وفوق القبة غزال من ذهب، في عينه درة حمراء ، تقعدُ نساء اهل البلقاء يغزلون على ضوئه . وكانت اهل عمواس يستظلون بظل القبة اذا طلعت الشمس ، واذا غربت استظل اهل بيت الرامة من الغور بظلها . وكان ولد هارون عليه السلام يجيئون الى الصخرة ، ويسمونها : الهيكل ، بالعبرانية . وكانت تنزل عليهم عين زيت من السماء فتدور في القناديل فتملأها من غير ان تمسّ .

وكانت تنزل نار من السماء في مثال سبُع على جبل طور سيناء ، ثم تمتد حتى تدخل من باب الرحمة ، ثم تصير على الصخرة . فيقولون ولد هارون : يا أدوناي ، وتفسيرها : تبارك الرحمن لا إله إلا هو . فغفلوا ذات ليلة عن الوقت الذي كانت النار تنزل فيه ، فنزلت وليس هم حضور . ثم ارتفعت النار ، فجاؤا ، فقال الكبير للصغير : يا اخي قد كتبت الخطيئة ، ليس ينجينا من بني اسرائيل ، ان تركنا هذا البيت الليلة بلا نور ، ولا سراج . فقال الصغير للكبير : تعال حتى نأخذ من نار الدنيا ، فنسرج القناديل ، لئلا يبقى هذا البيت الليلة بلا نور ولا سراج . وأخذوا من نار الدنيا ، وأسرجوا، فنزلت عليهم النار في ذلك الوقت، فأحرقت نار السماء نار الدنيا، وأحرقت ولد هارون .

قال : فناجى نبي ذلك الزمان فقال : يا رب احرقت ولد هارون وقد علمت مكانهم . فأوحى الله عز وجل اليه : اني هكذا أفعل بأوليائي اذا

عصوني ، فكيف بأعدائي ؟

قـــال : فكان في زمان بني اسرائيل اذا اذنب احدهم الذنب كتب على جبينه خطيئته، وعلى عتبة بابه : ألا ان فلاناً قد اذنب في ليلته كذا وكذا. فيبعدونه ، ويزجرونه ، فيأتي الى باب التوبة ، وهو الباب الذي عند محراب مريم عليها السلام ، الذي كان يأتيها رزقها منه ، فيبكي فيـه ، ويتضرع ، ويقيم حيناً . فإن تاب الله عليه محا ذلك عن جبينه ، فيقربه بنو اسرائيل ، وإن لم يتب عليه أبعدوه وزجروه .

وبه الى عبد الرحمن بن محمد يبلّغ به كعباً قـال : مكتوب في التوراة أشيروا شلائم ، وهي بيت المقدس ، والصخرة يقال لهـا : الهيكل . ابعث اليك عبدي الملك يبنيك ويزخرفك .

وبه الى عبد الرحمن قال : سمعت من يحكي عن خليل انه غلب عليه النوم ذات ليلة عن يمين الصخرة ، فانتبه ، والنـاس قـد انصرفوا ، والموضع خال ليس فيه احد . فقام يطفىء القناديل ، والابواب مفتّحة ، فاذا بسبع من نار واقفاً على حاجز الصخرة يتوقد ناراً . قال : فطاش عقلي ، وقـام شعر بدني ، وهبتُ ، ثم حملت نفسي على الصبر، وجعلت أُطفىء القناديل ، وهو يدور معي بحذائي على الحاجز حتى جئت الى الباب القبلي، فلما أغلقته وثب، ففرق عند المنارة ، ولا لي به عهد ، فأقمت سنة ما هدىء روعي .

ومن باب النسب ، قال العباس بن الاحنف :

إني وجدت الهوى في الصدر إذ ركدا   كالنار بل زاد جوف الصدر متّقدا
النار تطفى ببرد الماء ان ضرمت   ولو ضربت الهوى بالماء ما بردا

وقال بعضهم :

اذا وجدت أوار الحب في كبدي أقبلتُ نحو سقاء القوم أبتردُ
هذا يبرّد بردُ المـاء ظاهره فمن لحرٍّ على الاحشاء يتّقد

وفي ذلك لابن الرومي :

بعيني دموعٌ لو جرين بقفرة لأضحت بقاع الارض من مائها وحلا
وفي القلب نارٌ لو تصبُّ على الورى لمات جميع الناس واحترقوا كلا

وله :

يا مُوقد النار قد هيّجت أشجانا ولم أطق للذي هيّجت كتمانا
أوقدت ناراً على علياء واحدة وأوقد الشوق في الاحشاء نيرانا

وله هـ :

يا مُوقد النـار يذكيها ويخمدها بردُ الشتاء بأرياح وأمطارِ
قم فاصطلي النار من قلبي مضرّمة بالشوق تغنَ بها يا موقد النار
ويا اخا الذود قد طال الظماء بها لم تدرِ ما الرأي في جدب واقتار
رد بالظباء على عيني ومحجرها تروي الظباء بدمع مسبل جاري
يا مُزمع البين ان جدّ الرحيل فلا كان الرحيل فإني غير صبّار

ولنا من النظاميات :

رعى الله طيراً على بانةٍ قد أفصح لي من صحيح الخبرْ
بأن الاحبّة شدّوا على رواحلهم ثم راحوا سحر
فسرتُ وفي القلب من أجلهم جحيمٌ لبينهم تستعر

أتابعهم في ظـــلام الدُّجى أنادي بهم ثم أقفو الاثر
ومالي دليـــلٌ عـلى اثرهم سوى نفس من هواه عطر
رفعن السّجاف أضاء الدجا فسار الركاب لضوء القمر
وأرسلت دمعي أمام الركاب فقالوا متى سال هـذا النهر
ولم يستطيعوا عبوراً له فقلتُ دموعي جرين درر
كأن الرعود لمع البروق وسير الغمام لصوب المطر
وجيبُ القلوب لبرق الثغور وسكب الدموع لركب النفّر
فيا مَن يشبّه لين القدود بلين القضيب الرطيب النظر
ولو عكس الامر مثل الذي فعلت لكان سليم النظر
فلين الغصون للين القدود وورد الرياض لورد الخفر

خبر إلهي :

روينا من حديث مسلم قال: نبأ عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدرامي قـــال : نبأ مروان يعني ابن محمد الدمشقي ، نبأ سعيد بن عبد العزيز ، عن ربيعة بن يزيد ، عن ابي ادريس الخولاني ، عن ابي ذر ، عن النبي ﷺ ، فيما روي ، عن الله تعالى انه قال :

« يا عبادي إني حرّمتُ الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرّماً فـــلا تظالموا » .

« يا عبادي كلكم ضالّ إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم » .

« يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم » .

« يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم » .

« يا عبادي انكم تخطئون بالليل والنهـــار ، وأنا اغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم » .

« يا عبادي انكم لن تبلغوا ضرّي ، فتضرّوني ، ولن تبلغوا نفعي ، فتنفعوني » .

« يا عبادي لو أن أوّلكم ، وآخركم ، وانسكم ، وجنّكم، كانوا على أتقى قلب رجل منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً » .

« يا عبادي لو أن اولكم ، وآخركم ، وإنسكم ، وجنكم ، كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم ، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً » .

« يا عبادي لو أن اولكم ، وآخركم ، وإنسكم ، وجنكم ، قاموا في صعيد واحدٍ ، فسألوني ، فأعطيت كل انسان مسألته ، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط اذا دخل البحر » .

« يا عبادي إنما هي اعمالكم احصيها لكم، ثم اوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه » .

روينا من حديث الخرائطي قال : نبأ علي بن داود القنطري، نبأ عبدالله ابن صالح ، نبأ الليث بن سعد ، عن حميد الطويل ، عن مطرف بن عبد الله ابن الشخير قال :

خرجت الى الربيع في زمانه ، وكنت ادخل الى الجمع لشهودها . وكان طريقي على المقبرة ، قـــد خلتُ يوماً فإذا بجنازة ، فقلتُ : لو اغتنمت شهودها فصليتُ عليها ، ثم صليت ركعتين خفيفتين لم اتقنهما ذلك الاتقان في نفسي ، ثم اضطجعت الى جانب قبر فـإذا صاحب القبر يقول : اليك عني ،

فإنكم قومٌ تعملون ، ولا تعلمون ، ونحن قوم نعلم ولا نعمل . صليت ركعتين خفيفتين لم تتقنهما في نفسك ذلك الاتقان . قلت : نعم ، قال : مـا سرّني ان الدنيا بحذافيرها لي بهما . قلت : فمن ها هنا ؟ فقال : كل مسلم . وكل قد نال خيراً .

وبـــه قال : نبأ علي بن داود ، نبأ عبد الله بن صالح ، نبأ يعقوب بن عبد الرحمن ، عن عمرو بن ابي عمرو ، عن سعيد بن ابي سعيد المقبري ، عن ابي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال :

قال الله عزّ وجل : ان عبدي المؤمن بمنزلة كل خير عندي يحمدني وأنا أنزع نفسه من بين جنبيه .

وبـــه قال عبد الله بن صالح : نبأ معاوية بن صالح ، عن يحيى بن جابر الطائي ، عن ابي عائذ الازدي انه قال :

اتيتُ بيت المقدس ، انا ، وعبد الله بن عائـذ ، فجلسنا الى عبد الله بن عمرو ، فسمعته يقول : ان القبر يكلم العبد إذا وضع فيه يقول : يا ابن آدم ما غرّك بي ؟ ألم تعلم اني بيت الوحدة ؟ ألم تعلم اني بيت الظلمة ؟ ألم تعلم اني بيت الحق ؟ يا ابن آدم ما غرك بي وكنت تمشي حولي فداداً ؟ قال ابن عائذ: فقلت لغضيف : ومـا الفداد يا ابا اسماء ؟ قال : كبعض مشيتك يا ابن اخي احياناً . قـال غضيف : فقال صاحبي ، وكان اكبر مني لعبد الله بن عمرو : فإن كان مؤمناً فماذا له ؟ قال : ذاك يوسع له في قبره ، ويجعله منزلة خضراء ويعرج بنفسه الى الله تعالى .

روينا من حديث ابن ثابت قـــال : انا ابو العباس الفضل بن عبد الرحمن

الابهري ، نبأ محمد بن ابراهيم بن علي قـال : انشدنا عبد الله بن رستم قال : قال رؤي على قبر عبد الله بن المبارك رحمه الله مكتوب :

الموت بحرٌ موجه غالب   يذهب فيه حيله السابح
لا يصحبُ المرء الى قبره   إلا ألتقي والعمل الصالح

وبه قال : انا محمد بن محمد بن ابراهيم بن مخلد ، نبأ جعفر بن محمد الخالدي نبأ احمد بن محمد بن مسروق قال :

انشدني بعض اصحابنا :

اجعل تلادك في المهم   من الامور إذا اقترب
لا تسه عن أدب الصغيـ   ـر وإن شكا ألم التعب
وذر الكبير فإنـــه   كبر الكبير عن الأدب
لا تصحب الصلّف المريـ   ـب فقربه احد الريب
وأعلم بأن ذنوبـــه   تعدي كما يعدي الجرب

وبه قال : أنا عبد الله بن محمد بن عبد الله بن بشران ، نبأ محمد بن الحسين الأجري ، نبأ العباس بن يوسف الشملي ، نبأ محمد بن الحسين بن العلاء البلخي قال : سمعت يحيى بن معاذ الرازى يقول :

يا ابن آدم طلبت الدنيا طلب من لا بد له منها ، وطلبت الآخرة طلب من لا حاجة له اليها ، والدنيا قـد كفيتها وإن لم تطلبها ، والآخرة بالطلب منك تنالها : فاعقل وشأنك .

وبـه قال : سمعت ابا علي بن فضالة النيسابوري يقول : سمعت بقية ابن علي الآمدي يقول : سمعت ابا الحسن الحضري يقول :

لا يغرّنكم صفاء الاوقات ، فإن تحتها آفات ، ولا يغرّنكم العطاء ، فإن العطاء عند اهل الصفاء مقت .

روينا من حديث ابن الواسطي قال : نبأ عيسى بن عبد الله ، انا علي بن جعفر ، نبأ محمد بن ابراهيم بن عيسى ، نبأ محمد بن النعمان ، نبأ سليمان بن عبد الرحمن ، نبأ ابو عبد الملك الجزري ، قـــال : علـّم الله تعالى سليمان منطق الطير ، وعلـّمه منطق الهوام . وكان له من النساء الحرائر سبعمائة وثلاثمائـة سرّية . فلما خلا من سليمان سنون بدأ في بناء بيت المقدس ، فبلغ عـدة من يعمل معه في بناء بيت المقدس الف رجل ، عليهم قطعُ الخشب ، وبلغ عدّة البنائين في كل شهر عشرة آلاف رجل ، وبلغ عدة الذين يعملون في الحجارة عشرة آلاف رجل ، وبلغ عدة الذين يقومون عليهم ثلاثمائة امين .

فلما بناه ، وزيّنه ، كما أحب من الذهب والفضة ، والأبواب المونقـــة ، صنع له مائة سُكرة من الذهب ، في كل سُكرة عشرة ارطال ، وأولج فيه تابوت موسى وهارون ، وأنزل الله عز وجل عليه الغمام ، وصلى سليمان عليه الصلاة والسلام فيه ، ودعا ربه ، فقال : يا رب امرتني ببناء هـــذا البيت الشريف ، يا رب فلتكن يدك عليه الليل والنهار . وكل من جـاءك يبتغي منك الفضل، والمغفرة، والنصر، والتوبة ، والرزق ، فاستجب له من قريب او بعيد .

وكان سليمان عليه السلام قد فرش ارض المسجد بالذهب والفضة : بلاطة من هذا ، وبلاطة من هـذا . فلما جاء بختنصر خرّبه ، واحتمل منه ثمانين عجلة ذهباً وفضة ، وطرحه برومية . ولا تعجب من هذا فإن الذي حمل الى الوليد لمـــا فتحت الاندلس من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الى ذلك من الاحجار النفيسة ، دون الذهب والفضة مائة عجلة وثمانية عشر عجلة .

وأما ابن اسمانوس ، فإنه لما غزا بني اسرائيل ، وسبى حلي بيت المقدس احرق منه ما احرق ، وحمل منه في البحر الفاً وسبعمائة سفينة حلياً ، حتى أورده رومية .

اخبر بذلك حذيفة بن اليمان ، عن رسول الله ﷺ قال : ليستخرجن المهدي ذلك حتى يؤديه الى بيت المقدس ، ثم يسير المهدي ومن معه حتى يأتوا مدينة يقال لها : القاطع ، وهي على البحر الاخضر المحيط ، ليس شيء خلفه إلا أمر الله عز وجل ، طول تلك المدينة الف ميل ، وعرضها خمسمائة ميل ، لها ثلاثة آلاف باب .

حدثنا بهذا الحديث جماعة ، عن القاسم بن علي الشافعي ، عن ابي القاسم السوسيّ ، عن ابراهيم بن يونس المقري ، عن عبد العزيز النصيبي ، عن محمد ابن احمد ، عن عيسى بن عبد الله ، عن علي بن جعفر الرازي ، عن محمد بن سليمان بن مسكين بصُور ، عن اسحاق بن زريق بن سليمان ، عن سليمان ، عن عثمان بن عبد الرحمن القرشي ، عن يزيد بن عمر ، عن منصور ، عن ربعي ، بن خراش ، عن حذيفة بن اليمان .

اقوال حسان في الحنين الى الاوطان :

فمن ذلك : الكريم يحنّ الى احبابه ، كما يحنّ الأسد الى غابه . ارض الرجل ظئره ودار مهده . والغريب النائي عن بلده المتنحي عن اهله كالثور النادّ عن وطنه ، الذي هو لكل سبع فريسة ، ولكل رامٍ قنيصة . وقد قيل :

اذا ماذكرتُ الثغر فاضت مدامعي وأضحى فؤادي نهبة للهماهمِ
حنيناً الى الأرض الذي اخضرّ شاربي وحُلّت بها عني عقودُ تمائمي
وألطف قومٍ بالفتى اهل ارضه وأرعاهم للمرء حق التقادم

وقد قيل :

يقرّ لعيني أن أرى من مكانه ذرى عطفات الأجرع المتعاقدِ
وإن أرد الماء الذي عن شماله طروقاً وقد ملّ السرى كل واحد
والصق احشائي ببرد ترابـه وإن كان مخلوطاً بسمّ الأساود

ومن قول ابي العباس بن الأحنف فيمن ظفر وعفّ :

أتأذنون لصَبّ في زيارتـكم فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يضمرُ السوء إن طال الجلوس به عفّ الضمير ولكن فاسق النظر

وأنشدني في هذا الباب ابو عبد الله القسطنطيني المذكر وعزاه للعباداتي :

الحمـــد لله على انــني قد تبتُ إلا من وجوه ملاح
ما بقيت فيّ سوى نظرة فاسقة باطنهـا من صلاح

وأنشدني قاسم بن مرتين لبعضهم :

وما يستوى الصّابي ومن ترك الصبا وأن الصبا للعيش لولا العواقب
وللرب مني جانبٌ لا أضيعه وللّهو مـني والبطالة جانب

وأنشدني علي بن طاب الريح القبائلي :

أحبك حباً لا أعنّف بعده محباً ولكني اذا ليمَ عاذرهُ
أحبكِ يا سلمى على غير ريبةٍ ولا بأس في حب تعف سرائره

أنشدت هذين البيتين لمن كان لي بها غرام ، فلما سمعت قولي :

أحبكِ يا سلمى على غير ريبةٍ ، قالت : ان كنت تقـدر سرعة من غير بطء .

وأنشدني علي بن جابر في مجلسه :

تفني اللذاذة ممن نال صفتها   من الحرام ويبقى الإثم والعارُ
تبقى عواقبُ سوءٍ في مغبّتها   لا خير في لذة من بعدها النــار

ومن هذا الباب ما تمثل به عبد الله بن الحسن الذي وصله السفّاح لما ولي الخلافة بألفي الف :

انسٌ غرائر ما هممن بريبةٍ   كظباء مكة صيدهنّ حرامُ
يُحسبن من طيب الكلام زوانياً   ويصدّهن عن الخَنا الاسلام

ومن باب الاخبار النبوية :

ما رويناه من حديث عبد العزيز بن عمر ، نبأ محمد بن الحسن بن منصور ، نبأ عبد العزيز احمد الحلواني ، نبأ ابو الحسين بن علي بن الحسين ، نبأ ابراهيم ابن محمد بن خلف ، نبأ احمد بن محمد العجلي ، نبأ عبد الله بن عبيد الله ، نبأ القاسم بن الفرج ، نبأ ابو الاسود النضر بن عبد الجبار ، نبأ ابو المغيرة المكي ، عن رجل من ولد الزبير اسمه محمد بن عروة ، عن ابيه ، عن عائشة قالت :

قال رسول الله ﷺ :

من كفّ غضبه كفّ الله عذابه ، ومَن خزن لسانه ستر الله عورته ، ومَن اعتذر الى الله قبل الله معذرته .

خبر آخر :

من حديثه ايضاً، عن ابن المغيرة ميمون بن محمد بن معتمد المكحولي ، عن ابي طاهر محمد بن نصر القلانسي ، عن ابي نصر احمد بن محمد ، عن عيسى بن

الحسين ، عن خلف بن سليمان ، عن محمد بن سليمان القرشي ، عن ابراهيم ، عن انس بن مالك قال :

قال رسول الله ﷺ :

انك لا تتصدق عن ميتك بصدقةٍ حتى يجيء بهـا ملك من الملائكة على طبق من نور ، ويقوم على رأس قبره ، وينادي : يا صاحب القبر الغريب ، اهلك أهدوا لك هذه الهدية ، فينفسح له في مدخله في قبره ، ويُنوّر له . قال : فيقول : جزى الله عني اهلي خيراً . قال : ولزيق ذلـك القبر صاحبه يقول : ألم أخلـّف انا المال ؟ ألم أخلـّف المال ؟ قال : فهو مهموم ، والذي أهدي اليه فرح مسرور .

وبه الى ابي المعتز ايضاً : نبأ احمد بن محمد النسفي ، عن ابي سهل محمد بن عبد الرحمن الشيباني ، عن ابي بكر احمـد بن جعفر ، نبأ الحسين بن عمر بن ابي الاخوص ، عن محمد بن العلاء، عن الحسن بن عطية ، عن سوار الهمداني، عن زياد ، عن محمد بن الحنفية وهو ابن احمـد بن محمد الاسماعيلي ، عن ابي الفضل محمد بن عبد الملك ، نبأ ابو حفص احمد بن محمد المقري ، نبأ ابو سعيد الخليل بن احمد الشجري ، نبأ ابو العروبة الحسن بن ابي معشر الحرّاني ، نبأ ابو المسيّب بن الواضح ، نبأ بقية بن الوليد ، عن ورقا بن عمر ، عن ابي الزناد ، عن الاعرج ، عن ابي هريرة قال :

قال رسول الله ﷺ :

اذا صلى العبد في الخلاء فأحسن ، وصلى في الملأ فأحسن ، قـال الله عزّ وجلّ : « أنت عبدي حقاً » .

حِكم جوامع لضروب من المنافع :

مَن رقى في درجات الهمم عظم في أعين الامم . مَن بـــذل فلسه صان نفسه . مَن بسط يده العطاء استنبط لسان الثناء . مَن كبرت همته كثرت قيمته . مَن كرُم خلقه وجب حقـــه . مَن أساء خُلقه ضاق رزقه . مَن أجاب السفيه سَفه . مَن سكت عن جوابه نبه .

شعر :

اذا نطق السفيه فــلا تجبه　　فخيرٌ من اجابته السكوتُ
سكتُّ عن السفيه فظنّ أني　　عييت عن الجواب وما عييت
ولكني اكتسيت بثوب حلمٍ　　وُجنّبت السفاهة ما بقيت

مَن قابل السخيف سخف ، ومن كرم عن مقابلته شرُف . مَن قـــال الحق صدق ، ومن عمل به وفق. من صدق في مقاله زاد في جماله . من هان عليه المال ، توجهت اليه الآمال . من بسط راحته ، آنس ساحته . من بذل ماله استحمل ، ومن بذل جاهه استعبد . من جاد بماله جلّ ، ومن جـــاد بعرضه ذلّ . من أحسن الى جاره ، زاد في استظهاره . من طمع في جاره، زهد في جواره . أحسن الجدّ ما كان عند التعب ، وأحسن الصدق ما كان عند الغضب . خير الاموال ما قضى اللوازم ، وخير الاعمال ما بنى المكارم . خير المال ما اخذته من الحلال ، وصرفته في النوال ، وشر المـال ما اخذته من الحرام ، وصرفته في الآثام . المواساة افضل الاعمال ، والمداراة أجمـل الخصال . يستدلّ على عقل الرجل بقوله ، وعلى اصله بفعله ، فمـــا أفحش حكيماً ، إلا اوحش كريماً . إياك وفضول الكلام ، فإنهـا تخفي فضلك ، وتوكس قدرك .

خبر نبوي بتلطف إلهي :

روينا من حديث ابن ثابت ، نبأ ابو الحسن احمد بن محمد بن احمد بن موسى بن هارون بن الصلت الاهوازي ، نبأ ابو عبد الله الحسين بن اسماعيل المحاملي ، نبأ مسلم بن جنادة ، نبأ معاوية ، عن الاعمش ، عن ابي صالح ، عن ابي هريرة قال :

قال رسول الله ﷺ : انا عند ظنّ عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني . فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسه ، وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وإن اقترب اليّ شبراً اقتربت منه ذراعاً ، وان اقترب اليّ ذراعاً اقتربت اليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة .

ومن حديث ابن ثابت في باب الفراسة :

حدثنا يونس بن يحيى بن ابي البركات القصّار نزيل مكة ، نبأ الفضل ابن يوسف ، نبأ ابو بكر بن ثابت الخطيب ، نبأ ابو الحسن علي بن احمد بن نعيم الجارود البصري قال : سمعت علي بن احمد بن عبد الرحمن الفهري الاصبهاني يقول : سمعت احمد بن عبد الجبار المالكي يقول : سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول :

حقيقة المحبة ان لا تزيد بالبرّ ، ولا تنقص بالجفاء .

ثم حدّث ابن ثابت على ما حدثناه تاج الامناء، عن عمه الصائن هبة الله ، عن السمرقندي ، عن ابن ثابت قال : نبأ يحيى بن علي العجلي ، سمعت عبد الله بن محمد الدامغاني ، سمعت الحسن بن علي بن يحيى بن سلام ، قيل ليحيى بن معاذ : يروي عن رجل من اهل الخير قد كان ادرك الاوزاعي ،

وسفيان ، انه سُئل : متى تقع الفراسة على الغائب ؟ قال : اذا كان محباً لما أحب الله ، مبغضاً لما أبغض الله وقعت فراسته على الغائب . فقال يحيى :

كل محبوب سوى الله سرف ... وهموم وغموم وأسفْ
كل محبوب فمنه خلفٌ ... ما خلا الرحمن ما منه خلف
ان للحب دلالات اذا ... ظهرت من صاحب الحب عرف
صاحب الحب حزين قلبه ... دائم الغصّة مهموم دنف
همّه في الله لا في غيره ... ذاهبُ العقل وبالله كلف
أشعث الرأس خميصٌ بطنه ... اصفر الوجنة والطرف ذرف
دائم التذكار من حب الذي ... حبه غاية غايات الشرف
فإذا أمعن في الحب له ... وعلاه الشوق من داء كشف
باشر المحراب يشكو بثّه ... وأمام الله مولاه وقف
قائماً قدامه منتصباً ... لهجاً يتلو بآيات الصحف
راكعاً طوراً وطوراً ساجداً ... باكياً والدمع في الارض يكف
أورد الحق على القلب الذي ... فيه حب الله حقاً فعُرِف
ثم جالت كفه في شجرٍ ... ينبتُ الحبّ فسمَّى واقتطف
ان ذا الحب لمن يعنى له ... لا لدارٍ ذات لهو وظرف
لا ولا الفردوس لا يألفها ... لا ولا الحوراء من فوق غرف

ومن باب النسيب ما قاله الاديب :

خليليّ للبغضاء حالي مبيّنٌ ... وللحب آياتٌ تُرى ومعارفُ
ألا إنما العينان للقلب رائد ... فما تألف العينان فالقلب آلف

ولنا من هذا الباب :

إذا نظرت عيني لحسن زجرتها حذارٌ على قلبي فما ينفع الحذرُ
فهام بـه قلبي فأرسلتُ عبرتي وسلطت من غيظي على عيني السهر
وذاب فؤادي رقــةً وصبابة وأتلفه طول التعلل والفكر
وإنيَ بين القلب والعين ميتٌ فبعضي من بعضي على قدم السفر
إذا قلتُ يا قلبي أجاب بحرقةٍ حنانيك لاتعتب سوى الحسن والنظر
انا قائــل للحب لستُ بمانعٍ حلول الهوى بالسمع كان او البصر

ومن باب الافراط في العشق :

انا والله ارحمُ العشاقــا ويـحَ من كان عاشقاً مشتاقاً
لو على العالمـين قسم عشقي اصبح النـاس كلهم عشاقاً

ولبعضهم في المعنى :

احبك حباً لو يُفاضُ يسيره على الخلق ذاب الخلق من شدة الحب
وأعلم أني بعـد ذاك مقصر لأنك في أعلى المراتب من قلبي

ولنا في هذا الباب من قصيدة :

وبي منه ما لو كنتُ انطق باسمه الى الخلق مات الخلق من قوة الحب

وكما قال الآخر :

وبي من الحب ما لو أن أيسره يكون بالفلك الدوّار لم يدُرِ

وكما قال مجنون عامر :

ولو أن ما بي بالحصا فلق الحصا وبالريح لم يوجد لهنّ هبوبُ
ولو أن انفاسي اصابت بحرّها جديداً إذا ضلّ الحديد يذوب

ولو انني استغفر الله كلما ذكرتك لم تكتب عليّ ذنوب
كتمت الهوى في الصدر حتى اعلني ونمت بـه من مقلتيّ غروب

وكما قال الآخر :

واشرب قلبي حبّه ومشى به تمشي حميّا الكأس في جسم شارب
يدُبّ هواه في عظامي ولحمها كما دبّ في الملسوع سمّ العقارب

ولنا من النظاميّات :

مرضي من مريضة الأجفانِ علّلاني بذكرها علّلاني
هفت الورق في الرّياض وناحت شجو هذا الحمام مما شجاني
بأبي طفلة لعوبٌ تهادى من بنات الخدور بين الغواني
طلعت في العيان شمساً فلما أفلت اشرقت بأفق جناني
يا طلولاً برامةٍ دارساتٍ كم حوت[1] من كواعب وحسان
بأبى ثم بي غزالٌ ربيبٌ يرتعي بين أضلعي في امان
ما عليه من نارها فهو نورٌ هكذا النور محمد النيران
يا خليلي عرّجا بعناني لأرى رسم دارها بعيان
فإذا ما بلغتما الدار حطا وبها صاحبي فلتبكيان
وقفا بي على الطلول قليلاً نتباكى بل ابكِ مما دهاني
الهوى راشقي بغير سهامٍ الهوى قاتلي بغير سنان
عرّفاني إذا بكيتُ لديها[2] تسعداني على البكا تسعداني

(١) نسخة : رأت .
(٢) نسخة : عليها .

واذكرا لي حديث هندٍ ولبنى وُسليما وزينبٍ وعنان
ثم زيدا من حاجر وزرودٍ خبراً عن مراتع الغزلان
واندباني بشعر قيسٍ وليلى وبميٍّ والمبتلى غيلان
طال شوقي لطفلة ذات نثرٍ ونظامٍ ومنبر وبيان
من بنات الملوك من دار فرسٍ من اجل البلاد من اصبهان
هي بنتُ العراق بنتُ إمامٍ وأنا ضدها سليل يمانِ
هل رأيتم يا سادتي او سمعتم أن ضدين قط يجتمعان
لو ترانا برامةٍ نتعاطى اكؤساً للهوى بغير بنان
والهوى بيننا يسوق حديثاً طيباً مطرباً بغير لسان
لرأيتم ما يذهب العقل فيه يمنٌ والعراق معتنقان
كذب الشاعر الذي قال قبلي وبأحجار عقله قد رماني
أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرُك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يماني

ومما قيل في لذع الهوى :

إن كنتَ تنكرُ ما ألقاه من ألمٍ وما يضرّم في قلبي مُعَذبه
أشِر بعُود من الكبريت نحو فمي وانظر الى زفراتي كيف تلهبُه

ذكر غزاة مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم وما عمل من الاعاجيب في بلاد الروم ودخوله القسطنطينية على أتم الروايات في ذلك ان شاء الله تعالى :

حدثنا ابن طليس ، وأبو اليمن ، وأبو الفرج كلهم ، عن القزاز ، نبأ ابو بكر بن احمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، أنا الشيخ ابو الحسن بن

محمد بن احمد زرقويه ، أنا ابو عمرو عثمان بن احمد الدقاق ، قال : نبأ ابو علي الحسن بن سلام ، نبأ صبح بن بيان البغدادي ، نبأ يزيد بن اوس الحمصي، عن عامر بن شرحبيل ، عن عبد الله بن سعيد بن قيس الهمداني ، وكان ممن خرج مع مسلمة بن عبد الملك بن مروان الى بلاد الروم ، قال : لما أراد عبد الملك ابن مروان بن الحكم ان يوجه ابنه مسلمة الى بلاد الروم ، أمر المنادي بأن ينادي في الناس : أن يجتمعوا .

وكتب عبدالملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف : ان يوجه اليه رؤساء اهل العراق . وكتب الى عمر بن عثمان بن عفان وهو على الحجاز : أن يوجه اليه رؤساء اهل الحجاز . وكتب الى أخيه محمد بن مروان بن الحكم وهو عامله على البصرة : ان يشخص اليه بنفسه ، وبرؤساء اهل البصرة . وكتب الى علقمة بن مروان وهو عامله على اليمن : أن يوجه اليه رؤساء اهل اليمن.

فلما قدم الناس قام فيهم خطيباً ، فحمد الله ، وأثنى عليه . ثم قال : يا أيها الناس إن العدو قد كلب عليكم ، وقد طمع فيكم ، وهنتم عليه بترككم الغزو له ، واستخفافكم بحق الله عز وجل، وشغلكم عن الجهاد في سبيل الله . وقد علمتم ما وعد ربكم في الجهاد لعدوّه . وقد اردت ان اغزو بكم غزوة كريمة شريفة الى صاحب الروم الميُون . والله تعالى مهلكهم ، ومبدّد شملهم، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وقد جمعتكم يا معشر المسلمين، وأنتم ذوو البأس والشدة والشجاعة والنجدة . فإن من حق الله تعالى ان تقوموا لله تعالى بحقه، ولنبيّه ﷺ بنصرته . وقد أمّرت عليكم مسلمة بن عبد الملك ، فاسمعوا له ، وأطيعوا أمره ، ترشدوا ، وتوفقوا ، فإن استشهد فالأمير من بعده محمد بن خالد بن الوليد المخزومي ، فإن استشهد فالأمير من بعده محمد بن عبدالعزيز . وقد ولّيت الغنائم رجاء بن حيوة ، وصيرته أميناً على مسلمة ، وعليكم .

وقد وليت على تميم محمد بن الاحنف بن قيس. وعلى همدان عبد الله بن قيس. فقلت : يا امير المؤمنين ولّ غيري ، فإني آليت ان لا اكون اميراً ابـداً . فولّى على همدان صدقة بن اليمان الهمداني . وعلى ربيعة عبـــد الرحمن بن صعصعة . وولّى على طي ، ولخم ، وحزام ، عبد الله بن عدي بن حـاتم الطائي . وولّى على قيس الضحاك بن مزاحم الاسدي . وولى على بني أمية وجماعة من قريش ، محمد بن مروان بن الحكم . وولى على كندة وغسان ، الاصيغ بن الاشعث الكندي . وولى على اهل الحجاز عبيد الله بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب . وولى على اهل الجزيرة والشام ، البطـّال . وولى على اهل مصر يزيـــد بن مرة القبطي . وولى على اهل الكوفة الهيثم بن الاسود النخعي . وولى على اهـل البصرة سليمان بن ابي موسى الاشعري . وولى على اهل اليمن جابر بن جبير المدحجي ، وولى على اهل الجبال عبد الله بن جرير ابن عبد الله البجلي .

ثم أقبل على مسلمة بن عبد الملك فقال : يا بني اني قد وليتك على هـــذا الجيش فسِرْ بهم ، واقدم على عدو الله اليون كلب الروم . وكن للمسلمين أباً رحيماً ، وارفق بهم ، وتعاهدهم . وإياك ان تكون جباراً عنيداً ، مختالاً ، فخوراً . ثم اعرض الناس فانتخب منهم ثمانين الفاً من اهل البأس والنجدة . واتخذ من الخيل والفرسان ثلاثين الفاً . وقال : يا بني صيّر على مقدمتك محمد ابن الاحنف بن قيس . وعلى ميمنتك محـمد بن مروان . وصيّر على ميسرتك عبد الرحمن بن صعصعة . وصيّر على ساقتِك محمد بن عبد العزيز. وكن انت في القلب ، وصيّر على طلائعك البطـّال ، وأمره فليعسّ بالليل في العسكر ، فانه أمين ثقة مقدام شجاع . فاذا أردت بلاد الروم ان شاء الله تعالى فاقحم بالناس ، واقدم بهم إقداماً واحداً ، حتى ترعب قلوبهم ، وتزلزل أقدامهم ،

وتبدّد جمعهم ، وتهابك ملوكهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

واعلم انهم سيلقونك بجمع كثير وسلاح ، فلا يهولنّك ذلك ، فإن الله مخزيهم ، وضارب وجوههم .

واعلم يا بُنيّ انما نصبتك لهذا الوجه ، وشرّفتك بهذا الجيش ، وصيّرته لك ذِكراً وذخراً تذكر به ابداً ، فإياك ان تنكص ، او تولي منهزماً ، فإنك ان فعلت ذلك استوجبت من الله المقت ، ومن عباده البغض ، ومن ملائكته اللعنة .

واعلم يا بني أنك ان نكلت وأبليت وقتلت ورميت ، والله الفاعل ذلك ، والقاتل لهم ، وهو رادّهم على أعقابهم خاسئين .

ثم أقبل على المسلمين فقال :

يا اخواني ، وأعواني ، هذا مسلمة ابني ، وهو سيفي ، وسهمي ، ورمحي ، وهو أميني ، جعلته عليكم ، وقد رميت به في نحر العدو والروم ، وقد علمتم انه ثمرة قلبي ، وحبيب نفسي من صلبي ، لا من أصلابكم ، وقد وهبته لله عزّ وجلّ ، وبذلت دمه ومهجته طلباً لرضوان الله عز وجل ، فأعينوه أنتم ، واعضدوه ، وانصروه ، وأقدموا اذا قدم ، وحُثّوه اذا نكص ، وشجعوه اذا جبن ، وأيقظوه اذا نام ، وأنبهوه اذا سهى ، ولا تغفلوا عنه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ثم عانق مسلمة وقال : السلام عليك يا حبيبي ، وثمرة قلبي ، ثم قلّده سيفين : سيف عبد الملك ، وسيفه ، ثم عمّمه بعمامة بيضاء ، وحمله على فرس أشهب ، فخرج مسلمة يوم الجمعة بعد صلاة الظهر ، وذلك اول يوم من رجب ،

وخرجنا معه،وخرج عبد الملك معنا يُشيّعنا حتى بلغ الى باب دمشق فودّعنا عبد الملك بن مروان ، ورجع ، وخرجنا ، فدخلنا طرسوس ، وفيها نفر من المسلمين يسير ، فأمرهم مسلمة ان يقيموا، ولم يغير تلك السنة. قال عبدالله ابن سعيد : فأقام القوم بها ، وخرجنا فلم نزل نسير حتى انتهينا الى قريب من عمورية . وبلغ شمعون صاحب عمورية ان العرب قد غزتهم ، فبعث الى رؤساء اهل القرى والمدن فاجتمعوا اليه ، فأقام بعمورية . وأتى مسلمة الخبر بجمع شمعون له ، وانه خارج اليه، فجمع مسلمة الناس ثم قال لهم : قد علمتم جلب عدّوكم عليكم ، وطلبه لكم ، فإنـه خارج ، وقد اجتمعوا ، واشتدّ أمرهم . فتعالوا ، فاجتمعوا ، فاجتمعنا ، فصيّر على المقدمة محمد بن الاحنف ، وعلى الميمنة محمـــد بن مروان ، وعلى الميسرة عبد الرحمن بن صعصعة ، وصار هو في القلب .

قال عبد الله : فكنت معه في القلب ، قـال : وأمر البطّـال ان يتقدم في الطلائع ، فتقدم ، وتقدمنا معه، فلقي البطال بطريقاً من بطارقة شمعون، فقاتله قتالاً شديداً حتى انهزم ، فلحقناه ، فلمـا قربنا منه حمل على القوم ، وحمـــل محمد بن الاحنف في المقدمة ، فلم نزل نقاتل القوم يومنا وليلتنا حتى أصبحنا ، فلما اصبح الصباح صلى مسلمة الفجر ، وأمرنا بالتقدم ، فتقدمنا ، وزحف شمعون من المدينة ، فحمل ، وحملنا . ولقـد رأيت البطال ، وقـد حمل على القوم ، وهو يريدهم ، وحمل عبد الرحمن بن صعصعة فقتل وأسر، ثم حمل عبد الله بن جرير فقتل منهم مقتلة عظيمة . ثم حمل محمد بن مروان فطعن طعنة منكرة ، ثم رجع الى العسكر . ثم حمل محمد بن عبد العزيز فقتل منهم نفراً كثيراً. ثم حمل مسلمة بنفسه . وحملت ، فقتلنا ، وأسرنا، فلما نظر البطال الى مسلمة يقاتل ، ترجّل ، وأقدم هو ، ومحمد بن الاحنف،

وعبد الرحمن بن صعصعة ، ورؤساء اهل العراق ، فقاتلوا ، وحثّوا على الركب . وكان شمعون في عشرين ومائة الف ، فما كان إلا ساعة حتى أقبل عبد الرحمن بن صعصعة يلهث ، فقال : ايها الأمير قد قتل شمعون ، فأقبل على المدينة ، وأقدم عليها ، فقال له مسلمة : فكيف علمت ذلك ؟ قال : لأني أسرت علجاً فسألته أين شمعون ؟ فقال: قد كان أمام القوم وقد ُفقد. فما كان بأسرع حتى اقبل البطال ومعه رأس شمعون ، فلما رأى مسلمة الرأس خرّ الله ساجداً ، ثم حمل ، وحملنا معه ، حملةً واحدة ، فقاتلوا بقية يومهم فلما جننا الليل إلتجوا الى المدينة مدينة عمورية ، فأقمنا على بابها ، فخلوا المدينة وهربوا من الباب الآخر ، فدخلنا المدينة ، فأصبنا نساء وصبياناً ، فأخذناهم أسرى وغنمنا غنيمة كثيرة ، فبلغ غنيمة عمورية مائة الف دينار ، وثمانية وثمانين الف دينار ، وأثنا عشر الف شاه والفاً وستمائة فرس ، فبعث بهم مسلمة الى عبد الملك ، ثم عرض الناس ، ففقد منهم ستمائة وثلاثين رجلاً ، فخرج مسلمة ، وكتب الى ابيه عبد الملك بما فتح الله سبحانه على يده ، وبما اصيب من المسلمين : ويستأذنه في التقدم ، ويستأذنه في الغنائم ، فأمر أن تقسم الغنائم بين المسلمين ، ففعل ذلك رجاء بن حيوة ، ثم امرنا مسلمة بالتقدم ، فقدمنا الى التقفورية ، وفيها تقفور الاكبر ، وهو على ابنة اليون ملك الروم ، ومعه ستون الف فارس ، ما فيهم راجل فخرج، ثم حمل علينا حملةً منكرة حتى أزالنا عن مراكزنا ، وردّنا على اعقابنا .

ثم ان مسلمة نادى بأعلى صوته : الى أين يا اهل الشام ؟ فلا شام لكم ان غلبت الروم على ديارکم ، والى أين يا اهل العراق ؟ فلا عراق لكم ان وليتم من علوج الروم . اليوم يعلم الله منكم صدق اليقين .

ثم قام رجاء بن حيوة فقال :

يا معشر المسلمين الى أين تنهزمون ؟ يا اهل العراق ، وأهل الدين ، وأهل الصدق ، من اهل الصلبان وعبدة الاوثان ؟ امـا ترغبون ؟ اما ترجعون ؟ اثبتوا يثبتُ الله اقدامكم .

ثم اقبل شابٌ من اهل الكوفة يقرأ : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » .

قال : فرجعنا الى مصافنا ، وحملنا ، وترجل البطال ، وترجل مسلمة ، وترجل محمد بن مروان ، وترجل محمـد بن الاحنف ، وترجل الناس ، فحمل تقفور لعنه الله على مسلمة ، فضربه بالسيف ضربة حتى خرّ مسلمة صريعاً . ثم حمل على الناس حمـلة منكرة ، فانهزم المسلمون حتى اقبل عبد الرحمن بن صعصعة في الخيل ، وأقبل محمد بن عبد العزيز ، فحمل مسلمة ، وآفاق مسلمة من ضربته فنادى : يا اهل الإسلام اليوم يوجب الله لكم الرضوان ، أنا مسلمة لم اقتل ، فتراجع الناس ، وحملنا عليهم من خلفهم ، فلقد رأينـــا الجيف يومئذٍ كأنهـا التلول ، وجننا الليل ، وبادر البطال الى باب المدينة ، وثبت عليها . ثم حمل عليهم من خلفهم ، وحملنا عليهم من بين ايديهم . فقتل تقفور لعنه الله وعامـــة أصحابه ، فانهزموا بالليل ، وهم يريدون المدينة ، فلقيهم البطال ، فقتل ، وأسر ، وولّوا الاكتاف ، فقدمنا المدينة ليـــلاً ، وهم لا يشعرون ، فقتلنا ، وأسرنا ، وغنمنا ، وسبينا .

فلما أصبحنا عرضنا مسلمة ، ففقد من المسلمين خمسمائة ، ونظر رجاء بن حيوة في الغنائم قال : فكانت غنائم التقفورية ستمائة الف دينار سوى المتاع ، وإن مسلمة وهبه المسلمين ، وأقمنا بالتقفورية عشرين ليـــلة ، ثم تقدمنا الى السماوة الكبرى ، وهي مدينة عظيمة ، ولها اربعة ابواب من حديد ، فيها بطريق عظيم الشأن يقال له : ايفريطون ، فتحصّن بهـــا ، وأقام بالمدينة ،

فتقدمنا نحن الى المدينة ، وأقمنا عليها اياماً ، ونصبوا المجانيق على سورها ، ونصب مسلمة المجانيق عليها ، فرميناهم ، ورمونا ، وأحطنا بالمدينة من سائر الأبواب ، وصبرنا لهم ، وصبروا لنا اربعين ليلة ، ثم ان بطريقاً من بطارقة ايفريظون كتب الى مسلمة يسأله الامان ، ان يفتح له باباً من ابوابها ، فبعث اليه البطال ، فأمنه ، فلما جننا الليل فتح له الباب الأعظم ، فدخل البطال ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وفتح له باباً آخر ، فدخل مسلمة ، وخرج ايفريظون من الباب الآخر ، وخلى المدينة ، ولحق بالمسيحية ، فقتلنا منهم ، وأسرنا منهم ، من غير ان يقتل احد من المسلمين يومئذٍ إلا تسعة رهط ، وغنمنا غنيمة كثيرة .

ثم خرجنا من السماوة نريد المسيحية ، فلقينا شماس صاحب مقدمة ايفريظون في ثمانين الفاً ، وكان ايفريظون مقيماً بالمسيحية ، فقتل منا شماس مقتلة عظيمة حتى ردّنا الى سماوة . ثم رجعنا ، ورجعوا . فعند ذلك كانت الهزاهز . فقتل يومئذ من المسلمين الف ومائة . ثم قتل شماس . فعند ذلك خرج ايفريظون من المسيحية . فحمل عليه مسلمة بنفسه ، فطُعِن . ثم حمل عبد الرحمن بن صعصعة ، فطعن . ثم حمل عبد الله بن سعيد طعنة منكرة . ثم حمل محمد بن عبد العزيز ، فطعن . ثم حمل محمد بن مروان ، فطعن . ثم حمل محمد بن الاحنف ، فطعن . ثم حمل البطّال ، فضرب على مفرق رأسه فخرّ صريعاً . ثم حمل عبد الله بن جرير بن عبد الله البجلي ، فطعن . ثم رجاء بن حيوة ، فقتل منهم مقتلة عظيمة. ثم حمل الضحّاك بن يزيد السلمي ، فلم يزل يقاتل حتى طعن طعنة في بطنه ، فاستشهد رحمه الله . ثم افاق محمد ابن عبد العزيز ، فحمل على القوم ، فلم يزل يقاتلهم حتى عقر فرسه . ثم حمل عليه ايفريظون ، فطعنه فخرّ صريعاً. ثم ضرب عنقه ورمى به الى المسلمين.

فانكسر الناس لقتل محمد بن عبد العزيز ، ولقتل الضحاك بن يزيد السلمي . ثم افاق مسلمة فحمل وحمل البطال على ايفريطون فضربه ضربة بالسيف على رأسه فخرّ ميتاً . ثم كبّر البطال ، وكبّر الناس ، وكبّر مسلمة ، وحملنا حملة واحدة ، ورفعنا رأس ايفريطون ، فانهزم اهل المسيحية . فدخلناها فسبيناهم ، وغنمنا غنائمهم . قلت : فكم بلغت غنيمة اهل المسيحية ؟ قال : بلغت الف الف دينار واثنين وعشرين الف دينار . فقسمها رجاء بن حيوة بيننا . وأقمنا بالمسيحية ، وهي مدينة عظيمة على شاطىء الفرات ، لها ثمانية ابواب . وفيها البساتين ، وهي أعمر بلاد الروم ، وأحصنها ، وأقمنا بها ستة اشهر. فصارت بلاد الروم مادون المسيحية الى بلاد الشام كلها في يد مسلمة . ثم كتب الى ابيه بذلك ، فكتب اليه يأمره بالتقدم . قال : فتقدمنا الى مدينة البوش ، وهي مدينة صغيرة ، إلا ان البوش كتب الى اليون ان يمدّه، فأمدّه بالخيل والرجال . فخرج الينا في خمسين الفاً . فلبثنا يوماً وليلة . وتقاتلنا قتالاً شديداً . ثم ان البوش قتل، فانهزم اصحابه ، ودخلنا المدينة .

قال عبد الله بن سعيد : فما رأيت مدينة كانت اكثر غنائم منها على صغرها . أصبنا فيها ستمائة الف أوقية من ذهب ، فقسمها رجاء بن حيوة بيننا . قال : ثم خرجنا الى القسطنطينية ، فما لقينا منهم احداً حتى وردنا البحر، فأقمنا على شاطىء البحر ثمانية اشهر . ثم ان مسلمة بعث الى اهل عمله من الروم ، فهيؤا لنا سفناً فركبنا فيها . فقاتلناهم في البحر ثلاثة ايام ، حتى وصلنا الى الجزيرة التي فيها القسطنطينية ، والجزيرة التي فيها القسطنطينية ثمانية فراسخ . المدينة منها اربعة فراسخ ، والبقية جزيرة . فأقام مسلمة بتلك الجزيرة . وبعث الى اهل عمله من الروم ان يبنوا له مدينة : فرسخين في فرسخين ، فأقمنا فيها . وصارت بلاد الروم كلها في يد مسلمة ما بين الشام

الى جزيرة القسطنطينية ، وجبي اليه الخراج . ونصب اليون ملك الروم على المدينة المجانيق . وأقمنا بها سبع سنين . وسمّاها مسلمة مدينة القهر ، لأنـه قهرهم عليها .

قال عبد الله بن سعيد بن قيس : لقد غرسنا بها التفاح ، وأكلنا منـه . وغرسنا بها الكمثرى ، وأكلنا منها . وأقمنا إقامة قوم لا يريدون الرجوع الى بلادهم . وكنا مع هذا نغزوهم في كل يوم ، ويغزونا ، ونقاتلهم ، ويقاتلونا . حتى اذا جننـــا الليل رجعوا الى القسطنطينية ، ورجعنا الى مدينة القهر . فلم نزل على ذلك سبع سنين . ثم تقدمنا الى باب القسطنطينية ، فوقفنـا على بابها سبعة ايام ، ما نفترُ ولا نرجع الى مدينتنا ، وأن مسلمة ليقاتل بنفسه ، وما يرجع ولا ينثني . وأقبل البطـّال فقتل منهم ما بين الخمسين الى المـائة ، حتى قتل في تلك الأيام ستمائة رجل .

قال : فلما اشتد حصارنا لهم كتب ملك الروم الى مسلمة بن عبـد الملك امير العرب :

من اليون ، أما بعد : فقد اخربت بلادي ، وقتلت بطاركي ، وحصرتني في مدينتي وبلغت مني كل مبلغ . وقد اردت ان اجمع عليك الجموع من الروم كلها ، ثم أصول عليك صولة واحدة أفرّق جمعك ، وأقلّ فيها اصحابك ، وأبدّد شملك ، ثم اني أحببت ان لا افعل ذلك ، وقد عزمت على مصالحتك على ان ترجع الى المسيحية فتقيم بها ، وأؤدّي اليك في كل سنة عشرة آلاف اوقية فضة ، وستة آلاف اوقية ذهب ، وخمسة آلاف رمكة ، على ان أحقن دماء اصحابك ، وأصحابي ، وعلى ان أسالمك وتسالمني ، فإن ذلك أبقى لك .

فكتب مسلمة بن عبد الملك ، بسم الله الرحمن الرحيم :

من مسلمة بن عبد الملك الى ليون كلب الروم .

أما بعد، فإنك ذكرت ان لو أردت ان تجمع الجموع، فلو قدرت لفعلت، ولكن الله مهلكك ان شاء الله تعالى ، وهذه أمدادي تأتيني من الشام ، وهم ذو البأس ، والشدة ، والقوة ، والنجدة ، وهم اصحاب الدين ، والقرآن ، لا يريدون إلا قتالك ، يطلبون بذلك الجنة ، لا يريدون الدنيا ، ولا ذهباً ولا فضة ، ولا يريدون الدنيا ، ولا اهلها . هم أشد حباً الموت منك للحياة ، يطلبون بذلك الجنة ، وجنات النعيم .

وأما ما ذكرت من أمر الصلح فإني قد آليت بيمين ان لا ارجع الى بلادي حتى ادخل مدينتك ، فإن أبررت يميني ، وإلا وقفت على بابها حتى أموت ، او يفتحها الله سبحانه على يدي .

وأما ما ذكرت من مالك وما تصالحني عليه فإن ذلك حقير عندي ، ذليل في عيني ، ان كان قد عظم عليك كثرة ذلك فانه لا يكثر عندي . وبعد ذلك فاني ان وصلت الى مدينتك ، وإلا فهي الجنة .

فلما قرأ ليون الكتاب خرج الى باب القسطنطينية ثم نادى: أنا ليون فأين مسلمة ؟ فدنا مسلمة قريباً من الباب ، ثم ان ليون قال لمسلمة : أنا قد ضمنت لك الرضا ، وفوق الرضا ، فارفق ، ولا تعجلنّ الى قتالي ، فإني سأعدّ لك خيلاً غير هذه الخيل . قال له مسلمة : اثبت مكانك . وأمرنا مسلمة ان نتهيأ في السلاح الشاك . فلما نظر اليون الى ذلك هاله ، ونحن حينئذ ستون الف مقاتل ، فهاله ذلك هولاً شديداً . فعندها قال لمسلمة : ما الذي تريد ؟ فقال له مسلمة : عزمت على ان لا ارجع حتى أدخل مدينتك . قال له اليون : ادخل وحدك ولك الامان . فقال له مسلمة : نعم ، على ان آمر البطّال

وأصحابه يقفون على باب القسطنطينية ، ولا يغلقون الباب . فقالوا له : لك ذلك . ففتح الباب الاعظم ، ولم يفتح قبل ذلك سبع سنين إلا لقتال ، وهو الباب الاعظم . فثبتنا عليه ، والبطال على المقدمة على البـــاب ثابت ، ما يزول ، ولا يتحرك . قال مسلمة : اني داخل فاثبتوا على الباب . فإن صليتم العصر ولم أخرج فاقحموا بخيلكم على المدينـة ، فاقتلوا من أصبتم ، والأمير من بعدي محمد بن مروان . فركب على فرس أشهب عليه ثيـــاب بيض ، وعمامة ، متقلد بسيفين ، سيف ابيه ، وسيف نفسه . حتى دخل ، وبيده الرمح ، فصفّ له ملك الروم الخيل من باب المدينة الى باب الكنيسة العظمى كلما مرّ بقوم ساروا خلفه وقد رمقوه بأبصارهم وهم يتعجبون من شجاعته ، وشدته ، وجرأته ، فلم يزل يتقدم حتى وصل الى قصر اليون . فخرج اليه اليون فقبّل يده ، فقال مسلمة : أنت اليون ؟ فقال : نعم . قـــال : فأين الكنيسة العظمى ؟ قال : هـــذه ، فدخل على فرسه ، فجزعت الروم من ذلك جزعاً شديداً . فلمـا دخل الى الكنيسة نظر الى صليبهم الاعظم وهو موضوع على كرسي من ذهب ، وعيناه ياقوتتان حمراوتان ، وأنفه زبرجدة خضراء . فلمـــا نظر مسلمة الى الصليب أخذه فوضعه على قربوس فرسه . فقالت الرهبان لأليون : لا ندعه . فقال له اليون : ان الروم لا ترضى بهذا . فحلف لا يخرج حتى يأخذه . فقال اليون للروم : دعوه يخرج به ، لكم عليّ مثله . دعوه يخرج ، وإلا دخل عليكم البطال ، فأخـــذه وخرج وهو على فرسه ، واليون مسايره حتى اذا توسط المدينة رفع الصليب على الرمح . فلما نظرت الروم الى ذلك همّوا به ، ثم فكـّروا في خراب مدينتهم ان قتلوه . فنكسوا رؤوسهم . فخرج والصليب على رمحه بعد العصر وقـــد همّ القوم بالدخول . فلمـــا نظرنا اليه كبرنا تكبيرة واحدة كادت الارض تخور بهم . وسُررنا بخروج مسلمة سروراً عظيماً ، ورجعنا الى مدينتنا ، فأقمنا بها سبعة

أيام ونحن مسرورون ، ننتظر المال والدواب التي ضمنها اليون لمسلمة .

فكتب اليه مسلمة بن عبد الملك :

بسم الله الرحمن الرحيم :

من مسلمة بن عبد الملك الى كلب الروم اليون .

اما بعد : فإن الله تعالى قد أظفرني بك ، وأعلاني عليك ، وجعل لي خدّك الاسفل ، فلله الحمد والشكر كثيراً ، وأعزم بالله عايمة ثانية ، لتوجهن المال اليّ ، او لأقدمنّ مدينتك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فكتب اليه ايضاً اليون :

الى الامير مسلمة بن عبد الملك ، من عبده الذليل اليون .

أمـــا بعد فقد وجهت اليك خمسة آلاف رمكة ، وعشرة آلاف اوقية فضة ، وستة آلاف اوقية من ذهب ، وتاجاً مفصّصاً بالدرّ والياقوت ، فهو لك خاصة .

أسألك أيها الامير وأطلب اليك طلب العبد الذليل ، أن تخرج من هذه الجزيرة ، وتقيم في أي البلاد شئت من بلاد الروم ان احببت ذلك .

فلما أتى مسلمة الكتاب ، والمال ، والدواب ، والتاج ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم عرض الناس فكانوا يومئذ اربعة وأربعين الف رجل قـــد أصابهم الجهد ، فسم المال بينهم ، وباع التاج من بعض بطارقة الروم بمائة الف دينار ، فقسمه بيننا .

ثم خطبنا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم صلى على النبي ﷺ ، ثم قال :

أيهـا الناس انني في غمرات الموت منذ سبع سنين ، لم أحب ان أخبركم ، كرهت أني أخبث انفسكم ، وأفشلكم عن قتال عدوكم ، وقـد توفي خليفتكم عبد الملك منذ سبع سنين ، ووُلي الوليد بن عبـــد الملك ، وكتب اليّ يوم مات ، وقد وُلي سليمان بن عبد الملك ، وبايع له الناس ، وإنما وجّهت رجاء ابن حيوة يوم وصلت الى الجزيرة ، لأن الوليد كتب اليّ ، فلذلك وجّهته ، فبكى الناس بكاء شديداً ، ثم قالوا : أيها الامير انت أحقُّ بالخلافة ، فهلمّ نبايعك ، فقال : ايها الناس لله قـد ركبت امس في المشركين ، وأشقّ عصا المسلمين اليوم ، فأخالف امرهم .

ألا اني قد بايعت لسليمان بن عبد الملك ، فبايعوا له ، فبايع الناس كلهم ، عند ذلك فأقمنا في الجزيرة بعـــد ذلك ثلاثة أشهر ، حتى أصلحنا سُفننا ، وهيأنا امرنا ، فأعطانا الغنائم .

ثم كتب الى اليون ملك الروم :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من الامير مسلمة بن عبد الملك الى اليون ملك الروم :

أما بعد ، فاني قـد عزمت على الخروج من بلادك ، فأجمعت على ذلك ، وأحببت ان أحسن اليك كما طلبت العافية ، وقـــد خلفت عندك وديعة ، مسجدي هذا الاعظم ، فإياك ثم إياك ان تحرّك منه حجراً او عوداً ، فاني أقسم عليك بالله فأعزم لئن فعلت لأرجعن ، ثم لأقدمنّ عليك حتى يُهلك الله ويخزيك ، وأما سوى ذلك من بناء فأنت أعلم ، فإياك ان تغيّر في اثري حتى

اخرج من بلاد الروم ، فانك ان فعلت فقد خالفت ونقضت ما بيني وبينك فلا أمان ، فأعزم بالله عزيمة ثانيـة لئن خالفتني ، او رأيت سوءاً ، لأقيمنّ عمري ، او يظفرني الله بك ، مع اني ارجو ان يضيّع الله امرك ، ويهتك سترك ، فافعل ، او دع .

فكتب اليه ملك الروم :

للأمير مسلمة بن عبد الملك .

من اليون عبده الذليل : أما بعـــد ، فقد فهمت كتابك ، ولك السمع والطاعة ، اني لا أعبر الجزيرة ، ولا اخرج حتى تخرج من بلاد الروم .

وأما المسجد فوربّ المسيح ، ورب الصليب ، لا يُهدم منه حجر ما كان لي سلطان ، ولا يكسر منه عود، ولا يدخله احد من الروم ابداً ، ما عمرت في الدنيا ، وقـد وجهت اليك الف رمكة ، وألف اوقية من ذهب ، وألف ثوب بداكوني هدية لك ، فاقبلها ايهـا الامير . فلما أتاه الكتاب ، والهدية ، قبلها ، ثم وزعها بين المسلمين ، فما تفضّل بدينار ولا درهم ، ثم امر البطـّال ان يحمل المسلمين في السفن ، ويعبرهم الجزيرة ، فلم يزل ذلك دأبه ، وانـــه لمقيم في المدينة حتى عبر الناس كلهم ، وبقي في مائة فارس ، فمضى بنفسه الى القسطنطينية فقال :

يا اليون إني ماضٍ فهل لك من حاجة ؟ فخرج اليه اليون ، فسلم عليه ، فلم يصافحه مسلمة ، فقبّل اليون رجله ، ثم قال اليون :

أيها الامير الموفق الكبير ، ائذن لي حتى أسير معك ، فأبى ، وأمره ان يرجع الى المدينة ، فرجع ، وان مسلمة لواقف على باب المدينة حتى دخلوا

كلهم اليها ، ثم أقبل فعبر الجزيرة هو والمائــــة فارس ، ولم يتخلف بالمدينة من المسلمين ، ولم يترك بهـا متاعاً ، ولا مالاً ، ولا زاداً ، إلا حملناه معنا . فلما عبر مسلمة كبّر وكبّر المسلمون ، فأقمنا على شاطىء البحر سبعة ايام . وجاء اليون حتى دخل مدينة القهر فأقام بهـا ، فلما ارتحلنا خرّبها كلها عن آخرها ما خلا المسجد . وأقبلنا حتى دخلنا المسيحية . وأمر مسلمة اصحاب المسايح ان يلحقوا به ، فلم يخلف مسلمة احــــداً ، وعبر الفرات ، وأقمنا بالمسيحية ، ووقع الموت والطاعون بالمسلمين، فمات من المسلمين خمسة عشر الف رجــل ، فاغتمّ مسلمة لذلك غماً شديداً ، وهاله ، وكان الخراج يحمل اليه ، فيقسمه بيننا ، ولم يحدث اليون ولا اصحابه حدثاً . وأخرب مسلمة مدينــة المسيحية،وتحوّل عنها الى التقفورية، لأن اهل المسيحية كانوا همّوا ان يغدروا بالمسلمين . فخرّبها ، وقتل رجالها ، وسبا نساءهم . وأقــام بالتقفورية ستة اشهر . ثم عرض النـــاس ، فكانوا يومئذ خمسة وعشرين الفاً ، فاغتمّ لذلك مسلمة غماً شديداً . وأتاه كتاب رجاء بن حيوة يخبره ان سليمان بن عبد الملك توفي ، وأمر ان يستخلف عمر بن عبد العزيز ، فاني قد بايعت له ، وبايع له الناس ، وهو عدل مرضي في الرعية ، ويقسم بينهم بالسويّة ، ورضيت بــه بنو أمية ، وقريش كلها ، ورضي به اهل الآفاق ، والأمصار ، ودخلوا في بيعته . وقد كتب اليك كتاباً يأمرك بالقدوم اليه، ويعزلك عن بلاد الروم، ويأمرك فيه بالبيعة له والطاعة . فاقبل كتابه، وانقد لأمره ، وأطعه ترشد، ان شاء الله تعالى . فإياك ان تخالف فتفسد ما أصلحت ، وتنقض ما أبرمت. مع ما أتخوّف عليك من العقاب والعذاب الشديد، في شقّك العصا، وخلافك على الامة . فاقبل وصيتي فقد علمت نصيحتي لك والسلام .

فأتاه كتاب عمر بن عبد العزيز واذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من عبد الله عمر بن عبد العزيز امير المؤمنين الى مسلمة بن عبد الملك :

أما بعد ، فإن الله خلق الخلق على ما شاء من تقديره ، ودبّرهم بمشيئته ، وإرادته ، فله الحمد والشكر كثيراً . وكان مما قضى الله وقدّر ان ولّاني امر المسلمين ، وجعلني خليفة في الارض ، فأسأل الله ان يخرجني مما أدخلني فيه سوياً سليماً خميصاً ، لا تبعة عليّ في ذلك ، ولا عقاب ، فقد طال حزني بذلك ، ومرض قلبي ، وتفتّت كبدي ، وقد بايع لي بنو أُمية كلهم، وجميع الامصار ، فادخل مع الجماعة ، واقدم بمن معك جميعاً ، ولا تخلفنّ احداً ، فقد عظمت المصيبة بالمسلمين .

فلما أتى مسلمة الكتاب تغيّر وجهه ، وتغير لونه ، ثم دعا محمد بن الاحنف ، وعبد الرحمن بن صعصعة ، وعبد الله بن جرير ، ورؤساء اهل الامصار ممن معه، فأدخلهم الى رحله، ثم قال: هذا كتاب عمر بن عبدالعزيز، فما ترون ؟ فقال محمد بن الاحنف : أرى ان تدخل فيما دخل فيه المسلمون ، وتكون مع الجماعة ، فان الرشد والتوفيق مع الجماعة .

ثم قال لعبد الله بن جرير : وأنت ما ترى ؟ فقال : مثل مقالة صاحبه .

ثم قال لعبد الرحمن بن صعصعة : وأنت ما تقول ؟ فقال : أيها الامير أقم في موضعك ، ولا تخرج اليه ، فإن طلب البيعة فبايعه ، وان أبى خالفته ، وبايعك الناس ، فأنت أولى بذلك منه .

فقال له محمد بن الاحنف: اتق الله أيها الامير فقد علمت مكانتك من العدو منذ سبع سنين، فإياك ان يكون آخر أمرك الى الدمار، فهذا لأوّل الدمار،

ان تخالف السنّة،وتشقّ العصا،ولكن سر بنا فأنت موضع الفضل والشرف، ومع هذا أيها الامير : تلمّ بأهلك وقرابتك . مع أنك بحمد الله ممن يحتاج اليه . ويطلب ما عنده لثلاث خصال .

اما الواحدة ، فالفهم والعلم . والثانية ، الشجاعة والبأس . والثالثة ، الشرف في اهل بيتك . فلا تفسد هذه الخصال في الخلاف والشقاق .

قال مسلمة : فقد تكلمتم وقد علمت ما جاء من رجل منكم . فكلكم أراد النصيحة . وكلكم أراد الشفقة. لا خير في عيش الدنيا مع الخلاف، والخوف، والرعب .

وقد وّلي هذا الرجل فأهل ذلك في ورعه ودينه . وقد كتب اليّ رجاء ابن حيوة بكتابٍ سرّني مـا ذكر فيه من عدله وانصافه . ولا مثله يفسد مثلي . ولا مثله يخلي مثلي . انه انظر لي من جميع اخواني ، وأقوم بحقي ، وأعرف بفضلي. لأنه أبرُّ بي من اخواني، وأكرم عليّ مع مصاهرته وقرابته. وقد عزمتُ على الشخوص اليه . فـإن اكرم وقرّب ، فأهل ذلك . وإن أبعد وتنحّى فبما سلف من ذنوبي .

فقلنا له : وفقك الله . فنعم مـا رأيت إن بايعته . فصيّر على مقدّمته محمد بن الاحنف . وعلى الميمنة عبد الرحمن بن صعصعة . وعلى الميسرة محمد ابن مسلمة بن عبد الملك بن مروان ابنه . وصار هو في القلب . وصيّر على السّاقة عبد الله بن سعيد . وأخرب مدينة التقفورية . ثم خرجنا منها ، فلم نزل نسير حتى دخلنا عمورية . فأقمنا بها ثلاثة ايام . ثم خرجنا منها ، وهدم مسلمة صورها ، وعزل جميع عماله من بـلاد الروم . فقدمنا دمشق في ثلاثين الفاً ، فدخلناها . وقد مات رجاء بن حيوة قبل ذلـك بعشرة ايام . فبلغ

ذلك مسلمة فغمّه غماً شديداً ، وأقام بباب دمشق ، وكتب الى عمر بن عبد العزيز فلم يأذن له في الدخول الى المدينة ثلاثة ايام ، حتى طلب اليه جميع بني أمية . فأذن له ، فدخل ، فمضى، ومضينا معه، الى منزل عمر بن عبد العزيز بالخيل ، والناس ، وهبة السفر . فلم يأذن له . فرجع الى منزله ، فلما كان من الغد ، وركبنا معه الف رجل من القواد ، فلم يأذن له فرجع ، وركب اليه من الغد في اهل بيته ، ومواليه . فلم يأذن له . وركب اليه من الغد في اخوانه وبني عمه ، فلم يأذن له . فرجع ومضى اليه من الغد وحده راكباً . فلم يأذن له . فرجع ، ومضى اليه من الغد راجلاً . فأذن له ، وعنده وجوه قريش ، ورؤساء اهل الشام . فسلم عليه بالخلافة فرد عليه رداً ضعيفاً ، ولم يأذن له بالقعود ساعة . فبكى مسلمة وقال : ما أراني عاصياً ، فإن كنت عاصياً ، فقد عصى من هو خيرٌ مني . وإن كنت مداهناً فقد داهن من هو خيرٌ مني . فما جرمي إلا أن انكيتُ في المشركين ؟ وأبكيتُ ، وقمتُ بحق الله تعالى . وقتلت عدوّه ، ولم تأخذني فيه لومة لائم . فإنما فعلت بما أمرت . وأوصيت بالدخول الى المدينة العظمى . فدخلت . هذا كلامي ، وهذا عذري . فأقبل مني اودع . فقال عمر بن عبد العزيز : يا مسلمة سرت بالمسلمين اقصى بلاد الروم . فقتلت الضعيف ، واتعبت القوي ، تطلب الشرف ، وأردت الرياسة .

اما كان يكفيك من القسطنطينية بلاد عمورية والقيام بها ؟ ولكنك أردت أن يقال : هذا مسلمة بن عبد الملك شديد العزم . فالويل لك إن آخذك الله بقتل رجل من المسلمين . ويحك يا مسلمة لقد بلغني عن النبي ﷺ انه قال :

الويل لمن اهلك نفساً مؤمنة . فقد عفونا عنك ما كان من جهلك . اقعد

فقعد . فقال : هات يا مسلمة حدثني عن بلاد الروم . فقال مقاتل مولى عمر ابن عبد العزيز : سمعت مسلمة وهو يقول لعمر : مـــا رأيت بلاداً تشبه القسطنطينية . قال عمر : صفها لي . قـال : هي مدينة ، برية بحرية ، الخير فيها كثير ، من الفاكهة ، والطعام ، واللباس فيهـــا ظاهر . والدواب فيها فرهة قـال عمر : صف لي سورها ، وأبوابها ، وكنيستها العظمى ، وقصرها الكبير . قال : اما سورها فحجارة . وعرض السور مـــا يسير عليه مائة فارس عرضاً . فأما الأبواب فإنها حديد عرض مـا بين كل بابٍ ميل . وأما الكنيسة العظمى ، فمن رخام مصفف مفصّص بالحجارة المذهبة ، وبالجوهر وأما قصرها فمن رخامٍ ولم ادخله يا امير المؤمنين . قـال عمر : اسئلك بالله يا مسلمة هل جبنت حيث دخلتها ؟ قال مسلمة : لا والله يا امير المؤمنين ما جبنت ، ولكني اجري مـا كنت حيث دخلتها . قال : كيف رأيت اهل الروم ؟ قال : قوم سوء ، وقلوبهم خائفة . فإذا صدقوا هربوا . ولقد قتلنا منهم مقتلةً عظيمة . فالحمد لله على ذلك كثيراً . قال عمر : غفر الله لـك . ثم وجّه سراقة بن عبد الرحمن اميراً على الثغور . وأمره أن يبلغ العمورية، فإذا بلغها لا يجوز الى غيرها . وأقام مسلمة عند عمر بدمشق .

تأديب عمر بن عبد العزيز مسلمة بن عبد الملك :

وبالإسناد قال مقاتل : ثم أن عمر بلغه أن مسلمة ينفق على مائدتـه الف درهم في كل يوم . وكان عمر يُطعم السّؤال من غلتـه الف سائل في كل يوم . يطعمهم ثلاثة ألوان ، وشواء . وكان يأكل هو يوماً لحماً ، ويوماً خلا وزيتاً ، ويوماً عدساً . وكان قد سيّر الدنيا ثلاثة ايامٍ : يوماً للقضاء ، ويوماً لأهله ، ويومـــاً لحوائج الناس . والليل للعبادة . فكان اذا جنّـه الليل لبس جبّة

صوف، وجعل الغلّ في عنقه ، والقيد في رجله . ونادى : يا رب هذا عذاب الدنيا ، فكيف عذاب الآخرة .

ثم بعث الى مسلمة يأمره أن يتغذى عنده ، فأتاه . فأمر عمر بجفان السّؤال أن تهيأ، وهيأ له طعاماً. وأمر أن يحبس الطعام، وأن يقدّم العدس.

فلما أبطأ عليهم الطعام ، وجاع مسلمة جوعاً شديداً ، قال عمر : ويحك يا مقاتل، إن أبا سعيد لا يصبر على الجوع ، فأتنا بما عندك . فأتاه بعدس ، فأكل أكلا منكراً حتى شبع، ثم أتي بالطعام . فقال عمر: كُل يا أبا سعيد. فقال : قد اكتفيت . قال عمر : يا أبا سعيد ، تكفيك أكلة بدانقين، وأنت تنفق على مائدتك الف درهم كل يوم ؟ فقال مسلمة : أعطني عهد الله أن لا أعود الى مثل ذلك ، فرجع عنه .

ومن اخبار عمر بن عبد العزيز :

وبالإسناد قال مقاتل : رأيت قوماً من العباد ، وقد أتوا محمد بن عمر بن عبد العزيز ، فسألوه عن عمل ابيه ، فقال : ما اذكر اني رأيته ، ولكني ادخل على أمي فاطمة ابنة عبدالملك بن مروان، فأسألها عن هذا إن شاء الله تعالى . فدخل عليها . فقال : يا أمّه ما صنع أبي؟ فإن الناس قد لجّوا عليّ في ذلك ، فقالت فاطمة ابنة عبد الملك : يا بني لا تريد أن تعلم ؟ قال لها : فإنهم لا يدعوني حتى اخبرهم . قالت : نعم ، قل لهم : ان ابي كان من اعظم قريش ، وأرفههم مركباً ، وألينهم ثوباً ، وأطيبهم طعاماً ، قبل أن يلي الخلافة ، فلما ولّي الخلافة لبس الكرابيس ، والصوف ، وربما ادّهن بزيت العلة ، تعني زيت الماء ، ولا رفع ثوباً يدّخره ، ولا اتخذ أمةً منذ ولّي الى يوم مات ، فهذه كانت حالته .

قال مقاتل : فلما حَضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة قال له : يا مقاتل ، إنه بلغني عن رسول الله ﷺ ، أن الإمام العادل اذا وضع في قبره نزل على يمينه ، واذا كان جائراً نقل من يمينه الى شماله [١] ، فاطلع حتى تنظر إليّ . قال : فاطلعتُ ، فرأيته على يمينه ، والحمد لله .

قـــال مقاتل : رأيته قبل أن تخرج الروح من جسده ، وهو يضحك ، ويقول : « لمثل هذا فليعمل العاملون » . ثم مات رحمه الله تعالى .

ولنا في الأخذ من السلطان وترك الأخذ من الناس للمنة :

إن الحلال من المكاسب همّتي — والأخذ من مال الفتوح أجانِبُهْ

تمضي المروءة أخذه منْ عالم — مذمومـــة أحواله ومذاهبُه

تمتنّ من قبل العطاء وربمـــا — سألتْ عليك بما يعير مدانبه

فلتجتنب أخذ الفتوح فإنـــه — يجني على الأعقاب منك عواقبه

إلا من السلطان فهو نصيبُـكم — ممـــا تعيَّنَ بالشريعة واجبه

هو عنــده للمسلمين أمانــة — فمتى حبَاكَ فخذه انك صاحبه

قال ابن الواسطي : وقد ذكرت اسنادنا اليه ، حدثنا القاسم بن مزاحم ، عن محمد بن الحسن العسقلاني ، عن محمـــد بن عمرو بن الجراح الغزّي ، عن ابي الصليت شهاب بن خراش ، عن سعيد بن سنان ، عن ابي الزاهرية ، قال: أتيت بيت المقدس أريـــد الصلاة ، فدخلت المسجد ، وغفلت عن سدنة المسجد حـــتى اطفئت القناديل ، وانقطعت الرجْل ، وغلقت الأبواب .

---

(١) نسخة ٢ : يساره .

فبينما أنا على ذلك إذ سمعت له حفيفاً له جناحان قد أقبل ، وهو يقول : سبحان الدائم القائم ، سبحان القائم الدائم ، سبحان الحي القيّوم ، سبحان الملك القدّوس، سبحان رب الملائكة والروح ، سبحان الله وبحمده ، سبحان العليّ الأعلى ، سبحانه وتعالى .

ثم أقبل حفيفٌ يتلوه ويقول مثل ذلك ، ثم اقبل حفيفٌ بعد حفيفٍ يتجاوبون بهـا حتى امتلأ المسجد ، فاذا بعضهم قريب مني فقال : آدمي ؟ فقلت : نعم ، قال : لا روع عليك ، هؤلاء الملائكة ، قلت : سألتك بالذي قوّاكم على ما أرى ، من الاول ؟ قـال : جبريل . قلت : ثم الذي يتلوه ؟ قال : ميكائيل . قلت : مَن يتلوه بعد ذلك ؟ قـــال : الملائكة . قلت : سألتك بالذي قوّاكم على ما أرى ، ما لقائلها من الثواب ؟ قـال : من قالها سنة كل يوم مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة ، او يُرى له . قال : ابو الزاهرية قلت : سنة ، وسنة ، كثير ، لعلي لا أعيش ، فقلتها في يوم عدد ايام السنة ، فرأيت خيراً . قال سعيد بن سنان : فقلت سنة ، والسنة كثير، لعلي لا أعيش فيها ، فقلتها في يوم عدد ايام السنة ، فرأيت خيراً . قـــال الحوسي : فقلت سنة ، والسنة كثير ، لعلي لا اعيش فيها ، فقلت : في يوم عدد ايام السنة ، فرأيت خيراً . قال محمد بن عمرو : فقلتها في ثلاثة ايام ، او اربعة ، كل يوم مائة مرة ، فكان الرجل يلقـــاني فيقول : رأيت لك كذا وكذا أظنه من ذلك . قلت : وقلتها انا في ليلة فرأيت خيراً ، وقلتها ، وقالها صاحبي عبد الله الحبشي ، فرأى او رؤي له خيراً .

ومن باب حب الوطن :

ما قالت العجم اللسن :

من علامة الرشد ان تكون النفس الى مولدها مشتاقة، والى مسقط رأسها توّاقة .

وقال الحكيم : فطرة الرجل معجونة بحب الوطن ، ولذلك قال ابقراط: يُداوى كل عليل بعقاقير ارضه ، فإن الطبيعة تقطع بهواها ، وتفزع الى غذاها . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : لو قنع النـــاس بأرزاقهم قنوعهم بأوطانهم لما اشتكى عبدٌ الرزّاق . والذي يؤيد ما ذكرناه من حب الوطن قول الله عز وجل حين ذكر الديار ، فخبر عن مواقعها من قلوب عباده .

فقال تعالى :

« ولو أنـّا كتبنا عليهم ان اقتلوا أنفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم » . فسوّى بين قتل انفسهم ، وبين الخروج من ديارهم .

وقال تعالى :

« وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقـد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا » .

وقيل : لولا حبّ الناس الاوطان لخرب البلدان .

وقيل من امارات العاقل برّه لإخوانه ، وحنينه الى اوطانه ، ومداراته لأهل زمانه .

كما قيل : (ودارهم فاللّبيب مَن دارى) .

قالت العرب : حماك أحمى لك ، وأهلك أحفى لك .

حكمة :

الغربة كربة ، والقلـّة ذلـّة .

وقـــال القائف : اذا أحسّت النفس بمولدها تفتحت مسامّها ؛ فعرفت النسيم ، وأكثرت الشميم .

وقال آخر : يحنّ اللبيب الى وطنه كما يحنُّ النجيب الى عَطِنه .

وقال بعضهم : كما أن لحاضنتك حقّ لبنها ، فكذلك لأرضك حرمة وطنها .

وشبّهت الحكماء الغريب باليتيم اللطيم ، ثكل أباه وأمه ، فلا أم ترامه ، ولا اب يحرب عليه .

وفي المثل : اوضح من مرآة الغريب .

قالت الحكماء : أكرم الخيل أجزعها من السوط، وأكيس الصبيان أشدّهم بغضاً للكتاب ، وأكرم الابل أشدهم حنيناً الى اوطانهـا ، وأكرم المهارى أشدها ملازمة لأمهاتها ، وخير الناس آلفهم للناس .

وقال بعض الشعراء في الوطن :

ألا ليتَ شِعري والحوادث جمّةٌ متى تجمعُ الأيام ما فرّق الشملا
وكل غريبٍ سوف يمسي بذلّةٍ اذا بان عن اوطانه وجفا الأهلا

وأنشدنا ابو بكر بن سكر قال : كان المازني ينشد لعروة :

اقرأ على الوَشل السلام وقلْ له كل المشارب مُذ هجرتَ ذميمُ
جبلٌ ينيفُ على البلاد اذا بدا بين الغدائر والزمان مقيم
لو كنتُ أملك منع ما بك لم يذق ما في فلائك ما حييتُ لئيم

وأنشدنا ابو جعفر احمد بن يحيى الوزعي بمسجد ابن عتّاب بقرطبة لمجنون بني عامر :

الى عامرٍ أصبو وما ارض عامرٍ هي الرملة الوعساء والبلد الرحبُ
معاشر بيض لو وردت بلادهم وردتَ بحوراً للندى ماؤها عذب
الى مـا بدت للناظرين خيامهم فثمّ العتاق ألقبُ والأسل القضب

وأنشدنا ابو الحسن علي بن خروفٍ بمنزلي لا مراةٍ من عقيل :

خليليّ من سكان ماوان هاجني هبوب جنوبٍ مرّها وانتسامها
فإن تسألاني مـا ورائي فإنني بمـنزلة اعيى الطبيب سقامها

وأنشدنا :

اقولُ لقومٍ ألف الدهر بينهم وبيني والايام تحوي وتفرقُ
فإني وإن احمدت عقد وصالكم ففي غير مثوى ارضكم اتشرّق
سقى الله قومي كل يومٍ وليلةٍ عوارض مُزنٍ صوبهـا يتدفق

ومن باب العشاق والعشق :

قـال علي بن عبيدة : العشق ارواح تجول في الخليقة ، وفرح يجول في الروح ، وسرور ينشي الخواطر ، له مستقرّ غامض ، ويحل اطيب المساكن ينساب في الحركات ، ويهدىء القوي ، ويقوّي الضعيف .

ولبعضهم :

تقولُ أناسٌ لو نعت لنا الهوى ووالله ما أدري لهم كيف انعتُ
فليس لشيءٍ منه جزء أعدّه وليس لشيءٍ منه وقتٌ موقت

بلى غير أني لا ازالُ كإنني   عليّ من الأحزان بيتٌ مبيت
وانضحُ وجه الارض طوراً بعبرتي   وأقرعُها طوراً بظفري وانكت
وقد زعموا بي أنني لا أحبُّه   فما لي أراه من بعيدٍ فأبهت
إذا اشتدّ ما بي كان آخر حيلتي   له وضع كفي تحت خدّي وأصمت

وأنشدني ابن مرتين من هذا الباب :

الحبُّ فيــه حلاوةٌ ومرارةٌ   والحبُّ فيــه شقاوةٌ ونعيمُ
الحب أهونــه شديدٌ قادح   والحب أصغر ما يكون عظيم
الحب صاحبه يبيت مسهّداً   ويطيرُ منــه فؤاده ويهيم
الحب لا يخفى وإن أخفيته   إن البكاء على المحبّ نمـيم
الحب يشهد صادقاً في وجهه   عند التنفس انــه مهموم
الحب داءٌ قــد تضمّنه الحشا   بـين الجوانح والضلوع مقيم

حكايـة :

قال ابراهيم بن سعيد : كنتُ عند المأمون يوم نوروز، فجاء الناس بهدايا، فأمر بردّها ، استحقاراً لها ، فردّت الهدايا . وكانت في المهديين امرأة معها هدية ، ولها رقعة مكتوب فيها :

ألم ترَنا نهدي الى الله ما له   وإن كان عنه ذا غنىً فهو قابله
ولكننا نهدي الى من نحبــه   على قدرنا لا نحو ما قد يشاكله

قال : فأمر المأمون بقبول الهدايا .

حديث مرفوع رفعه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز الى ابي هريرة قال:

بينما النبي ﷺ جالس في احفل مـــا يكون من اصحابه ، إذ اقبل اليه اعرابي من بني سليم باكياً .

فقال النبي ﷺ : ما يبكيك يا اخا بني سليم ؟ قال : اني ربمـا قمت في صلاتي فيأخذني الهذيان . وربما نمت فتأخذني الفكرة في منامي . وربمـــا اخذتني الوسوسة حتى كادت تفسد عليّ ديني .

فقال له النبي ﷺ : يا سلمي هـذا عمل ابليس لعنه الله ألا أعلمك تسعة عشر اسماً علمنيها رب العالمين حين اسريّ بي الى السماء السابعة ؟

اربعة منها مكتوبة على جبهة اسرافيل .

وأربعة مكتوبة على جبهة ميكائيل .

وأربعة مكتوبة على جبهة جبريل .

وأربعة مكتوبة على جبهة عزرائيل .

وثلاثة مكتوبة على جبهة الناموس الاكبر ، وهو احد حملة العرش، جناح له في المشرق ، وجناح له في المغرب . وعنقه مثنيّة تحت قائمـة العرش ، لو امره الجبار أن يلتقم السموات ، وما بينهنّ ، وما فيهن وما عليهنّ كان أهون عليه من طرفة عين .

قال : بلى يا رسول الله . فقال : يا اخا بني سليم : انهـا تسعة عشر اسماً ما دعا بهنّ مهموم إلا فرج الله عنه همّه . ولا مغموم إلا فرّج الله عنه غمه . ولا غائب إلا ردّه الله عزّ وجل . ولا مريض إلا شفاه الله تعـــالى . ولا مديون إلا قضى الله دينه . ولم تكن هـذه الاسماء في منزل إلا طرد الله عنه ابليس وجنوده . فإذا امسيت ، وأصبحت ، فقل :

اللهم اني اسئلك يا رحمن يا رحيم ، ويا جار المستجيرين ، ويا امـان الخائفين ، ويا عماد من لا عمـاد له ، ويا سند من لا سند له . ويا ذخر من لا ذخر له ، ويا حرز الضعفاء ، ويا عظيم الرجاء ، ويا منقذ الهلكا ، ويا منجي الغرقا ، ويا محسن ، ويا مجمل ، ويا منعم، ويا مفضلُ ، ويا عزيز. انت الذي سجد لـك سواد الليل ، وضوء النهار ، وشعاع الشمس ، وهفيف الشجر ، ودويٌّ النحل ، ونور القمر ، يا الله يا الله يا الله لا شريك لك . أسألك أن تصلّي على محمد وعلى آل محمد ، ثم تدعو حاجتك .

ومن جواهر الكلم :

طيبُ الأشياء العافية ، وأفضل الدارين الباقية . الطاعة حرز ، والقناعة عزّ ، والعلم كنز ، والصمت فوز . الثقة مال المؤمن ، والرحمـة من الله حظ المحسن. فمن وثق بالله أغناه، ومن أحسن الى خلقه نجّاه . ان الدنيا لا تصفو لشارب ، ولا تفي لصاحب ، ولا تخلو من فتنة ، ولا تخلى من محنة ، فاعرض عنها قبل ان تعرض عنك ، واستبدل بها قبل ان تستبدل بك ، فإن نعيمها ينتقل ، وأحوالها وثمرتهـا تضمحل . مَن أطاع الله عز وجل ارتفع ، ومن عصاه ذلّ فاتضَع. مَن أطاع الله ملك، ومن أطاع هواه هلك. كم من جامعٍ لمن لا يشكوه ، ومنفق فيمن لا يسرّه . من تمام العلم استعماله ، ومن تمـام العمل استقباله، فمن استعمله عمله لم يخل من رشاد،ومن استعمله علمه لم يقصر عن مراد . ثمرة العلم ان تعمل به ، وثمرة العمل ان تؤجر عليه . كل عزٍّ لا يوطده دينٌ مذلة،وكل علم لا يؤيده عقل مظلة . ذل من ليس له ظالم يعضده، وضلّ من ليس له عالم يرشده . الزهـد بصحة اليقين ، وصحة اليقين بصحة الدين ، فمن صحّ يقينه زهد في الثراء ، ومن قوي دينه أيقن بالجزاء .

وصية من شيخ ناصح لتلميذ قابل :

روينا من حديث ابن ثابت ، قـــال : أنا عبد الرحمن بن محمد بن فضالة النيسابوري ، انا محمد بن عبد الله بن شادان ، قال : سمعت يوسف بن الحسين يقول: قلت لذي النون في وقت مفارقتي له من المجلس: من أجالس؟ فقال : عليك بمجالسة من يذكـرك الله رؤيته ، وتقع هيبته على باطنك ، ويزيد في عملك منطقه ، ويزهدك في الدنيا علمه، ولا تعصي الله ما دمت قربه، يعظك بلسان فعله ، ولا يعظك بلسان قوله .

ومن هذا الباب ما حدثنا المروزي ، عن الخشّاب ، نبـــأ عبد الله بن الاستاذ قال : دخل رجل من اصحابنا على ابي العباس الخشاب الزاهد، فسلم عليه ، وقال له : يا أبا العباس اريد ان أقرأ عليك ممـــا في هذا الكتاب ، لكتاب كان بيده ، ففتح ، فقرأ عليه من باب الورع ، والزهد ، والتوكل ، والخشّاب ساكت . فقال الرجل : يا أبا العباس انما أقرأ عليك هذه الأبواب لتتكلم عليها . فقـــال له الخشاب : اقرأني فإني أنا ذلك الكتاب . فخرج الرجل من عنده ، ودخل الى الشيخ أبي مدين ، وهو إذ ذاك بمدينة فاس ، فقال : يا أبا مدين اتفق لي مع الخشاب كيت وكيت، فقال ابو مدين : صدق الخشاب ، هل قرأت عليه باباً ليس هو حاله ؟ فإذا كان حاله لا تفهمه ، ولا يؤثر فيك ، فكيف قوله ؟ فاتعظ الرجل .

أخبرني عبد الله ابن الاستاذ المروزي ، عن كشف أبي العباس الخشاب ، قـال : خطر لأبي مدين طلاق زوجته ، واستخار الله ، ثم رأى ان يستأذن في ذلك أبا العباس الخشاب ، فإنه كانت له حالة تعليم من الله ، فوافق هذا الخـاطر دخول الخشاب على ابي مدين ، فقبل أن يكلمه ابو مدين ، قـال له

الخشاب : يا ابا مدين يقال لك : امسك عليك زوجك ، فمسكها . ولهذا الخشاب عجائب . زرت قبره مع ابن يخلف بمدينة فاس ، فأتى خبر انه يوم مات ما بقي وليّ لله له خطوة إلا حضره .

وصية نوح عليه السلام لابنه :

روينا من حديث احمد بن محمد زياد، قال: نبأ محمد بن عبدالملك الدقيقي، نبأ خنيس، نبأ زياد قال: نبأ محمد بن عبدالملك، نبأ زيد بن بكر بن خنيس، عن محمد بن اسحاق ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : أوصى نوحٌ ابنه فقال : لا أطوّل عليك ، احذر ان لا تنسى : اثنتان يستبشر الله عز وجل بهما ، وصالح خلقه . واثنتان يحتجب الله بهما : وصالح خلقه . فأما الاثنتان التي يستبشر الله عز وجل بهما وصالح خلقه ، فشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن السموات والارض وما بينهما وما فيهنّ لو كنّ حلقة لقصمتها ، ولو كنّ في كفة لرجحت ، وسبحان الله وبحمده ، فإنها صلاة الخلق ، وبها يرزقون .

وأما الاثنتان التي يحتجب الله عز وجل منهما ، وصالح خلقه ، فالشرك به ، والكِبر ، فقال رجل من اصحابه :

يا رسول الله اني لأحبُ ان يحمل مركبي ، ويلين مطعمي ، ويحل علاق صوتي ، وقبال نعلي ، فذلك كِبر ؟ قال : لا ، ولكن الكِبر ، ان تبطر الحق ، وتغمص الناس ، واللفظ لابن الاعرابي انتهى .

نصيحة :

رويناها ، عن الحسن من حديث ابن ثابت قال : نبأ احمد بن الحسين بن

محمد بن ثابت قال : نبأ احمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله ، نبأ جدّي ، نبأ ابو بكر احمد بن يحيى بن عمرو بن عتيق العامري ، نبأ احمـــد بن علي بن خلف ، نبأ سري بن المفلس السقطي ، نبأ يزيد ، عن المسعودي ، عن محمد، عن عوف بن عبد الله ، قال :

سمعت الحسن يقول : ابن آدم لو أنك تجـــد حقيقة الايمان ، ما كنتَ تعيبُ النـــاس بعيبٍ هو فيك ، حتى تبدأ بذلك العيب نفسك ، ولا تصلح عيباً إلا ترى عيباً آخر ، فيكون شغلك في خاصة نفسك ، وكذلك أحبُّ ما يكون الى الله اذا كنت كذلك .

ومن حديثه ايضاً قال : انا محمد بن علي الاصبهاني التاجر ، نبأ احمد بن محمود القاضي بالأهواز ، نبأ محمد بن زكريا ، نبأ ابن عائشة قال : سُئل علي ابن الحسين ، عن صفة الزاهد في الدنيا قال :

يتبلّـغ بدون قوته ، ويستعد ليوم موته ، ويتبرم حياته .

حكاية شابّ اصطنعه الحق تعالى :

روينا من حديث ابن ثابت قال : نبأ علي بن القاسم الشاهد بالبصرة قال: سمعت أبا الحسن احمد بن محمد بن عيسى قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول:

كان شابّ يحضر مجلس ذي النون بن ابراهيم المصري مدة، ثم انقطع عنه زماناً ، ثم حضر عنـــده ، وقد اصفرّ لونه ، ونحل جسمه ، وظهرت آثار العبادة والاجتهاد عليه . فقال له ذو النون : يا فتى ما الذي أكسبك خدمة مولاك واجتهادك من المواهب التي منحك بها ، ووهبها لك، واختصّك بها ؟ فقال الفتى: يا استاذ وهل رأيت عبداً اصطنعه مولاه من بين عبيده واصطفاه

وأعطاه مفاتيح الخزائن، ثم أسرّ اليه سرّاً ، أيحسن به ان يفشي ذلك السر؟ ثم أنشأ يقول :

مَن سارروه فأبدى السرّ مجتهداً لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا
وباعدوه فلم يُسعد بقربهم وأبدلوه مكان الانس ايحاشا
لا يصطفون مذيعاً بعض سرّهم حاشا ودادهم من ذلكم حاشا

قال : وحدثني يحيي بن علي بن عبد الله الدامغاني ، عن ابن سلام سمعت يحيى بن معاذ يقول :

مَن عرف عاش ، ومن مال الى الدنيا طاش ، والمؤمن عن عيوب نفسه فتّاش ، والاحمق يسعى في لاش .

قال : وحدثنا عبد الرحمن ، عن احمد بن مكحول قال : سئل حكيم : أي شيء أحلى ؟ قال : النصرة على العدو بعد الهزيمة ، والاستغناء بعد الحاجة ، والعظة في المجالس ، والغلبة للمتكلم .

كلام لبعض اخواننا فيمن أفناه الشوق :

أملا علينا صاحبنا احمد بن مسعود بن شدّاد المقري ، بمدينة الموصل سنة احدى وستمائة ، فيمن أفناه الشوق ، وأودى به التوق ، وأماته التذكّر ، وأفناه التفكّر ، حتى صارت جزئياته وكلياته لله ، وحركاته وسكناته بالله. ولحظاته وخطراته من الله ، وضمائره وسرائره مع الله ، فني به عنه ، لما منحه به منه ، وذلك حين زهد في شهواته ، ولذّاته ، وتجوهر في صفاته ، وذاته ، فني بمولاه عن تربه ، ونفسه ، بما أولاه عن تربه ، ونفسه ، بما أولاه من قربه ، وأنسه ، عرض عرضه على الخلق ، وجاهر بجوهره لدى الحق ،

حتى صار بين الأتراب من عالم التراب، ومن أولى الألباب عند رب الأرباب، بقي صورةً في الفناء، ومعنىً في عالم الفناء ، فعين السعادة لم تزل تلاحظه من قبل الأزل ، فهو في عالم الصّور معنا ، وفي عالم الارواح يشاهد المعنى ، فلما أفناه موجده عن وجوده ، بمـــا حباه من تطوله وجوده ، تحيط جوهر روحانيته ، في عرض انسانيته ، وطمعت في الخلاص الارواح ، من حصر اقفاص الاشباح ، هتفت بها هواتف الاقدار بالعشيّ والابكار ، هـــذا يقرأ عليها : « يا أيتها النفس المطمئنة » وهـــذا يتلو عليها : « ولكم في الارض مستقرٌ ومتاع الى حين » فحينئذ هدرت بلابل بلبالها ، وغرّدت قماري أقمار احوالها ، وأنشدت لسان حالها :

يا حسرتي كيف ألقاهم ولي جسدٌ ولي فؤاد ولي سمعٌ ولي بصرُ
ماذا اقول إذا قالوا فديتهم أين التحول وأين الدمع والسهر
إذا اعتذرت اجابتني محاسنهم ما لامرىءٍ لم يمت في حبنا عذر

مبشرة خير تدل على فتح ونصر :

رأينا ونحن بسيواس في شهر رمضان ، والسلطان الغالب في ذلك الزمان يحاصر انطاكية . فرأيت كأنــه نصب عليها المجانيق ، ورماها بالاحجار ، فقتل زعيم القوم ، فأولت الاحجار آراؤه السعيدة ، وعزائمه التي يرميهم بها، وإنــه فاتحها إن شاء الله تعالى . فكان كما رأيت بحمد الله ، وفتحها يوم عيد الفطر، وكان بين الرؤيا والفتح عشرون يوماً ، وذلك سنة اثني عشر وستمائة، فكتبت اليه من ملطية قبل فتحه إياهـا بأبياتٍ اذكر فيها رؤياي ، واذكر فيها ما قاله رسول الله ﷺ ، حين رأى في النوم جبريل عليه السلام ، وقد جاءه بعائشة ام المؤمنين ، قبل أن يتزوج بهـا في سرفة حرير ، فقال له :

هذه زوجتك ، فلما استيقظ رسول الله ﷺ ، وذكرها . قال : ان كان من عند الله سيمضيه . فقلنا : نحن كذلك ادباً ، واقتداءً . فكان من عند الله، وفتح الله على السلطان بها كما كان زواج رسول الله ﷺ لعائشة .

وكانت الأبيات لروميات اتفاقاً وهي :

قصدت بلاد الكفر تبغي فتوحها	فابشر فإن الروم فيك لفي خسر
رأيت لكم رؤيا تدلّ على النصر	وفتح بلاد الكفر والقتل والاسر
قتلتم بأحجار المجانيق كبشهم	فأوّلهـــا الآراء تعضد بالنصر
فدونك فانهض أيها الملك الذي	علا امره فوق السماكين في النسر
وخذها من الله الكريم بشارة	تدل على التأييد والقهر والقسر
فإن كان عن حق سيمضي وجودها	وإن لم يكن ما فيه في الملك عن عسر
بذا جاء لفظ الشرع إذ جاء وحيه	برؤياه في امر الحميراء بالسر
إذا جاء نصر الله والفتح فلتجد	بمالك من خير على العسر واليسر

روينا من حديث الواسطي قال : نبأ عيسى بن عبد الله الورّاق ، اخبرني علي بن جعفر الرازي ، نبأ عبد الله بن محمد بن مسلم ، نبــأ موسى بن سهل النيسابوري الموصلي قال :

سكن من اصحاب رسول الله ﷺ جماعـــة ببيت المقدس : عبادة بن الصامت ، وشداد بن آوس ، وإبن ام حزام ابو ابي وإسمـه شمعون حليف الحضرموت ، وابو ريحانة ، وسلامة بن قيصر الحضرمي ، وفيروز الديلمي ، وذو الاصابع ، وابو محمد النجاري ، هؤلاء من اهل بيت المقدس . ماتوا بها، أعقب منهم عبادة بن الصامت ، وشداد ، وسلامة ، وفيروز، ولم يعقب ابو ريحانة ، ولا ذو الاصابع ، ولا النجاري .

ذكر كعب الاحبار :

إن الله تعالى قال في التوراة لصخرة بيت المقدس : انت عرشي الادنى ، ومنك ارتفعت الى السماء ، ومن تحتك بسطت الارض ، وكل ماءٍ يسيل من ذروة الجبال من تحتك ، من مات فيك فكأنما مات في سماء الدنيا ، ومن مات حولك فكأنما مات فيك ، لا تنقضي الايام والليالي حتى ارسل عليك ناراً من السماء ، فتأكل آثار اكفّ بني آدم وأقدامهم منك ، وأرسل عليك ماء من تحت العرش فأغسلك حتى اتركك كالمهات ، وأضرب عليك سوراً من غمام غلظه اثنا عشر ميلا وسياجاً من نارٍ ، واجعل عليك قبة خلقتها بيدي ، وأنزل فيك روحي ، وملائكتي ، يسبحون فيك ، لا يدخلك احد من ولد آدم الى يوم القيمة ، فمن يرى ضوء تلك القبة من بعيدٍ يقول : طوبى لوجه يخرّ فيك لله ساجداً واضرب عليك حائطاً من نارٍ ، وسياجاً من الغمام ، وخمس حيطان من ياقوت ، ودرّ ، وزبرجد ، انتِ الانظر ، واليك المحشر ومنك المنشر .

حدثني بهذا الحديث جماعةٌ غير واحد ، عن القاسم بن علي ، عن ابي القاسم السوسي ، عن ابراهيم بن يونس ، عن عبد العزيز النصيبي ، عن محمد بن احمد ، عن عمر ، عن ابيه ، عن الوليد ، عن ابراهيم بن محمد ، عن داود ، عن صدقة بن يزيد ، عن ثور بن يزيد ، عن عبد الله بن تبشر ، عن كعب الأحبار رضي الله عنه .

ومن باب العشق والعشاق ما ذكر عن المأمون وهو قوله ه :

إن الهوان هو الهوى قلب اسمهُ فـإذا هويت لقد لقيتَ هوانا
فإذا تعبّدك الهوى فاخضع لـه واسجد لإلفك كائناً من كانا

ولجميل بن معن في هذا الباب :

قد كنتُ اسمعُ بالمحبّ وذكره فأضلّ منه عاجبـاً أتفكرُ
حتى بُليتُ بحبكم فوجدته مرّاً ولم أكُ قبل ذلك أشعُرُ
فاليومَ أعذرُ كل من اثبته صبّاً ومن ذاق الهوى يستشعرُ

ولام الضحّاك في هذا الباب فقال :

مَن كان لا يدرِ ما حبٌّ وصفت له او كان هيّابة او كان لم يجدِ
الحبُّ أولـه رَوْعٌ وآخره مثل الحزّازة بين القلبِ والكبد

وقال آخر :

الحب أولـه حلوٌ وأوسطه مرٌ وآخره التوديعُ والأجلُ

وقال صاحب بثينة :

الحبُّ أول ما يكونُ لجاجة تـأتي بـه وتسوقه الأقدارُ
حتى اذا اقتحم الهوى لجج الهوى جـاءت أمورٌ لا تطاق كبار

ولنا في هذا الباب :

الحبُّ أولـه نحبٌ وأوسطه موتٌ وليس له حدٌ فينكشفُ
فمن يقول بأن الحبَّ يعرفه فما لقومٍ بـه أعمـارهم شغفوا
ولم يقولوا بأن الحبَّ نعرفه خلفٌ ولكنه بالقلب يـأتلف
فليسَ يعرفُ منه غير لازمةٍ البثّ والوجْد والتبريح والأسف

ولنا من منشور الحكَم والوصايا :

قال الاسكندر: الحكم يرضي احد الخصمين ، ويسخط الآخر . فليستعملا الحق ليرضيهما جميعاً .

وقال : لِمَ صارت سِيَر بلادكم قليلة ؟ قالوا : لإعطائنا الحق من انفسنا، ولعدل ملوكنا ، وحسن سيرتهم فينـا . فقال لهم : أيما افضل ؟ العدل أم الشجاعة ؟ قالوا : اذا استعمل العدل استغني عن الشجاعة .

بزرجهر :

العدل هو ميزان الباري سبحانه، ولذلك هو متبرىء من كل زيغ وميل.

انوشروان :

قيل له : أي الخير أوفى ؟ قال : الدّين . قيل : فأي العـدد اقوى ؟ قال : العدل .

ازدشير :

قيل له : مَن الذي لا يخاف احداً ؟ قال : الذي لا يخافه احـد . فمن عدل في حكمه، وكفّ عن ظلمه ، نصره الحق وأطاعه ، وصفت له النعمى، وأقبلت عليه الدنيا ، فتهنى بالعيش ، واستغنى عن الجيش ، وملك القلوب ، وآمن الحروب ، وصارت طاعته فرضاً ، وظلت رعيته جنداً . وأن اول العدل ان يبدأ الرجل بنفسه ، فيلزمها كل خلّة زكية ، وخصلة رضية ، في مذهب سديد ، ومكسب حميد ، ليسلم عاجلا ، ويسعد آجلا . وأول الجوْر أن يعمد اليهـا فيجنبها الخير ، ويعوّدها الشر ، ويلبسها الآثام ، ويغبقها المدام ، ليعظمَ وزرها ، ويقبح ذكرها .

افلاطون :

مَن بدأ بنفسه فساسها أدرك سياسة النـاس . أصلحوا أنفسكم تصلح لكم آخرتكم .

ارسطو :

أصلح نفسك لنفسك تكون الناس تبعاً لك .

فيثاغورس :

أحسن العظات ما بدأت به نفسك ، وأجريت عليه أمرك .

سقراط :

مَن رضي عن نفسه سخط عليه الناس .

الاحنف بن قيس :

مَن ظلم نفسه كان لغيره أظلم . ومَن هدم دينه كان لمجده أهدم .

ابن المقنع :

خير الأدب ما حصل لك ثمره،وظهر عليك أثره . مَن تعزز بالله لم يذلّه سلطانه . ومَن توكل عليه لم يَضرّه انسان . ليكن من حقك الى الحق ، ومَنزعك الى الصدق ، فالحق اقوى معين ، والصدق أفضل قرين . مَن لم يرحم منعه الله من رحمته ، ومن استطال بسلطانه سلبه الله قدرته . إن العدل ميزان الله وضعه للخلق ، ونصّبه للحق ، فلا تخالفه في ميزانه ، ولا تعارضه في سلطانه ، واستعن على العدل بخلّتين :

قلّة الطمع ، وشدّة الورع . مَن طال كلامه سُئم ، ومَن قلّ احترامه شُتم . باطل ما يقوم حق ، وكذوب ما لا ينتصف منه صدق . لا تحاجّ من يذهلك خوفه ، ويملكك سيفه ، فربّ حجة تأتي على مهجة ، وفرصة تؤدي الى غصة ، وإياك واللجاج فإنه يوعر القلوب ، وينتج الحروب . عِيٌ تسلم به خير من نطق تندم عليه ، فاقتصر من الكلام ما يقيم حجتك ، ويبلغك

حاجتك ، وإياك وفضوله فإنها تزلّ القدم ، وتورث الندم ، عِيٌّ يزري بك خير من براعة تأتي عليك .

ومن باب التذكير والنصائح :

ما رويناه من حديث ابن ثابت قال : انا محمد بن احمد بن محمد بن احمد ابن رزق الله البابي ، وأبو الحسن بن علي بن احمد بن عمر المقرىء قال : نبأ جعفر بن محمد الخالدي ، نبأ ابراهيم بن نصر ، نبأ ابراهيم بن بشار قال : قلت لابراهيم بن ادهم أمرّ اليوم اعمل في الطين ، فقال : يا ابن بشار انك طالب ، ومطلوب ، يطلبك من لا تفوته ، وتطلب من قد كفيته ، كأنك بما غاب عنك قد كشفت لك ، وبما انت فيه قد نقلت عنه ، يا ابن بشار كأنك لم ترَ حريصاً محروماً ، ولا ذا فاقة مرزوقاً ، ثم قال لي : ما لك حيلة ؟ قلت : لي عند البقال دانق عن عملي ، قال : تملك دانقاً وتطلب العمل ؟

ومن باب ما وجد منقوشا على الاحجار :

ما رويناه من حديث ابن ثابت ، عن البزاز محمد بن الفرج قال : نبأ جعفر الخلدي ، نبأ احمد بن محمد بن مسروق ، نبأ ابو محمد الانصاري قال :

قرأت على حجر ببيت المقدس : رأس الغِنى القنوع ، ورأس الفقر الخضوع . وقرأت على حجر بدمشق : كلّم من شئت فأنت نظيره، واستغن عمن شئت فأنت اميره ، واخضع لمن شئت فأنت أسيره . قال : وقرأت على حجر عند جبّ : كل من أحوجك الدهر اليه فتعرّضت له هنت عليه . قال ابن ثابت : وأخبرني محمد بن الفرج ، عن جعفر الخلدي قال :

انشدني احمد بن مسروق شعراً :

ان كنت توقن ان ربّك رازق وسألت مخلوقاً فلست بموقن ِ
او كنت في شك ٍ من الرزق الذي كفل الإله بـه فلست بمؤمن

ومن باب النسيب :

ما قاله خالد بن يزيد فيما يقع بين العين والفؤاد من العناد :

القلب يحسدُ عيني لذّة النظر والعين تحسد قلبي لذة الفِكَرِ
يقول قلبي لعيني كلما نظرت كم تنظرين رماكِ الله بالسهر
العين تورثه همـّاً فتشغله والقلب بالدمع ينهاها عن النظر
هذان خصمان لا أرضى بحكمهما فاحكم فديتك بين القلب والبصر

ولنا في الحكم بينهما اجابة لهذا السائل الاديب بما هو الامر عليه :

ذكرت يا أيها المفتون بالحور ِ وبالنسيب وما في الحب من سير ِ
بين الفؤاد وبين السمع والبصر وقائع لم تزل في سالف العصر
وطالمـا يبحثون الدهر عن حكم ندب خبير بما يعطيه من أثر
فاسمع ُهديت صواب الحكم من حكم عدل عليم بعين الامر والخبر
اني لأحكم بين القلب والبصر حكماً تؤيّده أدلّة النظر
نعيمُ اهل الهوى وقف على النظر والسمع واللثم والتعنيق والوطر
لا يدرك الحسَن الحسنيّ طالبه ما لم يقم شاهد من حاسد النظر
وهكذا كل ما للحسن مدركه لا يستقل به عقل من البشر
فالقلبُ يحمل ما يعطيه من ألم ٍ ومن نعيم وخير عـالم الصّور
له النعيمُ كما ان العذابَ لهُ والحسنُ آلتـُه للنفع والضرر

وبعدَ ان أثبتَ العِلمِ اليقين لكم فـلا تخاصم بين القلب والبصر
وإنما تلك أحوالٌ يقولُ بها اهل الهوى لم تكن نتائج الفكر

ولنا في الجواب :

ليس للعـــين لذّة إنما تلك في الفؤادِ
إنمــا الحسنُ آلة وبـــه يبلغ المراد
ما له غيرُ ما يرى ما له لذه الوداد
واذا كان هكذا لم يكونا على عنـاد
هكذا الحـكمُ فيهـــما عند من يطلبُ السداد

ولبعضهم في هذا الباب :

فوالله ما أدري أنفسي ألومها على الحب ام عيني المشومة ام قلبي
إذا لُمتُ قلبي قال نفسك أذنبت وإن لمتها قالت خذ العين بالذنب
فقلبي وطرفي قد تشاركن في دمي فيا ربّ كن عوني على العين والقلب

وللعباس بن الاحنف :

اختصم العينان والقلب وقالا جميعاً ما لنا ذنبُ
فقلتُ نفسي ذهبت عنوة بينكما هـذا وذا لعب
فقال قلبي مقلتي ابصرت لا ذنب لي يا ايها الصّب
فقلت للعين سمعت الذي يحكيه عن ناظرك القلب
فاستعبرت عند مقالي لهـا وكان من خجلتها السكب

ولنا من هذا الباب :

لم هويت الهلال يا قلبُ قل لي قال يا عين لم لحظتِ الهلالاَ
انتِ اهديتِ إذ نظرتِ سقاماً وبـــلاءً وشقوةً وخبالا

ولخالد بن يزيد في هذا الباب :

كتب الطرف في فؤادي كتاباً ... فهو بالشوق والهوى مختومُ
كان طرفي على فؤادي بلاءً ... إن طرفي على فؤادي مَشوم

ولبعضهم في هذا الباب :

ويحك يا طرفي أمـا تستحي ... حتى متى تُوردُني حتفي
وأنت يا قلبُ الى كم وكم ... تتركني أدعـو على طَرفي
هذان قد صارا عدوّين لي ... فأنت مـا عُذرُك يا إلفي
تحلفُ لي انك في كفي ... وعضّ كفي منك في كفي

ولابن المعتز في هذا الباب :

إن عيني قادت فؤادي اليها ... عبد حبٍّ لا عبد رقٍّ لديها
فهو بين الفراق والهجر موقو ... فٌ بحزنٍ منها وحُزنٍ عليها

وللعباس بن الأحنف في هذا الباب :

قلبي الى مـا ضرّني داعي ... يكثر اسقامي وأوجـاعي
كيف احتراسي من عدوي اذا ... كان عدوي بين اضلاعي

وله أيضاً :

أقـام قيامتي نظري ... فمن يعدي على بصري
تعرّض لي الهوى غراً ... فشيّبني على صغري
وكان هواك لي قـدراً ... فكيف أفرّ من قدري

ولنا فيه ه :

أقول للقلب قد اوردتني سقماً　فقال عيناك قادتني الى تلفي
لو لم ترَ العين لم تمسي حليف ضنىً　وإن أمتُ فيه ما في الحب من خلف
لذاك قسمتُ ما عندي على بدني　من الضنا والجوى والدمع والأسف

ومما روينا في بنيان ايليا : حدثنا غير واحد ، عن القاسم بن علي بن الحسن ، نبأ ابو القاسم السوسي ، نبأ ابراهيم بن يونس المقري ، نبأ ابو محمد عبد العزيز النصيبي، نبأ ابو بكر بن محمد بن احمد بن محمد الخطيب بن الواسطي، نبأ ابو بكر بن محمد بن ايوب بن سويد الحميري ، نبأ ابي ، نبأ ابراهيم بن ابي علية ، عن ابي الزاهرية ، عن رافع بن عمير ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى لداود : يا داود ابن لي في الأرض بيتاً . فبنى داود لنفسه بيتاً قبل البيت الذي أمره به . فأوحى الله عز وجل اليه : يا داود بنيت بيتك قبل بيتي . قال : أي رب هكذا قلت فيما قضيت : من مَلَكَ استأثر . ثم أخذ في بناء المسجد الذي أمر به . فلما تمّ سور الحائط سقط ، ثم بناه ، فلما تمّ السور سقط ثلاثاً . فشكى الى الله عز وجل ذلك، فأوحى الله تعالى اليه : إنه لا يصلح أن تبني لي بيتاً . قال : يا رب ولِمَ ؟ قال : لما جرى على يديك من الدماء . قال : اي رب أولم يكن ذلك في محبتك ورضاك ؟ قال : بلى ، ولكنهم عبادي ، وأنا ارحمهم . فشقّ ذلك عليه ، فأوحى الله عز وجل اليه: لا تحزن فاني سأقضي بناءه على يدي ابنك سليمان.

فلما مات داود اخذ سليمان في بنائه ، فلما تمّ قرّب القرابين ، وذبح الذبائح ، وجمع بني اسرائيل ، فأوحى الله تعالى اليه : قد أرى سرورك ببنيان بيتي ، فسلني ، أعطيك .

قــال : أسألك ثلاث خصال : حُكماً يوافق حكمك ، ومُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي ، ومَن أتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كهيئته يوم ولدته أمه .

قال النبي ﷺ : اثنتان قد أُعطيهما ، وأنا ارجو ان يكون أُعطي الثالثة ، فقال العلماء في ذلك : دعوة نبيٍّ ، ورجاء نبي ، نرجو قبولها ان شاء الله تعالى ، وما ذلك على الله بعزيز .

ومن باب الغربة وذكر الوطن :

قال بعضهم : أرض الرجل أوضح نسبه ، وأهله أخصّ حسبه .

وقيل لأعرابي : كيف تصنع بالبادية اذا اشتد القيظ وانتقل كل شيء ظله ؟ قــــال : وهل العيش إلا ذلك ؟ يمشي احدنا ميلاً فيرفضّ عرقاً ، ثم ينصب عصاه ، ويُلقي عليه كساه ، ويجلس في فيّه ، ويكتال الريح ، فكأنه في ايوان كسرى .

وأنشد ابو النصر الاسدي :

أحبّ بلاد الله ما بين ضارج الى قفوانٍ ان تسحّ سحابها
بلادٌ بهـا نيطت عليّ تمائمي وأوّل ارضٍ مسّ جلدي تُرابها

لابراهيم بن محفوظ الرّبعي :

أحبُّ الارض تسكنها سُليمى وان كانت بواديها الجدوبُ
وما عهدي بحبّ تراب ارضٍ ولكن مَن يحلّ بها حبيبُ

حدثنا ابو ذرٍّ مصعب بن محمـد بن مسعود الخشني الخطيب الاديب قاضي كورة حيان بمسجد الاخضر بمدينة اشبيلية قال :

لمـــا حُملت نائلة بنت الفرافصة الكلبيّة الى عثمان بن عفان رضي الله عنه كرهت فراق اهلها ، فقالت لضبّ ، اخيها :

ألستَ ترى بالله يا ضبُّ أنني ... مُرافقة نحو المدينـــة أركبَا
أما كان في اولاد عمرو بن عامرٍ ... لك الويلُ ما يغني الخباء المحجّبا
أبى الله إلا ان أكون غريبةً ... بيثرب لا أمٌّ لديّ ولا أبا

وأنشدني ابن سكر بها بمسجد الشهداء :

ألا يا حبّذا وطني وأهلي ... وصحبي حين تذكرني الصحابُ
بـــلاد من غرانقة كرام ... بهم حـــلي تميمتي الشباب
وما عسل ببارد ماء مزنٍ ... على ظمأ لشاربه يُشاب
بأشهى من تلقّيكم الينـــا ... فكيف لنا به ومتى الإياب

وأنشدتني خديجة بنت عبـد الوهاب بن هبـة الله الصوفي القصّار قول : الاعرابية التي كان يهواها بعض خلفاء بني العباس ، فتزوّج بهـا ، فلم يوافقها هوى البلاد ، فلم تزل تنحل ، وتعتلّ ، وتتأوّه ، مع ما هي عليه من النعيم ، واللذة ، والامر ، والنهي ، فسألها عن شأنها ، فأخبرته ، بما تجد من الشوق الى البراري وأحاليب الرعاء ، وورود المياه التي تعوّدت ، فبنى لها قصراً على رأس البرّية بشاطىء الدجلة سماه المعشوق ، يُقابل مدينة سامُرّا من الجانب الآخر . وأمر بالأغنام ، والرعاء ، ان تسرح بين يديها ، وتتراءى منها ، فلم يزدها ذلك إلا اشتياقاً الى وطنها ، فمرّ بها يوماً في قصرها من حيث لا تشعر بمكانه ، فسمعها تنتحب ، وتبكي حتى ارتفع صوتها ، وعلا شهيقها ، وكبد الخليفة يتقطع رحمة ، فسمعها تقول :

ومـا ذنبُ أعرابيّة قذفت بهـا صروف النوى من حيث لم تك ظنّتِ
تمنّت أحاليب الرّعاة وخيمةً بنجدٍ فلم يقضى لهـا ما تمنّتِ
اذا ذكرت ماءَ العُذيب وطيبه وبردَ حصاه آخر الليل أنّتِ
لها أنّةٌ عنـد العِشاء وأنّةٌ سُحيراً ولولا أنّتاها لجُنّتِ

فخرج عليها الخليفة وقال : وقد قضى ما تمنّيتِ فالحقي بأهلك من غير طلاق ، فما مرّ عليها وقت أسرّ من ذلك ، وسَرى ماء الحيـاة في وجهها من حينها ، فعجب الخليفة ، والتحقت بأهلها بجميع ما كان عندها في قصرها ، وكان الخليفة يهواها ، ويغشاها في اهلها اذا تصيّد .

فأخذ هذه الابيات بعض الأدباء فقال :

وما ذنبُ اعرابيةٍ قذفت بها ... الى آخر الأبيات . ثم زاد :

يا عظمَ مِن شوقي اليكم وإنما أجمجم احشائي على ما أجَنّتِ

خبر نبوي في مكارم الأخلاق :

روينا من حديث ابي محمد عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، قال : نبأ محمد بن ابي سهل السرخسيّ ، نبأ عبد العزيز بن احمد الحلواني ، نبأ ابو علي الحصين بن خضر النسفي ، نبأ ابو بكر محمد بن الفضل ، نبأ عبد الله بن محمد ابن يعقوب ، نبأ عبد الله بن محمد الهرَوي ، نبأ الحسن بن علي ، نبأ جعفر بن عون ، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن مسلمة بن يسار ، عن سعيد بن المسيّب ، عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ : من تعاهد مسجداً بسراج اشتاقت اليه الجنة ، ومن صبر على المصيبات فله الجنة ، ومن فتر عن الفتنة أعتق الله رقبته من النار ، ومن عفا عن مظلمة عفا الله عنه يوم القيامة ،

ومن كان سمحاً في التقاضي فتحت له ابواب الجنة ، فيدخل من اي ابوابها شاء بغير حساب .

ومن الحسان في فضل رمضان :

روينا من حديث عبد العزيز ايضاً : نبأ ابو ابراهيم اسماعيل بن محمد الخشني ببخارى ، نبأ ابو الحسن علي بن الحسن بن محمد السعدي ، نبأ ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الحضرمي ، نبأ ابو حفص احمد بن محمد العجلي ، نبأ عبدالله بن عبدالله ، نبأ احمد بن نصر العتكي ، نبأ ابي ، نبأ عباد بن كثير ، عن ابي عبد الرحمن ، عن ابي نضرة [1] ، عن ابي سعيد الخدري : إن رسول الله ﷺ قال : إن ابواب السماء تفتح أول ليلة من رمضان ، فلا تغلق الى آخر ليلة ، فليس عبد يصلي في ليلة إلا كتب الله له بكل سجدة الفاً وخمسمائة حسنة ، وبنى له بيتاً في الجنة من ياقوتة حمراء ، له سبعة آلاف باب من ذهب ، لكل باب منها قصر من ذهب موشح بياقوتة حمراء ، فاذا صام اول ليلة من رمضان كان كفـّارة الى مثله من الحول ، وكان له بكل يوم يصومه الف قصر موشح بياقوتة حمراء ، ويستغفر له سبعون الف ملك من غدوه الى تواري الحجاب ، وكان له بكل سجدة يسجدها من ليل او نهار شجرة يسير في ظلها الراكب مائة عام .

ومن أحسن الحِكم :

مَن صبر على طول الأذى ، دلّ على صدق التقى . مَن رفع حاجته الى الله جل جلاله ، استظهر في أمره ، ومن رفعها الى غيره ، وضع من قدره .

---

(١) نسخة ٢ : نصرة .

مَن آمن بالآخرة لم يحرص على الدنيا . مَن أيقن بالمجازاة، لم يؤثر على الحسنى. من ذكر المنيّة ، نسي الأمنيّة . من استعان بالله ، استغنى عن عباده ، ومن وثق به ، استظهر لمعاشه ، ومعاده . افضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه ، ولم تزل الشبهة يقينه . خير الناس من اخرج الحرص عن قلبه ، وعصى هواه، في طاعة ربه . المعاونة في الحق ديانة ، والمعاونة في الباطل خيانة . نصرة الحق شرف ، ونصرة الباطل سَرف . افضل الناس من كان بعيبه بصيراً ، وعن غيب غيره ضريراً . أبصر الناس من أحاط بذنوبه ، ووقف على عيوبه. الدين سور ، واليقين نور . السعيد من خاف العقاب فأمن ، وطلب الثواب فأحسن . الرشيد من أخلص الطاعة ، والغني من آثر القناعة .

ولنا :

ما العزّ إلا لربّ الناس والرسُل والمؤمنين ولكن عـالم جهلوا
كا القناعة مال الحرّ يخزنـه بقلبه فلهـــذا ليس يُبتذلُ

وقلنا : خير الامور ما يسرّك في يوميك ، وأسعدك في داريك . الثقـة بالله أقوى امل ، والتوكل على الله أزكى عمل .

كلمات نافعة لخيرات جامعة :

روينا من حديث ابن ثابت قال : انا ابو الحسن محمد بن محمد بن ابراهيم بن مخلد البزّار ، نبأ جعفر بن محمد بن نصر ، نبأ احمد بن محمد بن مسروق ، نبأ محمد بن الحسين ، نبأ اسماعيل بن الترجمان :

سمعت ابا جعفر المحولي ، وكان جمع بين العلم والعبادة قال :

حرام على قلب محبّ الدنيا ان يسكنه الورع الخفي . وأقول : انا ولا والله الورع الجليّ . وحرام على نفس غلبها زبانية النـــاس ان تذوق حلاوة الآخرة ، وحرام على كل عالم لم يعمل بعلمه ان تتخذه المتقون إماماً .

وروينا من حديثه في باب واتقوا الله ويعلمكم الله :

قال ابو الحسن احمد بن الحسين قال : سمعت ابا عبد الله احمـد بن عطاء الروذبادي يقول :

العلم موقوف على العمل ، والعمل موقوف على الاخلاص ، والاخلاص لله، يورث الفهم « عن الله عزّ وجل » .

حديث حسن مروي عن الحسن :

روينا من حديث ابن ثابت قال : نبـأ ابراهيم بن مخلد بن جعفر القاضي ، نبأ محمد بن احمد بن ابراهيم الحلبي، نبأ محمد بن يونس، نبأ مكي بن قمير العجلي، نبأ جعفر بن سليمان ، عن سعيد بن طريف ، عن الاصبع بن نباتة ، قال :

دخلنا مع علي بن ابي طالب رضي الله عنه على الحسن نعوده ، فقـال له علي : كيف اصبحت يا ابن [1] رسول الله ؟ فقال : اصبحت بحمد الله بارئاً. قال : كذلك انت إن شاء الله . ثم قال الحسن : اسندوني ، فأسنده علي الى صدره . فقال الحسن : سمعت جدي ﷺ وقال لي يوماً :

يا بنيّ ، عليك بالقناعة تكن من أغنى النـاس ، وأدّ الفرائض تكن من أعبدِ الناس ، يا بنيّ ان في الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى ، توقى بأهل

---

(١) نسخة : يا ابن بنت .

البلاء يوم القيمة ، فـــلا ينصب لهم ميزان ، ولا ينشر لهم ديوان ، ويصب عليهم الأجر صبا . وقرأ رسول الله ﷺ : « إنما يوّفى الصابرون اجرهم بغير حساب » .

ومما قيل في افراط المحبة :

بلـــغ الهوى من قلبي المجهودا ... والحب اخلقني وكنت جديدا
يا عاذلي لو ذقت من ألم الهوى ... لوجدته صعباً عليك شديدا

كما قال الآخر :

ما للهوى اخذ الهوى بدمي ... تحكم الحب في روحي وفي بدني
ما حل للحب أن الحب أعدمني ... صبري وحرم اجفاني على الوسن

قال مجنون بني عامر :

وشغلت عن فهم الحديث سوى ... ما كان منكِ وحبكم شغلي
وأديم لحظ محـــدثي ليرى ... ان قـد فهمت وعندكم عقلي

وكما قال الضحّاك :

يقولون مجنون بسمرا مولعٌ ... الا حبذا جنٌ بهـــا وولوعُ
وكيف اطيع العاذلات وحبها ... يؤرّقني والعـاذلات هجوع
وإني لأخفي حبٌ سمراء منهم ... ويعلم قلبي انـــه سيشيع

وكما قال احمد بن طاهر :

جنون الهوى فوق الجنون ولا يرى ... هوى عاقل الا كأخر جاهلُ
يزين للمعشوق ما هو فاعلٌ ... ويغوي إذا ما لجّ في العذل عاذل

وكما قال الآخر :

محب بكت عيناه من حب قاتل   فيـــا قاتلاً يبكي عليه قتيلُ
خليلي جفاني كان روحي لروحه   خليلاً وهل يجفو الخليل خليل

وكما قال الآخر :

ونفسٌ كان الهوى مولعٌ   بهـا ليس بقصد إلا لهـا
اعللهـــا بالمنى تارةً   وطوراً اصانعُ عُذّالها

ولنا في النظاميات :

اغيب فيفنى الشوق نفسي فالتقي   فلا اشتفي فالشوق غيباً ومحضرا
ويحدث لي لقياه ما لم اظنه   مكان الشفا داءً من الوجد آخرا
لأني أرى شخصاً يزيد جماله   إذا ما إلتقينا نصرة وتكبُرا
فلا بدّ من وجدٍ يكون مقارناً   لما زاد من حسن نظاماً محرّرا

خبر الرجفة التي كانت ببيت المقدس :

روينا من حديث ابن الواسطي قال : نبأ عمر قـال : نبأ ابي قال : نبأ الوليد بن حماد الرملي ، قال : نبأ ابو عمير عيسى بن محمد قـال : نبأ ضمرة ، عن رستم مفارسي قـال الرملي : وثنا عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن منصور ابن ثابت ، قال : نبأ ابي ، عن ابيه ، عن جدّه :

إن ابا عثمان الانصاري كان يحيى الليل بعد انصرافه من القيام في رمضان على البلاطة السوداء . قال : فبينما هو قائم في الصلاة إذ سمع صوت الهزة في المدينة ، وصراخ الناس ، واستغاثتهم . وكانت ليـــلة قارّة مظلمة كثيرة

الامطار والرياح . قـــال : فسمعت قائلاً يقول : اسمع صوته ، ولا أرى شخصه ، ارفعوها رويداً بسم الله ، فقلعت القبة حتى تبدّى لنا بياض السماء وأصاب وجهه رش المطر ، حتى أذن رستم السادن الفارسي ، فسمع قائـــلاً يقول : ردّوها رويداً ، بسم الله ، سوّوها ، عدّلوها ، سوّوها ، عدّلوها ، فردّت القبة على حكاية ما كانت . فقال لرستم لمـــا فتح الباب عليه : اذهب فجئني بخبر اهلي حتى أنبئك بعجيب. فأخبره بخبر اهله أن قد أصيب قومٌ ، وسلم قومٌ ، فأخبرني ، فقال له :

سمعت قائلاً يقول : ارفعوها رويداً ، بسم الله ، قلعة القبة قلعاً ، حتى بدا لنا بياض السماء ، وأصاب وجهي رشُّ المطر حتى أذّنت ، فلما أذّنت سمعت قائلاً يقول حين أذنت : رويداً ، بسم الله، سوّوها ، عدّلوها ، حتى أعيدت على حالها .

ومن باب من آثر محبة الله تعالى :

روينا من حديث الخرائطيّ ، قـال : نبأ ابراهيم بن الجنيد ، نبأ محمد بن الحسين ، نبأ عبد الملك بن قريب الاصمعي الباهلي ، قال : اصيبت امرأة من الأعراب بإبن لها، فأكمنت الصبر والعزاء عليه، فقيل لها: ما رأيناكِ جزعت على ابنك هذا ؟ قالت : بلى ، ولكن آثرت رضا الله تعالى ، وطاعته ، على محبة الشيطان .

من حكَم وهب بن منبّه :

ما رويناه من حديث الخرائطي، قال: نبأ علي بن الحسين النخعي، قال : مكتوب في حكمة وهب بن منبّه : المال يفنى ، والبدن يبلى، والعمل يبقى ،

والذنوب لا تنسى ، والديّان حيٌّ لا يموت .

ثم قال منشداً علي بن الحسين لأبي العتاهية :

نموت وننسى غير أن ذنوبنـا وإن نحن متنا لا تموت ولا تنسى
ألا رُبّ ذي عينين لا تنفعانه وهل تنفع العينانُ من قلبه اعمى

ومن فصيح كلام العرب في هذا الباب :

رويناه من حديثه، قال: نبأ اسماعيل بن احمد بن معاوية بن بكر الباهلي، قال : نبأ ابي ، عن الاصمعي ، قال : سمعت اعرابياً يقول : مـا بقاء عُمْر تقطعه الساعات ، وسلامة بدنٍ معرّض للآفات . ولقد عجبت المؤمن كيف يكره الموت،وهو سبيله الى الثواب . ولا أرى احداً منا إلا سيدركه الموت، وهو عنه آبق .

قال : وأنشدني ابو القاسم عبد الرحمن بن ابي عبد الرحمن القطوي لأبيه :

يأملُ المرءُ أبعد الآمالِ وهو رهنٌ لأقرب الآجالِ
لو رأى المرءُ رأيَ عينيه يوماً كيف صَوْل الآجال بالآمال
لتناهى وقصّر الخطو في اللهـ ـو ولم يغترْ بدار الزّوال

قال الحسن بن الحسن البصري : ما اطال احـدٌ الأمل إلا ساء العمل . رويناه من حديث الحميدي ، عن الحسن بن محمد بن ابراهيم الحناي ، عن محمد ابن ابي الحديد ، عن ابي بكر محمـد بن جعفر ، عن ابراهيم بن الجنيد ، عن بشر بن آدم ، عن الفضل بن عياض ، عن هشام ، عن الحسن ا هـ .

روينا من حديث الواسطي ، نبأ عيسى ، نبأ علي ، نبأ محمد بن ابراهيم ،

نبأ محمد بن النعمان ، نبأ سليمان بن عبد الرحمن ، نبأ ابو عبد الملك الجزري ، قال : اذا كانت الدنيا في بلاء وقحط كان الشام في رخاء وعافية ، واذا كان الشام في بلاء وقحط كانت فلسطين في رخاء وعافية ، واذا كانت فلسطين في بلاء وقحط كان بيت المقدس في رخاء وعافية . وقـــال : الشام مباركة ، وفلسطين مقدسة ، وبيت المقدس قدس القدس .

ولقد روي عن يزيد الرقاشي انه قال: من أراد ان يشرب ماء في جوف الليل ، فليقل : يا ماء ، ماء بيت المقدس يقرئك السلام ، فإنـه أمان بإذن الله تعالى . حدثني بذلك غير واحد عن قاسم بن علي الشافعي، عن ابي القاسم السوسي، عن ابي بكر، عن ابراهيم بن يونس، عن ابي محمد محمد بن عبد العزيز النصيبي ، عن ابي بكر محمد بن احمد بن محمد الخطيب ، عن ابي عبدالله ، عن ابن جعفر، عن محمد بن ابراهيم ، عن ابن النعمان ، عن سليمان بن عبدالرحمن ، عن عبد الله بن ضرْلة وأبي عبد الملك كلاهما ، عن يزيد الرقاشي .

وبه الى ابراهيم قال: نبأ محمد بن سليمان بن الحويشي ، عن بكر بن حنيش قال : كان سليمان بن داود اذا دخل بيت المقدس ، يعني المسجد ، وهو ملك الارض، يقلب بصره، يطلب مجالس المساكين من العمي، والخرس، والجذمي، فيدع مجالس الناس ، وينطلق ، فيجلس في جمـلة المساكين تواضعاً ، لا يرفع طرفه الى السماء . ثم يقول : اذا سئل عن ذلك مسكين جلس الى المساكين .

روينا من حديث الرملي قال: نبأ محمد بن نعمان،نبأ سليمان بن عبدالرحمن، عن ابي عبد الملك ، عن غالب ، عن عبد الله بن الاعرج ، عن كعب قال :

لا تقوم الساعة حتى يزول البيت الحرام ، وبيت المقدس ، فينقادان الى الجنة جميعاً ، وفيها أهلوهما ، والعرض ، والحساب ، ببيت المقدس .

موعظة :

روينا من حديث محمد الحميدي قـــال : نبأ محمد بن ابراهيم ، نبأ ابن ابي الحديد ، عن ابي بكر بن جعفر قال : نبأ عمر بن شيبة قال :

قال عبد الملك بن قريب الاصمعي: وليَ أعرابي ناحية من نواحي البصرة، فكان يخطب بهم يوم الجمعة ، فقام يوماً ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على محمد ﷺ ، ثم قال :

أيها الناس انه في سنن من كان قبلكم لعظة، وما أخطأ القائل حيث قال:

أين الملوك التي عن خطبها غفلت حتى سقاها بكاس الموت ساقيها
أموالنـا لذوي الميراث نجمعها ودُورنا لخراب الدهر نبنيها
والنفس تكلف بالدنيا وقد علمت ان السلامة منها ترك ما فيها

روينا من حديث الخرائطي قال : نبأ ابراهيم بن الجنيد، نبأ محمد بن يحيى ابن عبد الكريم ، نبأ جعفر بن ابي جعفر السراري ، حدثني ابو جعفر محمد بن قدامة قال :

بلغنا انه كان بالبصرة امرأة ، وكانت اذا جنـّها الليل ، ونامت كل ذي عين ، تخرّ ساجدة ، وتنادي في سجودها : أمالك يا مولاي عذاب تعذّبني به إلا النار ؟ ولا تزيد عليه حتى تصبح .

وبه قـال : بلغنا ان عيسى بن مريم عليه السلام مرّ بأربعمائة الف امرأة متغـيّرات الألوان، وعليهن مدارج الشعر والصوف، فقال عيسى عليه السلام:

ما الذي غـيّر ألوانكن معاشر النسوة ؟ قلن : ذكر النار غـيّر ألواننا يا ابن مريم ، ان من دخل النار لا يذوق برداً ولا شراباً .

ومما قيل في الوطن : ميلك الى موضع مولدك من كريم مجدك، اذا كانت الطير تحنُّ الى اوكارها ، فالانسان أولى بالحنين الى اوطانه .

قالت الفرْس : تربة الصبي تغرس في القلب رقة وحلاوة .

قيل لبعض العرب : ما الغبطة ؟ قال : الكفاية مع لزوم الاوطان ، والجلوس مع الاخوان .

قيل له : فما اللذة ؟ قال : التنقّل في البلدان ، والتنحّي عن الاوطان ، ثم أنشد :

طلبُ المعاش مفرّق   بين الأحبّة والوطنْ
ومصيّر جَلد الرجا   ل الى الضراعة والوهن
حتى يُقاد كما يقا   د النضو في ثني الرسن
ثم المنيّة تأتــه   فكأنه مـا لم يكن

ومن احسن ما قيل في الآيات ، وحب الاوطان من الشعر :

وباشرتها فاستعجلت عن قناعها   وقد تستخفّ الطامعين المباشرُ
وخبّرها الروّاد ان ليس بينها   وأين قرى نجران والدرب ساتر
فألقت عصاها واستقرّ بها النوى   كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

قيل لأعرابي : ما السرور ؟ قال : أوبة بغير خيبة ، وإلفة بغير غبة .
وقيل لآخر : ما السرور ؟ قال : غيبة تفيد غنىً ، وأوبة تعطيك منى .

اذا هبّت الارواح من نحو جانبٍ   به اهل ميٍّ هاج قلبي هبوبها
هوىً تذرف العينان منه وإنما   هوى كل نفس أين حلّ حبيبها

وقيل في الغربة :

وأنزلني طول النوى ارض غربة   اذا شئت لاقيت الذي لا أشاكلهْ
فحامقته حتى يُقـــال شجيَّة   ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله
ولو كنت في اهلي وُجلّ عشيرتي   للاقيت فيهم اخرقاً لا أواصله

ومما قال : من نفي هواه ، ومنع حماه :

ومستخفيات ليس يخفين دوننا   ويسحبن أذيال الصبا لذوي الشكلِ
مريضات رجع القول يله عن الخنا   تألّـفن أهواء الرجال بـلا بـدل
جمعن الهوى حتى اذا ما ملكنه   نزعن وقد أكثرن فينا من القتل

قوله : مريضات ، رجع القول .

قوله تعالى : « فـــلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض » وهو غير المتّـقى .

ومن هذا الباب قول الآخر :

لا والذي تسجدُ الجباه له   مالي الى تحتِ ثوبها خبرُ
ولا بفيها ولا هممت بـــه   ما كان إلا الحديث والنظر

قال النابغة :

زعم الهمام بـأن فاها باردٌ   عذبٌ مقبّله شهيُّ المورد
زعم الهمام ولم اذقه انـــه   يشفي بريّاً ريقها العطش الصدى

ومن هذا الباب قول ابن المعتز :

قد كان يكفيك ما بالجسم من سقمٍ   لم زدتني سهراً لأمسّك السهرُ
عيني مورقـة   والجسم مختبلٌ   والقلبُ بينهما تخلو به الفكر
يا مانعي لذة الدنيا بمـا رُحبت   اني ليقنعني من وجهك النظر

ومن هذا الباب لأبي فراس :

الحبُّ آمره والصون زاجره   والصبر اول ما يأتي وآخره
إن الفتى إن صبا او شفّـه غزل   فللعفاف وللتقوى مآزره
وأشرف الناس اهل الحبّ منزلة   وأشرفُ الحب ما عفت سرائره

ومن هذا الباب لجميل بن معمر العذري :

وكان التفرّق عند الصبا   ح عن مثل رائحة العنبر
خليلان لم يقربا ريبةً   ولم يستحقا الى منكر

ومن التنبيهات :

ما رويناه من حديث عبد العزيز قال : قـال ابو ثابت عاصم بن الحسن ، أنا محمد بن احمد ، نبأ احمد بن محمد المقري ، عن احمد بن محمد العبدي ، عـن ابي حكيم شداد بن سعيد ، عن مزاحم بن سعيد ، عـن حباب بن ابراهيم ، عن محمد بن حرب الابرش ، عن سعيد بن سنان ، عن ابي الزاهرية ، عـــن جرير بن نعيم قال : خمس خصال قبيحة في اصناف من الناس :

الحرص في القراء ، والحسد في السلاطين ، والبخل في الاغنياء ، والفترة في الشيوخ ، وقلة الحياء في ذوي الاحساب .

ومما قيل في الاعتذار عن البخل : قال علي بن الجهم :

اعاذل ليس البخل مني شجية ولكن رأيت الفقر شرّ سبيل
يموت[1] الفتى خيرٌ من الفقر للفتى والموت خيرٌ من سؤال بخيل

ومما قيل في البخل :

أراك تؤمل حسن الثنا ولم يرزق الله ذاك البخيلا
فكيف يسود أخي بطنةٍ يمن كثيراً ويُعطي قليلا

وقال علي بن الجهم :

لعمرُك ما الناس اثنوا عليك ولا قرضوك ولا عظموا
ولا سابقوك على ما بلغت من الصالحات ولا قدموا
ولو وجدوا لهم مطمناً الى ان يعيبوك ما احجموا
ولكن صبرت لما ألزموك وجدت بما لم تكن تلزم
وكان قراك إذا ما لقوك لساناً بما سرّهم ينعمُ
وخفض الجناح ووشك النجاح وتصغير ما اعظم المنعم
وأنت بفضلك ألجأتهم الى آن تعالوا بآن يكرموا

ومن أزاهر الحكم :

شكر الإله بطول الثناء ، وشكر الموالاة بصدق الولاء ، وشكر النظير بحسن الجزاء ، وشكر من دونك بسبب العطاء ، من أدام الشكر استدام البر ، احلى النوال ما وصل قبل السؤال ، خير المبار ما اسديته الى الابرار ،

---

(١) نسخة : لموت .

اولى الناس بالنوال ازهدهم في السؤال ، من تمام الكرم اتمام النعم ، احسن المقال ما صدق بحسن الفعال ، من حسن صفاؤه ، وجب اصطفاؤه ، من زال معهود إحسانه ، استحال موجود امكانه، من منع العطاء ، منع الثناء ، من منع الإحسان ، سلب الإمكان ، من عف عن الريبة ، كفّ عن الغيبة ، اخلاص التوبة ، تسقط العقوبة ، احسان النية موجب المثوبة ، من غاظك بقبيح الشتم منه ، فغظه بحسن الحلم عنه ، آلام الناس سعيد لا يسعد به اخوانه ، وسليم لا يسلم منه جيرانه ، من بخل بماله على نفسه ، جاد به على زوج عرسه ، إذا اصطنعت المعروف فاستره ، وإذا اصطنع اليك فانشره ، من جاور الكرام أمن من الاعدام ، ومن جاور اللئام ، فقد الانعام ، من شرف منصبه حسن مذهبه ، من طاب اصله ، زكى فعله ، من انكر حسن الصنيعة ، استوجب قبح القطيعة ، من كفر شمول النعم ، استحل حلول النقم ، مَن مَنّ بمعروفه ، سقط شكره ، ومن اعجب بعلمه [1] ، حبط اجره ، من رضي من نفسه بالاساءة شهد على نفسه بالرّداءة ، من رضي بذم اخلاقه ، اعترف بلوم اعراقه ، من رجع في هبته بالغ في خسّته ، من اغلق عن اخيه بابه ، ذم النام خلقه وآدابه ، من بخل على نفسه بخيره ، لم يجد به على غيره ، من تصرف على حكم المروة ، دلّ على شرف الابوة ، من كرم على تخييب الرجاء ، دلّ على كرم الآباء ، الشكر أحسن حلية ، والاجر افضل قنية ، افضل الكنوز اجر يدخر ، وانفس الثياب شكر ينشر، افضل العدد أخٌ وفيّ ، وأفضل الذخائر سقى زكيّ ، السلطان السوء يخيف البري ، ويصطنع الدي ، والبلد السوء يجمع السفل ، ويورث العلل ، والولد السوء يشين السلف ، ويهدم الشرف ، والجار السوء يفشي السر ، ويهتك الستر ،

---

(١) نسخة : بعمله .

اخسّ الناس من اخذ بغير حق ، وأنفق على غير مستحق ، من غدر شأنه غدره ، ومن مكر حاق به مكره ، من حمد على الظلم مكر بـه ، ومن شكر على الاساءة سخر منه ، من حق الملك أن يختار لرعيته ما يختار لنفسه ، ويعدّ سوء سيرته من شقاء جدّه ونحسه ، المرء يجني بختاره تحلة آثاره ، شرّ الافعال ما جلب المذام ، وشرّ الاقوال ما جلب [1] الملام ، وشرّ الآراء ما خالف الشريعة ، وشرّ الاعمال ما هدم الصنيعة .

ومن باب ما قيل في التصوف :

مـا رويناه من حديث ابن ثابت ، قال : نبأ ابو طالب يحيى بن علي الدسكري ، نبأ علي بن بندار الاسترابادي، قال : سئل الشبلي عن التصوف، قـال : التصوف عندي ، ترويح القلوب بمراوح الصفاء ، وتجليل الخواطر ، بأردية الوفاء ، والتخلّق بالسخاء ، والبشر في اللقاء .

وأنشد ابن ثابت ، قال : أنشدني الحسن بن محمد البلخي ، قال : أنشدني طاهر بن الحسين ، وهو ابو الحسن المخزومي لنفسه هـ :

ليس التصوّف أن يلاقيكَ الفتى وعليه من نسج المسيح مُرقّعُ
بطرائق بيض وسودٍ لفّقت فكأنه فيهـا غرابٌ أبقع
إن التصوّفَ ملبَسٌ متعارفٌ فيـه لموجـده المهيمن يُخشعُ

تذكرة ربانية :

رويناها من حديث ابن ثابت ، قال : نبأ علي بن القاسم بن الحسن الشاهد

---

(١) نسخة : اوجب .

بالبصرة ، نبأ علي بن اسحاق المارداني ، نبأ الفضل بن محمد ، نبأ اسحاق بن ابراهيم الطبري، قال: قال الفضيل بن عياض: قال الله عز وجل: يا ابن آدم، اذا كنت أقلّبك في نعمتي، وأنت تتقلب في معصيتي، فاحذر . لا أصرعك بين معاصيك . يا ابن آدم اتقني ، ونمْ حيث شئت . إن ذكرتني ذكرتك ، وإن نسيتني نسيتك ، والساعة التي لا تذكرني فيها عليك لا لك .

ومن وعظه الشيب فتبرأ من العيب :

ما رويناه من حديثه ، قال : نبأ عبد الرحمن بن محمد النيسابوري ، نبأ محمد بن عبد الله بن شادان الرازي، سمعت أبا عبد الله القرشي يقول: كان لي جارٌ شاب ، وكان اديباً ، وكان يهوى غلاماً اديباً ، فنظر يوماً الى طاقات شعر بيض في عارضيه ، فوقع له شيء من الحق ، فهجر الغلام ، وتركه . فلما نظر الغلام الى ذلك منه كتب اليه يقول :

ما لي جُفيتُ وكنتُ لا أُجفى ودلائل الهجران ما تخفى
وأرك تشربُني فتمزجُنا ولقد عهدتك شاربي صِرفا

قال : فقلب الرقعة وكتب على ظهرها :

أنغام مع الشمط سُمتني خطة شطط
لا تلمني على جفا ئي فحسبي بما فرَط
أنا رهنٌ بما جَنَيْـ تُ فذرني من الغلط
قد رأينا أبا الخلا ئق في زلةٍ هبط

ومن باب النسيب ما قيل في معاتبة الجواري :

ناديت قلبي بدمعي ثم قلتُ له يا مَن يُحبُّ حبيباً لا يواتيه
فردَّ قلبي على طرْفي بزفرتهِ هذا البلاء الذي اوقعتني فيه

وقول الآخر :

يا قلبُ يا قلبُ يا مشومُ ... منك بلائي فمـن ألومُ
تعشقُ هذا وذا وهـذا ... لستَ على واحـدٍ تدوم

ولبعضهم في هذا الباب :

أغار طرفي على قلبي وإحشائي ... بنظرة وقفت مني على دائي
وكنتُ غرّاً بما تجني عليّ يدي ... لا عِلم لي أن بعضي بعض اعدائي

ولبعضهم في هذا الباب :

افيضي وانزفي العبرات عيني ... فأنتِ فتنتني وجلبتِ حينْي
وألهبتِ الفؤادَ لهيبَ جمرٍ ... بحرقتـه يذوبُ الأسوَدين
فذوقي من فِعالِك مثل ما قد ... أذقتِ القلب من صدٍّ وبَين
جنـاية ناظرٍ بالقلب تربى ... على فعـل الخوارج بالحُسَين

ومن هذا الباب :

يا جفوناً سواهراً اعدمتهـا ... لذة النومِ والرقـاد جفونُ
إن لله في العبـاد منايا ... سلـّطتها على العيون العيونُ

ومنه ايضاً :

نظرُ العيونِ الى العيون هو الذي ... جعل العيون على القلوب وبالا
ونهيتُ نومي عن جفوني فانتهى ... وأمرتُ ليـلي ان يطول فطالا

ومن هذا الباب :

أمرَ الهوى ليل الشجيّ فطالا ... ونهى الهوى عنه الملامَ فزالا

والذي ذهبنا اليه أدخل في النسيب من الأول، فإن الأول في حكم نفسه، فإنه الآمر ، والناهي . والذي ذهبنا اليه بحكم الهوى ، لأن المحبّ لا حكم له مع سلطان الهوى ، فإنه الأقوى .

وللعباس بن الأحنف فيه ه :

خليليّ مــا للعاشقين قلوب ومـا للعيون الناظراتِ ذنوبُ
ويا معشر العشاق ما اصعب الهوى اذا كان لا يلقى المحبّ حبيبُ

ومن باب الإفراط في الحب قول قيس المجنون :

إن البلاد وما فيها من الشجر لو بالهوى عطشت لم تروَ بالمطرِ
لو ذاقت الحبّ ارض الله لاشتغلت اشجارها بالهوى فيها عن الثمر
ليسَ الحديدُ ولا صمّ الحجار اذا فكّرت أقوى على البلوى من البشر

كلام في السماع لبعض اخواننا :

سمعت صاحبنا احمد بن مسعود بن شداد المقري الموصلي بمنزلي بمدينــة الموصل سنة احدى وستمائة يقول: السماع سر من اسرار الله تعالى التي لا عمارة للقلوب إلا بها . وهي لطيفة من لطائف الغيوب التي هي قوت القلوب ، فإذا مررت بسر به ، فسر به ، وقف مع اهله ، على قدم التذلل ، وأمِطْ عنك رداء التذلل ، فإنك لن تدرك الأرب، إلا بلزوم الأدب، ولن تبلغ المقصود، إلا بحفظ العهود . ومن رام قضاء الأوطار ، اقتحم ركوب الأخطار . فإذا برز لك توقيع تقريبه ، فلا تخلْ تقرى به . فهذه عناية ، أصلهــا ثابت في القِدَم ، وفرعها ثابت ، ظهر الى الوجود ، من كمين العدم ، مشيراً اليــه في قوله تعالى: « ألستُ بربكم ؟ » فلما كمنت نار قوله في زناد: « قالوا : بلى » ،

قرعتها صفى الصفا بواسطة هـذه الآلات . فبرقت بارقة من تلك النغمات ، فسمَت الأرواح الى تلك النسمات ، وشفّ الجوهر الروحـــاني ، في العرض الانساني . فلما تنسمت الأرواح ، وسمَت الى ما به، وسمَت، طارت بأجنحة الطرب ، الى سماء الطلب ، فرتعت في رياض الانس ، وكرعت في حيـاض القدس . فلما انبسطت على بساط البسيطة ، وتعززت بعزّ العزائم النشيطة ، تثبتت اقدام اقدامها ، وناحت حمـــام حمامِها ، وغردت بلابل بلابلها . وأنشدت بلسان حالها :

أبداً تحنُّ اليكمُ الأرواحُ … ووصالكم رَيحانها والرّاحُ
وقلوبُ اهل ودادكم تشتاقكم … والى زمـــان لقاكمُ ترتاح
وارَحمتا للعـــاشقين تحمّلوا … ثقلَ المحبـة والهوى فضّاح
بالسر إن باحوا تباحُ دماؤهم … وكذا دمـاءُ البائحين تباح

حكاية الضّادي :

حدثنا احمد بن مسعود ، انا رسلان البغدادي قـال : كان رجل بالبصرة يكثر من ذكر الضادات حتى وسم بالضادي ، وكان قاضيها يتمنى ان يقع له اليه حاجة ليسمع كلامه ، فدخل عليه بعض حجابه يوماً ، وقال :

يا سيدي ، الضادي بالباب ، قـــال : ائذن له ، فمحصول ما يتكلم به ضادات ، وهو ان يقول : السلام عليك أيها القاضي ، ان فلاناً ظلمني ، وأنا ضعيف ، فأقول له : الظلم بالظاء ، وليس بالضادّ ، فأقهره ، فدخل عليه ، وقال : السلام عليك ايها القاضي الفاضل الافضل ابن الافضل ، ان ضرار بن ضمرة الضبي اهتضمني ، وعضّني ، وضلع ضلعي ، وأخذ ضيعة لي على الغياض بالضيعي ، اعترضها ضماناً ، ولم يعوّضني عنها ، وأنت ايها القاضي غضبان

عليّ ، مُعرض عني ، نتعرض بعرض عرضك ، ان تمضي الى ضرار بن ضمرة الضبي ، وتحضره بحضرتك احضاراً ، وتفرض لي عليه فرضاً ، ليخضع ويضرع ، ويعوّضني البعض عن الضمان ، فإني ضعيف ، متضعّف ، مهضوض، من بين الضعفاء ، فاهتضمني بضوضائه ، قـــال : فأقبل القاضي على خصمه وقال له : ان خصمك هذا لمجنون ، انطلق ، وخذ الضيعة .

فلما ولى اخذ الضادي بأهدابه وأنشد :

أيا مَن اقرض القاضي له أرضي لكي يرضى
أهذا في القضا فرضٌ بأن ترضى ولا أرضى
قضى قاضيك في ارضي قضاءً ليت لم يقضى
فأين المعوض المقروض لا عوضاً ولا قرضا
ضعاف مهضمٌ ضيمٌ مضت ضيعتهم ايضا

قال : فاستفرغ القاضي منه ضحكاً فوقع له بالضيعة .

خليفة أمن وعدل ، في حال شغله باللهو والغزل :

احتجب عبد الرحمن بقرطبة عن الناس سنين كثيرة في أكل ، وشرب ، ولهو ، وطرب ، فدخل عليه بعض من له عليه ادلال فقال :

يا امير المؤمنين اشتغلت باللهو عمـا قلّدته من امور المسلمين ، وفوّض اليك من القيـام بهم ، والنظر في مصالحهم ، ورعى حق الله فيهم ، فقال :

يا هذا ، السُبُل آمنة ؟ قال : نعم ، قال : قاضيكم يعدل ؟ قال : نعم ، قال : عدوكم مقهور ؟ قال : نعم ، قال : فما تريدون مني ؟

ودخل على هـذا الخليفه يوماً ارسال الافرنج ، وقـد ظهر لهم من عظيم الملك ، ما يرغبهم ، بسَط لهم الحصر من باب قرطبة ، الى باب الزهراء ، قدر فرسخ ، وجعل الرجال عن يمين الطريق ، ويساره ، بأيديهم السيوف ، الطوال ، العراض ، مجرّدة ، يجمع بين سيف الايمن ، وسيف الأيسر ، حتى صارت كعقد الحنـايا ، وأمر بالارسال ان يمشوا بين تلك في ظلالها ، كأنها ساباط ، فدخلهم من الرعب مـا لا يعلمه إلا الله تعالى ، فلما وصلوا الى باب الزهراء فرش لهم الديباج ، من باب المدينة الى مقعده ، على تلك الحـالة من الترهيب ، وأقـــام في مواضع مخصوصة حجّاباً ، كأنهم الملوك ، قعوداً على كراسي مزخرفة ، عليهم الديباج ، والحرير ، فما أبصروا حاجباً إلا سجدوا له يتخيلون انه الخليفة ، فيُقال لهم: ارفعوا رؤوسكم ، هذا عبد من عبيده، الى ان وصلوا به الى ساحة مفروشة بالرمل ، والخليفـة في وسطها ، قاعد ، عليه ثياب خلقٌ ، قصار ، يُساوي كل ما عليه اربعة دراهم ، وهو قاعد على الارض ، مطرق ، وبين يديه مصحف ، وسيف ، ونار . فقيل للرسل : هذا السلطان ، فسجدوا له ، فرفع رأسه اليهم قبل ان يتكلموا وقال :

ان الله أمرنا يا هؤلاء ان ندعوكم الى هـذا ، وأشار الى المصحف كتاب الله ، فإن أبيتم فبهذا ، وأشار الى السيف ، ومصيركم اذا قتلناكم الى هـذا ، وأشار الى النـــار . فملئوا منه رعباً ، وأمر بإخراجهم ، ولم يبدو كلاماً ، فصالحوه على ما أراد .

هكذا يُعزُّ دين الله وإلا فلا .

ومن باب النصائح :

ما كتبنا به الى السلطان عز الدين الغالب ، بأمر الله كيكاوس ، جواباً عن كتاب وصل الينا منه أيّـده الله :

بسم الله الرحمن الرحيم .

وصل الاهتمام السلطاني الغالي بأمر الله العزيز، أدام الله عدل سلطانه، الى والده الداعي له ، فيتعين عليه الجواب بالوصية الدينية ، والنصيحة السياسية الإلهية ، على قدر ما يعطيه الوقت ، ويحتمله الكتاب، الى ان يقدر الاجتماع، ويرتفع الحجاب .

فقد صحّ عن رسول الله ﷺ انه قال :

الدين النصيحة . قالوا : لمن يا رسول الله ؟ فقال : الله ، ولرسوله، ولائمة المسلمين ، وعامتهم ، وأنت يا هذا بلا شكٍ من أئمة المسلمين ، قـد قلدك الله هذا الأمر ، وأقامك نائباً في بلاده، ومتحكماً بما توفق اليه في عباده، ووضع لك ميزاناً مستقيماً ، تقيمه فيهم ، وأوضح لـك محجّة بيضاء ، تسلك بهم عليها ، وتدعوهم اليها ، وعلى هذا الشرط ولاك ، وعليه بايعناك، فإن عدلت فلك ولهم ، وإن جرت فعليك وعليهم ، فاحذر أن أراك غـداً يوم القيمة بين أئمة المسلمين من اخسر الناس اعمالاً ، ولا يكون شكرك لمـا انعم الله به عليك من استواء ملكك بكفران النعم ، واستظهار المعاصي ، وتسليط نواب السوء على الرعية الضعيفة،فيحتكمون فيهم بالجهالة والاغراض، وأنت المسؤول عن ذلك .

فيا هذا قـد احسن الله اليك ، وخلع النيابة عليك ، فأنت نائب الله في خلقه ، وظله الممدود في ارضه ، فانصف المظلوم من الظالم ، ولا يغرنك أن وسع الله عليك سلطانك ، وسوى لـــك البلاد ووطاها ، مع اقامتك على المخالفات ، والجور ، وتعدي الحدود ، فـإن ذلك الاتساع ، مع بقائك على مثل هذه الصفات ، امهال من الحق ، لا اهمال ، ومـا بينك وبين أن تقف

على اعمالك إلا بلوغ الأجل المسمى ، وتصل الى الدار التي سافر اليها آباؤك وأجدادك ، فلا تكن من النادمين ، فإن الندم في ذلك الوقت غير نافع .

يا هذا ومن أشد ما يمر على الإسلام ، والمسلمين ، وقليل مـــا هم رفع النواقيس ، والتظاهر بالكفر ، واعـلاء كلمته ببلادك ، ورفع الشروط التي اشترطها امير المؤمنين ، وأمـام المتقين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، على اهل الذمة ، من ان لا يحدثوا في مدينتهم ، ولا حولها كنيسةً ، ولا ديراً ، ولا قلة ، ولا صومعة راهب ، ولا يجددوا ما خرب ، ولا يمنعوا كنائسهم ، أن ينزل بها احد من المسلمين ، ثلاث ليال يطعموهم ، ولا يأووا جاسوساً ، ولا يكتموا غشاً للمسلمين ، ولا يعلموا اولادهم القرآن ، ولا يظهروا شركاً ، ولا يمنعوا ذوي قرابتهم مـن الاسلام ، ان أرادوه ، وأن يوقروا المسلمين ، وأن يقوموا لهم مـن مجالسهم إذا آرادوا الجلوس ، ولا يتشبّهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم في قلنسوةٍ ، ولا عمامةٍ ، ولا نعلين ، ولا فرق شعر ، ولا يتسمّوا بأسماء المسلمين، ولا يتكنوا بكناهم، ولا يركبوا سرجاً ، ولا يتقلدوا سيفاً ، ولا يتخذوا شيئاً مـن السلاح ، ولا ينقشوا خواتيمهم بالعربية ، ولا يبيعوا الخمور ، وأن يجزوا مقادم رؤسهم ، وأن يلزموا زيهم حيث ما كانوا، وأن يشدوا الزنانير على اوساطهم ، ولا يظهروا صليباً ، ولا شيئاً من كتبهم في طرق المسلمين ، ولا يجاوروا موتى المسلمين بموتاهم ، ولا يضربوا بالناقوس إلا ضربـــاً خفيفاً ، ولا يرفعوا اصواتهم بالقراءة في كنائسهم في شيء من حضرة المسلمين ، ولا يخرجوا شعانين ، ولا يرفعوا مع موتاهم اصواتهم ، ولا يظهروا النيران معهم ، ولا يشتروا من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين . فإن خالفوا في شيء مما شرط فلا ذمة لهم ، وقد حل للمسلمين مـــا يحل من اهل المعاندة والشقاق .

فهذا كتاب الإمام العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ انه قال : لا يبني كنيسة في الإسلام ، ولا يجدد ما خرب منها ، فتدبر كتابي ترشد ، إن شاء الله تعالى ، مـــا لزمت العمل به ، والسلام .

وكتب اليه ايضاً :

إذا أنت اعززت الهدى وتبعته ... فأنت لهذا الدين عزٌ كما تدعى
وإن انت لم تحفل بــه وتركته ... فأنت مذل الدين تخفضه وضعا
فلا تأخذ الالقاب زوراً فإنه ... لتسأل عنها يوم يجمعكم جمعا
يقال لعزّ الدين اعززت دينه ... ويسأل دين الله عن عزّكم قطعا
فإن شهد الدين العزيز بعزّكم ... تكن مع دين الله في عزّه شفعا
وإن قال دين الله كنت بملكه ... ذليلاً وأهلي في ميادينه صرعى
وما زلتُ في سلطانه ذا مهانةٍ ... وفي زعمه بي أنه محسنٌ صنعا
فمــا حجّة السلطان ان كان قوله ... كما قلت فلتسكب لما قلته الدمعا
وأدمن لباب الله ان كنت تبتغي ... تجاوره عن ذينك الضرب والقرعا
عسى جوده يوماً يجود بنفحة ... فيبرز عفو الله يدفعــه دفعا
فيا ربّ رفقاً بالجميع فيا لها ... اذا اجتمع الخصمان من وقعة شنعا
فأنت امام المتّقين ورأسهم ... اذا لم تزل تجبر لدين الهدى صدعا
لكم نائبٌ في الامر اصبح ملحداً ... وأضحى لأهل الدين يقطعهم قطعا
فما لك لم تغلبه واسمك غالبٌ ... وما لك لم تعزله اذ آثر النفعا
فيا ايهــا السلطان حقق نصيحتي ... لكم وارعني منكم لمــا قلته سمعا
فإني لكم والله أنصحُ ناصحٍ ... أذودُ الردى عنكم وأمنعه منعا
وأجلبُ للسلطان من كل جانب ... من الدين والدنيا المعارف والنفعا

حِكم منثورة :

افضل الاعمال ما أثّل مجداً، وأجمل الطلب ما حصّل حمداً . شر العمل ما هدم فخراً ، وشر الطلب ما قبح ذكراً . الحليم مَن لم يكن حلمه لفقد النصرة ، وعدم القدرة ، والجواد من لم يكن جوده لدفع الأعداء ، وطلب الجزاء . والشجاع من لم تكن شجاعته لفوت الفرار ، وفقد الانصار . والصّموت من لم يكن صمته لكلة لسانه ، وقلة بيانه . والمنصف من لم يكن انصافه لضعف يده وقوة خصمه . والمحبُّ من لم تكن محبته لبذل معونه ، او حذف مؤنه . مَن خان أخاه زهد في أُخوّته ، ومن أعان عليه خرج من مروءته .

وروينا من حديث ابن ثابت قال : انا ابو الحسن محمد بن احمد بن محمد بن رزق البزّار ، وأبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران المعدل ، نبأ اسمعيل بن محمد الصفّار ، نبأ ابو يحيى بن اسد المروزي ، نبأ معروف الكرخي قال :

قال بكر بن ُحبيش :

ان في جهنم لوادٍ تتعوّذ جهنم من ذلك الوادي كل يوم سبع مرات، وان في الوادي لجبّاً يتعوذ الوادي ، وجهنم، من ذلك الجب كل يوم سبع مرات، وان في الجب لحية يتعوذ الجب ، والوادي ، وجهنم ، من تلك الحية كل يوم سبع مرات . يبدأ بفسقة حملة القرآن فيقولون : أي ربّ ُبدىء بنا قبل عبدة الاوثان . فيقال لهم : ليس من يعلم كمن لا يعلم .

وروينا من حديثه ايضاً ، عن ابن رزق قال : حدثنا ابو محمد بن جعفر

ابن محمد بن نصر الخلدي حدثني ابراهيم بن نصر المنصوري مولى منصور بن المهدي، حدثني ابراهيم بن بشار الصوفي الخرساني خادم ابراهيم بن ادهم قال:

وقف رجل مرة على ابراهيم بن ادهم فقال :

يا ابا اسحاق لِمَ حُجبت القلوب عن الله عز وجل ؟ فقال : لأنها أحبَّت ما ابغض الله ، أحبت الدنيا ، ومالت الى دار الغرور ، واللهو ، واللعب ، وتركت العمل لدار ، فيها حياة الابد ، في نعيم لا يزول ، ولا ينفد خالداً ، مخلّداً ، في مُلكٍ لا نفاذ له ، ولا انقطاع .

ومن باب النسيب :

ما قاله ابن الرومي في حلاوة الحب ، ومرارته . قال ابو بكر الصيدلاني في روايتنا : انشدنا احمد الكاتب قال : انشدني ابن الرومي :

وأزرق الفجر يبدو قبل أشهبه وأول الغيث قطرٌ ثم ينسكبُ
فمثل ذلك ودّ العاشقين هوىً بالمزح يبدو وبالإدمان يلتهب

وبلسان الوسوسة في هذا الباب :

الحبُّ حلوٌ أمرّته عواقبه وصاحب الحب صبُّ القلب ذائبهُ
استودع الله مَن بالقلب ودّعني يوم الرحيل ودمع العين سائله
ثم انصرفت وداعي الحب يهتف بي ارفق عليك فقد عزّت مطالبه

ولنا في هذا الباب :

الحبُّ حلوٌ اذا ما حِبُّنا وصلا كما يمرُّ اذا محبوبنا هجرا
منوّع الطعم في الحالات فهو كمثـ ل الماء يتبع لون الكاس ان نظرا

وقال الحسن بن هانىء :

أوائـــل الحب حلاوات وآخر الحب مرارات
ومشرع الحب دواعي الردى ومنهل الحب بليّـــات
كم قـــد أباد الحب من معشرٍ أمسوا وهم في التراب اموات
فسوف ان دام بنــا ذا الهوى أموت والله كما ماتوا

ولبعضهم :

الحبُّ يترك من أحب مدلّهاً حيران او يقضى عليه فيُسرعُ

وقال الآخر :

ألا قاتل الله الهوى كيف يقتل وكيف بأكباد المحبين يفعلُ
فلا تعذلوني في هواي فانني أرى سورة الابطال في الحب تبطل

وقال ابو حفص في هذا الباب :

ليس أمرُ الهوى يدبَّرُ بالرأ ي ولا بالقيـاس والتفكيرِ
إنما الحبُّ والهوى خطراتٌ محدثات الأمور بعـد الأمور
ليسَ خطبُ الهوى بخطب يسير ليسَ ينبيك عنه مثل خبير

ومن قول الكميت في هذا الباب :

الحبُّ فيه حلاوةٌ ومرارة سائل بذلك من تطعّم أو سقي
ما ذاق بؤس معيشةٍ ونعيمها فيما مضى احدٌ اذا لم يعشقِ

وقال بعضهم فيه ه :

رأيتُ أخا الحب الذي ليس يقصرُ يقال له أعمى وإن كان يبصرُ
ويخبط كالعشواء في حالك الدجى سواءٌ عليه السهل والمتوعر

ومن باب طعم الحب :

وللحبِّ اغصان تراها نظيرة وفي طعمها للذائقينَ ذعافُ
رأيت المنايا في عيون او انسٍ تميتُ بها الأرواحَ وهي ضعاف

ومن ذلك :

وقيل الهوى عذبٌ فلما ورَدته وردت كريهاً لا يسوغ لشاربه
واني رأيتُ الدهر حين صحبته محاسنه مقرونة بمعائبه
اذا سرني في اول الأمر لم أزل على حذرٍ من غمّه في عواقبه

ومن ذلك :

الحبُّ حلو البدءِ مرُّ العقب وأصعبُ الأدواءِ داءُ الحبّ
وصاحبُ الحبّ حليف الكرب مذلّة العقل عميد القلبِ

رؤيا عاتكة عمة رسول الله ﷺ بمكة فيما جرى على المشركين في يوم بدر :

روينا من حديث الواحدي ، قال : نبأ احمد بن الحسين الحيري ، ثنا ابو العباس احمد بن يعقوب ، نبأ احمد بن عبد الجبار العطاردي ، نبأ يونس ابن بكير ، نبأ محمد بن اسحاق ، نبأ حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : وحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قال : رأت عاتكة بنت عبد المطلب ، فيما يرى النائم قبل مقدم ضمضم على قريش بمكة بثلاث ليال ، رؤيا ، أعظمتها . فبعثت الى

اخيهـــا العباس بن عبد المطلب ، فقالت : يا اخي لقد رأيت الليلة رؤيا ، ليدخلنّ على قومك شرٌ وبلاء . قال : ومــا هي ؟ قالت : رأيت فيما يرى النـــائم أن رجلاً اقبل على بعير له ، فوقف بالأبطح ، فقال : انفروا يا آل عذراء الى مصارعكم في ثلاثٍ . فأرى الناس اجتمعوا اليــه ، ثم أرى بعيره دخل به المسجد ، واجتمع اليه أناس . ثم مثل به بعيره ، فإذا هو على رأس الكعبة ، فقــال : يا آل عذراء انفروا الى مصارعكم في ثلاث . ثم أن بعيره مثل به على رأس ابي قبيس فقـــال : انفروا يا آل عذراء الى مصارعكم في ثلاث . ثم أخــذ صخرة ، فأرسلها من رأس الجبل ، فأقبلت تهوي حتى اذا كانت في اسفله ارفضت ، فمــا بقيت دارٌ من دور قومك ، ولا بيت ، إلا دخل فيه بعضها . قـــال العباس : والله ان هذه لرؤيا فاكتميها . قالت : وأنت فاكتمها .

فخرج العباس من عندهـــا ، ولقي الوليد بن عتبة ، وكان له صديقاً فذكرها له ، واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لابنه ، فتحدث بها ، ففشى الحديث . قال العباس : فغدوت لأطوف بالبيت ، فدخلت المسجد ، فـإذا ابو جهل في نفرٍ من قريش يتحدثون عن رؤيا عاتكة . فقال ابو جهل : يا ابا الفضل ، متى حدثت هذه النبية فيكم . فقلت : وما ذاك ؟ قال : رؤيا رأتها عاتكة بنت عبد المطلب . أما رضيتم ان تنبأ رجالكم حتى تنبـــأ نساؤكم متربص بكم هذه الثلاث التي ذكرتها عاتكة ؟ فإن تكن عاتكة تقول حقاً ، فسيكون . وإلا كتبنا عنكم كتاباً أكذب بيت في العرب . قــال العباس : فما كان مني اليــه من كبير شيء إلا اني جحدت ذلك ، وأنكرته ، قلت : ما رأيت شيئاً، ولا سمعت بها. فلما أمسيت لم تبقَ امرأة من بني عبدالمطلب إلا اتتني ، فقلن : صرتم لمثل هذا الفاسق الخبيث ان يقع في رجالكم ، ثم قد

تناول النساء ، وأنت تسمع ، فلم يكن عندك في ذلك غيرة . فقلت : والله لقد صدقني ، وما كان عندي في ذلك من غيرة ، إلا اني انكرت ما قال ، فلا تعرضت له ، فإن عاد لأكفيكنه .

فغدوت في اليوم الثالث أتعرضه ليقول شيئاً ، فأشاتمه . فوالله اني لمقبل نحوه ، وكان رجلا حديد النظر، حديد اللسان، إذ ولـّي نحو الباب يشتد . فقلت في نفسي : ما له ؟ لعنه الله . أكل هذا فرقاً من ان اشاتمه ؟ واذا هو سمع مـا لم أسمع . سمع صوت عمرو بن ضمضم الغفاري ، وهو يصرخ بباطن الوادي ، واقف على بعيره بالأبطح قد رحله ، وشق قميصه ، وجدع بعيره ، يقول : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة ، اموالكم مع ابي سفيان ، وتجارتكم قد عرض لها محمد وأصحابه ، الغوث الغوث . فشغله ذلك عني ، وشغلني عنه ما جاء من الأمر .

وتجهز الناس سراعاً ، وقالوا : أيظن محمد وأصحابه أن يكون كعير ابن الحضرمي ؟ كلا . والله ليعلمن غير ذلك . فكانوا بين رجلين ، أما خارجاً ، وأمـا باعثاً مكانه رجلا . وأوعبت قريش فلم يتخلف من اشرافها احد . فأصابت قريش ما اصابها يوم بدر من قتل اشرافهم ، وأسر جبابرتهم .

قال ابن نجيح : كان أمية بن خلف قد أجمع العقود ، وكان شيخاً كبيراً ثقيلا . فأتاه عقبة بن ابي معيط ، وهو جالس في المسجد بين ظهري قومه ، بمجمرة يحملها ، فيها نار، حتى وضعها بين يديه ، فقال : يا ابا علي استجمر ، فإنما انت من النساء . فقال : قبّحك الله ، وقبح ما جئت بـه . ثم تجهز وخرج مع الناس .

وكان سبب تثبُّط أمية عن الخروج ، مـا رويناه ايضاً من حديث

الواحدي ، قال : نبأ ابو نصر احمد بن محمد بن ابراهيم، انا عبد الله بن بطاء ، انا ابو القاسم بن بنت منيــع ، نبــأ يعقوب بن ابراهيم الدورقي ، نبــأ خلف ابن الوليد ، حدثنا اسرائيل ، عن ابي اسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : انطلق سعد بن معاذ معتمراً ، فنزل على أميــة ابن خلف ، وكان أمية اذا انطلق الى الشام ، فمر بالمدينــة ، نزل على سعد ابن معاذ . فقــال أمية لسعد : انتظر اذا انتصف النهــار ، وغفل الناس ، انطلقت . فبينما سعد يطوف إذ أتاه ابو جهل فقال : مَن هــذا الذي يطوف معك بالكعبة ؟ فقال سعد: فقال ابو جهل: تطوف بالكعبة آمناً وقد آويت محمداً وأصحابه ؟ قال : نعم . فتلاحيا بينهما . فقــال أمية لسعد : لا ترفع صوتك على أبي الحكم ، فإنه سيد اهل هذا الوادي . فقال لــه سعد : والله لئن منعتني أن اطوف بالبيت لأقطعن متجرك الى الشام . فجعل أمية يقول لسعد : لا ترفع صوتك، وجعل يمسكه . فغضب سعد، فقال : دعنا عنك ، فإني سمعت محمداً ﷺ يزعم انه قاتلك . قال : إياي ؟ قال : نعم . قــال : والله ما يكذب محمد . فرجع الى أم صفوان ، فقال : أما تعلمين مــــا قال اخي اليثربي ؟ قالت : وما قال ؟ قال : زعم ان محمداً يزعم انـــه قاتلي . قالت : والله ما يكذب محمد . فلما خوجوا الى بدر ، وجــــاء الصريخ . فقالت له امرأته : أما ذكرت ما قال لك اخوك اليثربي ؟ فقال له ابو جهل: إنك من أشرف اهل الوادي، فسر معنا يوماً او يومين ، فسار معهم، فقتله .

وقد ذكرنا قصة غزوة بدر في [1] هذا الكتاب، ومقتل أمية بن خلف ، وغيره فيها .

---

(١) هكذا في النسخ ، ولعله في غير هذا الكتاب .

قدوم حمير على ابي بكر الصديق رضي الله عنه :

روينا من حديث الرملي ، عن الحسين بن زياد ، عن احمد بن عبد الله ، عن محمد بن يوسف ، عن ثابت البناني ، عن أنس بن مالك ، قال : قدمت حِميَر على ابي بكر رضي الله عنه معها ذو الكلاع الحميري ، بعدد كثير من اهل اليمن ، وعدّة حسنة . وجاءت مذحج ، فيها قيس بن هبيرة المرادي ، ومعه جمع عظيم من قومه ، فيهم الحجاج بن عبد يغوث ، وجاء حابس بن سعد الطائي ، في عدد كثير من طيّ . وجاءت الأزد في عدد كثير ، وجمع عظيم ، فيهم جندب بن عمرو بن جمحة الدوسي ، وفيهم ابو هريرة الدوسي قيس . فأمّر ابوبكر رضي الله عنه ميسرة بن مسروق العبسي عليهم . وجاء ابن اشيم في بني كنانة .

فأما ربيعة ، وتميم ، فإنهم كانوا بالعراق ، وكانت دارهم عراقية ، وقلّ من شهدها منهم . وكان أعظمهم ، وأجلّهم اهل اليمن . فمن هناك كثروا بالشام ، وكانوا سكانها وأهلها .

ومن باب النسيب :

وما سرّني أني اطيق تصبُراً ولا أنني أمسيتُ خلواً من الحبّ
اذا ما سألت الله عنك تسلّياً فلست حقيقاً بالإجابة من ربي

السماع في ذلك : تقول النفس الانسانية اللطيفة الربانية الموجودة ، عن الروح الإلهي ، من قوله تعالى : « ونفختُ فيه من روحي » لهذا الروح ، لما طال حبسها في هذا الهيكل الضيّق ، عن السراج في تلك المسارح الواسعة ، الفضاء ، الصافية الإضاء ، حيث الروح الأعلى ، والملائكة العلى ، بالمكانة

الزلفى ، والنظر الاجلى ، ما سرّني ان أطيق تصبراً عن اللحوق ، ولا انني خلو من تعلق الهمم به ، والإشتياق اليه ، وكيف لا يكون ذلك مني ؟ وهو اصلي وكلي ، ولما تحيلت الاغراض منه عني بطول الحبس في عالم التركيب الاسفل ، تعطين التخليص ، والتسخير ، أردت إقامة الحجة على كل خاطر يحرّضني عن العدول ، عن هــذه الحجة ، وعلمت أني لا بد لي من الرجوع اليه ، والنزول عليه ، والتخليص من هذه السّدفة الترابية واقع على كل حال، والإقامة في عالم الفساد على الدوام محال . سألت الله في السلوان عن هــذا التعلق ، بالتضرع ، والإنابة ، وقد تحققت في ذلك عدم الإجابة . فأرضيت الفريقين ، هيهات وكيف يسلو فرع عن اصله ؟ ولولاه ما غذاه المــاء ، ولا امتدت اليه الأفياء .

ومنه قول الآخر :

يُعيّرني قومي بذلّي في الهوى   وكم من ذليل في الهوى يكسب العِزّا
اذا كنتَ تهوى فاجعل الذلّ جنّة   فإني رأيت الكبر من ذى الهوى عجزا

السماع في ذلك : لما كان الهوى محله النفس ، وكان تعلقه بالمجانس لهـا ، عيره اهل الحجاب بذلته لمجانسه وشكله ، فقال لهم : ليس الأمر كما تزعمون، فإن التعلق ، وان كان بالمناسب ، فالمناسب هنا قوله : خلق آدم على صورته، وليس كمثله شيء ، والتجلي في الصّور مشروع ، والمناسبة في صُور التجلي ، وهو روحها ، ومحبتها ، تنتج محبته ، ومحبته تورث كون المحبة من حيث هو حبيب له ، سمعاً له ، وبصراً ، فأي عزٍّ ؟ وأي قوة ؟ وأي عظم ، يقاوم عزّ مَن هو مع الحق بهذه المثابة، فهو قوله : وكم من ذليل في الهوى يكسب العزّا ، وذلّ الهوى جنة لهـذا العز ، يتعلق الذمّ بـه دونه ، يقول : واذا

رأيت من يتكبر في هواه ، فذلك لعدم مواصلةٍ ، فيرى ان ذلك من كبر نفسه ، وهذا في جناب الحق غير لائق وفي سماع العارفين .

ومن باب النسيب قولنا :

ألا يا نسيمَ الريح بلّغ مهمّا نجدِ   بأني على ما تعلمون من العهدِ
وقل لفتاة الحي موعدنا الحِمى   غديّة يوم السبت عند ربا نجد
على الربوة الحمراء من جانب الضوى   وعن أيمن الافلاح والعلم الفرد
فإن كان حقاً ما تقول وعندها   اليّ من الشوق المبرّح ما عندي
اليها ففي حرّ الظهيرة نلتقي   بخيمتها سراً على أصدق الوعد
فنلقى ونلقى ما نلاقي من الهوى   ومن شدة البلوى ومن ألم الوجد
أأضغاث أحلامٍ أبُشرى منامةٍ   أنطق زمان كان في نطقه سعدي
لعلّ الذي ساق الاماني يسوقها   اليّ فيهدي روضها الى جنا الورد

خبر اسحاق بن طلحة بن عبيد الله مع خرقة بنت النعمان بن المنذر :

روينا من حديث الحميدي قال : حدثنا الحسن بن محمد بن ابراهيم ، نبأ محمد بن احمد بن زيد الاصغر ، نبأ علي بن حرملة التميمي قاضي واسط ، عن مالك بن معوّل ، عن الشعبي ، عن اسحاق بن طلحة بن عبيد الله قال :

دخلت على خرقة بنت النعمان بن المنذر ، وقد ترهّبت في دير لها بالحيرة وهي في ثلاثين جارية لم يُرَ مثل حسنهن قط ، قلت : يا خرقة كيف رأيت في الدنيا غيرات الملك ؟ قالت : ما نحن فيه اليوم خير مما كنا أمس . إنا نجد في الكتب انه ليس من اهل بيتٍ يعيشون في حبرة إلا سيعقبون بعدها غبرة . وان الدهر لم يظهر لقوم بيوم يحبونه إلا بَطنّ لهم بيوم يكرهونه .

وان على ابواب السلطان كإخوان الابل من الفتن، مَن أصاب من دنياهم شيئاً أصابوا من دينه مثليه، وقد قلت في ذلك شيئاً ، فقلت : وما هو ؟ فقالت :

بينا نسوس النـاس والامر أمرنا اذا نحن منهم سوقة نتنصَّفُ
فأفٍّ لدنيا لا يدوم سرورها تقلَّبُ تاراتٍ بنـا وتصرَّفُ

وبه الى محمد بن جعفر بن سهل قال : نبأ علي بن داود القنطري قال : نبأ يحيى بن بكير ، نبـأ يعقوب بن عبد الرحمن ، عن عمرو بن ابي عمرو ، عن مطلب بن عبد الله بن حنطب ، عن ابي هريرة قال :

قال رسول الله ﷺ :

إن داود عليه السلام كان فيـه غيرة شديدة ، وكان إذا خرج أغلق الابواب ، فأطلعت يوماً امرأته الى الدار ، فإذا برجل وسط الدار ، فقالت: من أين دخل هذا ؟ والله لنفضحنّ عند داود ، فلما جاء داود قـال له : من انت ؟ قال : انا الذي لا يهاب الملوك ، ولا يمتنع بمنع الحجاب . فقال : والله أنت امين الله ملك الموت، فقبض روحه في موضعه ، وطلعت عليه الشمس، فـأمر سليمان عليه السلام الطير أن تضله بأجنحتها ففعلت ، فأظلمت عليهم الارض ، فأمرها أن تقبض جناحاً جناحاً .

قال ابو هريرة : يرينا رسول الله ﷺ : كيف فعلت الطير ؟ قـال : وغابت يومئذٍ النسور .

خبر عبد الواحد بن زيد مع الراهب :

روينا من حديث ابن ثابت قال : أنا الحسن بن احمد بن ابراهيم الدورقي ،

نبأ جعفر بن محمد بن احمد المؤدب ، نبأ محمد بن يونس ، نبـأ شداد بن علي ، نبأ عبد الواحد بن زيد قال :

مررت براهب فناديته : يا راهب من تعبد ؟ قال : الذي خلقني وخلقك فقلت : أعظيم هو ؟ قال : عظيم المنزلة ، جاوزت عظمته كل شيء . قلت : فمتى يذوق العبد الانس بالله ؟ قـال : إذا صفا الود حصلت المعاملة ، قلت : فمتى يصفو الود ؟ قال : إذا اجتمع الهمّ فصار في الطاعة. قلت : متى تخاص المعاملة ؟ قال : إذا كان الهمّ همّاً واحداً . قلت : كيف تخليت بالوحدة ؟ قال : لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت اليها . من نفسك . قلت : مـــا اكثر ما يجد العبد من الوحدة ؟ قـال : الراحة من مداراة الناس ، والسلامة من شرّهم . قلت : فما يستعان على قلة المطعم ؟ قال : بالتحري في المكسب، والنظرة في الكسرة . قال : زدني . قال : كل حلالاً ، وأرقد حيث شئت. قلت : فأين طريق الراحة ؟ قال : خلاف الهوف . قلت : ومتى يجد العبد الراحة ؟ قال : إذا وضع قدمه في الجنة. قلت : لم تخليت من الدنيا وتعلقت في هذه الصومعة ؟ قال : لأنه من مشى على الارض عثر ، وخاف اللصوص . فتعلقت فيها ، وتحصّنت بمن في السماء ، من فتنة اهل الارض ، لأنهم سرّاق العقول ، فخفت أن يسرقوا عقلي ، وذلـك أن القلب إذا صفا ضاقت عليه الارض ، وأحبّ قرب السماء ، وفكر في قرب الأجل ، فأحبّ أن يرتحـل الى ربه . قلتُ : يا راهب من أين تأكل ؟ قـال : من زرع لم ابذره ، بذره اللطيف الخبير الذي نصب الرحا يأتيها بالطحين ، وأشار الى ضرسه . قلت: كيف ترى حالك ؟ قال : كيف يكون حال من أراد سفراً بـــلا اهبة ، ويسكن قبراً بلا مؤنس ، ويقف بين يدي حكم عدل ؟ ثم أرسل عينيه فبكى. قلت : وما يبكيك ؟ قال : ذكرت اياماً مضت من اجلي لم احقق فيها عملي

وفكرت في قلة الزاد ، وفي عقبة هبوط الى الجنة ، او الى النار . قلت : يا راهب بم يستجلب الحزن ؟ قـال : بطول الغربة ، وليس الغريب من مشى من بلدٍ الى بلد ، ولكن الغريب صالح بـــين الفسّاق . ثم قال : إن سرعة الاستغفار توبــة الكذابين ، لو علم اللسان ممّ يستغفر الله لجفّ في الحنك ، إن الدنيا منذ يوم ساكنها الموت مـــا قرّت لها عين ، كلما تزوّجت الدنيا زوجــاً طلقها الموت ، والدنيا من الموت طالق ، لم تقرّ عينها ، فمثلها كمثل الحية لـيّن مسُّها ، والسم في جوفها ، ثم قال الراهب : يا هـــذا كما لا يجوز الزيف من الدراهم ، كذلــك لا تجوز لا إله إلا الله إلا بنور الاخلاص ، إن الفضة السوداء لتزخرف بالفضة البيضاء . ثم قال : عند تصحيح الضمائر يغفر الله الكبائر ، فإذا عزم العبد على ترك الآثام اتته من السماء الفتوح ، والدعاء المستجاب ، الذي تحرّكه الاحزان . قلت : فأكون معك يا راهب وأقـــيم عندك ؟ قال : مـــا اصنع بك ومعي معطي الارزاق ، وقابض الارواح ، يسوق اليّ الرزق في كل وقت، لم يكلفني جمعه، ولم يقدر على ذلك احد غيره.

وروينا ايضاً من حديث ابن ثابت . قال : أنا علي بن احمد الرزاز ، نبأ ابو بكر محمد بن الحسن بن زياد النقاش ، نبأ محمد بن يحيى ، حدثني جعفر ابن ابي جعفر الرازي . قال :

كتب ابراهيم بن أدهم الى أخٍ له :

بسم الله الرحمن الرحيم :

أما بعد ، فإني اوصيك بتقوى من لا تحلّ معصيته ، ولا يرجى غـيره ، ولا يُدرَك الغنى إلا به . من استغنى به عزّ، وشبع، وروي، وانتقل عندما أبصر قلبه ، عما أبصرت عيناه، من زهرة الدنيا ، فتركها، وجانب شبهها ،

فرضي بالحلال الصافي منها ، إلا مـا لا بد له منه ، من كسرة ، يشدّ بهـا صلبه ، وثوب يواري به عورته ، أغلظ ما يجد وأخشنه .

وروينا من حديثه ايضاً ، قال : حدثنا محمود بن عمر العكبري ، انا علي ابن الفرج بن روح ، نبأ عبد الله بن محمد بن ابي الدنيا ، نبأ الحسين بن عبد الرحمن ، قال : كتب بعض الحكماء الى أخ له :

أما بعد ، فاجعل القنوع ذخراً ، تبلغ به ، الى ان يفتح لك باب يحسن لك الدخول فيه. فإن الثقة مع القانع لا تخذل، وعون الإله مع ذوي الإناءة. وما اقرب الصنع مع الملهوف . وربما كان الفقر نوعاً من آداب الله ، وخيرة في العواقب . والحظوظ ثمرات ، فلا تعجل على ثمرة لم تدرك ، فإنك تدركها في اوانها غدية . والمدبر لك أعلم بالوقت الذي يصلح فيه لمـا تؤمّل ، فثق بخيرته لك في الأمور كلها والسلام .

ومن حديثه ايضاً في روايتنا ، قال : نبأ محمد بن عبد الملك بن بشران ، أنا دعلج بن احمد ، نبأ ابو الحسن محمد بن احمد بن هارون العدوي ، نبأ عمرو ابن الحباب ، نبأ يعلى بن الأشدق، نبأ عبد الله بن جرادة ، قال: قال رسول الله ﷺ : ليس الاعمى من عمي بصره ، ولكن الاعمى من تعمى بصيرته .

وروينا ايضاً من حديثه ، قال : نبأ الحسين بن عمر بن برهان ، نبـأ عبد البـاقي بن نافع ، نبأ بشر بن موسى ، نبأ عبيد الله بن صالح ، قـال : كتب رجل الى محمد بن السمّاك : صف لي الدنيا . فكتب اليه :

أما بعد ، فإن الله حفهـا بالشهوات ، ثم ملاها بالآفات . مزج حلالها بالرزيات ، وحرامها بالتبعات . فحلالها حساب ، وحرامها عذاب .

شعر :

اذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفت ... له عن عدوٍّ في ثياب صديق

روينا من حديث الخرائطي، قال: نبأ حماد بن الحسن بن عنبسة الوراق، نبأ سيار بن حاتم الغنوي، نبأ جعفر بن سليمان الضبعي، نبأ هشام الدستوائي، قال : بلغني في خطبة عيسى عليه السلام : تعملون للدنيا وانتم ترزقون فيها بغير العمل، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بالعمل. ويلكم علماء السوء ، الأجر تأخذون، والعمل تضيّعون. يوشك رب العلم ان يطلب علمه . ويوشك ان تخرجوا من الدنيا الى ظلمة القبر وضيقه .

ولنا في القبر والتحريض على الغرس عليه :

مرّ رسول الله ﷺ على قبرين ، فقال : انهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير. أما احدهما فكان يمشي بالنميمة. وأما الآخر فكان لا يستتر من البول. ثم دعا بقضيب رطب فشقه اثنين ، وغرس على كل قبر منهما واحداً ، وقال: إنه ليخفف عنهما ما لم ييبسا :

في القبر اسرارٌ يراها الذي ... عنه غطاء الحسْن مكشوفُ
فاذكروا فإن كل امرءٍ ... بفعله في القبر مصروف
هذا الذي اذكره عندنا ... وعند اهل الكشف معروف
عاينت قوماً عذبوا في الصدا ... كان لهم نقصٌ وتطفيف
فهل لغصن البان من غارس ... بقبرهم ففيه تخفيف
ما دام رطباً يانعاً اخضراً ... ولم يقم بالغصن تجفيف
تأسياً فإنه لم يقل ... بأنه عليه موقوف
وفي تأسينا به عصمة ... منجية منه وتشريف

ولنا في قوله تعالى فلا يأمن مكر الله ه :

من آمن المكرَ من اللهِ　　　فــأمّنه المكر من اللهِ
هذا الذي يأمن من مكره　　　هل جـاءه وحي من الله
كيف له بالأمن من مكره　　　جراءةٌ منـــه عـلى الله
هذاك جبريلٌ على قربــه　　　لا يــأمن المكر من الله
فلذ بجنب الله واسترعـــهِ　　　وارجـــع الى الله من الله
فالصادق المصدوق عبدٌ أتى　　　بكله شوقاً الى الله

روينا من حديث القشيري رحمه الله قال : لما ظهر ابليس على مـا ظهر ، طفق جبريل وميكائيل ، عليهما السلام يبكيان زمانـاً طويلاً ، فأوحى الله تعالى اليهما: ما لكما تبكيان كل هذا البكاء ؟ فقالا : يا رب لا نأمن مكرك . فقال الله تعالى : هكذا كونا لا تأمنا مكري .

كنت ببغداد في سنة ثمان وستمائة ، فرأيت في النوم ليلة الحادي عشر من رمضان ، قد فتحت أبواب السماء ، وفتحت خزائن المكر ، ونادى منادٍ : ماذا أنزل الليلة من مكر الله ؟ فاستيقظت فزعاً مما رأيت .

زيادة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مسجد المدينة :

روينا من حديث الواسطي هو ابن عبيد الله قال : نبأ عيسى ، أخبرني علي بن جعفر ، نبأ محـمد بن ابراهيم ، نبأ محمد بن النعمان ، نبأ عبد الله بن الزبير الحميدي ، نبأ سفيان بن بشر بن عاصم ، انـه سمع سعيد بن المسيّب يحدّث انه سمع كعباً قال :

كان للعباس دار ، فلما أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يوسّع

مسجد رسول الله ﷺ اخذ منه الدار ، فقال : ليس الى ذلـك سبيل ، او اجعل بيني وبينك رجلاً ، فجعل بينهما أبيّ بن كعب ، فقال أبيّ : انه لما أمر سليمان عليه السلام ان يبناء بيت المقدس، وكانت ارضه لرجل ، فأخذها منه سليمان عليه السلام ، فقال له الرجل : الذي أخذت منك خير ، أم الذي أعطيتني ؟ قال : بل الذي اخذت منك، فقال له : اني لا اجير البيع ، حتى اشتراها منه بحكمه على ان لا يسأله كثيراً ، فسأله شيئاً كثيراً ، فتخاصم هو وسليمان في ذلك الى ربه عز وجل ، فأوحى الله اليه : ان كنت انما تعطيه من عندنا ، فاعطه حتى يرضى ، فرضي العباس ، وقـال : أما اذا كان ذلك كذلك ، فاني قد جعلتها صدقة مني للمسجد على المسلمين .

تذكرة نبوية ، باجتناب صفات دنيّة :

روينا من حديث الخرائطي قال : حدثنا ابو قلابة البصري عبد الملك بن محمد بن عبد الله ، نبأ عبد الصمد بن عبد الوارث ، نبأ هاشم الكوفي ، نبأ زيد الخثعمي ، عن أسماء بنت عميس الخثعمية قالت :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : بئس العبد عبد تخيّل ، واختال ، ونسي الكبير المتعال ، بئس العبد عبدٌ سها ، ولهـا ، ونسي المقابر ، والبلا ، بئس العبد عبد بغى ، وعتا ، ونسي المبتدأ ، والمنتهى ، بئس العبد عبـد يختّل الدين بالشبهات ، بئس العبد عبد طمع يقوده ، بئس العبد عبد هوى يضله .

روينا من حديث الحميدي قال : نبأ الحناي ، عن ابن ابي الحديد ، عن ابي بكر ، عن ابي موسى قال : قال ابو حازم :

من اعتدل يوماه ، فهو مغبوط ، ومن غده شر يوميه، فهو محروم، ومن

لم يرَ الزيادة في نفسه ، كان في نقصان ، ومن كان في نقصان ، فالموت خير له ، ومن كان غـــده أحسن بومبه ، ويومه احسن من امسه ، فهو رابح معنى به .

روينا من حديث الخرائطي قـال : نبأ احمد بن نبيل الايامي ، نبأ ابو معاوية الضرير ، نبأ داود بن هند ، عن الشعبي قال :

لما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء العباس فقال :

يا امير المؤمنين أسلمت حين كفر الناس ، وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس ، وقتلت شهيداً ، ولم يختلف عليك اثنان ، وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض ، فقـــال له : أعد عليّ ، فأعاد عليه ، فقال : المغرور من غررتموه ، والله لو ان لي ما طلعت عليه الشمس ، او غربت ، لافتديت به من هول المطلع .

روينا من حديث الحميدي قـال : حدثنا محمد بن ابراهيم ، عن محمد بن احمـد ، عن محمد بن جعفر ، نبأ ابراهيم بن الهيثم البلدي ، نبأ آدم بن ابي أياس ، نبأ شعبة ، عن عاصم بن عبيد الله ، عن سالم بن عبـــد الله ، عن ابيه قال :

كان رأس عمر بن الخطاب رضي الله عنه على فخذي في موضعه الذي مات فيه ، فقال : ضع رأسي على الارض ، فقلت : ما عليك كان على الارض ، او على فخذي ، فقال : لا أمّ لك ، ضعه على الارض ، فوضعته على الارض ، فقال : ويلي وويل امي ان لم يرحمني ربي .

قرأت على ابي ذرّ الخشني لأبي عمرو البجلي في الامالي لأبي علي القالي :

تمتع من شميم عرار نجـدٍ فما بعـد العشية من عرارِ
ألا يا حبّذا نفحات نجـدٍ وريا روضه غبّ القطار
وعيشك ان يحـل القوم نجـداً وأنت على زمانك غير زار
شهورٌ تنقضين وما علمنا بإنصافٍ لهن ولا سدار
فأمــا ليلهُنّ فخيرُ ليــلٍ وأفضل مــا يكون من النهار

وأنشدنا ابو بكر بن خلف بن صافٍ اللخمي رحمه الله للطائي :

كم منزل في الارض يألفه الفتى وحنينه ابـــداً لأول منزل
نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحبُّ إلا للحبيب الأول

ومما نظمته الاشواق بلسان الاشتياق قولنا في نظام الحسن عين الشمس بهاء الجمال :

يا حبذا سرحة الوادي وبانته وحبذا زهر بالروض بسامُ
أهدى النسيم لنا من عرفه خبراً إن النسيم إذا ما هبّ نمّام
بكلّ فنّ من الالحان ناطقة أطياره طرباً والسربُ نوّام
وفي ترجمها بالصوت لو علمت للمستهام بعين الشمس اعــلام
إن الهوى عجمة لا يستطاع له حدّو لكن له في النفس احكام
منها النحول ومنها عبرة وجوى ورقـــة وصبابات وتهيام
وما له آخرٌ تحيي النفوس بــه لأن اوله موتٌ وأعدام
فإن تمادى الهوى بالحب أضعفه كما يضعّفه قربٌ والمـــام

ومما قيل فيمن عشق فعفّ :

وقد روينا فيه حديثاً حسناً ، حدثناه محمد بن قاسم . قال : حدثنا ابو

طاهر محمد بن احمـــد السلفي الاصبهاني ، ولا اذكر الاسناد ، سند الحافظ السلفي الى النبي ﷺ ، فـــإن وجدته سألحقه بالطرّة ، او رحم الله عبداً عرفه فألحقه من طريق السلفي على هذا الحديث في كتابي هذا .

قال رسول الله ﷺ :

من عشق فعفّ ، ومات ، مات شهيداً .

حدثنا اسمعيل بن محمد قـــال : حدثني نصر بن ابي الفرج ، عن علي الحصري ، أنا ابو القاسم ، أنا ابي ثابت بن بندار ، أنا ابو عبد الله بن احمـــد ابن عثمان ابو القمر الصيرفي، أنا ابو بكر بن شادان ، انبأ ابو عبد الله ابراهيم ابن محمد بن عرفة . قال :

دخلت على محمد بن داود في مرضه الذي مات فيه ، فقلت له : مـــا بك يا سيدي ؟ قال : حب من تعلم اورثني ما ترى ، يعني ابن جامع الصيدلاني، قلت : فما منعك من الاستمتاع بـــه مع القدرة عليه ؟ فقال : الاستمتاع على وجهين : احدهما النظر المباح والثاني اللذة المحظورة ، فأمـــا النظر المباح ، فأورثني ما ترى ، وأما اللذة المحظورة ، فيمنعني مـــا حدثني ابي ، عن سويد ابن سعيد ، عن علي بن مسهر ، عن ابي يحيى القتات ، عن مجاهد ، عن ابن عباس :

إن النبي ﷺ قال :

من عشق فكتم ، وعفّ ، وصبر ، غفر الله له ، وأدخله الجنة .

قال : انشدني لنفسه :

ما لهم انكروا سواداً بخدّيـ ـهِ ولا ينكرون ورد الغصونِ
أن يكن عيبُ خدّه مدد الشعـ ـر فعيبُ العيون شعر الجفون

فقلتُ : قلبت القياس في الفقه ، وأثبته في الشعر . فقال : غلبة الهوى، وملكة النفوس ، دعتنا الى ذلك :

انشدنا ابن طباطبا العلوي في هذا الباب لنفسه رحمه الله :

إن عاد قلبي في الهوى وله   ولقيتُ عذالي بما كرهوا
او كان شعري مودعاً غزلاً   اخفيته ورعـــاً واظهره
والله يعلم ما اتيتُ خنا   إن كثر العذال اوسفهوا
ماذا يعيب الناس من رجل   خلص العفاف من الانام له
إن همّ في حلم بفاحشة   زجرتـــه همّته فينتبه
يقظانه ومنامـــه شرعٌ   كلّ بكل منـــه مشتبه

وقال الآخر :

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعني   منه الحياء وخوف الله والحذرُ
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم   وليس لي في حرامٍ منهم وطر
كذلك الحبُّ لا اتيان معصيةٍ   لا خير في لذةٍ من بعدها كدر(١)

ومن الاخبار النبوية :

مـا رويناه من حديث آصف بن زيد بن احمد ، أنا ميمون بن محمد ، أنا ابو شجاع محمد بن حمزة العلوي ، أنا ابو الطيب طاهر ابن الحسين المطوعي ، أنا احمد بن علي السعداني ، نبأ محمد بن محمد المؤذن ، نبأ حامد بن سهل ، نبأ

(١) نسخة : سقر .

عبد الله بن زياد الحارثي ، نبأ سيار بن حاتم ابو سلمة العمري ، نبأ ابو عاصم العبداني ، نبأ ابو الفضل الرقاشي ، نبأ محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه . قال :

قال رسول الله ﷺ قال لي جبريل عليه السلام :

إن الله تعالى يخاطبني يوم القيمة يقول لي : يا جبريل ما لي أرى فلاناً في صفوف اهل النار ؟ قال : فأقول يا رب أ"نا لم نجد له حسنة يعود بها عليه خير اليوم . قال : يقول الله تعالى اني سمعته يقول في الدنيا : يا حنّان ، يا منّان ، فأته فاسأله ماذا عني بقوله يا حنّان ، يا منّان ، فأتيه فاسأله فيقول : هل من حنّان منّان غير الله ؟ فأخذ بيده من صفوف اهل النار ، فأدخله صفوف اهل الجنة .

روينا من حديث مرفوع الى عليّ بن ابي طالب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : من أطعم أخاً له من جوعةٍ اطعمه الله عز وجل من ثمر الجنة ، ومن سقاه من ظمأ ، سقاه الله من الرحيق المختوم . ومن كساه من عراء ، كساه الله عز وجل من خضر الجنة . ولم يزل في حرز الله ، وجواره ، وكنفه ، ما بقي عليه منه شيء .

وروينا من حديث البرقي ابي عبد الله محمد بن محمد ، نبأ ابو عبد الله محمد ابن ابي بكر الوراق ، نبأ خلف بن محمد ، نبأ احمد بن حاتم ، نبأ ابن ابي كرامة الخير بن النضر ، انا عيسى بن موسى ، عن ابي حمزة ، عن الأعمش ، عن ابي صالح ، عن ابي هريرة رضي الله عنه ، قال: قيل لرسول الله ﷺ : ما الزهد في الدنيا ؟ قال : أن تحب ما يحب خالقك ، وأن تبغض ما أبغض خالقك . وأن تتحرج من حلال الدنيا كما تتحرج من حرامها ، فإن حلالها

حساب ، وحرامها عقاب . وأن ترحم جميع المسلمين كما ترحم نفسك . وأن تتحرج من الكلام فيما لا يعنيك كما تتحرج من الحرام . وأن تتحرج من كثرة الأكل كما تتحرج من الميتة .

ومن محاسن الكلام :

من جهل المرء ان يعصي ربه في طاعة هواه،ويهين نفسه في إكرام الدنيا، وهو من هواه في ضلال ، ومن دنياه في زوال . ايام الدهر ثلاثة : يوم مضى لا يعود اليك . ويوم انت فيه لا يدوم عليك . ويوم مستقبل لا تدري ما حاله ، وما اهله . فتعزّ من أمسك الماضي ، وتزود من يومك الفاني لغدك الآتي . كل يوم يسوق الى غده . وكل امرءٍ مأخوذ بجناية لسانه ويده . خير عملك ما استصلحت به يومك ، وشرّه ما استفسدت به قومك . الحذر خير من الهدر، لأن الحذر يضعف الحجة، والهدر يتلف المهجة . إياك والهدر فإن بكثرة الكلام يزلّ اللسان ، ويمل الاخوان ، ويبرم الجليس ، ويسأم الأنيس ، فأقلل المقال ، وتوقّ الآمال . من أفرط في المقال زلّ ، ومن استخفّ بالرجال ذلّ . من قل كلامه بطن عيبه . ومن كثر احترامه حسُن غيبه . فاقتصر من كلامك على اليسير، وخذ في احترامك عن التقصير، تستر عنك العيوب ، وتجمع على محبتك القلوب . من قبل توقيه كثرت مساويه . من حسنت مساعيه طابت مراعيه ، من حسن الاختيار الاحسان الى الاختيار ، ما عزّ من ذل جيرانه ، وما سعد من شقى اخوانه . اذا شرف الخلق لطف النطق ، اذا كرمت السجية حسُنت الطوية . من اعز فلسَه اذل نفسه ، حسن اللقاء يولد حسن الاخاء . من كرم حلم ، ومن لطف شرف ، عادة الكفران ، تقطع مادة الاحسان . المطل شر المنعين ، والباس احد النجحين . من لم يشكر الإحسان ، لم يعدم الحرمان . جهل يضعف

حجتك ، خير من علم يتلف مهجتك . فتحصن بالجهل اذا نفع ، كما يتحصن بالعلم اذا نفع ، من قال ما لا ينبغي، سمع ما لا يشتهي ، قصّر كلامك تسلم، وأطل احتشامك تكرم . من قال بلا احترام ، اجيب بلا احتشام . من نكر الخطاب، انكر الجواب. من لم يحمل قيلا ، لم يسمع جميلا . فلا تقولنّ ما يسوءك جوابه ، ويضرك معابه ، لكل قول جواب ، ولكل فعل ثواب. فلا تقولنّ مرا ، تفعلنّ شرا ، ولا تعوّدنّ نفسك الا ما يكتب لك اجره، ويحسن عنك نشره ، لا تحاج سلطانك ، ولا تلاح اخوانك . فمن حاج سلطانه قهر. ومن لاح اخوانه هجر ، اياك ومحاجّة من يفنيك قهره . وينفذ فيك امره. اعقل لسانك الا عن حق توضحه ، او باطل تدحضه ، او حكمة تنشرها ، او نعمة تشكرها . اياك وما توحش به حرا او تطلب له عذرا ، فمن اوحش الاحرار، زهد في عشرته ، ومن اكثر الاعتذار شك في عذرته.

ومن باب من لم تلحظه العيون لفقره وهو جم الفضائل :

ما رويناه من حديث ابن ثابت قال : انا علي بن احمد بن محمد المقرى ، وعبد الملك بن مجهد ابن عبدالله بن بشران ، نبا محمد بن الحسين الآجرّيّ بمكة قال : نبأ بعض اصحابنا عن ابي الفضل الشكلي قال :

رأيتُ شابّاً في بعض الطريق ، وعليه خلق ، فكأني لم احفل بـه ، فالتفت اليّ وقال :

لا تنب عني بأن ترى خلقي فانمـا الدّود داخـل الصّدف
علمي جديد وملبَسي خلقٌ ومنتهى اللبْس منتهى العَلِف

ومن باب عز النفس بالغنى بالله :

ما رويناه من حديث ابن ثابت قال : انا عبد الرحمن بن النيسابوري ،

انا محمد بن عبد الله بن شادان ، قال : سمعت يوسف بن الحسين يقول : سمعت ذا النون يقول : بينا انا سائر في بعض الطرق ، فإذا فتىً حسن الثياب ، حسن الوجه ، أثر التهجّد بين عينيه . فقلت: حبيبي، من أين أقبلت ؟ قال: من عنده . فقلت : والى أين ؟ قال: الى عنده . قال: فعرضت عليه النفقة . فنظر إلي مغضباً ، ثم ولّى عني . وأنشأ يقول :

وكافر بالله أمـوالهُ تزداد اضعافاً على كفرهِ
ومؤمنٌ ليس له درهمٌ يزداد إيماناً على فقره
لا خير فيمن لم يكن عاقلا يمـدّ رجليه على قدره

وأنشد ابن ثابت في روايتنا، قال: اخبرني علي بن احمد بن حفص الغازي، قال : انشدنا ابو بكر محمد بن الحسين بمكة ، قال : انشدني ابو بكر عبد الله ابن حميد المؤدب :

رُبَّ ذي طمرين قد صا ن من العـالم سرَّهْ
لا يُرى إلا غنيـاً وهو لا يملـك ذرَّه
ثم لو أقسم في شيءٍ عـلى اللهِ أبَرَّه

وأنشد في غير هذه الرواية من هذا الشعر بيتاً رابعاً في أوله وهو :

ربّ ذي طمرين فينـا يـأمن العـالم شرَّهْ

ثم ساق الابيات الثلاثة كما ذكرناها .

ومن باب كم من استغفار يحتاج الى استغفار :

روينا من حديث ابن ثابت ، قال : نبـأ ابو الفتح محمد بن احمد بن ابي الفوارس ، انا محمـد بن احمد بن الورّاق ، سمعت عبد الله بن سهل الرازي ،

سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول: كم من مستغفر ممقوت، وساكت مرحوم. قال يحيى : هذا استغفر الله وقلبه فاجر . وهذا سكت وقلبه ذاكر .

سمعت بعض مشايخنا بقرطبة يقول : وقد حضر معنا متقشف، رأى منه الشيخ ما لم نرَ ، وعرف منه ما لم نعرف ، الضمير الضمير ، ما هو بلباس الخلقان ، وخبز الشعير .

ومن الحكمة النافعة والألفاظ الجامعة :

جودُ الرجل يحبّبه الى أضداده ، وبخله يبغضه الى اولاده . ونسيان البرّ يؤدي الى حط الشكر . مَن منع برّه طوى شكره . لا تسيء الى مَن أحسن اليك ، ولا تعن على من أنعم عليك . مَن أساء الى المحسن منع الاحسان ، ومَن أعان على المنعم سُلبَ الإمكان . ومَن وفا لك فقد قضى حق الاسلام، واستحق الإنعام . مَن جحد النعمى فقدَ الحسنى . ما اقبح منع الإحسان مع حسن الإمكان . اذا أذنبت فاعتذر ، واذا أُذنب اليك فاغتفر ، فالمعذرة بيان العقل ، والمغفرة برهان الفضل . عادة الكرام الجود ، وعادة اللئام الجحود . حسن النيّة أتمّ وألطف ، وكرم السجيّة أعظم فخراً وأشرف . مَن غرس شجرة الحلم ، اجتنى ثمرة السلم .

روينا من حديث أبي بكر بن ثابت ، قال : نبأنا ابو طالب بن يحيى بن علي بن الطيب العجلي بحلوان ، سمعت عبد الله بن محمد بن عبد الله الدامغاني بها يقول: سمعت ابن سلام المعروف بحسن بن علوية الواعظ، سمعت ابا زكريا يحيى بن معاذ الرازي يقول : بدء امري في سياحتي ، خرجت من الري فوقع في قلبي شأن المؤنة ، فتفكرت في نفسي ، فإذا بهاتف يهتف في قلبي :

أخرج ما في الجيب حتى نعطيك من الغيب .

وحدثني ابو عبد الله المروزي بمورور ، قـــال : سمعت الشيخ أبا مدين شعيب نزيل بجاية يقول : من عرف الله من الجيب ، رزقه من الجيب ، ومن عرفه من الغيب ، رزقه من الغيب .

وروينا من حديث ابن ثابت، قال : انا عبد الرحمن بن محمد النيسابوري، نبأ محمد بن عبد الله بن بهلول الفقيه ، نبأ احمد بن علي بن أبي حميرة ، قال : سمعت سهل بن عبد الله يقول : حرام على قلب ان يدخله النور ، وفيه شيء مما يكره الله عز وجل .

روينا من حديثه ايضاً ، قال: انا محمد بن محمد بن ابراهيم بن مخلد البزار، حدثنا جعفر بن محمد بن نصير ، نبأ ابو العباس احمد بن مسروق الطوسي ، قال : حدثني يحيى الجلا ، وكان من عباد الله الفاضلين، قال : سمعت بشراً، يعني الحافي ، يقول لجلسائه : سيحوا فإن المـاء اذا ساح طاب ، واذا وقف تغيّر وأصفرّ .

ومن حديثه ، قال : انا احمد بن الحسين بن السمّاك ، سمعت ابا بكر البرقيّ بدمشق يقول: سمعت ابا بكر الدقاق يقول: بني امرنا هذا على اربع: لا نأكل إلا عن فاقة ، ولا ننـام إلا عن غلبة ، ولا نسكت إلا عن خيفة ، ولا نتكلم إلا عن وجد .

وحدثنا ابن ثابت، قال : اخبرنا عبد الرحمن بن محمد النيسابوري ، قال : أنا محمد بن عبد الله المذكور ، قال : سمعت أبا القاسم البصري بهراة يقول : مَن لم يكن في حاله قوياً ، وبمعروفه غنياً ، صار وقته فوتاً، وحياته موتاً .

ولنا من باب من التذّ بالهوى :

لذيذ الهوى مرٌّ لدى كل جاهل كما مرُّه حلوٌ لدى كل عاقلِ
فيا رب لا تخلي فؤادي من الهوى ولا تخلني ما عشتُ من عذل عاذل
تطيبُ لنا الذكرى إذا ذكرت لنا فعيش الفق في البين ذكر العواذل
فما أعذبَ التعذيبَ ممن أحبُّه فكيف مذاق الحبّ عند التواصل
يلطّفني لطفاً وظرفاً ورقـةً ويورثني الاقدام عند النوازل
فما لي لا أهوى الهوى والذّه وفيه إذا انصفت كل الفضائل

ولنا من هذا الباب :

لكل شخص من هواه في هواه مـــا نوى
إن النعيم بالهوى ليس النعيم بالجوى
الحزن من اثاره وسلب اسباب القوى
والوجد والتهيام والتـ بريح من حكم الهوى
وصاحب السلطان في ما قد ذكرناه الهوى

ومن باب من سال الشفاء من الهوى :

ما رويناه من قول مجنون بني عامر :

وما سرّني أني خليٌّ من الهوى على أن لي ما بين شرق الى غربِ
فهذا دعائي كل يومٍ وليـلةٍ بطول الليالي او أُغيّب في التراب
فلا خفف الرحمن ما بي من الهوى ولا رفع الرحمن من حبّكم جنبي
ولا خير في حبّ بغير بليّةٍ ولا خير فيمن لم يمت من جوى الحب

ومنه مع وجود اللذة به :

مرارة الحبّ طعم الحب أيسرها   وقد وجدتُ أمر الحبّ أحلاه
ومشفق جاء مسروراً بتهنئةٍ   فلم يرم ان بكى حزناً وعزّاه

ولأبي جعفر الشطرنجي :

تحبّب فإن الحبّ داعية الحب   فكم من بعيدٍ وهو مستوجب القرب
وأطيبُ ايام الهوى يومك الذي   يقدّر فيه بالعتاب وبالعتب
تفكر فإن حدّثت ان اخا الهوى   نجا سالماً فارجُ النجاة من الحب

وأنشدنا ابو القاسم بن مرتين لبعضهم :

ولي فؤادٌ إذا طال العذابُ به   هام اشتياقاً الى لقيا مُعذبه
يفديك صبٌّ لو يكون له   أعزّ من نفسه شيئاً فداك به

ولو هب في معناه :

تعمل الاجفان بالدعج   عمل الصهباء في المهج
قل لظبي يسترقّ له   مهج الاحرار بالدعج
انت والاجفان ما لحظت   من فتور العين في حرج
كيف أدعو الله أسأله   فرجاً ممن به فرجي

كتاب ابي بكر الصديق رضي الله عنه الى اهل اليمن يحرّضهم على غزو الروم بالشام وما قالوا في ذلك :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من خليفة رسول الله ﷺ الى من قرىء عليه كتابي من المؤمنين ، والمسلمين من اهل اليمن ، سلام عليكم ، أما بعد :

فإني احمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، فـإن الله كتب على المؤمنين الجهاد ، وأمرهم أن ينفروا خفافاً ، وثقالاً ، قـال الله تعالى « جاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله » فالجهاد فريضة مفروضة ، وثوابـه عند الله عظيم ، وقد استنفرنا من قبلنا من المسلمين الى جهاد الروم بالشام ، وقـد سارعوا الى ذلك ، وعسكروا ، وخرجوا ، وأحسنت في ذلـك نيتهم ، وعظمت في الخير حسنتهم ، فسارعوا عباد الله الى فريضة ربكم، والى احدى الحسنيين ، أما الشهادة ، وأمـا الفتح والغنيمة ، فإن الله لم يرض من عباده بالقول دون العمل ، ولا يترك اهل عدوانه حتى يدينوا بالحق ، ويقرُّوا بحكم الكتاب ، او يؤدوا الجزية عن يـدٍ وهم صاغرون ، حفظ الله لكم دينكم ، وهدى قلوبكم ، وزكى اعمالكم ، ورزقكم اجر المجاهدين ، والصابرين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعث بهذا الكتاب مع انس ، قال الرملي :

فحدّثنا الحسين بن زياد ، عن ابي اسمعيل احمد بن عبد الله ، عن محمد بن يوسف ، عن ثابت البنـّاني ، عن انس قال :

أتيتُ اهل اليمن جناحاً جناحاً ، وقبيلةً قبيلةً ، اقرأ عليهم كتاب ابي بكر رضي الله عنه ، فإذا فرغت من قراءته قلت : الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وإن محمداً عبده ورسوله .

بسم الله الرحمن الرحيم :

أما بعد فإني رسول المسلمين اليكم ، ألا وإني قـد تركتهم معسكرين ، لم يمنعهم من الشخوص الى عدوّهم إلا انتظاركم ، فعجّلوا الى اخوانكم ، رحمـة الله عليكم أيها المسلمون. قال : وكان كل من اقرأ عليه ذلك الكتاب، ويسمع

مني هذا القول ، يحسن الرد عليّ ويقول : نحن سائرون ، وكانا قـد فعلنا ، حتى انتهيت الى ذي الكلاع ، فلما قرأتُ عليه الكتاب ، وقلتُ هذا المقال، دعا بسلاحه ، وفرسه ، ونهض في قومه من ساعته ، ولم يؤخر ذلك ، وأمر بالعسكر ، فما برحنا حتى عسكر وعسكر معه جموع كثيرة من اهل اليمن، وسارعوا ، فلما اجتمعوا اليه قـام فيهم ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلىّ على النبي ﷺ ، ثم قال :

أيها الناس إن من رحمـة الله إياكم ونعمته عليكم ، إن بعث فيكم رسولاً ، وأنزل عليكم كتاباً ، فأحسن عنه البلاغ ، فعلمكم مـــا يرشدكم ، ونهاكم عما يفسدكم ، حتى لا يفسدكم ، حتى علمكم ما لم تكونوا تعلمون ، ورغبكم في الخير في ما لم تكونوا ترغبون ، ثم قد دعاكم اخوانكم الصالحون الى جهاد المشركين واكتساب الأجر العظيم ، فلينفر من أراد معي النفر الساعة ، فنفر بعدد من أهل اليمن كثير ، وقدموا على ابي بكر . قال : فرجعنا نحن فسبقناه بأيام، فوجدنا ابا بكر رضي الله عنه بالمدينة ، ووجدنا ذلـــك العسكر على حاله ووجدنا ابا عبيدة يصلي بأهل ذلك العسكر . فقدمت حمـير على ابي بكر ، ومعها نساؤها ، وأولادها ، ففرح ابو بكر بقدمهم، فلما رآهم ابو بكر قال:

عباد الله ، ألم نكن نتحدث فنقول : إذا أقبلت حمـير تحمل اولادها ، ومعها نساؤها ، نصر الله المسلمين ، وخذل المشركين ، فابشروا أيها المسلمون فقد جاءكم النصر من الله . قال : وجاء قيس بن هبيرة بن مكسوح المرادي ، وكان من فرسان العرب في الجاهلية ، ومن اشرافهم ، وأشدّائهم ، ومعـه جمع كثير من قومه ، حتى اتى أبا بكر ، فسلم عليه ، ثم جلس اليه ، فقال لأبي بكر : ما تنتظر ببعثة هذه الجنود ؟ فقال ابو بكر : ما كنا ننتظر إلا قدومكم . قال : فقد قدمنا فابعث الناس الاول فالأول ، فـــإن هذه البلدة

ليست ببلدة خفٍ ولا كراع . قال : فخرج ابو بكر يمشي ، فدعا يزيد بن ابي سفيان ، فعقد له ، ودعا زمعة بن الاسود بن عامر من بني عامر بن لؤي فعقد له ، وأوصاهم ، وبعثهم ، كما ذكرنا في كتابنا هذا .

كريم اخلاق دليل على طيب اعراق :

روينا من حديث المالكي . قال : حدثنا محمد بن عبد العزيز ، نبأ المضاء ابن الجدود ، عن محمد بن عبد الله القرشي ، عن ابيه ، قال ابو الدرداء :

ما من رجل من المسلمين ، إذا اصبح ، الا اجتمع هواه ، وعمله ، فإن كان هواه تابعاً لعمله ، فيومه صالح ، وإن كان عمله تابعاً لهواه ، فيومه يوم شر .

من عمل على قوله ﷺ :

« كل امرٍ لا يبدأ فيه بذكر الله فهو اجذم » .

روينا من حديث الدينوري ، نبأ محمد بن موسى ، عن ابيه . قال : سمعت الاصمعي يقول : قال حميد الطويل :

ما سايرت ثابتاً البناني في حاجة قط ، إلا كان اول ما يبدأ به سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله اكبر ، ثم يذكر حاجته .

ومن حديثه ايضاً ، عن يزيد بن اسمعيل ، عن قبيصة ، عن سفيان الثوري ، إن جعفر بن محمد قال :

إذا جاءك ما تحبّ ، فأكثر من الحمد لله . وإذا جاءك ما تكره ، فأكثر

من لا حول ولا قوة إلا بالله ، وإذا استبطأت الرزق ، فأكثر من الاستغفار . قال سفيان : فانتفعت بهذه المواعظ .

أما مسلم بن الحجاج فذكر في صحيحه إن النبي ﷺ كان يقول في السرّاء: الحمد لله المنعم المتفضل ، وكان يقول في الضرّاء : الحمد لله على كل حال .

من راقب الله في حال القضاء حذراً من سوء القضاء :

رَوينا من حديث ابن مروان عن عليّ بن الحسين بن عبد العزيز ، عن ابن عائشة قال :

نظر شريح الى رجـل يقوم على رأسه وهو يضحك ، وشريح في مجلس القضاء ، فقال : لِمَ تضحك وأنت تراني أتقلّبُ بين الجنّة والنار ؟

وصية عليّ بن عبَيْدٍ للمأمون في الحسد :

دَاوِ الحسَدَ اذا وجدت حسّه بقمعه بالتوبيخ ، وصَغر قدرَ مَنْ عرفته به . فانه لا يدفـع النعمة عن المحسود ، ولا تصل إليك ، ولو زالت عنه . وعلى كل مخلوق نعمة ، وانْ خفيَتْ عليك . والنّعمُ أنواعٌ ، وضروب ، ما يبلي الله في النفس من السّلامة ، ويهبُ من العافية ، في الجوارح افضل من عرض الدّنيا ، وربّ حاسِدٍ لمنْ هو في أعظم من نعمته التي حسده عليها ، فلو شغل بشكر ما أعْطى ، كان أجدى عليه في المزيدِ ، وفي الحسد اثنتان: كمد يثلم القلبَ . وكدَر يحدث في العيش . ورأيتُ البغيَ من جهـل المعرفة لسرعة نصر الله لمن بغى عليه ، وهو من فروع الحسَد . واياكَ أن تضيفه قلبك ليلة ، أو تقيمَ به يومـاً واحداً . فان صرعة صاحبه لا تقال . وكاد يكون بمعزل من حفظ الله ، وغير مصاحب بالصّنع .

موعظة لبعض الاعراب ، بما تؤول اليه الدنيا من الخراب :

روينا من حديث الخرائطي قال : حدّثنا ابراهيم بن الجنيد ، نبأ محمد بن الحسين ، سمعتُ الأصمعي يقول :

سمعتُ أعرابياً يذكر قوماً تغيّرت أحوالهم ، وتبدّد شملهم . يقول : نزلت دورهم العبرة بعدَ الحبرة . وأيام السرور فتنة الأحزان . ثم قال :

وأنشدني أبو محمد المريمي :

ان عيشاً إلى الفناء مصيره لحقيقٌ ان لا يدومَ سُروره
وسرورٌ يكون آخره المو ت سواءٌ طويله وقصيرُهُ

حكمة من جعل حسن الصورة نعمة :

روينا من حديث الأصمعِي قال : قال بعضهم التمس حوائجك من صباحِ الوجوه ، فانّ حسن الصورة اوّل نعمةٍ تلقاك من الرّجل .

روَينا من حديث المالكي، عن ابراهيم الحربيّ ، قال: نبأ داودُ بن رشيد قال : كان يقول : عنوان صحيفة المسلم حسن خلقه .

قال المالكيّ : وحدّثنا عبد الرحمن بن معروف ، عن داود بن مجبر قال: قالَ بعض الحكماء : صَدرك اوسع سرّك ، فانّ سرّك من دمك ه . من صحت ديانته تمت مروءته، لأن الديانة تصده عن المحارم، وتحثه على المكارم . من الكرم حسن العفو عن سهو الذنوب ، وترك البحث عن سوء العيوب . الفعل نتيجة العقل . والعقل نتيجة الشرف . كن بعيد الهمم اذا طلبت ، كريم الظفر اذا غلبت . جميل العفو اذا قدرت . كثير الشكر اذا ظهرت .

ان من الشريعة ان تبجل أهل الشريعة. ومن الصنيعة ان ترب أهل الصنيعة. لا يزهدنك في رجل حمدت سيرته ، وارتضيت وثيرته ، وعرفت فضيلته ، وبينت عقله عيب خفي يحيط به كثرة فضائله ، أو ذنب صغير تستغفر له قوة وسائله . فانك لن تجد ما بقيت مهذباً لا يكون فيه عيب ، ولا يقع منه ذنب . واعتبر بنفسك بعد أن لا تراهـا بعين الرضا . ولا تجر فيها على حكم الهوى . فان في اعتبارك بهـا ، واختيارك لها ، ما يرشدك لما تطلب ، احسن رعاية الحرمات . واقبل على أهل البيوتات . فان رعـاية الحرمة تدل على كرم الشيمة ، والاقبال على ذوي المروءة يعرب عن شرف الهمة . احسن الى من كان له قـدم في الأصل ، وسابقة في الفضل . ولا يزهدنك فيه سوء ادبار الدولة عنـــه ، فانك لا تخلو في اصطناعك له ، واحسانك اليه ، من نفس حرة تملك رقها . ومكرمة توفي حقها . فان الدنيا تجبر كما تكسر[1] وتقبل كما تدبر . من زرع خـيراً حصد أجراً . ومن اصطنع أجراً استفاد شكراً . من شرائط المروءة أن تتعفف عن الحرام ، وتتنظف من الآثام ، وتنصف في الحكم . وتكف عن الظلم ، ولا توثر دنيا على شريف . ولا تسن ما يعقب الوزر والاثم ، ولا تفعل ما يقبح الذكر والاسم .

وروينا من حديث ابن ثابت قـال : نبأ ابو بكر احمد بن محمد بن جعفر الاخرم ، انا ابو علي عيسى بن احمد بن محمد الطوماري ، نبأ محمد بن يونس ، نبا عبد الله بن داود التمار ، نبـأ اسمعيل بن عباس ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن ابي امامة قال :

(١) نسخة : الدولة تقبل .

قال رسول الله ﷺ :

عليكم بلباس الصوف ، تعرفون به في الآخرة ، وان لباس الصوف يورث في القلب التفكر ، والتفكر يورث الحكمة ، والحكمة تجري في الجوف مجرى الدم. فمن كثر تفكره قل طعمه، وكلّ لسانه . ومن قل تفكره كثر طعمه، وعظم بدنه ، وقسى قلبه ، والقلب القاسي بعيد من الله ، بعيد من الجنة ، قريب من النار .

ما روينا من حديثه أيضاً قال : نبأ محمد بن الحسين بن احمد الاهوازي قال : سمعت ابا بكر الدنف الصوفي يقول :

سمعت جامع بن احمد يقول : سمعت يحيى بن معاذ الرازي يقول : ليكن بيتك الخلوة ، وطعامك الجوع ، وحديثك المناجاة . فاما أن تموت بدائك ، أو تصل الى دوائك .

موعظة مالك بن دينار لوالي البصرة :

من حديث ابن ثابت قال : حدثنا علي بن المظفر الاصفهاني ، انا حبيب ابن الحسين ، نبأ محمد بن احمد السطوني ، عن حسن بن جعفر بن سليمان الضبعي ، عن ابي جعفر بن سليمان قال :

مرّ والي البصرة بمالك بن دينار يرفل ، فصاح به مالك : مُرّ واقل من مشيتك هذه . فهمّ خدمه به فقال : دعوه ، ثم قال له : ما أراك تعرفني ؟ فقال له مالك : ومن أعرف بك مني ؟ اما اوّلك نطفة مذرة ، واما آخرك فجيفة قذرة . ثم أنت بينهما حامل العذرة . فعرف الوالي لي صحة ما قاله . وأن وضع القول موضعه . فاستحى ، ونكس رأسه ، وانصرف .

ومما قيل في باب النسيب هـ :

يا مَنْ شكا ألماً في الحبّ شبّهه ... في القلب بالنار منْ شوق وتذكار
إني أعظّمُ ما بي أن اشبّهَه ... بما يقاس الى مِثلٍ ومقدارِ
للحبّ نارٌ على قلبي مضرّمـةٌ ... لا تبلغ النار منها عشرُ معشار

وقال الآخر في معناه هـ :

يحنُّ إلي مَن بالعقيقين قلبه ... حنيناً يبكّي الورق في غصن السدرِ
تنفست (١) لما باح قلبي بذكره ... فأمسكت من خوف الحريق على صدري
ووالله لو فاضت على الصدر عبرتي ... لأحرق أدنى حرّها لهبُ الجمر

ولنا في هذا المعنى من قصيدة هـ :

لو نفس مـن هوايَ هو على ... جمر لظى أحرقتـه انفاسي
ولو تجارتْ للحبّ خيل هوى ... فازت به في السّبق افراسي

وقال الصنوبري :

دخول النـار للمهجور خيرٌ ... من الهجر الذي هو يتقيهِ
لأن دخوله في النـار أدنى ... عذاباً من دخول النـار فيه

وقال الآخر :

لو كان قلبي من نار لأحرقهُ ... لأن احزانه ازكى من النارِ
الماء ينبعُ منها في محاجرها ... يا للرجال لماءٍ فاض من نار

---

(١) نسخة ٢ : تنفس .

وقال الآخر :

للشوق في مضمر الأحشاء ناران   وللمدامع في خـدّيّ خدّانِ
نار تضرّم احشائي بلوعتهـا   ونار شوق تفيضُ الدمعَ منشان
فالقلب في حرق الأحشاء محترق   فناظري غرقٌ في ماء اجفاني
فمن رأى المـاء للنيران مقترناً   تمازجا وهما في الأصل ضدان

حديث ابي بكر الصديق رضي‌الله عنه مع الصحابة وما قالوا له حين حدث نفسه بغزو الروم :

روينا من حديث الرملي ، قال : نبأ الحسن بن زيد الرملي ، نبأ محمد بن عبد الله الأزدي البصري ، قال : لما دوح الله العرب ، وانتهت الفتوح من كل وجـه الى ابي بكر ، واطمأنت العرب بالاسلام ، وأذعنت بـه ، واجتمعت عليه ، حدّث ابو بكر نفسه بغزو الروم ، فأسرّ ذلك في نفسه ، فلم يطلع عليه احداً . فبينما هو في ذلك إذ جاءه شرحبيل بن حسنة ، فقال : يا خليفة رسول الله أتحدّث نفسك ان تبعث الى الشام جنداً ؟ فقـال : نعم . قد حدّثت نفسي بذلك ، وما أطلعت عليه احداً ، وما سألتني عنـه إلا لشيء عندك . فقال : أجل ، اني رأيت فيما يرى النائم ، كأنك في ناس من المسلمين فوق جبل ، فأقبلت تمشي معهم حتى صعدت على قبّة عـالية على الجبل ، فأشرفت على أناس ، ومعك اصحابك اولئك ، ثم هبطت من تلك القبة الى ارض سهل دمثة ، فيهـا القرى ، والعيون ، والزرع ، والحصون ، فقلت : يا معشر المسلمين ، شنّوا الغارات على المشركين ، فأنا ضامن لكم الفتح والغنيمة . وأنا فيهم ، ومعي راية ، فتوجهت الى قرية ، فدخلتها ، فسألوني الأمـان ، فأمّنتهم ، ثم جئت ، فوجدتك قـد انتهيت الى حصن عظيم ، ففتح لك ،

وألقوا اليك السلم ، وجعل لك عرش ، فجلست عليه ، ثم قال لك قائل : قاتل يفتح الله لك وتنصر ، فاشكر ربك ، واعمل بطاعته، ثم قرأ عليك : « اذا جاء نصر الله والفتح ورأيتَ الناس يدخلون في دين الله افواجاً فسبّح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً » قال : ثم انتبهت .

قال له ابو بكر : نامت عينك ، ثم دمعت عينا ابي بكر رضي الله عنه. فقال : انما الجبل الذي رأيتنا نمشي عليه حتى صعدنا منه الى القبّة العالية ، فأشرفنا على الناس ، فإنا نكابد من أمر هذا الجند مشقّة ، ويكابدونا ، ثم يعلو بعد ، ويعلو أمرنا ، وأن نزولنا من القبّة العالية الى الارض السهلة الدمثة ، والزروع ، والحصون ، والعيون ، والقرى ، فإنّا ننزل الى أمر اسهل مما كنا فيه من الخصب ، والمعاش . وأما قولي : شنوا عليهم الغارة ، فإني ضامن لكم بالفتح،والغنيمة، فإن ذلك توجهي المسلمين الى بلاد المشركين، وأمري إياهم بالجهاد في سبيل الله . وأما الراية التي كانت معك فتوجهت بها الى قرية من قراهم ، فدخلتها ، فاستأمنوك ، فأمّنتهم ، فإنك تكون أحد أمراء المسلمين ، ويفتح الله على يديك. وأما الحصن الذي فتح الله على يديّ، فهو ذلك ، يفتح الله على يدي . وأما العرش الذي رأيتني جالساً عليه ، يرفعني الله ويضع المشركين . وأما أمري بطاعة ربي،وقرأ عليّ هذه السورة، فإنه نعي إليّ نفسي ، فإن هذه السورة حين انزلت على رسول الله ﷺ ، علم أن نفسه نعيت اليه . ثم سالت عينا أبي بكر رضي الله عنه ، فقال :

لآمرنّ بالمعروف ، ولأنهيّن عن المنكر ، ولأجاهدن من ترك امر الله عزّ وجل ، ولأجهزّن الجيوش الى العادلين بالله في مشارق الارض ومغاربها ، حتى يقولوا : الله احد ، ويؤدّوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ، فإذا توفاني

ربي ، لم يجدني مقصّراً ، ولا في ثواب المجاهدين زاهداً ، ثم انه امر الأمراء، وبعث الى الشام على ما ذكرنا في هذا الكتاب .

قال محمد بن عبد الله البصري : لما حدثت بهذا الحديث، فحدثني الحارث ابن كعب ، عن عبد الله بن ابي اوفى الخزاعي ، وكانت له صحبة ، قال : لما أراد ابو بكر تجهيز الاجناد الى الشام، دعا بعمر، وعثمان ، وعلي وطلحة، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن ابي وقاص ، وأبي عبيدة بن الجراح ، ووجوه المهاجرين ، والانصار ، من اهل بدر ، وغيرهم ، فدخلوا عليه ، وأنا فيهم . فقال :

إن الله تبارك وتعالى لا تحصى نعمه، ولا تبلغ الاعمال جزاءها ، فلله الحمد كثيراً على ما اصطنع عندكم ، قد جمع كلمتكم ، وأصلح ذات بينكم ، وهداكم الى الاسلام ، ونفى عنكم الشيطان ، فليس يطمع أن تشركوا بالله ، ولا تتخذوا إلهاً غيره ، فالعرب بنو أمٍ وأب ، وقد أردت أن أستفّرهم الى الروم بالشام ، فمن هلك منهم هلك شهيداً ، وما عند الله خيرٌ للأبرار، ومن عاش منهم عاش مدافعاً عن الدين ، مستوجباً على الله عزّ وجل ثواب المجاهدين ، هذا رأيي الذي رأيت . فأشار عليّ امرءٌ بمبلغ رأيه .

فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ . ثم قال :

الحمد لله يخص بالخير من شاء من خلقه ، والله ما استبقنا الى شيء من الخير قط إلا سبقتنا اليه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، قد والله أردت لقاءك لهذا الأمر ، والرأي الذي ذكرت ، فما قضى الله أن يكون ذلك حتى ذكرته الآن . فقد أصبت وأصاب الله بك سبل الرشاد ، سرب اليهم الخيل

في اثر الخيل ، وأبعث الرجال تتبعها الرجال ، والجنود تتبعها الجنود ، فإن الله عزّ وجل ناصر دينه ، ومعزّ الاسلام ، وأهله ، ومنجز مـا وعد رسوله ﷺ .

ثم إن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قام فقال :

يا خليفة رسول الله ﷺ ، إنما الروم ، وبنو الاصفر حدّ حديد ، وركن شديد ، والله مـا أرى أن تقحم الخيل عليهم اقحاماً ، ولكن تبعث الخيل تغير عليهم في اداني أراضيهم ، ثم تبعثها فتغير ، ثم ترجع اليك ، فإذا فعلوا ذلك اضرّوا بعدرّهم ، وغنموا من أداني أراضيهم ، فقووا بذلك على قبالهم ثم تبعث الى اقاصي أهل اليمن ، والى اقاصي ربيعة ومضر ، فتجمعهم اليك جمعاً ، فإن شئت بعد ذلـك غزوتهم بنفسك ، وإن شئت بعثت على غزوهم غيرك ، ثم جلس ، وسكت ، وسكت الناس .

فقال لهم ابو بكر رضي الله عنه : مـا ترون رحمكم الله ؟ فقام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فحمد الله ، وأثنى عليه بمـا هو أهله ، وصلى على النبي ﷺ ثم قال :

اني أرى انك لأهل هذا الدين مشفق ، وإذا رأيت رأياً لعامتهم رشداً ، وصلاحاً ، وخيراً ، فأعزم على امضائه ، فإنك غير ظنين ، ولأمتهم .

فقال طلحة ، والزبير ، وسعد وأبو عبيدة وجميع من حضر ذلك المجلس من المهاجرين ، والانصار : صدق عثمان فيما قال .

ما رأيت من امرٍ فامضه ، فإنا سامعون لك مطيعون، لا نخالف أمرك، ولا نتّهم رأيك ، ولا نتخلف عن دعوتك وإجابتك ، فذكروا هذا وشبهه، وعلي بن ابي طالب في القوم لا يتكلم .

فقال له ابو بكر : ما ترى يا ابا الحسن؟ قال : أرى انك مبارك ميمون الناصية ، وإنك ان سرت اليهم بنفسك ، او بعثت اليهم نصرت إن شاء الله فقال له ابو بكر : بشـرك الله بخير ، من أين علمت هذا ؟

قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

لا يزال هذا الدين ظاهراً على من ناواه، حتى يقوم الدين، وأهله ظاهرين.

فقال ابو بكر رضي الله عنه : سبحان الله ما احسن هذا الحديث ، لقد سررتني سرّك الله في الدنيا والآخرة .

ثم إن أبا بكر رضي الله عنه قـام في الناس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وذكره بما هو أهله ، وصلى على النبي ﷺ ، وقال :

أيها الناس إن الله قـد أنعم عليكم بالاسلام ، وأعزّكم بالجهاد ، وفضّلكم بهذا الدين على اهل كل دين ، فتجهّزوا عباد الله الى غزو بلاد الروم بالشام ، فإني مؤمر عليكم أمراء وعاقد لهم عليكم ، فأطيعوا ربكم ولا تخالفوا اميركم[1] ولتحسن نيتكم ، وسيرتكم ، وطعمتكم « فـإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » قال : فسكت الناس فوالله ما أجابه احد هيبة لغزو الروم ، لما يعلمون من كثرة عددهم ، وشدة شوكتهم .

فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا معشر المسلمين مـا لكم لا تجيبون خليفة رسول الله ﷺ إذا دعاكم لما يحييكم ؟

---

(١) نسخة : امراءكم .

فقام خالد بن سعيد بن العاص ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ ، ثم قال :

الحمد لله الذي لا إله الا هو، بعث محمداً بالهدى « ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » فان الله منجز وعده ، ومعز دينه ، ومهلك عدوه . ثم أقبل على ابي بكر فقال : إنا غير مخالفين لك ، ولا متخلفين عنك ، وأنت الوالي الناصح الشفيق ، ننفر اذا استنفرتنا ، ونطيعك اذا أمرتنا ، ونجيبك اذا دعوتنا . ففرح ابو بكر بمقالته ، وقال له : جزاك الله من أخٍ خيراً ، فقد أسلمت مرتغباً ، وهاجرت محتسباً ، وهربت من دينك من الكفار ، لكي يطاع الله ورسوله ، وتكون كلمة الله هي العليا ، فسِر رحمك الله .

قال : فتجهّز خالد بن سعيد بأحسن الجهاز ، ثم أتى أبا بكر وعنده من المهاجرين والأنصار أجمع ما كانوا ، فسلّم على ابي بكر رضي الله عنه ، ثم قال : والله لأخرّ من رأس حالق ، او يخطفني الطير في الهواء بين السماء والأرض أحب إليّ من أن أبطىء عنك ، او أخالف أمرك ، والله ما أنا في الدنيا راغب ، ولا على البقاء فيها بحريص ، وإني اشهدكم اني ، وإخواني ، وفتياني، ومن أطاعني من أهلي، حبيس في سبيل الله تعالى،مقاتل المشركين، ابداً ، حتى يهلكهم الله ، او نموت عن آخرنا .

فقال له ابو بكر : خيراً . ودعا له المسلمون بخير . وقال له ابو بكر : اني لأرجو أن تكون من نصحاء الله في عباده، بإقامة كتابه ، واتّباع سنّة نبيه ﷺ .

فخرج هو ، وأخوته ، وغلمانه ، ومن تبعه من أهل بيته . وكان اول من عسكر ، فأمر ابو بكر بلالاً فنادى في الناس : أن انفروا الى عدوّكم

بالشام . وأرسل الى يزيد بن ابي سفيان ، والى ابي عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وشرحبيل بن حسنة ، فقال : اني باعثكم في هذا الوجه ، ومؤمّركم على هذه الجنود ، وأنا موجّه مع كل رجل منكم من الرجال ما قدرت عليه ، فإذا قدمتم البلد ، ولقيتم العدو، واجتمعتم على قتالهم ، فأميركم ابو عبيدة بن الجراح ، وإن لم يلقكم ابو عبيدة ، وجمعكم حرب ، فأميركم يزيد بن ابي سفيان . فانطلقوا ، فتجهزوا .

فانطلق القوم يتجهزون. وكان خالد بن سعيد من عمال رسول الله ﷺ ، فكره الإمارة ، واستعفا أبا بكر ، فأعفاه . ثم ان الناس خرجوا الى معسكرهم من عشرة وعشرين، وثلاثين وأربعين، وخمسين ، ومائة في كل يوم، حتى اجتمع الناس ، وكثروا . فخرج ابو بكر ذات يوم ومعه رجال من اصحابه كثير، حتى انتهى الى عسكرهم، فرأى عدة حسنة، ولم يرضَ كثرتها للروم، فقال لأصحابه : ماذا ترون في هؤلاء ؟ أترون أن نشخصهم الى الشام في هذه العدة ؟ فقال له عمر : ما أرضى هذه العدة لبني الأصفر . فأقبل ابو بكر على اصحابه فقال لهم : ماذا ترون ؟ فقالوا : نحن نرى ايضاً ما رأى عمر : فقال ابو بكر : أفلا نكتب كتاباً الى اهل اليمن ندعوهم الى الجهاد ونرغبهم في ثوابه ؟ فرأى ذلك جميع الصحابة . فقالوا له : نعم ما رأيت . فكتب اليهم ، فأجابوه ، وأقبلوا ، وتجهزوا الى الشام . فكان الفتوح ، والنصر . وقد ذكرنا ذلك كله في كتابنا هذا .

وصية عثمان بن عفان رضي الله عنه :

روينا من حديث الاصمعي عن العلاء بن الفضل ، عن ابيه ، قال : لما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فتشوا خزانته ، فوجدوا فيها صندوقاً

مقفولاً ، ففتحوه ، فوجدوا فيه حُقة فيها ورقة مكتوب فيها : هذه وصية عثمان بن عفان : يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النـار حق « وأن الله يبعث من في القبور ليوم لا ريب فيـه ، إن الله لا يخلف الميعاد » عليها نحيا ، وعليها نموت ، وعليها نبعث ان شاء الله من الآمنين برحمة الله .

وروينا من حديث الخرائطي ، قـال : حدثنا علي بن داود ، نبـأ محمد ابن عبد العزيز الرملي ، نبأ محمد بن خميس ، عن عبد العزيز الزهري ، عن طاوس ، قال : جاء رجل الى محمد بن يوسف وهو على اليمن ، فقـال : إن معي صفة الأبنية ، وهو قبر من قبور الجاهلية . قال طاوس : فأرسلني معه ، فأتينا موضعاً ، فحفروا ، فإذا باب ، ودرجة ، واذا بامرأتين ناشرتي الشعر على سريرين ، وعليهما حِبَرات مكففات بالديباج ، وبينهما عسيب من فضة ، مكتوب بالذهب : أنا حنا ، وهذه اختي رضوى ابنتـا تُبّـع ، متنا لا نشرك بالله شيئاً .

انتهى بحمد الله وعونه كتاب « المسامرات » للعالِم العامل ،
القطب الواصل ، العارف الغارف ، من بحر المعارف
سيدي محيي الدين بن العربي الحاتمي الطائي ،
نفعنا الله به وبعلومه ، آمين

فهرس

المجلد الثاني

مطبعة النجوى — بيروت — تلفون : ٢٩٣٥١٤

محاضرة الأبرار
ومسامرة الأخيار

٢

ابن عربي